



جامعة حسين بن بوعلي بالشلف
مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر

دراسات في التنمية والمجتمع

مجلة دولية محكمة يصدرها
مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر
جامعة حسين بن بوعلي - الشلف

Revue du Laboratoire de Société & Problèmes
du Développement Local en Algérie

العدد السابع - جوان 2017



دار التل للطباعة

مجلة دراسات في التنمية والمجتمع

مجلة دولية محكمة يصدرها

مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر

جامعة حسينية بن بو علي - الشلف

العدد السابع / جوان 2017

رقم الإيداع: 2014-4343

ISSN 2437-0436

رقم الإيداع: 2014-4343
ISSN 2437-0436

الهيئة الإدارية

مدير المجلة المسئول عن النشر : د. تقية محمد المهدي حسان
رئيس هيئة التحرير / د. ضامر وليد عبد الرحمن
نائب رئيس التحرير / د. بوبكر جيلالي

اعضاء هيئة التحرير

د. زيان محمد
د. يخلف رفيقة
أ. أسماء سعدي
أ. طياب خالد
أ. فاطمة الزهراء زاوي

اعضاء الهيئة العلمية لمجلة دراسات في التنمية والمجتمع	
أ.د. عبد الوهاب جودة الحايس	جامعة عين شمس / مصر
أ.د. محمد الدقس	الجامعة الاردنية / الاردن
أ.د. فاتن مبارك	جامعة صفاقس / تونس
أ.د. ضامر وليد عبد الرحمن	جامعة شلف / الجزائر
أ.د. محمد طه	جامعة ميونيخ / ألمانيا
أ.د. زمام نور الدين	جامعة بسكرة / الجزائر
أ.د. نبيل نعمان	جامعة بغداد / العراق
أ.د. تقية محمد المهدي	جامعة شلف / الجزائر
أ.د. شريف زهرة	جامعة الجزائر 2 / الجزائر
أ.د. نقاز سيد أحمد	جامعة البلدية 2 / الجزائر
أ.د. بشير محمد	جامعة تلمسان / الجزائر
أ.د. فضيل رتيمي	جامعة البلدية 2 / الجزائر
أ.د. قاسم محمد الدليمي	جامعة النهريين / العراق
أ.د. ماهر فرحان مرعب	جامعة قالمة / الجزائر
د. كويحل فاروق	جامعة البلدية 2 / الجزائر
د. منصور مرقومة	جامعة مستغانم / الجزائر
د. سعداوي زهرة	جامعة شلف / الجزائر
د. زيان محمد	جامعة شلف / الجزائر

قواعد النشر

1. تنشر المجلة الابحاث باللغة العربية والفرنسية والإنكليزية
 2. ان يكون الموضوع ضمن أحد محاور التنمية (الاجتماعية السياسية، الاقتصادية)
 3. ان لا يتجاوز عدد صفحات المقال 25 صفحة كحد اقصى.
 4. يُشترط أن لا تكون المواد المرسله للنشر في المجلة قد نُشرت أو أُرسلت للنشر في مجلات أخرى.
 5. تخضع المواد الواردة لتحكيم اللجنة العلمية للمجلة ولا تعاد المواد المعتذر عن نشرها إلى أصحابها.
 6. يجري إعلام الكاتب بقرار اللجنة الاستشارية خلال شهرين من تاريخ تسليم النص.
 7. تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.
 8. تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simplified Arabic مقاسه 14 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 16 Gras، العناوين الفرعية 14 Simplified Arabic Gras، أما الفرنسية أو الانجليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12.
 9. التهميش والإحالات بطريقة الية Note de fin على أن تعرض في نهاية المقال وفق الترتيب التالي : المؤلف، عنوان الكتاب أو ألقال عنوان المجلة أو المؤتمر، الناشر، البلد، الطبعة السنة و الصفحة.
 11. ان يرفق المقال بملخص باللغة الانكليزية.
 12. ترسل المقالات عبر البريد الالكتروني : developmentr@yahoo.com أو revudevelopment@gamil.com
- للاتصال:
- الهاتف: +213 27 72 71 21

مقدمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقول الحكمة الصينية القديمة لا تعطيني سمكة ولكن علمني كيف اصطاد، وهي تعبير عميق للرغبة في الاستقلال ورفض التبعية وبناء الذات، وقد تكون هذه الفكرة هي نفسها جوهر عملية التنمية بشموليتها، فالهدف من العملية التنموية، هو بناء ذات المجتمع بشكل مستقل، من خلال تنمية قدراته، لقد ركزت الحكمة الصينية انفة الذكر على فكرة التعلم، وهو المبدأ الحقيقي لانجاز أي فكرة، وإذا كانت التنمية فكرة ومبدأ . فأنها يجب أن تركز على فكرة التعلم، من البداية إلى النهاية، أن فكرة التعلم لا يجسدها إلا حقل البحث العلمي .

أن الوضع الذي وصلت اليه المجتمعات الأكثر تقدما، ما هو الى نتيجة لصيرورة تاريخية من التطور المعرفي في كافة حقول العلم الطبيعية والإنسانية، هذا التطور في البحث العلمي، انعكس على واقع تلك المجتمعات، وبالتالي انعكس على حياة الفرد، فالوضع الحالي لبعض المجتمعات وخاصة في جوانبه المادية ما هو إلا نتيجة لتطور البحث العلمي . والعكس صحيح أيضا فأوضاع البلدان الأقل تقدما، او ما يعرف ببلدان العالم الثالث، ما هو الا نتيجة ايضا لمرحلة تاريخ من الغياب المعرفي .

ان الإشكالية الحقيقية لعمليات التنمية في واحدة من اهم جوانبها هو انخفاض مستوى البحث العلمي، وهذا نتيجة طبيعية لعدة عناصر، منها ما هو موضوعي ومنها ما هو ذاتي . فبالرغم من إيقاننا بأهمية البحث العلمي في تطوير المجتمعات، إلا أن مستوى الإنفاق عليه ما زال ضئيلا، هذا الإنفاق المحدود انعكس على النتائج والتي كانت محدودة ايظا .

فعملية التنمية الناجحة تحتاج بالضرورة مستوى بحث علمي ناجح يشمل كافة الحقول المعرفية، الطبيعية منها والإنسانية .

لقد حاولنا من خلال مجلة دراسات في التنمية والمجتمع المساهمة في هذه العملية ولو بشكل بسيط، من خلال العمل على نشر كافة البحوث والدراسات التي ترتبط بالملية التنموية، وهو ما سنواصل العمل عليه في المستقبل بإنشاء الله، من خلال نشر الاعمال العلمية، والعدد السابع الذي اخذ طريقه الى النشر هو جزء من هذه الحلقات المعرفية .

ا.د ضامر وليد عبد الرحمن

رئيس هيئة التحرير

فهرس العدد

9	د. سالي محمود سامي كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر	مشكلة الطلاق بين المسنات في المجتمع المصري «دراسة سيوسولوجية للعوامل والآثار»
39	أ.م.د. إبراهيم مرتضى الأعرجي جامعة بغداد/ كلية الآداب	اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم
65	تواقي صليحة باحثة دكتوراه / جامعة الجزائر 2	استراتيجيات مواجهة الضغط المهني لدى المرضى العاملين في مصالح معالجة السرطان
81	علي حجلة/ أستاذ مساعد "أ" جامعة تبسة محمد الهادي لعروق/ أستاذ تعليم عالي جامعة قسنطينة	البعد البيئي للتنمية المستدامة « المساحات الخضراء بمدينة تبسة » دراسة باستعمال نظام الاعلام الجغرافي والاستشعار عن بعد
111	سعداوي زهرة استاذ محاضر ا / جامعة حسيبة بن بو علي الشلف	صورة المرأة في النص الديني الإسلام نموذجا
127	د: سعيد زيوش جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف	قراءة سوسولوجية في ظاهرة العنف ضد الأصول، الأسباب والحلول.
147	د. نصر الدين بن عودة جامعة حسيبة بن بو علي / الشلف	مكانة علم الاجتماع في الجزائر
161	أ.صفية بوداني جامعة حسيبة بن بو علي / شلف	علم النفس الاجتماعي موضوعه وأهم العلماء المساهمين في تطوره
169	أ. بوزيدي سليمان جامعة محمد بن أحمد وهران 2	دور القطاع غير الرسمي في التنمية الحضرية .
189	ا. زعرور طارق جامعة حسيبة بن بو علي (الشلف)	التوزيع النمطي للجريمة بالأوساط الحضرية في الجزائر

213	أ. غيبوب حكيم باحث دكتوراه / جامعة الجزائر 2	تشرّد المسنين في المجتمع الجزائري
229	أ. بن بية أحمد جامعة باتنة 01	مشكلة حوادث المرور بالجزائر خلال الفترة 2005 - 2014 من أسبابها إلى آثارها الاجتماعية والاقتصادية
247	لامية حروش باحثة دكتوراه جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف د/ محمد طواليبة جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف	دور مجتمع المعرفة في تحقيق التنمية المستدامة في الجزائر
265	د. سامية رحال جامعة حسيبة بن بوعلي/ الشلف	تحليل المنشورات و الوثائق العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية
285	د. حنيش مليكة جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة	قراءة سوسيولوجية لدور الوقف في نشر العلم والبحث العلمي بالمجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني
297	د. ياسين سعادة جامعة ابن خلدون/ تيارت	المرأة الجزائرية: بين ما كتبه الفرنسيون الكولونياليون وبعض الجزائريين و ما أبرزه الواقع
309	د: سحنون أم الخير جامعة بونعامة جيلالي خميس مليانة	الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري الأسباب و العوامل
327	أ. د. تقيّة محمد المهدي حسان جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف	الذكاء الاجتماعي في خدمة الذكاء الاقتصادي بمنظمة الأعمال الحديثة
345	قديدر سامي جامعة وهران	علم الجمال الفرويدي

مشكلة الطلاق بين المسنات في المجتمع المصري

«دراسة سيوسولوجية للعوامل والآثار»

د. سالي محمود سامي

كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر

الملخص

تهدف الدراسة الحالية إلى دراسة واقع ظاهرة الطلاق بين النساء المسنات في المجتمع المصري، والكشف عن الأسباب المؤدية إلى وقوع الطلاق، والآثار الناتجة عنها، بالإضافة إلى الوقوف على الآليات التي تتبعها النساء للتكيف مع ظروف الطلاق. وقد اعتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة، مستخدمة المقابلة المتعمقة، وقد تحدد مجتمع البحث في النساء المطلقات اللائي يقعن في الأعمار من (60 سنة فأكثر) ومن تجاوزون مدة حياة زوجية عشر سنوات. وقد تم اختيار عشر حالات من المسنات المطلقات المسنين بطريقة عمدية. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن مدة الحياة الزوجية ليست مؤشر على الاستقرار الأسري، وأن الطلاق المفاجئ والانحراف السلوكي للزوج، وظهور شبكة الانترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، فضلا عن ضعف منظومة القيم الاجتماعية، وإعلاء القيم المادية على القيم الاجتماعية، والطلاق العاطفي، والعنف الأسري، كانت من أهم الأسباب المؤدية للطلاق بين المسنات. كما توصلت الدراسة إلى مجموعة من الآليات التي تتبعها المطلقات من المسنين للتكيف مع ظروف الطلاق.

الكلمات المفتاحية: المرأة المسنة، الطلاق، الأسرة.

Abstract

This study aims the reality of divorce of elderly women in Egyptian society, in order to discover reasons that lead to divorce of elderly women, effects that result from it, and finally, mechanisms of adapt for women elderly after divorce. The study population has consisted of all elderly women have divorced in age (60 years and more). Using case study method, the study has been selected ten cases through purposive sample. The study has reached into many results represented in: the period of marriage life is not indicator to the family stability, the sudden richness and husband deviation, in addition to appearance of Internet and social media, As well as, the weakness of value system and domination of material values more than the social values, Emotional divorce, verbal and physical violence

that husband uses it against his wife, and forcing girls to marry, all of these reasons participate in divorcing of elderly women. This indicate to that divorce is not only between a specific age group, it also between elderly.²

.**Key words:** Elderly women, Divorce, Family

أولاً : موضوع البحث وأهميته

تعد المشكلات الأسرية ظاهرة اجتماعية وإن اختلفت درجات حدتها بين المجتمعات، فلا يوجد مجتمع له مشاكل أسرية ومجتمع آخر بدون مشاكل، ولكن الاختلاف ينصب على الدرجة وليس على النوع، وتمر الأسرة بمراحل متعددة في دورة حياتها فهي تبدأ بمرحلة ما قبل الزواج، ثم الإعداد للزواج، ثم مرحلة ما بعد الزواج وتكوين الأسرة، ثم مرحله إنجاب الأطفال وتربيتهم، ثم مرحله استقلال الأبناء وتكوين أسر جديدة.

وتتعرض الأسرة خلال مرورها بهذه المراحل لأحداث ومواقف متعددة، والأسر المتكاملة الناجحة لديها القدرة علي مواجهة هذه الأحداث وتلك المواقف وتعمل على حلها واستمرار الحياة الطبيعية لجميع أفرادها. وبوجه عام فإن الاستقرار الأسري يتحقق كلما كان الزوج والزوجة على استعداد لتعديل أدوارهم وسلوكهم على نحو يحقق التوافق بينهما، إلا أن الواقع الراهن يشير إلى حدوث تغيرات أساسية في شكل الأسرة ؛ مما يهددها بالانهيار.

لقد تكيفت الأسرة في الدول الصناعية خلال الحقب الأخيرة لموجة التحديث والتي أطلق عليها مرحلة ما بعد الحداثة في حين استمرت المجتمعات غير الصناعية في التطور على أساس من أنماط الأسر المشتقة من النموذج الغربي، ولقد أشارت التقارير إلى أن من مظاهر ما بعد الحداثة تصدع النظام الأسري، حيث نجد أن نموذج الأسرة القائمة على الزواج والذي لازال أكثر الأنماط شيوعاً أصبح مهدداً في طبيعته، ولعل من أسباب هذا التفكك أو الانهيار تغير القيم الاجتماعية إضافة إلي بروز مشكلات أخلاقية وحضارية جديدة نتيجة للتقدم الكبير خلال السنوات الماضية التي انعكست بدورها على النظام الأسري⁽¹⁾. وفي هذا الصدد، أشارت الدراسات والبحوث إلى أنه خلال السنوات الأخيرة شهد المجتمع العالمي تحولات بنوية انعكست على النسق الأسري لاسيما نسق الأدوار المرتبطة بالذكور والإناث، وظهور مفاهيم جديدة للأسرة الحديثة، وتغير نسق القيم، والاتجاه نحو أنماط متعددة من الزواج، إضافة إلى ظهور أنماط جديدة من العلاقات الأسرية، الأمر الذي ترتب عليه حدوث تغيرات في الاتجاه نحو الطلاق، حيث أصبح مفهوم الطلاق لا يشكل عائقاً أمام الكثيرات في معظم المجتمعات⁽²⁾.

ولقد كان للتغيرات البنائية التي صاحبت التحولات المجتمعية تأثيرات ضخمة على كافة فئات المجتمع وشرائحه خاصة بعض الفئات الضعيفة كالمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة والمتعطلين عن العمل والمرأة. والتأمل لأحوال المرأة في المجتمع المصرى يضع يده على حقيقة في منتهى الأهمية، وهى أن النساء لا يشكلن شريحة موحدة داخل المجتمع، بل ثمة شرائح متنوعة يتكون منها هذا المكون الديموجرافى المهم مثل: المعيلات، والفقيرات، والأرامل، والمطلقات، والغارمات، والمسنيات، وغيرهم من النساء اللاتي يقعن ضمن الفئات الضعيفة. ومن بين المكونات السابقة اختارت الباحثة إحدى الشرائح التي تمثل إشكالية في حد ذاتها، وجمعت من خلالها بين مكونين وهى شريحة المسنيات المطلقات، لتخضع هذه الشريحة نظرا لأهميتها للبحث والدراسة.

أهمية البحث:

الأهمية النظرية للبحث

تعود أهمية هذا البحث إلى ما يضيفه من معارف علمية يمكن أن تسهم في إثراء النظرية العلمية حيث إن معظم الدراسات السابقة والرؤى النظرية لم تتعرض إلى متغير مدة الحياة الزوجية إضافة إلى ندرة الدراسات التي تناولت ظاهرة الطلاق لدى النساء المسنيات.

الأهمية التطبيقية للبحث

تتمثل في ما يضيفه البحث من نتائج عملية تؤدي إلى صياغة توصيات إجرائية قابلة للتطبيق بآليات تنفيذية تساعد كلاً من صانعي السياسات في مجال الأسرة ومجال خدمات المسنين بالإضافة إلى مساعدة متخذي القرار سواء في الأسرة أو في دور المسنين للاسترشاد بها في تقديم الخدمات وحل المشكلات بالنسبة للنساء المسنيات المطلقات.

ثانياً: مشكلة البحث وتساؤلاته

تعد مشكلة الطلاق واحدة من أهم المشكلات التي باتت تؤرق المجتمع الإنساني وهي مشكلة عالمية لا يخلوا منها حتي أكثر المجتمعات رفاهية، فالدراسات تشير إلى أنه في الولايات المتحدة تفاقمت المشكلة في الوقت الراهن لتصل إلى ثلاثة أضعاف مما كان عليه الحال في ستينيات القرن العشرين.⁽³⁾

وإذا كانت الحالة على هذا النحو في المجتمعات التي تعرف بالمتقدمة فما بالنا بحالة المجتمعات التي تعاني من مشكلات متنوعة خاصة على صعيد المعيشة ومن بينها المجتمع المصري، و حيث أن الطلاق يمثل مشكلة بالنسبة لقطاع كبير من النساء فإننا في الدراسة الراهنة نركز على مشكلة الطلاق لدى النساء المسنيات في المجتمع المصري، فإذا كانت المرأة تعد من الفئات الأكثر تأثراً وشعوراً بوطأة التحولات التي شهدتها المجتمع المصري على

طوال الفترة المشار إليها في المقدمة أفئمة شرائح نوعية من النساء، يمكن القول بأنها أكثر تأثراً عن سواها مثل النساء المعوزات والعائلات وكبار السن (المسنات). وتعد النساء كبار السن من أكثر الفئات عرضة للمخاطر الناجمة عن الطلاق كما أوضحت دراسة حديثة.⁽⁴⁾

فئمة الكثير من المشكلات التي تواجهها المسنات منها على سبيل المثال:

- * عدم القدرة على الحصول على عمل لكل أو بعض الوقت، أو على معاش مناسب.
- * نظم معاشات لا تعترف بالسنوات التي تمضيها النساء المسنات في رعاية أفراد الأسرة.
- * صعوبة الحصول على مسكن بسعر معقول في بيئة آمنة.
- * مشكلات تتعلق باستخدام وسائل النقل العام
- * غياب رأيين في هيئات اتخاذ القرار التي تضع الخطط الخاصة لكبار السن في مجالات الإسكان والصحة وغيرها من المجالات.
- * افتقاد تمثيلهن في الحكومة وفي المنظمات الحكومية وغير الحكومية.
- * عدم كفاية الرعاية الصحية لهن
- * تعرضهن للعنف في الشارع أو في المنزل.
- * تعرضهن لسوء المعاملة في مختلف الهيئات.⁽⁵⁾

وتضيف الباحثة مجموعة من المشكلات الأسرية التي تعاني منها المرأة المسنة داخل الأسرة، كالصراع الأسري والخلافات والطلاق الوجداني والخرس الزوجي وإهمال الأبناء وعقوقهم أو استغلالها في تربية الأحفاد، والطلاق خاصة في مجتمع مثل مجتمعنا المصري تتدنى إمكانياته الموجهة لخدمة مثل هذه الفئة.

ومما سبق يتضح أن الواقع يكشف ما هو غير متوقع فبدلاً من الاهتمام بقضايا المرأة ومشكلاتها نجد الإهمال وبدلاً من حسن المعاملة والحب والاحترام نجد الإساءة والعنف وبدلاً من الرحمة والمودة في الكبر نجد الطلاق والمشاحنات الأسرية.

ولمواجهة المشكلات التي تتعرض لها هذه الفئة تمت صياغة وثيقة (فيينا) الدولية للشيخوخة، ومن المبادئ العامة التي نادى بها خطة عمل (فيينا) ما يلي:-

- * تعزيز كرامة الإنسان المسن.
- * ضمان إنصافه بين الفئات العمرية المختلفة
- * تقاسم موارد المجتمع وحقوقه ومسئولته بحسب قدرات الأفراد.
- * تقديم ما يحتاجون إليه.

وأكدت الوثيقة على أن كل بلد في إطار تقاليده وأعرافه يجب أن يتجاوب ويتكيف مع التحولات الديموجرافية وما ينتج عنها من تغيرات بنيوية : اجتماعية وثقافية واقتصادية⁽⁶⁾⁸. لقد شهد المجتمع المصري تزايد أعداد المسنات وفقاً لإحصاءات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، حيث تبين أن عدد المسنين في مصر بلغ 6 ملايين مسن بنسبة 6.9% من إجمالي السكان منهم 3 مليون من الذكور و3 مليون من الإناث بنهاية عام 2014 و متوقعاً ارتفاع هذه النسبة إلى 11.5% بحلول عام 2031 وفقاً لتقديرات السكان الأول من يوليو 2014⁽⁷⁾⁹. و من خلال القراءة الإحصائية للإحصاءات المعبرة عن واقع الطلاق لدي المسنات من (60 سنة فأكثر) تبين أن 47.2% منهم قد تعرضن لتجربه الطلاق بعد 10 سنوات فأكثر، دون اعتبار لمدة الحياة الزوجية التي كان من المفترض أن تكون عاملاً للاستمرار في الحياة الزوجية، و يتضح ذلك من الجدول الآتي :

جدول (1) عد المطلقات ونسبتهم من المسنات (60 سنة فأكثر) لمن تجاوزوا مدة زواج 10 سنوات فأكثر⁽⁸⁾

سن المطلقة	إجمالي المطلقات المسنات من 60 فأكثر	عدد المطلقات وفقاً لمدة الحياة الزوجية	النسبة
60-64	2173	1686	77.5%
65-69	833	619	74%
70-74	301	224	74%
75 فأكثر	181	118	65%
الإجمالي	3488	1647	47%

لذا رأت الباحثة أن تلقي الضوء على المرأة المسنة نموذجاً لهذه الفئات في ظل الظروف التي تحيط بها وطبيعة المشكلات التي تواجهها ومع التسليم بأن هذه الفئة من النساء المسنات يتعرضن للكثير من المشكلات السابق ذكرها، رأت الباحثة أن تتناول تجربة الطلاق لدي هؤلاء السيدات المسنات اللاتي حصلن على الطلاق، دون اعتبار لمدة الحياة الزوجية التي كان من المفترض أن تكون عاملاً في الاستمرار في الحياة الزوجية. وفي ضوء هذا الطرح العام لمشكلة البحث يمكن للباحثة أن تحدد موضوع دراستها في سؤالاً عاماً مؤداه : ما واقع ظاهرة الطلاق للمرأة المسنة في المجتمع المصري؟ وتحت مظلة هذا السؤال العامة ثمة عدد من التساؤلات الفرعية التي تشكل الإطار العام الذي سوف تتحرك فيه مشكلة الدراسة وذلك على النحو التالي:

* ما خصائص المرحلة العمرية للمطلقات؟

* ما الأسباب المؤدية إلى طلاق النساء المسنات؟

* ما الآثار الناتجة عن طلاق المرأة المسنة ؟

* ما آليات تكيف المرأة المسنة مع ظاهرة الطلاق ؟

ثالثاً: مفاهيم البحث

يتضمن مفهوم البحث عدداً من المفاهيم الأساسية يمكن للباحثة توضيحها على النحو الآتي:-

1- مفهوم الطلاق

لفظ الطلاق مأخوذ من الإطلاق وهو الإرسال والترك وفي الشرع هو حل رابطة الزواج وإنهاء العلاقة الزوجية⁽⁹⁾. ويعرف الطلاق اصطلاحاً « أن يقطع الزوج علاقة الزوجية بينه وبين امرأته ويطلق صراحها من قيد زوجيته⁽¹⁰⁾. ويختلف علماء الاجتماع في تعريفهم للطلاق فيري «زاد روزي» Zadrozng إن الطلاق هو الحل القانوني للزواج القانوني. بينما يذهب P. selfe إلى أن الطلاق يشير إلى إنهاء العلاقة الزوجية بحكم الشرع والقانون. ويشير عاطف غيث إلى أن الطلاق ترتيب نظامي لإنهاء علاقة الزواج أو إصدار قانوني ببطان هذه الرابطة⁽¹¹⁾. ويعرف « عبد الوهاب جودة » الطلاق بأنه انفصال الزوج عن زوجته بعد أن جمعهم عقد الزواج بحيث يحق لكل طرف إقامة زواج آخر جديد⁽¹²⁾. ويختلف لفظ الطلاق عن التطليق، فالطلاق يطلق على الحالة التي يقوم بها أحد الطرفين بإرادته بحل رابطة الزوجية، أما التطليق فيطلق على الحالة التي يتوقف فيها الحل على إجراء تتخذه إحدى الهيئات القضائية للحصول على الطلاق.⁽¹³⁾

ولا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الطلاق إذ يدل على مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع والعقل فمن الكتاب قوله تعالى ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾. ومن السنة أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد طلق حفصة رضي الله عنها وإن ابن عمر طلق زوجته وهي حائض فأمره بمراجعتها، ثم الإجماع قائم على مشروعيته، وأما العقل فلأن العشرة بالمعروف قد لا تدوم بين الزوجين وأن الغاية التي من أجلها شرع الزواج قد تنتفي منه من حيث السكن والمودة فكان الأولى بهما أن يتفرقا.⁽¹⁴⁾ لقول الله ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.⁽¹⁵⁾

2- مفهوم المرأة المسنة

مرحلة كبر السن Agine هي المرحلة الأخيرة من حياة الإنسان واختلف الباحثون في تحديد بدايتها فحددها بعضهم في الماضي بين الخمسين والخامسة والخمسين حيث كانت متوسطات الأعمار آنذاك لا تتجاوز سن الأربعين إلا قليلاً وكانوا يعدون من عاش إلى سن الخمسين كبيراً في السن Elder- أما في الوقت الحاضر فيحدد الباحثون بداية مرحلة كبر

السن بسن 60 سنة وهو سن المعاش أو التقاعد عن العمل في الحكومة أو سن 65 سنة الذي اتفق عليه الخبراء بمنظمة الصحة الدولية واعتمده كثير من الدول العربية والإسلامية ومن المتوقع أن يزيد عدد من تطول بهم مرحلة كبر السن في القرن الحالي وذلك للتقدم في الرعاية الصحية والتقدم في طب المسنين Geriatricweedicide وزيادة متوسطات الأعمار في المجتمعات الحديثة⁽¹⁶⁾.

ويري بعض الباحثين أن المسن هو من اجتمعت فيه محصلة العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تؤدي إلى الحد من قدرته على استيعاب التغير أو التأقلم مع متغيرات الحياة من حوله⁽¹⁷⁾. ولا يوجد اتفاق بين المتخصصين والباحثين على تعريف المسن نظرًا لتعدد المدخلات التعريفية؛ حيث يركز كل واحد منهم على جانب معين أو خصائص محددة لهذا المفهوم، ولذلك اختلف مفهوم المسن تبعاً لاختلاف وجهات النظر، والتخصصات التي تهتم بهم، فتعريف مفهوم المسن من خلال النظر إلى (الجوانب الاجتماعية) يركز على أن المسن هو الذي يتعرض لمجموعة من التغيرات البيولوجية والتغير في المراكز والأدوار والمراكز المهنية والصحية والاجتماعية التي من شأنها التأثير على إدراك الآخرين له وما يؤدي إليه ذلك من طرق مختلفة للتفاعل معه مما يؤثر في تصور المسن لذاته وعمره وسلوكه.

أما تعريف مفهوم المسن على أساس (الجوانب الجسمية) فهناك اتجاه يحدد كبار السن اعتماداً على ظهور بعض الأعراض مثل ذبول الجلد وتغير لون الشعر وتناقل الحركات وضعف السمع والبصر وظهور كثير من الأمراض. أما مفهوم المسن من خلال النظر إلى (الجوانب النفسية) فهو ما يعرفه علم النفس أنه مرحلة كبر السن التي تبدأ في سن الخامسة والستين إلى آخر العمر والتي قد تمتد إلى ما بعد المائة في السنوات⁽¹⁸⁾. ويرى «حجازي» أن المسنين كفة إحصائية هم السكان الذين تلبع أعمارهم ستين عاماً أو تزيد أما من الناحية الواقعية فإن هناك من يبلغون الشيخوخة قبل سن الستين، ومن تتأخر الشيخوخة عندهم إلى ما بعد الستين، ولل فروق الفردية والظروف الاجتماعية كبير الأثر في ذلك⁽¹⁹⁾.

ويشير «انتوني» مانستيد إلى الشيخوخة على أنها التغيرات الطبيعية التي تحدث داخل الأفراد خلال دوره الحياة وتعتبر هذه التغيرات حتمية وعامة لتشمل جميع الأفراد⁽²⁰⁾. ويعرف «هودلر Hoodler» الشيخوخة على أنها تدهور يحدث للكائن العضوي بعد نضجه وينتج هذا التدهور عن تغيرات حتمية تعتمد على عامل الزمن وتحدث عند جميع الأفراد⁽²¹⁾. ومن ثم حددت الباحثة التعريف الإجرائي لطلاق المرأة المسنة « أنه كل امرأة بلغت سن الستين من عمرها وانفصلت عن زوجها بالطلاق بعد مدة زواج تجاوزت العشرة سنوات فأكثر وتقيم المرأة بمفردها أو مع أبنائها أو في دور مسنين. »

رابعاً: التصور النظري الموجه للبحث

نظرية التبادل الاجتماعي Exchange Terory

يعتبر بلاو Blau وهومانز Homans من أوائل من نظروا إلى السلوك الإنساني على أنه علاقة متبادلة، فيري بلاو أن التبادل الاجتماعي يتكون من الأفعال الإرادية التي يقوم بها الأفراد ويحركها العائد أو المكسب Profit الذي يتوقعون الحصول عليه من الآخرين²⁴⁽²²⁾. والأفراد في ضوء هذه النظرية يدخلون مع بعضهم البعض في علاقات تبادلية فهم يتبادلون العواطف والمشاعر والآراء والأفكار والمصالح والأموال وغيرها وفي تبادلهم هذا، يسعون إلى تحقيق أكبر قدر من الربح بأقل خسائر ممكنة⁽²³⁾.

ويستمر الزوجان في التفاعل معاً ويشعران بالتعاون والتماسك عندما يجد كل منهما نفسه رابحاً من خلال تفاعله مع الآخر، ومن هنا فإنه يستمر في التعامل معه، ويتوقفان عن التفاعل أو يأخذ تفاعلهما شكلاً عدائياً عندما يجد أحدهما أو كلاهما نفسه خاسراً نفسياً من هذا التفاعل وتلعب توقعات أحد الزوجين تجاه الآخر دوراً كبيراً في عملية التفاعل الاجتماعي وكلما كان التوقع إيجابياً أدى إلى الإثابة وبالتالي الربح النفسي والعكس صحيح، وعندما يشعر الزوجان بالربح النفسي في التفاعل بينهما يعدل كل منهما سلوكياته وأفكاره ومشاعره حتى يقترب من سلوكيات وأفكار ومشاعر الآخر ويتعلم كيف يرضيه وكيف يتحملة حتى يستمر التفاعل الإيجابي بينهما والعلاقة بين رضا أحد الزوجين عن الآخر وحصوله على الربح النفسي من التفاعل معه علاقة تأثير متبادل، فيسودهما التعاون والتآزر والتكامل وتزداد أرباحهما النفسية من التفاعل الزوجي، أما إذا تعرض أحد الزوجين إلى الخسارة النفسية في التفاعل الزوجي فإنها تؤدي إلى التمرد النفسي على الزوج الذي تسبب في الخسارة⁽²⁴⁾.

وطبقاً لهذا المنحى فإن العلاقة سترقي أو ستهدم بناءً على المكافآت ذات القيمة الاقتصادية وبعضها الآخر يكون له معني أكثر أهمية بالنسبة للأفراد من ناحية المشاعر والعواطف⁽²⁵⁾. ومن هنا، ترى الباحثة أنه كلما عانت المرأة المسنة من حدة الخلافات والمشكلات أثناء الحياة الزوجية فإنها سوف تحاول أن تحسم الأمر، فإذا رأت أن طلبها للطلاق لن يعود عليها بالكسب فهي تتحمل الإساءة والإهمال والخيانة والزواج بأخرى أما إذا رأت أن طلب الطلاق سوف يحقق لها مكسب سواء مادي أو معنوي فهي لن تتحمل الإساءة والإهمال والخيانة والزواج بأخرى.

خامساً: الإجراءات المنهجية للدراسة

للاقتراب من مشكلة البحث وتحقيق أهدافه اعتمدت الباحثة على مجموعة من الإجراءات المنهجية.

1) أسلوب البحث والمنهج المستخدم

بالنظر إلى طبيعة الموضوع والتساؤلات التي سعت الباحثة إلى الإجابة عليها، فضلاً عن الأهداف التي حددتها الباحثة، فإن الدراسة الراهنة تقع ضمن نطاق الدراسات الوصفية التحليلية، ومن ثم فإن الباحثة في حاجة إلى منهج يساعدها على تحقيق ما سعت إليه دراستها، وفي ضوء ذلك، اعتمدت الباحثة على منهج دراسة الحالة بوصفه من المناهج ذات الطبيعة الوصفية والتي تمكن من الحصول على بيانات ذات طابع كفي (تحليل).

2) أدوات جمع البيانات

اعتمدت الباحثة على دليل دراسة الحالة، حيث قامت الباحثة بتصميم دليل لدراسة الحالة تضمن عدداً من التساؤلات التي تغطي في مجملها الأبعاد المختلفة لمشكلة البحث، وتساعد في ذات الوقت في الحصول على بيانات تمكن الباحثة من الإجابة على تساؤلات دراستها. وقد تكون دليل دراسة الحالة من أربعة أجزاء أساسية على النحو الآتي :

* خصائص المرحلة للزوجين المطلقين أثناء الحياة الزوجية .

* الأسباب المؤدية لطلاق المرأة المسنة .

* الآثار المترتبة على طلاق النساء المسنات.

* آليات تكيف المسنات مع الطلاق .

3) مصادر جمع البيانات :

اعتمدت الباحثة في جمع البيانات اللازمة للإجابة على تساؤلات البحث وتحقيق أهدافه على مجموعة من المصادر البشرية تمثلت في النساء المسنات المطلقات، بالإضافة إلى المصدر الوثائقي المتمثل في إحصاءات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، حيث تضمنت عينة البحث 10 حالات من النساء المسنات اللاتي تعرضن لتجربة الطلاق وحصلن على الطلاق.

4) مجتمع البحث وعينته:

تحدد مجتمع البحث:

في حالات النساء المطلقات في الأعمار (من 60- فأكثر) في محافظة القاهرة، وقد تم اختيار (10 حالات كعينة للبحث)، حيث تم اختيارها بمساعدة كل من: المحامين،

والمأذون الشرعى، وما أتيح للباحثة من حالات تم ترشيحهن من أقربائهن. والجدول الآتى يبين خصائص العينة:

جدول (2) خصائص عينة الدراسة

الحالة	السن	التعليم	المهنة	عدد الأولاد	الإقامة	عمرها عند الزواج	فترة الزواج	العمر عند الطلاق	عمر طليقتها	مؤهل الطليق	عمل الطليق
1	62	متوسط	لا تعمل	3	إمبابة	21	39	60	64	متوسط	نجار مسلح
2	63	جامعى	محاسبة	2	مصر الجديدة	27	33	60	66	جامعى	طبيب
3	60	إبتدائى	لا تعمل	-	شبرا	19	41	60	75	إبتدائى	نجار
4	63	إعدادى	لا تعمل	5	السيدة زينب	21	39	60	68	فوق متوسط	فنى ميكانيكا
5	65	دبلوم معلمات	مدرسة	1	مدينة السلام	35	26	61	68	إعدادى	عامل
6	62	مؤهل متوسط	لا تعمل	3	حدائق القبة	21	40	61	65	إعدادى	فنى كهرباء
7	65	مؤهل متوسط	لا تعمل	3	باب الشعرية	28	35	63	72	متوسط	موظف حكومى
8	64	جامعى	طبيبة	2	المهندسين	34	28	62	66	جامعى	طبيب
9	63	جامعى	فنى نسائية	3	مصر الجديدة	29	32	61	67	جامعى	مهندس
10	62	جامعى	لا تعمل	3	شبرا	26	35	61	64	جامعى	مدرس

يوضح الجدول السابق خصائص حالات الدراسة والتي بلغ عددها عشرة حالات، ووقعت عينة البحث ضمن نطاق العينات الغرضية، ومن هذه البيانات يتضح لنا الآتى :

- تتراوح أعمار حالات الدراسة ما بين الستين والخمسة وستون سنة.
- أن غالبية الحالات (وعددهن ستة) لا يعملن، وهو الأمر الذي يشير إلى صعوبة وجود مصدر للدخل يستطعن من خلاله تلبية احتياجاتهن الأساسية.
- جميع حالات الدراسة من المتعلمين منهم عدد أربعة مؤهل تعليمي عالي، وأربعة مؤهل متوسط، وإثنان فقط تعليم ابتدائي وإعدادي.
- إن جميع حالات الدراسة لديهن أبناء باستثناء حالة واحد فقط .
- تنتمي حالات الدراسة إلى مناطق سكنية متنوعة ما بين المناطق الراقية (مصر الجديدة والمهندسين)، والمناطق الشعبية (إمبابة) مدينة السلام باب الشعرية)، والمناطق ذات المستوى المعيشي المتوسط (شبرا السيدة زينباً حدائق القبة).
- أن غالبية الحالات تزوجن في سن متأخرة نسبياً، فمن بين الحالات العشرة هناك أربعة حالات فقط تزوجن في سن ينظر إليها على أنها مبكرة في الوقت الراهن (متأخرة للغاية في الفترة الزمنية التي تزوجن فيها) والأعمار هي: الحالة الثالثة (19 سنة)، الحالة الأولى والرابعة والسادسة (21 سنة)
- تبين أن مدة الحياة الزوجية ليست مؤشر على الاستقرار الأسري وعدم حدوث الطلاق، فجميع الحالات استمر زواجهن لفترات طويلة، تراوحت ما بين 26 سنة إلى 41 سنة، ورغم ذلك تم وقوع الطلاق في سن متأخرة (بعد 60 سنة).
- لا يتوقف وقوع الطلاق بين المسنين على طبيعة العمل، فمن بين المطلقات تبين وجود مهن منها: الأطباء، والمهندسات، والمدرسات، والموظفات الحكوميات. كما تبين أيضاً وجود حالات من المطلقات من بين المستويات التعليمية المختلفة ابتداء من التعليم الابتدائي والمتوسط، والعالي.

سادسا: نتائج تحليل حالات الدراسة ومناقشتها

تحاول الباحثة عرض نتائج تحليل حالات الدراسة كل على حدة، لتوضيح الفروق النوعية بين كل حالة والحالات الأخرى؛ نظراً لتباين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والديموجرافية لحالات الدراسة. ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

1) الحالة الأولى:

* الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة: تتسم الحالة بأنها سيدة تبلغ من العمر 62 عاماً ولا تعمل، المستوى التعليمي لها هو مؤهل متوسط « دبلوم تجارة » ولديها ثلاث

بنات، وتقييم في منطقة إمبابة و كانت قد تزوجت وعمرها إحدى وعشرون عاماً، واستمرت فترة الزواج نحو 39 عاماً وطُلق وعمرها 60 عاماً. ويبلغ عمر طليقتها 64 عاماً وكان يعمل نجاراً مسلحاً ويحمل أيضاً مؤهل متوسط.

الأسباب المؤدية للطلاق :

- أكدت المبحوثة على أن قلة الدخل وعدم كفايته لمواجهة أعباء الحياة كانت سبباً في المشاكل بينها وبين زوجها حيث تقول ” جوزى كان على باب الله، أرزقى يعنى حسب الشغل ويدوبك كان مرتبه بيكفى ” وبالرغم من الظروف المادية المحدودة للزوج إلا أنها تحملت حيث كان يحبها، فتقول ” عمره ما قصر في حاجة ناحية بيته في حدود إمكانياته ”

- كما أفادت المبحوثة أنه بسبب قلة الدخل وافق الزوج على زواج إحدى بناتهم من ثرى خليجي حيث كان الزوج يعمل في إحدى مشروعات هذا الرجل الثرى رغم رفض المبحوثة لهذه الزيجة، حيث أشارت إلى أنه كيف لبنت في العشرين من عمرها أن تتزوج فمن هو في سن والدها أو أكبر تقول الحالة (باع البنت عشان الفلوس وياريتة أدها ده أد جدها قال إيه عشان فلوسه هتحل مشاكل كثير)

- إساءة معاملة الزوج للمبحوثة والإهانة بصفة مستمرة أدى إلى مرضها، حيث إن كثرة الأموال التي أغدق بها هذا الثرى على هذه الأسرة دفع الزوج إلى عدم العمل، فأخذ يتعاطى المخدرات مع أصحاب السوء وتبنى فكر بيع بناته للأثرياء كوسيلة لجنى المزيد من الأموال، حيث تقول المبحوثة ” هو السبب في كل الأمراض الي عندي دي ولو كنت كملت معاه كنت مت ” .

- قيام الزوج بالزواج من أخرى في سن بناته وإهمال الزوجة الأولى ” المبحوثة ”، فضلاً عن الضرب والإهانة المستمرة إرضاءً للزوجة الثانية التي استحوذت على شخصية الزوج وأصبح لعبة في يدها فتقول المبحوثة ” بقى لعبة في أيديها وبتمشى كلمتها عليه ” .

الآثار المترتبة على الطلاق :

- لم تتحمل المبحوثة هذه الحياة في ظل الإهانات المتكررة والتطاول بالضرب المبرح إلى أن انتهى الأمر بالطلاق بعد تنازلهما عن جميع حقوقها .

- معاناة المبحوثة بعد الطلاق من عدم وجود مصدر ثابت للدخل أو معاش، حيث إنها لا تعمل .

آليات تكيف الحالة مع الطلاق

- تعايشت المبحوثة مع الحياة بعض الطلاق حيث أقامت مع ابنتها وتعتمد على بعض المساعدات من ابنتها المتزوجة من الثرى، كما اعتمدت على عمل إحدى بناتها بعد أن تركهم الأب وذهب للحياة مع زوجته الثانية .

(2) الحالة الثانية :

الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة :

سيدة مسيحية تبلغ من العمر 63 عاماً وكانت تعمل محاسبة في أحد البنوك و المستوى التعليمي لها هو مؤهل جامعي ولديها ولدان وتقيم في منطقة النزهة بمصر الجديدة وكانت قد تزوجت وعمرها 27 عاماً، واستمرت فترة الزواج نحو 33 عاماً وطلقت وعمرها 60 عاماً، ويبلغ عمر طليقها 66 عاماً ويعمل طبيباً.

الأسباب المؤدية للطلاق :

- شعور المبحوثة بالطلاق العاطفي نتيجة انشغال الزوج بعمله لفترات طويلة يوماً وأن الحياة بينهم تنسم بالفتور حتى في الأوقات التي يقضيها بالمنزل، وتزايدت المشكلات رغم محاولة المبحوثة تجاوز تلك المشكلات حيث تقول " كنت بحاول أعدي أي مشكلة عشان الحياة تمشي والولاد ما يحسوش بحاجة لكن ما فيش فايدة ". ولم يمثل الجانب المادي أي مشكلة للحالة محل الدراسة حيث كان دخل المبحوثة ودخل الزوج كافٍ لمواجهة الالتزامات الأسرية ومتطلبات الأبناء .

- خيانة زوجها لها مع إحدى النساء، ولكنها فضلت ألا تحبره أو تثير المشاكل حرصاً منها على أبنائها.

- إدمان الزوج مشاهدة المواقع الإباحية وإقامة علاقات نسائية عبر مواقع التواصل الاجتماعي مما دفعه لتكرار الخيانة الزوجية مع أخريات.

- في اللحظة التي تأكد للمبحوثة اعتياد الزوج خيانتها، سارعت بالاتجاه للكنيسة لطلب الطلاق، حيث تم الطلاق بعد ثلاث سنوات بعد أن أثبتت المبحوثة للكنيسة خيانة زوجها .

الآثار المترتبة على الطلاق :

تزوج أبنائها وسافروا للعمل بالخارج، وأصبحت تقيم وحيدة بشقة مستقلة، خاصة بعد خروجها على المعاش، حيث تقول « أصبحت بدون أبناء بدون زوج بدون عمل » حيث شعرت بالوحدة ولم تجد من يراها اجتماعياً وصحياً.

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

حيث أكدت المبحوثة على أنها رأت أن الحل للتغلب على الشعور بالوحدة والتكيف مع هذا الواقع هو أن تتوجه للحياة في دار للمسنين لتجد من يرعاها ويحنوا عليها في هذا العمر ويقدم لها الرعاية الاجتماعية والصحية وحتى الآن هي مستقرة بدار المسنين .

(3) الحالة الثالثة

الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة :

تتسم الحالة بأنها سيدة مطلقة تبلغ من العمر 60 عاماً حاصلة على الشهادة الابتدائية ولا تعمل وليس لديها أبناء وتقيم في شارع طوسون بشبرا و كانت قد تزوجت وعمرها 19 عاماً، واستمرت فترة الزواج نحو 41 عاماً وطلقت وعمرها 60 عاماً، ويبلغ عمر طليقتها 75 عاماً ويعمل نجاراً، حاصل على الشهادة الابتدائية.

الأسباب المؤدية للطلاق :

أكدت المبحوثة على أن الكثير من الخلافات بينها وبين زوجها ترجع إلى عدم الإنجاب، وزادت حدة هذه الخلافات بين المبحوثة وزوجها، حيث وصل إلى حد جرح المشاعر فتقول المبحوثة « جوزي لما كنت أتكلم معاه في أي حاجة يقولي أنت زى الأرض البور مالكيش لازمة » .

- رغبة الأهل وإصرارهم على زواج المبحوثة وهي صغيرة في السن من رجل يكبرها بنحو 15 عاماً رغم رفضها.

- التدخل المستمر من أهل الزوج وبخاصة الأم لرغبتها الملحة في أن ينجب ابنها حيث طلبت أسرة الزوج منه أن يتزوج بأخرى لتنجب له الأبناء .

- رفض المبحوثة أن تعيش مع زوجها لو تزوج بأخرى حيث ذهبت لمنزل أهلها الذين طلبوا منها العودة إلى بيت زوجها حيث قال لها والدها ” أنا لو مكانه كنت أتجوزت ما هو عايز يشوف له ولد يحمل اسمه

- قيام الزوج بالزواج من أخرى حيث أنجب منها ثلاثة أبناء، وتزايدت الخلافات بسبب النواحي المادية وعدم كفاية الدخل وعدم الاهتمام بالزوجة الأولى ” المبحوثة ”، حيث تقول ” كنت حاسة أنى عايشه خدامة في البيت لولاده ومراته ”.

- كما أكدت المبحوثة أن طمع الزوج في ميراثها بعد وفاة والدها وحاجته للأموال في ظل تدنى الدخل في مواجهة أعباء الحياة أدى إلى لكثرة المشكلات بين المبحوثة وزوجها .

- كثرة التنازلات التي قدمتها المبحوثة للزوج في ظل إهماله لها وسوء معاملة الزوجة الثانية

ومعايرتها لها حيث قالت لها ” أنت اللي زيك مايتكلمش مش كفاية أنك مش بتخلفي ” إلى أن انتهى الأمر بطلاقها تحت ضغط من الزوجة الثانية، وعندما طالبت بميراث والدها الذي استولى عليه الزوج قال لها ” إعتبريه تمن أكلك وشربك ال 35 سنة اللي فاتوا ”

الآثار المترتبة على الطلاق :

لقد عانت المبحوثة ومازالت تعاني بعد الطلاق من قسوة الحياة عليها، خاصة أنها أفنت حياتها في خدمة زوجها وأبنائه وأعطته كل أموالها، وفي النهاية طلقت وعاشت وحيدة ليس لها أى مصدر للدخل .

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

أكدت المبحوثة على أنها لم تجد أمامها سوى أن تعيش في منزل والدها وحيدة وتعيش على مساعدات أخواتها وما تبقى لها من ميراث والدها، حيث إنها لا تعمل، وتحاول أن تشغل أوقاتها بزيارة الأقارب والأهل .

4) الحالة الرابعة

الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة :

تتسم الحالة بأنها سيدة مطلقة تبلغ من العمر 63 عاماً حاصلة على الشهادة الإعدادية ولا تعمل ولديها ولد وأربعة بنات، تقيم بمنطقة السيدة زينب و كانت قد تزوجت وعمرها إحدى وعشرون عاماً، واستمرت فترة الزواج نحو 39 عاماً وطلقت وعمرها 60 عاماً ويبلغ عمر طليقها 68 عاماً حاصل على معهد فنى وكان يعمل فنى بالقوات الجوية بالقوات المسلحة المصرية

الأسباب المؤدية للطلاق :

أكدت الحالة أن تأخر سن الزواج وضغط الأهل على الزواج هو أهم أسباب الطلاق حيث تزوجت عندما كان عمرها 30 عاماً فتقول « أنا السبب مشيت ورا كلام الناس القطر فاتك واللي في سنك فاتحين بيوت ومخلفين. وكويس إن واحد زى جوزك ياخذ واحدة معها إعدادية، وهى دي أخرة اللي يمشى ورا كلام الناس البهدلة والإهانة . »

- لم يكن العنصر المادي سببا في طلاق المبحوثة حيث كان زوجها ميسور الحال، فضلا عن أن راتبه من القوات المسلحة يكفى لحياه كريمة .

- الإساءة والاهانة المتكررة من الزوج بسبب إنجابها أربعة بنات وتزايدت المشاكل إلى أن أنجبت ولدا وكان عمرها آنذاك 45 عاماً، وبالرغم من أنها تحملت مشقة وعناء الحمل

في هذه المرحلة السنوية إلا أنها وجدت منه أسوء المعاملة معها ومع البنات بعنف وإهانة لا تحتمل وحرمانها من زيارة أهلها بدعوى أنهم دون المستوى .

- قررت المبحوثة أن تتحمل المشاكل والإهانات المستمرة من زوجها حتى تكمل رسالتها من أجل أبنائها حتى كبر البنات وتخرجن من الجامعة وتزوجن، حيث كان هذا هو الهدف الأساسي الذي تحملت من أجله الحياة مع هذا الزوج، وبعد أن تحقق الهدف من هذه الحياة، طلبت المبحوثة الطلاق وبعد مفاوضات كثيرة وافق الزوج على طلب الطلاق .

الآثار المترتبة على الطلاق :

ترك الزوج منزل الزوجية للمبحوثة من أجل ابنيها، حيث تكفل بكافة مصاريفه حتى يكمل دراسته، وأكدت المبحوثة أن رعايتها لابنها بعيدا عن الزوج وبعيداً عن سوء المعاملة أفضل من حياه تتسم بالإهانة وسوء المعاملة .

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

بعد حياة مليئة بالمشاكل انتهت بالطلاق، تعايشت الحالة مع هذه الظروف، حيث كان شغلها الشاغل تربية ابنها واستكمال تعليمه حتى يصل لبر الأمان مثل أخواته، وتعيش الآن على هذا الأمل، خاصة و أنها أنجبت هذا الولد في سن متأخرة .

5) الحالة الخامسة

الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة :

تتسم الحالة بأنها سيدة مطلقة يبلغ عمرها 65 عاما، حاصلة على دبلوم معلمات نظام خمس سنوات وتعمل مدرسة ابتدائي ولديها ولد، تقيم في مدينة السلام و كانت قد تزوجت وعمرها 35 عاما، واستمرت فترة الزواج نحو 26 عاما وطلقت وعمرها 61 عاماً، ويبلغ عمر طليقها 68 عاما وكان يعمل بمحل زجاج حاصل على الشهادة الإعدادية .

الأسباب المؤدية للطلاق :

أكدت الحالة أن عدم التكافؤ هو السبب الرئيسي للطلاق فتقول « حياتي من أولها غلط في غلط ما فيش تكافؤ في المستوى التعليمي ولا المستوى الاجتماعي » حيث كان والدها يعمل مديرا بإحدى شركات البترول ولديهم عمارة تملك بمدينة السلام بالقاهرة، ومع ذلك تزوجت من هذا الرجل نظرا لكبر سنها وتأخرها في الزواج .

- طمع وجشع الزوج واعتماده على دخل الزوجة هو أساس الزواج منها، حيث أقامت المبحوثة في شقة بعمارة والدها وكان الدخل الشهري لكليهما كاف بالكاد لمواجهة أعباء

الحياة، حيث تقول المبحوثة ” دخل جوزي من شغله مكانش بيكفي، كنت ديبا بساعد في مصروف البيت وكل لبسي وطلباتي أنا المسئولة عنها، عمره ما جاب لي حاجة ”

- عانت المبحوثة من بعض المشكلات بينها وبين زوجها بسبب النواحي المادية وزادت حدتها بعد أن أنجبت طفلها الوحيد وهي في الأربعين من عمرها، خاصة في ظل عدم قدرة الزوج على مواجهة متطلبات الأسرة، حيث لجأت المبحوثة لوالدها لمساعدتها ماديا بجانب راتبها كمدرسة.

- استحالة الحياة مع شخص لا يحترم الحياة الزوجية ويهمل في حق زوجته وإبنة حيث تقول المبحوثة ” كل همه يخرج ويسهر وما يسألش لا فيا ولا في ابنة، المهم ياخذ مني فلوس ويخرج مع أصحابه، أنا السبب لأن وافقته رغم إهانتة ليا ”

- تحملت المبحوثة الإهانة من أجل تربية ابنتها الوحيد ومن أجل تجنب كلام الناس لو حدث انفصال فتقول ” استحملت كثير عشان أربي ابني وعشان محدش يجيب سيرتي، خصوصا أني متجوزه سني كبير “ وعندما استحالت الحياة بينهما، وبعد وفاة والدها طلبت الطلاق من الزوج إلا أنه رفض، بعد أن علم بميراثها من والدها، ولكن تحت إصرار وضغط المبحوثة وافق الزوج على الطلاق مقابل مبلغ من المال والتنازل عن كافة حقوقها .

الآثار المترتبة على الطلاق :

عانت المبحوثة من الاكتئاب لفترة طويلة بعد الطلاق حيث لم تتوقع أن تطلق في هذا العمر ولكن أكدت على استحالة الحياة مع هذا الزوج حيث أقامت مع ابنتها الوحيد في شقة والدها إلى أن تزوج منذ عامين، وارتضت بما قسمه الله لها .

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

تعيش الآن المبحوثة وحيدة معتمدة على معاشها من التربية والتعليم وما تركه لها والدها من ميراث، ولم يكن يفرحها سوى أن يأتي ابنها لزيارتها، حيث تعاني من الوحدة وبعض الأمراض المزمنة مثل السكر والضغط .

6 الحالة السادسة

الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة :

تتسم الحالة بأنها سيدة مطلقة يبلغ عمرها 62 عاما، حاصلة على مؤهل متوسط ولا تعمل ولديها ثلاثة أولاد، تقييم في حدائق القبة و كانت قد تزوجت وعمرها 21 عاما واستمرت فترة الزواج الأولى نحو 25 عاما ثم تزوجت من آخر واستمر الزواج 15 عاما وطلقت وعمرها 61 عاماً، ويبلغ عمر طليقتها 65 عاما وكان يعمل فني كهرباء.

الأسباب المؤدية للطلاق :

أكدت المبحوثة على أن إجبار أسرتها على الزواج من شخص لم تكن تحبه أو تقبله كزوج كان سببا رئيسيا في فشل العلاقة إلى أن انتهت بالطلاق، حيث إنها منذ زواجها ولمدة 15 عام لم تكن تريد الاستمرار في هذا الزواج رغم حب الزوج لها وتلبية احتياجاتها، فمشاعرها تجاهه تتسم بالفتور والجمود وصاحبها الكثير من المشاكل .

- سفر الزوج لأحد الدول العربية لتحسين دخل الأسرة والهروب من مشاكل الزوجة، إلا أن الزوجة خرجت للعمل سكرتيرة بأحد المصانع، فتعلقت بصاحب المصنع وأحبهه وعندما عاد الزوج طلبت منه الطلاق، وأمام إصرارها وافق على الطلاق بعد أن تنازلت عن كل حقوقها وكان عمرها 46 عاما .

- تزوجت مرة أخرى من صاحب المصنع واستمر الزواج 15 سنة، عانت فيها المبحوثة من العصبية والخلافات المستمرة والإهانة والضرب والغيرة الشديدة من زوجها، خاصة من أبنائها عندما يأتون لزيارتها، وانتهى الأمر بالطلاق للمرة الثانية .

الآثار المترتبة على الطلاق :

لم تجد الحالة ملاذا لها غير بيت والدها حيث تزوج زوجها الأول لتربية أبنائه وعاشت بعيدة عن أولادها، تشعر بالندم على ما أصاب حياتها بالفشل نتيجة الزواج دون رغبتها من شخص لا تحبه، وصدمتها في الزواج الثاني والذي انتهى أيضا بالفشل .

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

وفقا لطبيعة المشاكل التي واجهت الحالة في زواجها الأول والثاني أكدت على أنها تعيش بقية عمرها وحيدة في بيت والدها حيث يساعدها ابنها الأكبر على أعباء الحياة حيث تقول « محدش بياخد غير نصيبه » .

(7) الحالة السابعة

الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة :

تتسم الحالة بأنها سيدة مطلقة يبلغ عمرها 65 عاما، حاصلة على مؤهل متوسط ولا تعمل ولديها ولدان و بنت، تقيم في باب الشعرية و كانت قد تزوجت وعمرها 28 عاما، واستمرت فترة الزواج نحو 35 عاما وطلقت وعمرها 63 عاما، ويبلغ عمر طليقها 72 عاما وكان يعمل موظف بالقطاع الحكومي حاصل على مؤهل متوسط .

الأسباب المؤدية للطلاق :

أكدت الحالة على أن حياتها الزوجية كانت مستقرة ولم يكن لديها مشاكل مع زوجها، حيث كان الهدف الأساسي الاستقرار وتربية الأبناء والمحافظة على الأسرة .

- كما أكدت أن المشاكل الحقيقية بدأت بعد تقاعد زوجها وخروجه على المعاش وبعد زواج الأبناء، حيث كان الزوج يقضى معظم أوقاته مع أصحابه خارج المنزل ويترك الحالة وحيدة بمفردها بالمنزل وعندما يدور النقاش بينهما حول إهماله لها وكثرة خروجه وسهره، تحدثت المشاكل والخلافات إلى أن انتهى الأمر بالطلاق الرسمي لدى المأذون، ولكن حرص الأهل على عودة الحياة لطبيعتها أدى إلى الصلح بينهما حيث تزوجا مرة أخرى .

- اكتشفت الحالة أن زوجها على علاقة مع سيدات أخريات عبر وسائل التواصل الاجتماعي " فيسبوك " وفي مرات عديدة كانت تسمعه يتحدث في المحمول مع بعض السيدات بشكل غير لائق، وعندما واجهته أنكر وازدادت حدة الخلافات والتي على أثرها قام الزوج بطلاق الحالة دون التوثيق لدى المأذون، حيث قامت الحالة بإقامة دعوى إثبات الطلاق أمام محكمة الأسرة .

الآثار المترتبة على الطلاق :

عانت الحالة من قيام زوجها بتشويه صورتها أمام أبنائها، حيث كان يدعى أنها مجنونة وأنها سبب كل المشاكل التي أدت إلى الطلاق، كما عانت الحالة من عدم تصديق أبنائها لها، فعندما كانت تخبرهم بأن والدهم يشاهد المواقع الإباحية ويقيم علاقات نسائية لم يصدقوها وإنما صدقوا والدهم .

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

طبقاً للواقع الذي عايشته الحالة ظلت وحيدة في بيت والدها المتوفى، وعانت من انشغال أبنائها عنها، خاصة في قناعتهم بأنها السبب في الطلاق، وتعيش على مساعدات الجيران وأحد أبنائها، حيث تقول « أنا دلوقتي زى اليتيم لا زوج ولا أولاد، أنا في انتظار اليوم اللي هروح فيه لبي أحن عليا من كل الناس » أبويا »

(8) الحالة الثامنة

الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة :

تتسم الحالة بأنها سيدة مطلقة يبلغ عمرها 64 عاماً، حاصلة على بكالوريوس طب وتعمل طبيبة نساء وتوليد ولديها ولد و بنت، تقيم في حي المهندسين وكانت قد تزوجت وعمرها 34 عاماً، واستمرت فترة الزواج نحو 28 عاماً وطُلق وعمرها 62 عاماً، ويبلغ عمر طليقها 66 عاماً وحاصل على بكالوريوس طب ويعمل جراح قلب .

الأسباب المؤدية للطلاق :

أكدت الحالة على أن دراسة الزوج في أمريكا أثرت كثيراً في ثقافته وسيطرت عليه العادات الغربية، حيث كان دائماً ينتقد العادات المصرية، وعلى الرغم من أنه كان يصلى ويصوم إلا أن الثقافة الغربية كانت جزءاً من حياته .

- خيانة الزوج لها مع العديد من النساء كانت السبب الرئيسي في طلب الطلاق، حيث تقول ” كعادي لما جوزي بيرجع من سفر برتب شنته فوجئت بموبايل يرن في الشنطه، موبايل غريب، فضولي دفعتي افتح الموبايل فوجئت بفيديوهات لجوزي مع أكثر من سيدة في وضع مخل ”

- فضلت الحالة أن تنسحب من الحياة الزوجية تدريجياً حتى لا يؤثر سلبا على الأبناء وأصبحت تعامله بفتور في العلاقة إلى أن طلبت منه أن يعيش كل منهم في غرفة مستقلة عن الآخر.

- واجهت الحالة الزوج بما شاهدته من خيانتته وطلبت منه بهدوء الطلاق حتى لا يؤثر على حياة الأبناء وبالفعل تم الطلاق بعد زواج دام نحو 28 عاما .

الآثار المترتبة على الطلاق :

- عانت الحالة بعد الطلاق من الحالة النفسية التي كان عليها أبنائها، حيث إنها لم تجربهم بسبب الطلاق حتى لا تشوه صورة والدهم، فقد أخبرتهم بأن سبب الطلاق هو كثرة انشغالهم وعدم التوافق بينهم .

- اهتمام الحالة بعملها كطبيبة حتى توفر الدخل اللازم لأبنائها لمواجهة أعباء الحياة، مما كان له أكبر الأثر على العلاقة بينها وبين أبنائها فتقول ” على الرغم من أنني وفرت لهم كل شيء إلا أنهم حاسين إنى السبب في فشل الحياة الزوجية وحرمانهم من حضن أبوهم ”

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

ظلت الحالة تعمل بكل طاقتها لتوفر الدخل المناسب للأبناء في ظل تزايد احتياجاتهم، وتعيش حالياً مع ابنها الذي يعمل مهندسا، حيث تزوجت الابنة الكبرى، ورغم الطلاق إلا أنها لم تمنع أبنائها من رؤية والدهم أو تعيش الآن مع ابنها وتتمنى أن تعيش حتى يتزوج ويكتمل فرحها ليعوضها عن الجرح الكبير الذي تسبب فيه طليقها .

(9) الحالة التاسعة

الخصائص العامة " الديموجرافية " للحالة :

تسم الحالة بأنها سيدة مطلقة يبلغ عمرها 63 عاما، حاصلة على بكالوريوس خدمة اجتماعية وتعمل عضوه في جمعية نسائية ولديها بتان وولد، تقيم في حي مصر الجديدة

وكانت قد تزوجت وعمرها 29 عاماً، واستمرت فترة الزواج نحو 32 عاماً وطلقت وعمرها 61 عاماً، ويبلغ عمر طليقتها 67 عاماً وحاصل على بكالوريوس هندسة ويعمل مهندسا استشارياً بأحد المكاتب الهندسية .

الأسباب المؤدية للطلاق :

طبيعة عمل الزوج وغيابه فترات طويلة عن المنزل، فضلا عن عملها عضوه في جمعية نسائية ومالها من اهتمامات اجتماعية كثيرة جعلها بعيدة معظم الوقت عن منزلها وأبنائها، مما أدى إلى ضعف في العلاقة بينهم وبين أبنائهم، فتقول الحالة « غيابي أنا وجوزي عن البيت خلانا ما نعرفش كثير عن الولاد وكان كل همنا وضعنا الاجتماعى ونسينا أولادنا » - تصاعد الخلافات الزوجية المتكررة بين الحالة وزوجها بسبب طول فترة الغياب عن المنزل وعدم اهتمامها بأبنائها، حيث تقول الحالة ” بعد مالولاد كبروا وطلبتهم زادت وخروجهم كتر، بدأت المشاكل بينى وبين جوزى وقالى أنت مهملة ومتسيبة، وبوظان الولاد هيكون على ايديكى وكأن ما فيش حد مسؤل عنهم غيرى ”

- التحولات الثقافية التى انعكست آثارها السلبية على الأبناء والمتمثلة فى وسائل الإعلام مثل القنوات الفضائية والإنترنت وما تبثه من إعلام جنسى كان له أثره فى الوقوع فيما هو محظور ومحرم دينياً وقانونياً، ووجود أنواع من الانحراف بين الأبناء، تمثلت فى ممارسة الجنس بين الأخ وأخته “ زنا المحارم ”، مما دعا الزوج إلى طلاق الحالة باعتبارها المسؤولة عن ما آل إليه حال الأبناء .

الآثار المترتبة على الطلاق :

عانت الحالة من الطلاق خاصة وأنها كانت فى وضع اجتماعى مرموق كعضوه بإحدى الجمعيات النسائية، حيث كان دورها يتمثل فى حل مشكلات الآخرين لكنها لم تستطع حل مشكلتها، كما عانت من مسؤولية الأبناء بعد الطلاق حيث لم يكن تزوج أحد من أبنائها، خاصة فى ظل ارتفاع تكاليف الزواج .

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

تعايشت الحالة مع ظروفها الاجتماعية الجديدة حيث تركت عملها الاجتماعى وتفرغت لرعاية أبنائها حتى تزوجت الابنة الكبرى بمساعدة طليقتها، فى حين تعيش الآن مع ابنتها وابنها اللذان يعملان ويصرفان على البيت وتدعوا الله أن يهديهم ويوفقهم فى حياتهم وتحلم بيوم زواج كل منهم .

10) الحالة العاشرة

الخصائص العامة "الديموجرافية" للحالة :

تتسم الحالة بأنها سيدة مطلقة يبلغ عمرها 62 عاماً، حاصلة على ليسانس آداب ولا تعمل، ولديها ثلاثة بنات، تقيم في حي شبرا وكانت قد تزوجت وعمرها 26 عاماً، واستمرت فترة الزواج نحو 35 عاماً وطلقت وعمرها 61 عاماً، ويبلغ عمر طليقتها 64 عاماً وحاصل على بكالوريوس تربية ويعمل مدرس لغة إنجليزية

الأسباب المؤدية للطلاق :

معاناة الحالة من طبيعة عمل زوجها، حيث يقضى معظم اليوم خارج المنزل؛ فتقول «المهم عند طليقي الفلوس ومش مهم عنده بناته ولا تربيتهم يقولى هو أنا فاضيلهم أمال لزمتهك أيه»

- سفر زوج الحالة للخارج للعمل بإحدى الدول العربية كان له آثاراً سلبية على حياتها وحياة بناتها، حيث كان اهتمامه بجمع المال على حساب زوجته وأبنائه .
- عدم قدرتها على السيطرة على بناتها وخاصة الابنة الكبرى التى تزوجت عرفياً من زميل لها بالعمل، فتقول الحالة "لاقيت ورقة جواز عرفي في لبسها وواجهتها بالكلام ده، قالتلى ده زميلى فى الشغل وهنتجوز رسمى بعد ما يكون جاهز ماديا للجواز، بعث لباهاها باللى حصل، قاللى انت السبب ولازم تحلى المشكلة دى، وفوجئت بورقة طلاقى على يد محضر".

الآثار المترتبة على الطلاق :

كان الطلاق بمثابة صدمة نفسية للحالة، حيث لم تكن تتوقع رد فعل زوجها تجاه مشكلة الزواج العرفي لابنتهم، ولم تكن تتوقع الطلاق في هذا السن وهو 61 عاماً .
- عانت الحالة من تردى الأحوال المادية وغلاء المعيشة، خاصة في ظل عدم وجود مصدر للدخل سوى نفقة الطلاق، خاصة بعد زواج أحد البنات، وبقاء البنيتين الأخريين بدون عمل .

آليات تكيف الحالة مع الطلاق :

تعايشت الحالة مع ظروف الحياة وارتفاع تكاليف المعيشة في ضوء ما يرسله لها طليقتها من أموال إلى أن تزوجت البنت الثانية، وتعيش الآن مع البنت الصغرى حيث تساعدنا في نفقات الحياة بعد أن التحقت للعمل سكرتيرة بإحدى الشركات الخاصة .

سابعاً : مناقشة النتائج وتحليلها

يعد الزواج علاقة شرعية مقدسة إلا أن هذه العلاقة قد تتعرض لكثير من المتغيرات التي قد تكون اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية ؛ تلك المتغيرات التي تؤثر على طبيعة العلاقة بين أفراد الأسرة ؛ فإذا كانت هذه المتغيرات إيجابية فإنها تؤثر على الأسرة إيجابياً وتستمر الأسرة في انسجام ومودة وحب أما إذا كانت هذه المتغيرات سلبية فإن هذا ينعكس على الأسرة، الأمر الذي يؤدي إلى الصراع والشجار والخلافات التي قد تؤدي إلى التفكك الأسري أو الانفصال أو الطلاق العاطفي والطلاق الكامل . إن الطلاق وإن كان أبغض الحلال عند الله فانه يعد ضرورة اجتماعية في بعض الحالات لما يطرأ على رابطة الزواج من تغيرات مما يهدد كيانها ويفقدها أسمى معانيها وفي إطار البحث الراهن حاولت الباحثة إلقاء الضوء على واقع الطلاق للمرأة المسنة من خلال المقابلات المتعمقة مع حالات الدراسة التي كشفت عن الآتي:-

1- أن مدة الحياة الزوجية ليست مؤشراً على الاستقرار الأسري، فليس بالضرورة أن تكون العلاقة بينهما عكسية فقد كشفت جميع حالات الدراسة والتي تجاوزت فترة الحياة الزوجية 15 سنة فأكثر، أن النساء شهدن تجربة الطلاق وأن العشرة الطويلة لم تكن عاملاً في الاستقرار الأسري وإنما كانت مؤشراً على الخلل في منظومة العلاقات الاجتماعية بين الزوجين وهو ما تعارض مع بعض الدراسات مثل دراسة ” موناها ”⁽²⁶⁾ الذي أشار إلى أنه كلما زادت مدة الحياة الزوجية قلت فرص حدوث الطلاق، ودراسة عبد الوهاب جودة⁽²⁷⁾ التي أكدت على أن هناك علاقة عكسية واضحة بين طول فترة الحياة الزوجية وحدوث الطلاق .

2- كشفت بعض حالات الدراسة الميدانية أن الثراء المفاجئ قد يؤدي إلى العديد من المشكلات كما اتضح في الحالة رقم (1)، حيث إن تعاطي المخدرات والزواج بأخرى أدى إلى حدوث الطلاق وهو ما أكدته دراسة إجلال إسماعيل حلمي⁽²⁸⁾، حيث أشارت إلى أنه كما يؤثر العجز المادي في استقرار الأسرة فإن الثراء المفاجئ قد يجلب معه أيضاً بذور الخلافات والغيرة، خاصة إذا فكر الزوج في الاقتران بزوجه ثانية.

3- كشفت بعض حالات الدراسة الميدانية أن ظهور شبكة المعلومات الدولية ” الانترنت ” على الساحة العالمية ووسائل التواصل الاجتماعي كان لها دور في حدوث الطلاق، حيث إن استخدام الانترنت بصورة خاطئة وتصفح المواقع الإباحية وغيرها يؤدي إلى آثار مدمرة وسلبيات متنوعة، منها ضياع الوقت والانحراف السلوكي والممارسات الخاطئة والخلاقات الأسرية، وقد يؤدي إلى الطلاق بين الزوجين، كما يتضح من الحالة رقم (2) ورقم (7) وهو ما اتفقت معه بعض الدراسات مثل دراسة سالي محمود سامي⁽²⁹⁾ حيث

أكدت على أن التحولات الثقافية كان لها تأثير بالغ على المجتمع المصري والأسرة بصفة خاصة من خلال ثقافة التغريب وهي الثقافة التي أصبح يروج لها في الإعلام المشروع والمسموع، إذ يتم مخاطبة الغرائز الجنسية من خلال الأقمار الصناعية والحوار مع الجنس المفتوح على الانترنت الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى تدهور الهوية الثقافية وضعف منظومة القيم.

وقد اتسقت تلك النتائج مع دراسة ريهام محي الدين⁽³⁰⁾ حيث أكدت على أن الأزواج قد اعتبروا الانترنت وسيلة للهروب من المشكلات الزوجية وفرصة لإقامة علاقات اجتماعية عبر مواقع التواصل الاجتماعي وغرف الدردشة دون قيود أو معايير وعلى الجانب الآخر نجد أن منهم من أدمن الدخول على المواقع الإباحية وأصبح الانترنت وسيلة للخيانة الزوجية والتعرف على أفراد من الجنس الآخر.

4- كشفت بعض حالات الدراسة الميدانية إلى أن المصالح هي التي تحدد شكل العلاقات الإنسانية وأن قيم الكسب السريع هي الإطار الحاكم في المجتمع وقد كان لذلك أثره على الأسرة حيث توارت قيم الأصالة والمحبة والإخلاص وهو ما كشفت عنه الحالة رقم (1) حيث تقول الزوجة المسنة المطلقة (باع البنت عشان الفلوس و ياريتها قدها، ده قد جدها قال إيه عشان فلوسه هتحل مشاكل كثير)

وهو ما يتفق مع نتائج دراسة عبد الحكيم الشرجبي⁽³¹⁾ حيث توصلت إلى انتشار القيم المادية على حساب قيم العمل المنتج وغلبت الحلول الفردية للمشكلات على الحلول الجماعية لها.

5- كشفت بعض حالات الدراسة الميدانية عن تأكيد بعض الحالات على فقدان الجوانب العاطفية في العلاقة الزوجية بدرجة عالية تجعلنا نتفق على ما يشاع بشأن سيادة الطلاق العاطفي، Emotional Divor Concept وهو الطلاق غير المعلن على الملأ، حيث يكون أحياناً من طرف واحد في حين يجهله الطرف الآخر كلياً ويسمي أحياناً بالزواج غير الممارس ونعني به ذلك الزواج المستمر بدون العلاقة الجنسية وهذا قد يكون مقدمة للطلاق وهو ما كشفت عنه الحالة رقم (2) حيث تقول (بقالي فترة حاسة إن جوزي بعيد عني ومتغير والكلام بالقطارة وكل ما أقوله أنت متغير ليه معايا ودايماً ساينيني، يقولي مشغول). الأمر الذي يوضح أن الانشغال بأعباء ومسئوليات الحياة قد يؤدي إلى الفتور والإهمال مما يترتب عليه حدوث مشكلات تؤدي إلى الطلاق العاطفي ومن ثم الطلاق وهو ما اتفقت فيه الباحثة مع بعض الدراسات، حيث كشفت دراسة أنوار مجيد هادي⁽³²⁾ أن الطلاق العاطفي يحدث نتيجة الضغوط المتتالية للأعمال المختلفة ضمن الحياة الزوجية وتحمل المسؤوليات والتغيرات في طبيعة العلاقة الجنسية

كما أشارت دراسة عفراء عبيدى⁽³³⁾ إلى أن الطلاق العاطفي يمر بمراحل بدءاً من فقدان المودة والحب ثم العزوف عن الممارسات العاطفية بأنواعها وانتهاء بالهجر التام والامتناع عن ممارسة العلاقة الجنسية والحديث مع الزوج، وقد يتجاوز ذلك الإقامة خارج المنزل والإهمال.

6- لقد أجمعت حالات الدراسة من النساء المسنات على تعرضهن للعديد من أشكال وصور العنف، حيث تدرج في عدة أشكال بداية من السب والإهانة والطرده إلى الاستيلاء على الممتلكات، وقد كان لهذه الأنماط من العنف أسبابها التي تراوحت ما بين ارتفاع تكاليف الحياة وانخفاض الدخل، كما اتضح من الحالة رقم (1) وعدم التكافؤ الاجتماعي بين الزوجين، كما في الحالة رقم (5) وتقاعد الزوج عن العمل، كما في الحالة رقم (7). كلها عوامل كان لها دور في حدوث الطلاق؛ فبلوغ المسن سن الإحالة للمعاش وما يترتب على ذلك من انخفاض الدخل وعدم كفايته لإشباع احتياجاته واحتياجات الأسرة لعب دوراً في تنامي ظاهرة العنف ومن ثم حدوث الطلاق، حيث تباينت وتعددت أنماط وأشكال العنف، ففي الوقت الذي عانى فيه بعض الحالات من العنف المادى، عانى البعض الآخر من عنف معنوى، وعلى الجانب الآخر تعرضت بعض الحالات للنمطين معاً المادى والمعنوى، وقد اتفقت نتائج الدراسة الراهنة، فيما يتعلق بتعدد أنماط وأشكال العنف التي يتعرض لها المسنين بصوره المختلفة، مع دراسة نجوي خليل (1992)⁽³⁴⁾ والتي كشفت عن أن من بين أنواع الجرائم الواقعة على المسنين، هى الضرب والجرح والإيذاء والسرقة، والاعتداء على الأموال، أما فيما يتعلق بدرجة وشدة كل نمط من أنماط العنف، فقد اتفقت نتائج الدراسة مع دراسة «نانسي باركر» Barker Nancy³⁷ والتي توصلت إلى أن سوء المعاملة النفسية كان أكثر الأنواع الشائعة لسوء المعاملة ضد كبار السن والذي تم الإبلاغ عنه، كما اتفقت مع نتائج دراسة «هولمز برناديت» Homles³⁸ في أن سوء المعاملة البدنية حدثت بشكل أقل من سوء المعاملة النفسية أو المادية .

ويتفق ذلك مع البحث الذى قامت به السى Elsie وكاثرين⁽³⁹⁾ عن سوء معاملة الكبار على أيدي مانحى الرعاية لدى الأسر الصينية بهونج كونج، و نتائج المسح الذى قام به « جنجو »⁴⁰ Jingoo للمجتمع الكورى، حيث أكدت نتائج هذه الدراسات على أن سوء المعاملة النفسية هى أكثر الأنواع شيوعاً من سوء المعاملة البدنية .

7- اتفقت نتائج البحث الراهن مع بعض الدراسات⁽³⁹⁾ حيث أكدت أن المرأة عندما لا تكون مستقرة عاطفياً ونفسياً واجتماعياً فإن ذلك ينعكس على استقرار الأسرة بشكل واضح ومباشر وهذا يجد من إمكانية مساهمتها الفاعلة فى الوسط الذى تعيش فيه،

فالزواج بالإكراه يترتب عليه آثار اجتماعية سلبية كثيرة أبرزها الطلاق وهو ما كشفت عنه بعض حالات الدراسة ؛ فإجبار الفتاه على الزواج نتيجة للتأخر في سن الزواج والخوف من نظرة المجتمع أدى إلى الطلاق في هذه المرحلة العمرية وهو ما اتضح في الحالة رقم (5)

8-كشفت بعض حالات الدراسة عن سيطرة القيم المادية والجوانب المالية على بعض شرائح المجتمع وزيادة الحراك الاجتماعى الناتج عن هجرة الأزواج إلى الدول العربية، مما أثرت على الأسرة المصرية ونالت من وحدتها، حيث أن الاهتمام بالنواحي المادية على حساب النواحي الاجتماعية والأسرية، أدى إلى التفكك الأسرى التى انتهت بالطلاق، كما اتضح في الحالة رقم (6) ورقم(10) وهو ما يتفق مع دراسة محمد عبد الحكيم حسن يوسف⁽⁴⁰⁾والتي توصلت إلى أن الهجرة أثرت سلبياً في الاستقرار الأسرى فعلى الرغم من أنها ساهمت في تحسين أوضاع بعض الأفراد اجتماعياً ومادياً، فإنها في المقابل جعلت هؤلاء يدفعون ثمناً غالياً من تفكك أسرهم وانحراف أبنائهم .

ومما سبق ترى الباحثة أن التكيف الذى يكمن في التعامل بعد الطلاق وكيفية الإنفاق والإقامة لم يكن مثل مشكلة لمن حيث استطعن الإقامة في دور مسنين أو مع احد الأبناء أو الأقارب وفي المسكن الأصلي واعتمدت في الإنفاق على أعباء الحياة أما من المعاش أو مساعدة أحد الأبناء، وإنما التكيف الحقيقى من وجهة نظر الباحثة هو التعايش مع الظروف السيئة من عنف مادي ومعنوى أو انحرافات سلوكية أو خيانة زوجية والزواج بأخرى خلال فترة الزواج الطويلة من أجل تربية الأبناء وتحقيق الهدف من تربيتهم، الأمر الذى يكشف أن وجود الأبناء عامل أساسيا في استمرار الزواج لفترة طويلة، وأيضا في بعض حالات الدراسة رغم عدم وجود أبناء إلا أنها حاولت التكيف لفترة طويلة في الحياة الزوجية لعدم وجود مأوى لها إلا أن تلك الحالات لم تصمد في النهاية وكانت النتيجة الحتمية هي الطلاق .

مراجع البحث:

- (1) عزت سيد إسماعيل « الأسرة في القرن الحادى والعشرين » الأدوار والمسئوليات « أسلسلة الدراسات الاجتماعية والعملية العالمية السلسلة رقم (28) المكتب التنفيذى لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربى أبو ظبى 1994، ص ص 177-180 .
- (2) Heaton, T.B. (1990), Marital Stability Throughout The Child-Rearing Years, Demography, Vol.27, pp.5563.
- (3) - L. REP (2014). Changing Families, Changing Laws; Ten Major Trends That Have Altered The Lifestyles of Parents and Children. ATIONAL CENTER FOR HEALTH STATISTICS, ANNUAL SUMMARY OF BIRTHS, DEATHS, MARRIAGES. AND DIVORCES: UNITED STATES. p.,665.
- (4) Cezar Santos, David Weiss (2013). Risky Income, Risky Families: Marriage and Divorce in a Volatile Labor Market on line at: <https://www.google.com/eg/url?sa=tps>
- (5) أمال عبد الهادي، « حقوق النساء من العمل المحلي إلى التغيير العملي ” مركز الدراسات لحقوق الإنسان، دليل تدريبي، ص 45.
- (6) احتفالية اليوم العالمي للمسنين، « المسنون في مصر والعالم الدولي »، أكتوبر، 2012، ط 2013، المجلس القومي للمرأة، ص 15-16.
- (7) <http://www.alborsanews.com/2016/10/01/905388>.
- (8) إحصاءات الزواج والطلاق، 2015، الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء.
- (9) السيد سابق، « فقه السنة »، المجلد الثاني، دار الرياض للتراث، القاهرة، 1990، ص 379.
- (10) الشيخ أحمد بن محمد بن إدريس أ « التقرير الفقهي » مركز ابن إدريس الحلبي أقسم إعداد التقارير العدادان السادس والسابع 2008، ص 56 .
- (11) محمد عاطف غيث، « قاموس علم الاجتماع »، دار المعرفة الجامعية، 1979م، ص 139.
- (12) عبد الوهاب جودة عبد الوهاب، « الطلاق كآلية من آليات تفكك الأسرة المصرية »، رصد للواقع واستكشاف ملامح المستقبل، الأسرة المصرية وتحديات العولمة، أعمال الندوة الثامنة لقسم علم الاجتماع، جامعة القاهرة من 7-8 مايو 2003، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، تحرير أحمد زايد وأحمد مجدى حجازى، ص 248.
- (13) سناء محمد سليمان، « الطلاق بين الإباحة والصبر والخطر والغدر»، سلسلة ثقافية سيكولوجية للجميع، الجزء 31، عالم الكتب، ط 1، 2012، ص 24.
- (14) إسماعيل أبا بكر على البامرنى، «أحكام الأسرة : الزواج والطلاق بين الحنفية والشافعية » دراسة مقارنة بالقانون، ط 1، 2009، ص 229، 230.
- (15) سورة النساء، الآية رقم، 131.

- (16) عبير على على النعناعي، « رؤية معاصرة للخدمة الاجتماعية في رعاية كبار السن » المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بوسعيد، 2016، ص 11.
- (17) سعد الدين مسعد هولي، « قضية المسنين الكبار المعاصرة وأحكامهم الخاصة في الفقه الإسلامي » مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2002م، ص 28.
- (18) سعود فارس الجوير، « تقويم فعاليات خدمات رعاية المسنين بالمجتمع الكويتي » دراسة ميدانية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 112، السنة الثلاثون، معهد البحوث والدراسات العربية، مارس 2004، ص 295-296.
- (19) عزت مجدي حجازي، خطة العمل للمسنين، « المؤتمر السنوي الأول »، البحوث الاجتماعية (المهام- المجالات - التحديات)، المجلد الثاني، 9-13 مايو المركز القومي للبحوث الاجتماعي والاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1999، ص 124.
- (20) Manstead, Antony & Hewstone, Miles (1995), the black en Cyclopedia of Socral Psychology Black well. Cambridge, P.20.
- (21) سعيدة محمد أبو سوسو، « الحاجات النفسية للمرأة المسنة » كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، مجلة علم النفس، العدد 16 أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص 64.
- (22) إجلال إسماعيل حلمي، « علم اجتماع الزواج والأسرة »، رؤية نقدية لدوافع والمستقبل، مكتبة الأنجلو المصرية، 2013، ص 106.
- (23) سلوى الخطيب، « نصوص علم الاجتماع الأسرية »، الرياض، مكتبة الشقري، 2007، ص 111.
- (24) عفراء إبراهيم خليل العبيدي، الطلاق العاطفي في ضوء بعض المتغيرات لدي الطلبة المتزوجين في جامعة بغداد. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد، حمه خضر، الوادي العدد 13 / 14 ديسمبر 2015، ص 30.
- (25) Pennington, Cillen, Hill, 1999.

نقلاً عن:

- رانيا مرتضي محمد عبد المجيد، « الطلاق العاطفي كما يدركه الأبناء في مرحلة الطفولة المتأخرة وعلاقته بالعدوانية »، ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، 2006، ص 38.
- (26) ابراهيم جابر السيد، « التفكك الأسرى - الأسباب والمشكلات وطرق علاجها »، جامعة التحدي - سرت - ليبيا، دار التعليم الجامعي، 2013م، ص 102.
- (27) عبد الوهاب جودة عبد الوهاب، « الطلاق كآلية من آليات تفكك الأسرة المصرية »، رصد الواقع واستكشاف ملامح المستقبل، الأسرة المصرية وتحديات الدولة، أعمال الندوة

- الثامنة لقسم علم الاجتماع، جامعة القاهرة، 7-8، مايو 2003، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، أحمد حمدي حجازي.
- (28) إجلال إسماعيل حلمي، «دراسات عربية في علم الاجتماع الأسري»، 1990، جمهورية مصر العربية والأمارات العربية المتحدة نموذجاً ط1 أدار القلم للنشر والتوزيع.
- (29) سالي محمود سامي، «التحولات الاجتماعية، الثقافية والمشكلات الأسرية في المجتمع المصري»، دراسة ميدانية في مدينة القاهرة، ماجستير، 2003، ص 257.
- (30) ريهام محيي الدين، «الوسائل التكنولوجية الحديثة والطلاق المبكر بين الشباب، في: ليل عبد الجواد (محرر) الطلاق المبكر بين الشباب، أبعاد وتداعياته، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، البرنامج الدائم لبحوث الأحوال الشخصية، القاهرة، 2015. ص 170.
- (31) عبد الحكيم أحمد سلام الشرجبي، «أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية على أنساق القيم في المجتمع اليمني»، تحليل بنائي مقارنة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، رسالة دكتوراه، 1996.
- (32) أنوار مجيد هادي «أسباب الطلاق العاطفي لدى الأسر العراقية في بعض المتغيرات»، الاستاد، العدد (201)، ص 438.
- (33) عفراء إبراهيم خليل عبيدي، مرجع سابق، ص 28.
- (34) نجوي خليل «أمن المسن - تحليل مضمون الجرائم الواقعة على المسن في جرائد مصرية يومية، ندوة نحو رعاية متكاملة للمسنين، 3-5 مارس، قسم بحوث السكان والفئات الاجتماعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1991 م
- 37 (35)Barker, Nancy Neverka [2000] Correlates of Service Utilization Among Elder Abuse Victims; [Ph.D] ; Dissertation, United States, New York; Ford-ham University.
- 38 (36)Homles, Bernadette J (1985); Victimization of the Elderly: Analysis of the Level of Social Functioning in the Community, An Exploratory Study (Abuse , Crimes); ProQuest Dissertation and Theses, Section 0168, Part 0615321; Ph.D; V.S.A; Ohio: the Ohio State university.
- 39 (37)Yan,Elsie Chau – Wai, [2004] Elder Abuse by Caregivers ,Study of Prevalence and Risk Factors in Hong Kong , Chinese Families , Journal of Family Violence ,vol. 19, Issue 5 ,p.269-277, V9, charts3.
- 40 (38)Oh; Jingoo , & etal (2006);Astudy of Elder abuse Ikoea; International Journal of nursing studies ; vol. 43(No,2) ,p 203-214
- (39)نجوى ابراهيم مصلحى حسن، «المشكلات الأسرية الناتجة عن سوء الاختيار الزواجي»، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس، 2016 م، ص 180.

(40) محمد عبد الحكيم حسن يوسف « الهجرة الخارجية ومشكلات الأسرة المصرية » دراسة لأنماط التفكك الأسرى المرتبطة بالهجرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، دكتوراه، 2000 م، ص 176 .

اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم

Baghdad university students attitudes towards the people of the world

أ.م.د. إبراهيم مرتضى الأعرجي
جامعة بغداد/ كلية الآداب

ملخص البحث:

هدف البحث التعرف على اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم. أعد مقياس الاتجاه نحو شعوب العالم على وفق طريقة بوجاردوس، وهو يكشف عن اتجاهات القبول والرفض والحياد لـ (16) شعباً. طبق المقياس على عينة مكونة من (400) طالب وطالبة من جامعة بغداد. وبينت النتائج ان اتجاهات الرفض نحو شعوب العالم كانت الطابع المميز لاتجاهات طلبة الجامعة. وكانت هناك فروق دالة إحصائية في اتجاهات التقبل لصالح الذكور وفي اتجاهات الرفض لصالح الإناث، في حين كانت هناك فروق دالة إحصائية ومتباينة في اتجاهات الرفض القبول نحو شعوب العالم تبعاً لمتغير التخصص (علمي، إنساني).

Abstract:

The research aims to identify Baghdad University students' attitudes towards the peoples of the world. The scale towards the peoples of the world has been prepared according to the method of Bujardos, which reveals the trends of acceptance and rejection, and neutrality for 16 people. The scale was applied to a sample of (400) students from University of Baghdad. The results showed that the rejection attitudes towards the peoples of the world were the distinctive character of the trends of university students. There were statistically significant differences in the attitudes of acceptance in favor of males and in females refusal in favor of trends, while there were statistically significant differences and divergent in the rejection of acceptance towards the peoples of the world trends depending on the specialization variable (scientific , human).

مشكلة البحث:

يتعرض الشعب العراقي منذ عام 2003 وحتى وقتنا الحاضر لجملة من الظروف الاستثنائية القاسية والقاهرة التي لم يألّفها من قبل، ولا تفتأ أن تطال حتى من وجوده الإنساني، فالإرهاب والاحتلال والانفلات الأمني، والتركة المؤلمة لنظام الحكم السابق،

ومواقف الدول المجاورة وغير المجاورة ومصالحها، فضلاً عن تدخّلاتها، والانفتاح المفاجئ على العالم الخارجي، كلها متغيرات مترابطة ومتداخلة (بالإضافة إلى غيرها) أثرت بشكل مباشر على البناء النفسي والاجتماعي لإفراد هذا الشعب، بكافة أطيافه ومكوناته وفئاته العمرية، فتغيرت لديهم وبشكل سريع وملفت للنظر كثيرٌ من المفاهيم والاتجاهات وحتى القيم، بعد أن اتسمت باستقرارها النسبي قبيل هذه الظروف، لاسيما عند فئة الشباب.

وتعد الاتجاهات النفسية نحو الأشياء، والموضوعات، والأشخاص... الأكثر قابلية على التغيير من غيرها من موضوعات علم النفس الأخرى، لاسيما إذا ما توفرت لها ظروف معينة، كما هو الحال في الظرف العراقي الراهن، فالتغيير في الاتجاه يحدث كما يشير كل من Isnko 1967 و Sara 1978 عندما يتعرض الفرد لكثير من المواقف التي تمليها عليه التغيرات السريعة والمفاجئة والمتنوعة والمتكررة للبيئة المحيطة، فتحدث له تنافراً معرفياً تتضارب فيه كثيرٌ من المعلومات، لتشكل حالة نفسية غير مريحة للفرد، لا تهدأ أو تستقر إلا بتغيير مجموعة معينة من الاتجاهات السابقة لديه (Isnko 1967 ص 31) (Sara 1978 ص 158).

إن التغيير السريع في اتجاهات أبناء الشعب العراقي (لاسيما فئة الشباب) من شأنه أن يفاقم من أزمة الوضع العراقي الراهن، أو أن يساعد ويساهم في التقليل من شدة هذه الأزمة وفي تجاوزها بنجاح، وهذا الأمر يرجع لمدى اهتمام المعنيين وأصحاب القرار بآراء علماء النفس والاجتماع في هذا الشأن.

وفي ظل الظروف القاهرة التي يعيشها الشعب العراقي الآن، تبدو الحاجة الأكثر إلحاحاً لديه متمثلة بالحاجة للأمن والسلام، وعلى الرغم من التحديات الكبيرة التي تواجه تلبية مثل هذه الحاجات وتحقيقها، شعر الباحث من واقع مسؤوليته الوطنية والتربوية إزاء بلده وشعبه، بان دراسة الاتجاهات نحو موضوعات مهّمة وفعّالة في الوضع العراقي، لفئات حيوية فيه، كالشباب الجامعي، من شأنه أن يسهم بشكل أو بآخر في تحقيق مثل هذه الحاجات.

ومن الموضوعات المهمة المتعلقة بتحقيق الحاجة للأمن والسلام ما يتعلق بموقف شعوب العالم ودورها من الوضع العراقي فضلاً عن تدخّلاتهم، فالتعرف على اتجاهات أبناء الشعب العراقي نحوها سيزودنا بمعلومات مهمة من شأنها أن تفيد المعنيين لرسم الخطط المستقبلية المتعلقة مع هذه الشعوب ودورها. من منطلق أن الشعوب كلّها تقاربت في قيمها وعاداتها واتجاهاتها زاد السلام بينها والعكس صحيح (أبو النيل ودسوقي، 1986 ص 282).

وعليه فان مشكلة البحث الحالي يمكن أن تتحدد بطرح التساؤل التالي (ما اتجاهات طلبة الجامعات العراقية نحو شعوب العالم؟).

أهمية البحث والحاجة إليه:

يقول الباري عز وجل في محكم كتابه الكريم ((وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم))^{1*} ترشدنا الآية الكريمة إلى أهمية التعارف والتقارب و ضرورتها بين شعوب العالم، ففيها حث متواصل للبشرية جمعاء على نشر المحبة والألفة فيما بينهم، وعلى نبذ جميع ألوان الحقد والكراهية، على مر العصور، فالآية الكريمة تدعو شعوب العالم إلى انفتاح بعضهم على البعض، وإلى التعرف على ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا من شأنه يكفل ويضمن زيادة عملية التقارب والتعارف هذه، ويزيد من خبرة البشرية في خدمة الإنسانية، التي تعاني ما تعانيه اليوم (وعلى مر العصور) من صراعات ومخاطر تهدد وجودها، ومن أهم العوامل التي تساعد على تقارب الشعوب هذه وتعارفها، هو مقدار التقبل أو درجته بين بعضها البعض، في حين يساعد مقدار الرفض أو درجته، على خلق الصراعات والحروب مع بعضها البعض، إن درجة القبول و الرفض أو مقدارها مرهون بعاملين مهمين، الأول يتعلق بالمصالح المشتركة فيما بينهما، والثاني يتعلق بما تركه لنا الأسلاف من إرث في تعامله مع هذا الشعب أو ذاك، وعليه فقد يتحول القبول إلى رفض، و الرفض إلى قبول طبقاً لهذين العاملين، وقد تتطور الأوضاع لتتحول تدريجياً إلى تقارب تام، أو إلى صراع دام، وفي لغة علم النفس، يعبر عن هذا القبول أو ذلك الرفض بمصطلح الاتجاه Attitude الذي يشير إلى حالة من الاستعداد أو التهيؤ النفسي، تنتظم من خلال ما يمر به الشخص من خبرات على مدى حياته، لتمارس تأثيراً توجيهياً ودينامياً على استجاباته، لكل الموضوعات والمواقف المرتبطة بتلك الخبرات (عثمان، 1983 ص 42).

تعد دراسة الاتجاهات من الموضوعات التي تلقى اهتماماً من صنّاع القرار في جميع مجالات الحياة، فهي تزودنا بمعلومات ذات مصداقية تتعلق بالفرد والمجتمع على حدٍ سواء. فالاتجاه بالإضافة إلى كونه من أهم المتغيرات النفسية المتعلقة بالأفراد، إلا أنه يشكل نقطة التقاء مع العلوم الاجتماعية، فهو يؤثر في سلوك الشعوب والمجتمعات مثلما يؤثر في سلوك الأفراد (عبد الله، 1989 ص 10)، حيث يرى كثيرٌ من علماء النفس والاجتماع أن المنظومة القيمية لأي شعب من شعوب العالم تتشكل بالأساس من المنظومة القيمية لأفراده (المصدر السابق، ص 81). وفي هذا الصدد أُجريت كثيراً من الدراسات، منها ما هدف إلى التعرف على اتجاهات شرائح معينة من المجتمع (طلبة الجامعة) إزاء شعوب العالم كما في دراسة أبي النيل 1978، ومنها ما هدف إلى التعرف على اتجاهات مكونات الشعب الواحد نحو بعضه البعض طبقاً لموقعه الجغرافي كما في دراسة عثمان 1983، أو طبقاً لقوميته أو لون بشرته كما في دراسة بورنو وموريس 1964، أو طبقاً لديانته أو مذهبه كما في دراسة

^{1*} قرآن كريم، سورة الحجرات، الآية 13

الكيّال 1977، ومن هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة الاتجاهات نحو شعوب العالم، لاسيما إذا ما أُجريت على أفراد أو جماعات أو فئات عمرية يُتوقع لها القيام بدور فعال في تطور الشعوب وفي تحديد مصيرها.

وتظهر حاجة ملحة إلى دراسة اتجاهات الشعوب نحو بعضها البعض، في خضمّ التغيرات الدولية السريعة التي تطرأ على شعوب العالم هذه الأيام، وما يرافقها من تكتلات أو صراعات، من جزاء العولمة وتجلياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. لاسيما إذا عرفنا بان الاتجاهات رغم كونها مفاهيم افتراضية وثابتة نسبيا إلا أنها يمكن أن تتغير تحت ظروف معينة كالتي تحدث على مستوى العالم في الوقت الراهن (Janis، 1943، ص 20، 107).

أهداف البحث:

- 1- التعرف على اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم.
- 2- التعرف على الفروق الدالة إحصائيا في اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم تبعا لمتغير التخصص (علمي، أدبي).
- 3- التعرف على الفروق الدالة إحصائيا في اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم تبعا لمتغير التخصص الجنس (ذكور، إناث).

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بطلبة جامعة بغداد، الدراسة الصباحية، وللمراحل الدراسية المنتهية*² للعام الدراسي 2014-2015 م.

مصطلحات البحث:

1- تعريف الاتجاه **Attitude** :

* يعرف قاموس Good الاتجاه بأنه (استعداد أو ميل للاستجابة نحو موضوع أو قيمة، ويُرافق عادةً بالأحاسيس والمشاعر) (Good 1973 ص 39).

* ويعرفه بوجاردوس Bogardus بأنه (الميل الذي ينحو بالسلوك قريبا من بعض الموضوعات، أو بعيداً عنها، ويضفي عليها معايير موجبة أو سالبة، تبعا لانجذابه لها أو نفوره منها) (إسماعيل وآخرون، 1974 ص 49).

* في حين يعرف جرين Green الاتجاه بأنه (مفهوم يعبر عن نسق أو تنظيم لمشاعر الشخص، ومعارفه، وسلوكه، أي استعداده للقيام بأعمال معينة، ويتمثل في درجات

*² تم اعتماد طلبة المراحل الرابعة للكليات التي تزيد الدراسة فيها على أربع سنوات.

القبول والرفض لموضوعات الاتجاه) (السيد، 1979 ص 195).
* ويتبنى الباحث التعريف الأخير للاتجاه كتعريف نظري في بحثه.

2- تعريف الشعب People:

يعرفه عبيدان بأنه (احد العناصر الأساسية التي تكون الدولة، ويمثل مجموعة من الأفراد الذين ارتضوا التعايش معا في ظل الدولة، وحققوا بهذا التعايش الترابط والتآلف والتوافق) (عبيدان، 1990 ص 106).

3- التعريف الإجرائي للاتجاه نحو شعوب العالم:

هو مجموع الاستجابات التي يبديها المفحوصون نحو شعب معين على مقياس الاتجاهات لبوجاردوس.

الإطار النظري

الشعب والمجتمع:

المجتمع Society مفهوم اجتماعي سلوكي أكثر منه سياسي، ويعرف بأنه مجموعة من الأفراد تربطهم أو تجمعهم صلات معينة أو طرق في السلوك تميزهم عن أفراد آخرين لا تشملهم أو تربطهم هذه الصلات، أو يختلفون عنهم في السلوك (Morris، 1949 ص 47)، من هذا التعريف أو من غيره يتضح أن مفهوم الشعب يختلف عن مفهوم المجتمع، فالأول يمكن أن يضم عدّة مجتمعات لها سلوكيات أو لغات أو ديانات أو أجناس خاصة بها، حدّت بها الرغبة في العيش المشترك مع بعضها البعض فوق إقليم معين، لتخضع إلى سلطة سياسية قانونية واحدة تلزم الأفراد كافة بالخضوع لها، كما وتحمل هذه السلطة في المقابل مسؤولية حماية أرواحهم وأموالهم وكافة حقوقهم التي يخوّنها لهم القانون (أبو هيف، 1965 ص 122-123).

في حين يختلف المجتمع، الذي يتكون كذلك من جماعة من الأفراد، عن الشعب، حيث أن أفرادها لا يخضعون لسلطة قانونية معينة، وإنما تحكم علاقاتهم وسلوكياتهم عناصر مشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والمصالح الاجتماعية، فضلاً عن وجود ثقافة مشتركة وعادات وتقاليد واحدة، وهي عناصر يستحيل تواجدها في الشعب الواحد (عبيدان، 1990 ص 109).

الشعب كمفهوم سياسي:

الشعب People مفهوم سياسي أكثر منه اجتماعي، ويعده علماء السياسة ورجالاتها احد العناصر الأساسية لتكوين الدولة، بالإضافة إلى عنصري الإقليم والسلطة، فيهم

تتكون الدولة بمفهومها السياسي (عبيدان 1990 ص 105)، فالشعب عنصر جوهري لا يُتصور قيام دولة بدونهُ، وهو يتكون من مجموعة من السكّان الذين ارتضوا التعايش معا في ظلّ الدولة، وحققوا بهذا التعايش الترابط والتآلف والتوافق، فهم بذلك رعيتها المنضون تحت إمرتها، والمتمتعون بجنسيتها، وليس ضرورياً أن يكون هناك عدد معين من السكّان يلزم توافره لقيام دولة، فقد يكون العدد كبيراً كما هو شأن الشعب الصيني أو الشعب الهندي التي يتجاوز أعداد سكانها مئات الملايين، وقد يقل العدد ولا يتجاوز بضعة آلاف كما هو الحال في شعب إمارة موناكو (المصدر السابق، ص 106-107)، كما وانه ليس من الضروري أن يكون الشعب منحدرًا من سلالة واحدة، أو جنس بشري واحد، فلا يمكن الجزم بان القومية كانت سبباً في تكوين الشعوب ولا حتى الديانات، والأمثلة على ذلك كثيرة، فشعب الولايات المتحدة الأمريكية ينتمون إلى أجناس وديانات كثيرة ومتباينة، وكذا الشعب العراقي... وغيرها الكثير (الجرف، 1978 ص 75-76) (شليبي، 1986 ص 124).

الشعب العراقي وشعوب العالم:

تربط الشعب العراقي بشعوب العالم علاقات طيبة وعلى مر العصور، كما وتدين له بالكثير لما قدمه للبشرية جمعاء عبرة حضاراته في وادي الرافدين من إنجازات واختراعات أسهمت بشكل فعّال في دفع عجلة التقدم والتطور نحو الأمام (سوسة، 1980 ص 15، 25، 51). فمنذ حضارات العبيد و اريدو... ومروراً بحضارات الوركاء و جمدة نصر وأشونونا... والى فترة الحضارة العربية الإسلامية في الكوفة وبغداد وسامراء... كان الشعب العراقي مصدراً للعلم والتنوير والتدين لمعظم شعوب وحضارات العالم (سوسة، 1979 ص 28، 134)، وعلى الرغم من جميع التحديات والصراعات التي واجهها إنسان وادي الرافدين، إلا انه استطاع أن ينتزع إعجاب الشعوب الأخرى واحترامها، فأصبح في أوقات كثيرة قبلة لهم ومحطاً لأنظارهم لاسيما إبان عصر الدولة العربية الإسلامية.

واقع الشعب العراقي الراهن:

توالت على الشعب العراقي عبر تاريخه الطويل كثيرٌ من الحقب الزمنية الصعبة، عانى من خلالها الكثير من الويلات والمآسي والمحن، منها ما كان بسبب حروب وأطماع خارجية، وأخرى ما كان بسبب استبداد حكامه وبطشهم، ولعلّ أصعبها وأشدّها وأخطرهما وطأةً عليه ما يعانيه اليوم ولأكثر من ثلاثة عقود خلت من ويلات ومآسٍ لم تفتأ أن تنال حتى من وجوده، فقد كان تحت وطأة حكم دكتاتوري مستبد، خاض إبان حكمه حروباً داخلية

وخارجية دامية، انتهت بانهيائه واحتلال العراق^{3*}، فقد خاض حروباً داخلية دامية في شمال العراق وجنوبه بتهمة التمرد، وحروباً دامية مع دول الجوار منه الحرب مع إيران عام 1980 والتي استمرت ثماني سنوات، ومع الكويت وقوى التحالف من دول العالم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية عام 1990-1991، تلاها حصار ظالم امتد طويلاً لينتهي بحرب دامية ثالثة عام 2003 مع الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها، أدت به إلى حالة الاحتلال، التي رافقها ظهور الإرهاب، وغياب الأمن، ومحاولات لإشعال فتن طائفية، يراد بها نشوب الحرب الأهلية.

مفهوم الاتجاه:

يمكن تلخيص التوجهات الأساسية لتعريف الاتجاه في ثلاث فئات من دون الدخول في القضايا الخلافية بينها، والفئات الثلاث هي:-

أ- تعريفات منحى التعلم.

وهي تعريفات تؤكد على تأثير الخبرة الماضية في تكوين الاتجاه، حيث ترى أن الاتجاه بمثابة استعداد (أو وجهة للاستجابة بطريقة خاصة)، له متضمناته السلوكية الواضحة (Sears et.al، 1985 ص 132) ومنها تعريفي وارن والبورث، إذ يعرف وارن الاتجاه (بأنه استعداد نفسي، يتكوّن بناء على ما يمر به الشخص من خبرات يمكن أن تؤدي في نهاية الأمر إلى إحداث تغييرات في مجال الاتجاه) (عبد الله، 1989 ص 39)، ويعرفه البورث (بأنه حالة من الاستعداد أو التهيؤ النفسي، تنتظم من خلال خبرة الشخص، وتمارس تأثيراً توجيهياً ودينامياً على استجابته لكل الموضوعات والمواقف المرتبطة بهذه الاستجابة) (سويف، 1983 ص 236).

ب- تعريفات المنحى المعرفي.

وهي تعريفات تركز على الجانب المعرفي للاتجاه، تهمل الإشارة لأصول الاتجاه، أي أنها تهتم فقط بالخبرات الذاتية الحالية Current Subjective Experiences دون الاهتمام بالسلوك الصريح، ومنها تعريف كريتش وكريتشفيلد للاتجاه (بأنه تنظيم مستقر للعمليات الدافعية والانفعالية و الإدراكية والمعرفية لدى الشخص، نحو موضوعات عالمه الخاص الفردي أو السيكولوجي) (Krech & Crutchfield، 1948 ص 152)، وأيضاً تعريف روكيتش ورسل إذ يعرف الاتجاه (بأنه تنظيم ثابت نسبياً من المعتقدات حول

*3- من تقرير منظمة العفو الدولية-امستي- عن العراق في ابريل/ نيسان 2005.

- من بيان صادر عن الاجتماع السنوي للجمعية العراقية لحقوق الإنسان في الدنارك- المؤتمر السادس في يناير/ كانون الثاني 2004.

- من التقارير السنوية لمنظمة (مراقبة حقوق الإنسان) التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للسنوات من 1999 إلى 2002.

موضوع نوعي أو موقف معين -فيزيقي، أو اجتماعي، أو عياني، أو مجرد- يؤدي بصاحبه إلى أن يستجيب بإسلوب تفضيلي) (Rokeach&Restle، 1960 ص 112).

ج- تعريفات منحى المكوّنات الثلاثة.

وهي من أكثر تعريفات الاتجاه قبولاً وشيوعاً، فهي تعتبر الاتجاه مفهوماً وسيطاً افتراضياً يُستخلص من أنواع الاتساق والترابط بين الاستجابات التي يقوم بها الفرد للتنبيهات المختلفة لنوع معين (عبد الله، 1989 ص 40). وهي تشير إلى وجود ثلاثة مكونات للاتجاه هي:

- 1- المكوّن المعرفي، ويشير إلى معتقدات الشخص وأفكاره عن موضوع الاتجاه.
 - 2- المكوّن الانفعالي، ويشير إلى المشاعر الوجدانية التي توجد لدى الشخص نحو موضوع الاتجاه، وهو بمثابة الجانب التقويمي للاتجاه.
 - 3- المكوّن السلوكي، ويشير إلى استعدادات أو ميول الشخص للاستجابة نحو موضوع الاتجاه، وهو بمثابة المقاصد السلوكية (النوايا السلوكية) كما يطلق عليها البعض.
- (نشواني، 1997 ص 471-472)

وينصوي تحت هذا المنحى تعريف ريتسمان و دو كس للاتجاه إذ يعرفانه (بأنه توجيه ثابت أو تنظيم مستقر للعمليات المعرفية والانفعالية والسلوكية) (Wrightsmán&Deaux، 1981 ص 316)، وكذلك تعريف جرين الذي تبناه الباحث.

1- نظرية التحليل النفسي:-

تؤكد هذه النظرية أن لاتجاهات الفرد دوراً هاماً في تكوين (الأنا) التي تمر بمراحل مختلفة من النمو، منذ الطفولة وحتى مرحلة النضج، وان اتجاه الفرد نحو الأشياء يحدده دور تلك الأشياء في خفض التوتر الناشئ عن الصراع الداخلي بين متطلبات (الأنا) الغريزية وبين المعايير والقيم الاجتماعية، إذ يتكوّن اتجاه إيجابي نحو الأشياء التي تخفض التوتر، واتجاه سلبي نحو الأشياء التي ترفع من شدة التوتر (وحيد، 2001 ص 52).

2- النظرية السلوكية:-

تؤكد هذه النظرية أن الاتجاه عبارة عن استجابة متوسطة متعلمة يمكن تكوينه وتعديله باستخدام التعزيز اللفظي، فاستخدام التعزيز اللفظي الإيجابي للمواقف الإيجابية، يؤدي إلى إمكانية حدوث استجابة سلوكية مرغوباً بها، في حين يمكن أن يؤدي استخدام التعزيز اللفظي السلبي إلى حدوث استجابة سلوكية غير مرغوباً بها، والحالتان تعبران عن معنى الاتجاه (المصدر السابق، ص 52).

3- النظرية المعرفية:-

استند أصحاب هذه النظرية (بياجيه، برونر، أوزبل) على أن الاتجاهات تتكون بالاعتماد على افتراض مفاده بان الإنسان عقلائي ومنطقي في تعامله مع الأحداث والأشياء والمعلومات، وان الفرد يمكن تحفيزه للإنصات إلى رسالة معينه والتفاعل مع محتواها، ومن خلال فهم هذا المحتوى والاعتناع به، فانه سيتمثل في سلوكياته التي يصدرها، بعبارة أخرى إن تكوين الاتجاهات تتم بالاعتماد على إعادة تنظيم معلوماته حول الأشياء (ملحم، 2002 ص 322).

4- النظرية الاجتماعية:-

يشير أصحاب هذه النظرية إلى أهمية الإيحاء في تكوين الاتجاهات، فالجماعة التي ننتمي إليها، والأشخاص الذين نثق أو نعجب بهم، سيشكلون لدينا اتجاهات عن الأشياء أو الموضوعات المختلفة من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، ومن خلال طرحهم لآرائهم وأفكارهم عن هذه الأشياء أو الموضوعات، وعليه فان هذه الاتجاهات تتكون دون نقد عقلي، ومن أمثلتها، اتجاهاتنا نحو الأسرة والدين والجار والوطن وغيرها (الزيود وآخرون، 1999 ص 116-117).

مصادر تكوين الاتجاه:

تتنوع وتتعدد المصادر التي تسهم في تكوين اتجاهات الأفراد نحو الموضوعات والأشياء المختلفة، ويمكن تحديد هذه المصادر بما يأتي:-

1- العوامل الحضارية والأديان:-

تلعب المؤثرات الحضارية والثقافية بما تشتمل عليه من عادات وتقاليده وقيم وأعراف، وتراث، واديان ولغات ... دوراً هاماً في تكوين اتجاهات الفرد وميوله، فقد بينت نتائج كثير من الدراسات التي صممت لإيجاد العلاقة بين بعض الاتجاهات والميول وبين اتجاه الفرد الديني، ومستواه الاجتماعي وميول والديه وأصدقائه، وبعض القيم الاجتماعية إلى وجود علاقة دالة بينها (عثمان، 1983 ص 70).

وتعد الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنبع من وسط حضاري وثقافي معين، بغض النظر عن كونها صحيحة أم لا، الأكثر استهواءً وتلقفاً من قبل أفرادها، والأكثر قابلية للتصديق دون نقد أو مناقشة أو تمحيص، لاسيما إذا كانت صادرة من شخصيات لها كيانها ومكانتها. ولطالما كانت هذه الآراء والأفكار والمعتقدات من المصادر الأساسية والفاعلة في تكوين اتجاهات أفراد المجتمع (عثمان، 1983 ص 70).

2- الأسرة:-

تعد الأسرة مصدر أساسي من مصادر نمو الاتجاهات وتكوينها، فهي تسهم بشكل فعّال في نمو وتكوين اتجاهات الفرد في مراحل نموّه الأولى من خلال عمليتين أساسيتين، الأولى عملية التطبيع الاجتماعي، والثانية فتمثل بالتقليد والمحاكاة والتي من خلالها يكتسب الفرد اغلب اتجاهاته، فالناشئ ضمن أسرة ما عادةً ما يقلد أنماط سلوك أشخاص فيها يعدّهم أقدر منه وأقوى، فضلاً عن أنهم يعاملونه معاملة حسنة وبالمقابل فهو يخلص لهم (فؤاد، 1967 ص 279) (فهيمي وآخرون، 1977 ص 103).

3- الخبرات:-

يقصد بالخبرات مجموعة المواقف التي يمر بها الفرد عبر حياته، والتي تؤثر فيه تأثيراً مباشراً أو غير مباشر (عثمان، 1983، ص 72). والخبرات بصورة عامة تؤثر بدرجة أو بأخرى على تكوين اتجاهات الفرد، وبحسب طبيعة المواقف التي يجربها، وهي إما أن تكون خبرة عادية أو خبرة جادة (متطرّفة)، والخبرة العادية تؤثر بنسبة متوسطة في تكوين الاتجاه، أما الخبرة الجادة أو المتطرّفة سواء كانت ايجابية أو سلبية فهي أقدر على تكوين الاتجاه الذي يتناسب مع الموقف (الجمالي، 1965 ص 65).

ويؤكد دوب أن الاتجاهات تتكون عادة من التجارب الشخصية الحادة والنادرة التي تمر عبر حياة الفرد، وكلّما كانت الخبرات باكرة كانت اشد تأثيراً في تكوين الاتجاهات، وكذلك كلّما كانت تلك الخبرات تعبر عن مواقف سارة فإنّها تكوّن لدى صاحبها اتجاهات ايجابية نحو الموقف أو المواقف المرتبطة بها والعكس صحيح (Doob، 1969 ص 166).

4- التعليم والتفاعل:-

يعد تزويد المعلومات والحقائق لمجموعة من الأفراد بطريقة مدروسة ومخطط لها من أهم مصادر تكوين الاتجاهات لديهم، وعادة ما يتم ذلك من خلال العملية التعليمية بأنواعها، والتي تركز بالأساس على الجوانب المعرفية للمتعلمين (عثمان، 1983 ص 74) وانطلاقاً من ذلك تتّول كافة المؤسسات التربوية والتعليمية كثيراً على هذه الفكرة لتحقيق أهدافها المتعلقة بغرس مجموعة اتجاهات مرغوبٍ فيها وتكوينها لديهم (كراجة، 1997 ص 81-82).

من جانب آخر ان تكوين الاتجاهات كذلك يتأثر بشكل كبير بعملية التفاعل الاجتماعي، وأن اتجاهات الأفراد لا تنمو أو تتكون بطريقة فردية، بل إن مجموعة الأصحاب والرفاق تساعد كثيراً في تكوين اتجاهات الأفراد أو تأكيدها ضمن الجماعة (Martin، 1967 ص 41).

5- وسائل الإعلام والاتصال:-

تعد وسائل الإعلام والاتصال من أهم المؤثرات على تكوين الاتجاهات وتأكيدها وتغييرها، فهي مصادر تحظى بشغف الكثير من أفراد المجتمع واهتمامهم وبكافة فئاتهم العمرية، وفي ظل ظاهرة العولمة والانفتاح على العالم الآخر، وفي ظل الكم الهائل من وسائل الإعلام والاتصال المتمثلة بالفضائيات وشبكة الاتصال العالمي (الانترنت) وغيرها، وجد الإنسان نفسه متأثراً بها بطريقة شعورية أو لا شعورية، فما يراه ويسمعه كل يوم وكل ساعة من معلومات وأفكار وأحداث وأخبار، هو أمر بطبيعة الحال سيؤثر بشكل أو بآخر على تشكيل أو تكوين أو تغيير اتجاهاته، ويتفاوت هذا التأثير بحسب مصداقية المصدر الإعلامي وبحسب مقدار ثقة الأفراد فيه وهو ما دلّت عليه نتائج الكثير من الدراسات (عمر، 2004 ص181).

طرائق قياس الاتجاهات:

توجد هناك عدة طرائق لقياس الاتجاه من أشهرها طريقة بوجاردوس، وطريقة ثرستون، وطريقة ليكرت (السيّد، 1958 ص 263-264) (حافظ وسليمان، 2000 ص 253-254).

أولاً: طريقة بوجاردوس:-

ابتدع بوجاردوس 1925 طريقة لقياس الاتجاهات، تعتمد على مفهوم المسافة أو البعد الاجتماعي Social Distance حتى أنها سمّيت بمقياس المسافة أو البعد الاجتماعي لبوجاردوس (زهرا، 1984 ص 145)، والافتراض الأساس الذي تعتمد عليه هذه الطريقة، يتمثل في أن طبيعة العلاقات والصلات بين أفراد جماعة معينة وأفراد جماعة أو جماعات أخرى يتفاوت بتفاوت الأفراد والجماعات من أقصى القبول إلى أقصى الرفض وبالتدرّج، وللكشف عن هذا التفاوت (أي المسافة أو البعد) يتم وضع مجموعة من المواقف مرتبة ومرتجة من أقصى القبول والمودة إلى أقصى النبذ والكراهية وعلى المفحوص تصنيف أفراد الجماعات الأخرى (كالقوميات، الديانات، المذاهب، الأحزاب...) في واحد أو أكثر من تلك المسافات (Sherief & Sherief، 1956 ص 518)، وعلى الرغم من فعالية هذه الطريقة في الكشف عن الاتجاهات ذات البعد الاجتماعي، إلا أن ثمة انتقادات وجّهت إليها، أهمّها إن المسافة أو البعد الاجتماعي التي يكشف عنها المقياس على وفق تدرج بدائله تكون غير متساوية قياساً بالبدايل التي قبلها أو التي بعدها (الكندري، 1992 ص 372).

ثانياً: طريقة ثرستون:-

طوّرت ثرستون طريقة لقياس الاتجاهات تتجاوز على بعض عيوب طريقة بوجاردوس، وتمثل هذه الطريقة بجمع عدد كبير من العبارات ذات الاتجاه السلبي والايجابي نحو موضوع معين، ليتم تحديد القيم الوزنية لكل عبارة منها، من خلال عرضها على لجنة من الخبراء والمحكمين، تعدّها استمارة خاصّة لهذه العبارات دون الإشارة إلى قيمها الوزنية، لتصبح جاهزة لعرضها على المفحوصين، وعند العرض يطلب منهم وضع إشارة معينة على العبارات التي يوافقون عليها، وعند تفريغ الاستجابات يتم معالجتها إحصائياً مع الأخذ بنظر الاعتبار القيم الوزنية للعبارات المختارة. عندها يتم الكشف عن الاتجاه موضوع القياس (الإمام وآخرون، 1990 ص 369). ومن أهم الانتقادات الموجهة لهذه الطريقة أنها تحتاج إلى جهد ووقت، فضلاً عن صعوبة إجراءاتها، هذا من جانب ومن جانب آخر، فالمفحوص يتحدد إما بقبول العبارة أو رفضها وليس لديه خيار آخر (الكندري، 1992 ص 365).

ثالثاً: طريقة ليكرت:-

اعتمد ليكرت في قياس الاتجاهات على عبارات ثرستون (دون الأخذ بنظر الاعتبار قيمها الوزنية) وضع أمام كل واحدة منها ميزان للاستجابة، عادةً ما تكون خماسية تمتد من أقصى القبول إلى أقصى الرفض، تتوسطها نقطة حياد، وتعطى درجات متتالية ومرتبة مع مراعاة سلبية كل عبارة منها وإيجابيتها. وعند عرض العبارات على المفحوصين يطلب منهم أن يبيّنوا موقفهم من كل واحدة منها على وفق التدرّج الموضوع أمامها، وعند تفريغ الاستجابات يتم التعامل معها إحصائياً على أساس الدرجة الكلية التي يحصل عليها المفحوص، ليتم بعدها الكشف عن الاتجاه موضوع القياس (علام، 2000 ص 541-542). ومن أهم الانتقادات الموجهة لهذه الطريقة، هي أن تساوي درجتي مفحوصين على مقياس اتجاه موضوع معين لا يعني أن اتجاههما نحو هذا الموضوع متطابق (عبد الرحمن، 1997 ص 461).

دراسات سابقة

1- دراسة بورنو وموريس 1964 Burno & Morris

قام بورنو وموريس 1964 بدراسة في مجال تغيير الاتجاهات بين البيض والسود من المجتمع الأمريكي، وقد تكوّنت عينة الدراسة من مجموعة من الشباب البيض ومجموعة من الشباب السود عددهم (100) فرداً وأعمارهم بين (22-24) سنة اشتركوا في معسكر لمدة إسبوعين، قيست اتجاهات البيض نحو السود قبل الاشتراك بالمعسكر من خلال رائر

(اختبار) مكوّن من (12) صورة تحتوي كل واحدة منها على ثمانية وجوه من الزّوج وأربعة من غيرهم، طلب من كل مفحوص أن يصنّف الوجوه حسب أفضليتها عنده، ثمّ طلب منه أن يذكر أو يشير إلى من يودّ أن يشاركه منهم في الدّهاب للسينما أو لرحلة ما. وبيّنت النتائج (قبل الاشتراك في المعسكر) أن هناك اتجاهاً سلبياً لدى المفحوصين البيض نحو زملائهم الزّوج، وقد حاول الباحث أن يغيّر هذا الاتجاه من خلال بعض البرامج والأنشطة التي أجرها في المعسكر (Burno & Morris، 1964 ص 66-72).

2- دراسة أبو النيل 1978

أجرى أبو النيل دراسة عن الفروق بين الجنسين في الاتجاه نحو شعوب العالم في ضوء المستوى الاجتماعي والاقتصادي لعينة من طلبة الجامعات المصرية، وكان من ضمن أهدافها التعرّف على اتجاهات طلبة الجامعات المصرية نحو شعوب العالم (حدّد 14 شعباً). وتمّ تحقيق هذا الهدف من خلال استخدام طريقة بوجاردوس في قياس الاتجاهات على العينة المختارة والبالغ عددها (76) طالباً و (40) طالبة. وقد بيّنت النتائج أن طلبة الجامعات المصرية أبدوا اتجاهات متباينة نحو شعوب العالم بحسب مستواهم الاجتماعي والاقتصادي، وقد امتدّت هذه الاتجاهات من أقصى التقبّل إلى أقصى الرّفص. فكانت أعلى درجات التقبّل تصب في صالح الشّعبيين الإنكليزي والسّوري، في حين كانت اقل درجات التقبّل موجهة نحو الشّعب الروماني. (أبو النيل ودسوقي، 1986 ص 280-292).

3- دراسة الكيّال 1977 :

أجرى الكيّال دراسة نفسية اجتماعية على عينة من طلبة الجامعة المستنصرية عددهم (43) طالباً وطالبة، وكان من ضمن أهداف هذه الدراسة قياس اتجاهات طلبة الجامعة نحو شعوب العالم (المفاضلة بين الشعوب) وقد استخدمت طريقة ثرستون لقياس هذا الاتجاه، حيث قدّمت للمفحوصين قائمة بأسماء الشعوب للمفاضلة بينها على شكل أزواج، ثم طلب منهم بعد ذلك أن يرتّبوا هذه الشعوب حسب الأفضلية والأهمية بالنسبة لهم، وقد قيس هذا الاتجاه مع الأخذ بنظر الاعتبار قومية المفحوصين وديانتهم ومذهبيّتهم، وبيّنت النتائج أن المفحوصين فضّلوا الشعوب التي تدين بنفس ديانة الطلبة أو بنفس مذهبهم الديني أو بنفس قوميّتهم (الكيّال، 1977 ص 217-222).

4- دراسة عثمان 1983

قام عثمان 1983 بدراسة للتعرف على أثر الأنشطة التربوية في تغيير اتجاهات الطلاب الجنوبيين نحو أقرانهم الشماليين في السودان. وكان من ضمن أهدافها التعرف على اتجاهات الطلاب الجنوبيين نحو أقرانهم الشماليين، وقد تحدّد مجتمع البحث بطلاب المدارس الثانوية

العليا في الإقليم الجنوبي في السودان والمتراوحة أعمارهم بين (17-20) سنة، حيث اختير منهم عينة ممثلة عددها (195) فرداً، طُبِّقَ عليهم مقياس الاتجاه نحو الطلاب الشماليين، أُعِدَّ على وفق طريقة ليكرت، وبيّنت النتائج أن هناك اتجاهاً سلبياً متوسط الشدة لدى طلاب المناطق الجنوبية نحو طلاب الناطق الشمالية في السودان. وقد وضع الباحث برنامجاً إرشادياً توجيهياً حاول من خلاله تغيير هذا الاتجاه (عثمان 1983).

منهجية البحث

1- تحديد مجتمع البحث:-

أشتمل مجتمع البحث على طلبة جامعة بغداد بكلّيّاتها المختلفة وللمراحل المنتهية⁴ البالغ عددهم (9028) طالباً وطالبة، يتوزعون على التخصصين العلمي والإنساني بواقع (4100) طالباً وطالبة للتخصص العلمي ونسبة (45%) للمجتمع الأصلي، و(4928) طالباً وطالبة للتخصص الإنساني ونسبة (55%) للمجتمع الأصلي. وقد توزع مجتمع البحث حسب متغير الجنس (ذكور، إناث) بواقع (4664) طالباً و (4364) طالبة وبنسب (52%) و (48%) للمجتمع الأصلي على التوالي.

2- عينة البحث:-

اختيرت عينة ممثلة من المجتمع الإحصائي للبحث الحالي ونسبة (44%) له بالإسلوب المرحلي العشوائي، ليشكل عددها (400) طالباً وطالبة يتوزعون على الاختصاصين العلمي والإنساني وحسب الجنس كما في الجدول 1-.

جدول 1- عينة البحث موزعة حسب التخصص والجنس

جنس	تخصص		إنساني		علمي	
	%	مجموع	%	مجموع	%	مجموع
ذكور	25	108	27	208	25	100
إناث	20	112	28	192	20	80
مجموع	45	220	55	400	45	180

3- أداة البحث:-

تتعدد طرق قياس الاتجاهات وأدواتها بحسب كل من طبيعة المجتمع وطبيعة موضوع الاتجاه المقاس (عبد الهادي، 2001 ص 82-83)، وغالباً ما تستخدم طريقتا ليكرت وثرستون عند قياس الاتجاهات نحو الموضوعات أو الأشياء أو الأشخاص ... فيتم بناء مقاييس للاتجاهات على أساسها. غير أن هاتين الطريقتين رغم موضوعيتهما ودقتهما في

*4 انظر حدود البحث

قياس الاتجاهات، يصعب اعتمادهما أو استخدامهما عند قياس الاتجاه نحو الشعوب، أو ما يطلق عليه قياس البعد الاجتماعي (المسافة الاجتماعية)، وفي مثل هذه الحالات يتم استخدام طريقة بوجاردوس لقياس الاتجاه، والتي أعدت أساساً لتحقيق هذا الغرض، حسب ما أوصت بعض الدراسات السابقة، كما ورد في دراسة أبو النيل 1978، لذا عمد الباحث إلى اعتماد هذه الطريقة في قياس اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم، بالإضافة للاعتبارات التالية:-

1-إنها الطريقة الأجدى نفعاً لقياس مثل هذا النوع من الاتجاهات (Sherief & Sherief 1956 ص 518).

2- استخدمت في دراسات سابقة مشابهة.

3- سهولة إجراءاتها من حيث الإعداد والتطبيق وتفرغ الاستجابات (أبو النيل ودسوقي، 1986 ص 283-282).

4- تمتاز بصدقها في الكشف عما وضعت لأجله، وفي ثباتها النسبي في الكشف عن تباينات المفحوصين في الاستجابة.

وتعتمد طريقة بوجاردوس في قياس الاتجاهات بالأساس على نوع بدائل الإجابة المقرونة مع موضوع القياس والممتدة بالتدرج من أقصى القبول إلى أقصى الرفض، وعادة ما يكون عدد هذه البدائل سبعة، على المفحوص اختيار احدها عند الإجابة، وفي حالة وجود أكثر من موضوع للاتجاه (كما في البحث الحالي) فإنها- أي البدائل - تقرن مع كل موضوع للاتجاه (مع كل شعب) وما على المفحوص إلا أن يختار بديلاً واحداً للإجابة لكل موضوع، وبدائل الإجابة لطريقة بوجاردوس عادةً ما تكون على الشكل الآتي:-

* أتزوج منهم.

* أصادقهم.

* أجاورهم في السكن.

* أزالهم في العمل أو الدراسة.

* أقبلهم كمواطنين في بلدي.

* أقبلهم كزائرين لبلدي

* أستبعدهم من بلدي.

وعليه فإن أداة البحث الحالي عبارة عن تعليمات للإجابة وسبعة بدائل لها (الواردة في أعلاه) مقرونة ب (16) شعباً يُطلب من المفحوص أن يحدد اتجاهه عن كل واحدٍ منها.

تحديد شعوب العالم التي ضمتها أداة البحث:

تم تحديد شعوب العالم المراد معرفة اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحوها، على وفق مجموعة اعتبارات، ليصبح عددها (16) شعباً ضمتها أداة البحث، والاعتبارات هي:-

- 1- أن تضم الشعوب ذات الثقل والوزن الحضاري.
- 2- أن تضم شعوباً مجاورة للعراق حدودياً.
- 3- أن تضم شعوباً عربية وإسلامية غير مجاورة للعراق.
- 4- أن تضم شعوباً مشابهة في ظروفها لوضع العراق الراهن.
- 5- أن تضم شعوباً تمثل معظم قارات العالم.
- 6- أن تضم شعوباً أظهرتها نتائج دراسة استطلاعية أجريت على عينة من مجتمع البحث بلغ عددها (25) طالباً و(25) طالبةً اختيرت عشوائياً من أحد كليات جامعة بغداد (كلية التربية-ابن رشد)، ووجه إليهم سؤالاً مفتوحاً يطلب منهم ذكر مجموعة من شعوب العالم يعرفونها ويرون أنها مقبولة أو مرفوضة من قبلهم.

صدق أداة البحث وثباتها:

على الرغم من الانتقادات الموجهة لطريقة بوجاردوس في الكشف عن الاتجاهات، إلا أن مصممها بوجاردوس يعتبرها صادقةً في المحتوى وفي الكشف عما وضعت لأجله، ومصداقيتها تكمن في طبيعة بدائل الإجابة ومدى تدرجها من أقصى القبول إلى أقصى الرفض، حيث يعطي ذلك حرية أكثر للمفحوص في إبداء رأيه، كما ويضمن هذا التدرج والمدى إمكانية الكشف عن التباينات بين أفراد المجتمع في امتلاكهم للخاصية المقاسة (الاتجاه). وهذا مؤشر على ثبات الأداة والدقة في الكشف عن تباين المفحوصين يُعبر عن ثبات الأداة (علام، 2000 ص 131).

4- تطبيق أداة البحث وتفريغ الاستجابات:-

طبقت أداة البحث على عينة البحث المختارة، وقد روعي عند إجراءات التطبيق ضرورة عدم استعانة المفحوصين بأراء بعضهم البعض أو بتداخلات الآخرين. ومن ثم فرغت استجابات الطلبة المشمولين بالدراسة في جداول معدة لذلك وبحسب أهداف البحث والجداول تحمل أرقام (2، 3، 4، 5، 6، 7).

جدول -2- اتجاهات الرّفص نحو شعوب العالم لعينة البحث حسب التكرار والنسبة المئوية والرتبة

الرتبة	النسبة المئوية	تكرار الرّفص	الشعوب
1	63٪	252	الفلسطيني
2	47٪	188	الأفغاني
3	41٪	164	السعودي
4	40٪	160	السوري
5	36٪	144	الكويتي
6	32٪	128	المصري
7.5	28٪	112	الأمريكي
7.5	28٪	112	الأردني
9	22٪	88	الليبي
10	20٪	80	الإيراني
11	16٪	64	الكوبي
12	9٪	36	الإنكليزي
13	5٪	20	التركي
14	4٪	16	الروسي
15	3٪	12	الفرنسي
16	1٪	4	الياباني

جدول -3- اتجاهات التقبّل نحو شعوب العالم لعينة البحث حسب التكرار والنسبة المئوية والرتبة

الرتبة	النسبة المئوية	تكرار التقبّل	الشعوب
1	23٪	92	الفرنسي
2	22٪	88	التركي
3	19٪	76	الإنكليزي
4	18٪	72	الروسي
5	14٪	56	الياباني

6	8%	32	الإيراني
8	5%	20	الأمريكي
8	5%	20	الكويتي
8	5%	20	السوري
10	3%	12	الأردني
11.5	2%	8	الليبي
11.5	2%	8	السعودي
14.5	صفر	صفر	الكويتي
14.5	صفر	صفر	المصري
14.5	صفر	صفر	الأفغاني
14.5	صفر	صفر	الفلسطيني

جدول 4- الفروق في اتجاهات الرفض نحو شعوب العالم بين الذكور والإناث من عينة البحث

الدلالة الإحصائية	مربع كاي	الإناث		الذكور		الجنس الشعب
		%	ك رفض	%	ك رفض	
دال*إناث	5.04	25.5	49	15.3	32	الإيراني
دال**إناث	8.73	31.3	60	16.8	35	الأردني
دال***إناث	9.11	7.8	15	1.4	3	التركي
غير دال	0.13	3.9	75	41.3	86	السوري
غير دال	1.19	32.6	63	39.4	82	الكويتي
دال*ذكور	5.41	32.6	63	47.5	99	السعودي
دال***ذكور	14.42	46.8	90	76.9	160	الفلسطيني
دال***ذكور	12.29	21.8	42	41.8	87	المصري
دال*إناث	5.31	34.8	67	22.5	47	الأمريكي
غير دال	0.02	4.1	8	3.8	8	الروسي
دال***إناث	11.83	5.7	11	صفر	صفر	الفرنسي
دال***إناث	11.25	14.5	28	4.3	9	الإنكليزي
غير دال	0.009	46.8	90	47.5	99	الأفغاني
غير دال	3.06	1707	34	25.9	54	الليبي
غير دال	0.53	1	2	109	4	الياباني
غير دال	2.98	1109	23	18.7	39	الكويتي

جدول -5- الفروق في اتجاهات التقبل نحو شعوب العالم بين الذكور والإناث من عينة البحث

الدلالة الإحصائية	مربع كاي	الإناث		الذكور		الجنس / الشعب
		%	ك تقبل	%	ك تقبل	
دال***ذكور	24.96	0.5	1	14.4	30	الإيراني
دال***ذكور	10.22	صفر	صفر	5.2	11	الأردني
دال***ذكور	11.49	1305	26	29.3	61	التركي
دال***ذكور	18.46	صفر	صفر	9.6	20	السوري
غير دال	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	الكويتي
دال*ذكور	6.61	صفر	صفر	3.3	7	السعودي
غير دال	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	الفلسطيني
غير دال	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	المصري
دال***ذكور	18.46	صفر	صفر	9.6	20	الأمريكي
دال***ذكور	64.61	صفر	صفر	33.6	70	الروسي
دال***ذكور	85.07	صفر	صفر	44.2	92	الفرنسي
دال***ذكور	68.23	صفر	صفر	35.6	74	الإنكليزي
غير دال	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	الأفغاني
دال***ذكور	7.23	صفر	صفر	3.8	8	الليبي
دال***ذكور	50.14	صفر	صفر	25.9	54	الياباني
دال***ذكور	18.46	صفر	صفر	9.6	20	الكوبي

جدول -6- الفروق في اتجاهات الرفض نحو شعوب العالم بين طلبة التخصصين العلمي والإنساني من عينة البحث

الدلالة الإحصائية	مربع كاي	الإناث		الذكور		الجنس / الشعب
		%	ك رفض	%	ك رفض	
غير دال	2.87	16.8	37	24.4	44	الإيراني
غير دال	1.8	25	55	32.2	58	الأردني
غير دال	0.002	4.5	10	4.4	8	التركي
دال*علمي	3.92	34.5	76	47.2	85	السوري
دال***علمي	15.69	25.4	56	49.4	89	الكويتي
دال***علمي	21.11	27.2	60	56.6	102	السعودي
غير دال	2.51	56.8	125	69.4	125	الفلسطيني

المصري	91	50.5	38	17.2	34.1	دال***علمي
الأمريكي	62	34.4	52	23.6	4.05	دال*علمي
الروسي	3	1.6	13	5.9	4.45	دال*إنساني
الفرنسي	صفر	صفر	11	5	9.16	دال**إنساني
الإنكليزي	10	5.5	27	12.2	4.75	دال*إنساني
الأفغاني	119	66.1	70	31.8	24.71	دال***علمي
الليبي	40	22.2	48	21.8	0.007	غير دال
الياباني	4	2.2	2	0.9	1.13	غير دال
الكوبي	22	12.2	40	18.1	2.33	غير دال

جدول -7- الفروق في اتجاهات التقبل نحو شعوب العالم بين طلبة التخصصين العلمي والإنساني من عينة البحث

الدلالة الإحصائية	مربع كاي	الإناث		الذكور		الجنس الشعب
		%	ك تقبل	%	ك تقبل	
غير دال	2.87	9.09	20	6.11	11	الإيراني
غير دال	صفر	2.7	6	2.7	5	الأردني
دال**علمي	6.69	16.3	36	28.3	51	التركي
دال**علمي	7.27	2.2	5	8.3	15	السوري
غير دال	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	الكويتي
دال*إنساني	5.25	3.1	7	صفر	صفر	السعودي
غير دال	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	الفلسطيني
غير دال	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	المصري
غير دال	0.2	4.5	10	5.5	10	الأمريكي
دال***علمي	19.74	9	20	27.7	50	الروسي
دال***علمي	15.18	14.5	32	33.3	60	الفرنسي
دال***علمي	25.7	8.6	19	30.5	55	الإنكليزي
غير دال	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	الأفغاني
دال*إنساني	6.54	3.6	8	صفر	صفر	الليبي
غير دال	2.42	10.9	24	16.6	30	الباباني
غير دال	0.2	4.5	10	5.5	10	الكوبي

تشير العلامة(*) إلى مستوى دلالة(0.05)

العلامة(**) إلى مستوى دلالة(0.01)

العلامة(***) إلى مستوى دلالة(0.001)

نتائج البحث:

أولاً: تحقيق الهدف الأول :-

يوضح الجدول 2- اتجاهات الرّفص لطلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم، ويلاحظ إن اتجاهات الرّفص هذه نالت على تكرارات مرتفعة بالمقارنة مع تكرارات التقبّل، فقد كانت أعلى تكرارات الرّفص موجهة نحو الشعب الفلسطيني بنسبة (63%) من مجموع هذه التكرارات لينال على مرتبة الرّفص الأولى، تلاه الشعب الأفغاني بالمرتبة الثانية وبنسبة رفض مقدارها (47%) من مجموع تكرارات الرّفص، وجاء بالمرتبة الثالثة الشعب السعودي، فالشعب السوري بالمرتبة الرابعة، فالكويتي وهكذا وصولاً إلى الرتبة السادسة التي نال عليها الشعب المصري، تلاه الشعبان الأمريكي والأردني اللذان اشتركا بالرتبة (7.5) وبنسبة رفض مقدارها (28%) من مجموع تكرارات الرّفص، أما إذا انتقلنا إلى الشعوب الأقل رفضاً من طلبة جامعة بغداد، فقد كان الشعب الياباني هو الأوفر حظاً فلم ينل سوى أربعة تكرارات من مجموع تكرارات الرّفص بنسبة مقدارها (1%) وقد جاء في المرتبة الأخيرة في تسلسل الرّفص، سبقه الشعب الفرنسي بالمرتبة الخامسة عشر بنسبة رفض مقدارها (3%) من مجموع تكرارات الرّفص، سبقه الشعب التركي للإنكليزي

وعند انتقالنا إلى الجدول رقم 3- تتضح لدينا اتجاهات التقبّل لطلبة جامعة بغداد نحو شعوب العالم، والتي كانت عموماً متدنية، فلم تتعدّ أعلى نسبة للتقبّل أُل (23%) من مجموع تكرارات التقبّل، والتي كانت من نصيب الشعب الفرنسي لينال المرتبة الأولى من حيث التقبّل، تلاه الشعب التركي بالمرتبة الثانية بنسبة قبول مقدارها (22%) من مجموع تكرارات التقبّل، فالشعب الإنكليزي بالمرتبة الثالثة فالشعب الروسي فالياباني ... هكذا، أما إذا انتقلنا إلى الشعوب التي نالت المراتب الأخيرة للتقبّل فلم تكن هناك أي تكرارات للتقبّل لها، وهو أمر يستدعي التساؤل، حيث اشتركت أربعة شعوب بالرتبة (14.5) وهي الأخيرة وبنسبة (صفر%) من مجموع تكرارات التقبّل و هي الشعب الكويتي والشعب المصري والشعب الأفغاني والشعب الفلسطيني، سبقها الشعيين السعودي والليبي بنسبة تقبل مقدارها (2%) من تكرارات التقبّل لينالا على الرتبة (11.5) هي قبل الأخيرة، في حين اشترك ثلاثة شعوب بنسب تقبل متدنية أيضاً وبمرتبة متوسطة من التقبّل لم تتجاوز نسبتها أُل (5%) من تكرارات التقبّل، وهم الشعب الأمريكي والكويبي والسوري.

ثانياً: تحقيق الهدف الثاني :-

يوضح الجدولان (4، 5) على التوالي الفروق ذات الدلالة الإحصائية في اتجاهات (الرّفص، التقبّل) نحو شعوب العالم بين (الذكور والإناث) في طلبة جامعة بغداد. حيث

بيّنت نتائج اختبار مربع كاي وجود فروق دالة إحصائية في اتجاهات الرفض نحو كل من الشعب (الإيراني، الأردني، التركي، الأمريكي، الفرنسي، الإنكليزي) لصالح الإناث، في حين كانت هناك فروق في اتجاهات الرفض لصالح الذكور موجهة نحو كل من الشعب (الفلسطيني، السعودي، المصري)، ولم تكن هناك فروق دالة إحصائية في اتجاهات الرفض لبقية الشعوب الأخرى.

أما بالنسبة للفروق في اتجاهات التقبل فقد كانت هناك فروقاً دالة إحصائية لصالح الذكور في معظمها، موجهة نحو كل من الشعب (الإيراني، الأردني، التركي، السوري، السعودي، الأمريكي، الروسي، الفرنسي، الإنكليزي، الليبي، الياباني، الكوبي) في حين لم تكن هناك فروق دالة إحصائية في اتجاهات التقبل للشعوب الباقية.

ثالثاً: تحقيق الهدف الثالث:-

يوضح الجدولان رقم (6، 7) على التوالي الفروق ذات الدلالة الإحصائية في اتجاهات (الرفض، التقبل) نحو شعوب العالم بين طلبة التخصصين (العلمي، الإنساني) في جامعة بغداد. حيث بيّنت نتائج اختبار مربع كاي وجود فروق دالة إحصائية في اتجاهات الرفض نحو كل من الشعب (السوري، الكويتي، السعودي، المصري، الأمريكي، الأفغاني) لصالح طلبة التخصص العلمي. في حين كانت هناك فروق في اتجاهات الرفض لصالح طلبة التخصص الإنساني موجهة نحو كل من الشعب (الروسي، الفرنسي، الإنكليزي).

أما بالنسبة للفروق في اتجاهات التقبل فقد كانت هناك فروق دالة إحصائية لصالح طلبة التخصص العلمي موجهة نحو كل من الشعب (التركي، السوري، الروسي، الفرنسي، الإنكليزي)، بينما كانت هناك فروق دالة إحصائية في اتجاهات التقبل لصالح طلبة التخصص الإنساني موجهة نحو كل من الشعب (السعودي، الليبي). ولم تكن هناك فروق دالة إحصائية في اتجاهات التقبل للشعوب الباقية.

مناقشة النتائج:

بيّنت نتائج البحث الحالي أن اتجاه الرفض نحو شعوب العالم، كانت الطابع المميز لاتجاهات طلبة الجامعة، وهو أمر يستدعي دراسةً بحدّ ذاته، ولعلّ ذلك يُعزى لعدّة أسباب أهمها الظرف الراهن الذي يمر به الشعب العراقي، ومعاناته المستمرة، فضلاً عن مواقف دول العالم بصورة عامة والدول العربية والإسلامية بصورة خاصة وسياساتها اتجاهه، كما ولا يفوتنا أن نضع في عين الاعتبار تركّات وترسبات الحروب التي خاضها العراق مع دول الجوار وغيرها، بالإضافة إلى آثار وتداعيات الحصار الذي فرض عليه، وكذلك سياسة

الانغلاق والتعتيم الإعلامي التي اتبعتها الحكومة السابقة مع شعبيها، وبالطبع هناك أسباب أخرى كثيرة، ومما يستدعي الانتباه والتساؤل إن حصّة الأسد من نسب الرفض المرتفعة كانت من نصيب الدول العربية، وهذا ما اختلف مع نتائج بعض الدراسات السابقة مثل دراسة الكيال 1977 التي ترى أن اتجاهات التقبل والرفض نحو الشعوب تكون تبعا للقومية والديانة والمذهبية، أي كلما تشابهت القوميات أو الديانات أو المذاهب كلما ازدادت نسب التقبل والعكس صحيح.

أما إذا انتقلنا إلى الشعوب التي نالت على نسب أعلى من غيرها في اتجاهات التقبل، نلاحظ أنها من الشعوب التي امتازت باحترامها لحقوق الإنسان، وللعلم والعمل، فضلا عن أنها منتجة، وهو أمر قد يوضح مدى تعطّش الشعب العراقي إلى ذلك.

أما بالنسبة للفروق في اتجاهات طلبة جامعة بغداد تبعا للجنس أو التخصص، فقد بينت النتائج وجود فروق دالة إحصائية في اتجاهات التقبل لصالح الذكور وفي اتجاهات الرفض لصالح الإناث، وهو أمر قد يعزى إلى طبيعة المجتمع العراقي كونه شرقياً محافظاً، في حين كانت هناك فروق دالة إحصائية ومتباينة في اتجاهات الرفض التقبل نحو شعوب العالم تبعا لمتغير التخصص (علمي، إنساني).

التوصيات:

- 1- تركيز الجامعات العراقية من خلال برامجها ومناهجها وأنشطتها على أهمية التقارب بين شعوب العالم، وعلى ضرورة الانفتاح على حضارات العالم الآخر وثقافته.
- 2- العمل على تنمية الاتجاهات الايجابية نحو شعوب العالم المختلفة للطالب الجامعي ولغيره من خلال وسائل الإعلام والمحافل الثقافية والملتقيات والندوات وغيرها.
- 3- التركيز على عملية التبادل الثقافي بين الجامعات العراقية والجامعات الأجنبية.

المقترحات:

- 1- إجراء دراسة مشابهة على جامعات عراقية أخرى في مناطق جغرافية متنوعة. وعلى شرائح مختلفة من المجتمع العراقي.
- 2- إجراء دراسة للتعرف على الأسباب الكامنة وراء اتجاهات الرفض السائدة عند طلبة جامعة بغداد لشعوب العالم بصورة عامة والشعوب العربية والمجاورة بصورة خاصة.
- 3- إجراء دراسة عن الفروق في اتجاهات طلبة الجامعات العراقية نحو شعوب العالم تبعا لمتغيرات مثل (الديانة، المذهب، القومية، المستوى الثقافي، المستوى الاجتماعي).

المصدر العربية:

- القرآن الكريم.
- أبو النيل، محمود السيد، ودسوقي، انشراح محمد(1986) علم النفس الفارق دراسات عربية وعالمية، دار النهضة العربية، بيروت.
- أبو هيف، على صادق(1965) القانون الدولي العام، منشأة المعارف الإسكندرية، ط6، مصر.
- إسماعيل، محمد عماد الدين، وآخرون(1974) كيف نربي أطفالنا، القاهرة دار النهضة العربية.
- الإمام، محمد مصطفى، وآخرون(1990) التقويم والقياس، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد.
- الجرف، طعيمة(1978) نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة.
- الجمالي، حافظ(1965) علم النفس الاجتماعي، مطبعة دمشق، دمشق.
- حافظ، نبيل عبد الفتاح، وسليمان، عبد الرحمن(2000) علم النفس الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- حلمي، منيرة أحمد(1978) التفاعل الاجتماعي، مكتبة الأنجلو، القاهرة.
- الزيود، نادر فهمي وآخرون(1999) التعلم والتعليم الصفي، دار الفكر، ط4، عمان، الأردن.
- زهران، حامد عبد السلام(1984) علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، ط5، القاهرة.
- سوسة، احمد(1979) حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، وزارة الإعلام، دائرة العلاقات العامة، بغداد، العراق.
- سوسة، احمد(1980) حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، العراق.
- سوييف، مصطفى(1983) مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- السيد، عبد الحليم محمود(1987) علم النفس الاجتماعي والإعلام، دار الثقافة، القاهرة.
- شلبي، إبراهيم(1986) مبادئ القانون العام، الدار الجامعية، بيروت.
- عبد الرحمن، سعد(1997) القياس النفسي، مكتبة الفلاح، ط2، الكويت.
- عبد الله، معتز سيد(1989) الاتجاهات التعصبية، مجلة عالم المعرفة، العدد 137، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.
- عبد الهادي، نبيل(2001) القياس والتقويم التربوي واستخدامه في مجال التدريس الصفي، دار وائل، ط2، عمان، الأردن.
- عبيدان، يوسف محمد(1990) دراسات علم السياسة، جامعة قطر، ط1، قطر.
- عثمان، إبراهيم بخيت(1983) اثر المناشط التربوية في تفسير اتجاهات الطلاب الجنوبيين نحو أقرانهم الشماليين في السودان، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس.

- علاّم، صلاح الدين محمود(2000) القياس والتقويم التربوي والنفسي، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة.
- عمر، السيد احمد مصطفى(2004)، الشائعات في عصر المعلومات: دراسة تحليلية نقدية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم التربوية والإنسانية، المجلد الأول، العدد الأول.
- فهمي، مصطفى، والقطان، محمد علي(1977) علم النفس الاجتماعي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- فؤاد، عبد اللطيف(1967) المناهج أسسها وتنظيمها، مكتبة الأنجلو، القاهرة.
- كراجة، عبد القادر(1977) القياس والتقويم في علم النفس رؤية جديدة، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن.
- الكندري، احمد محمد(1992) علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصرة، مكتبة الفلاح، ط1، الكويت.
- الكيال، دحام(1977) دراسات في علم النفس، مكتبة الشرق الجديد، ط3، بغداد.
- ملحم، سامي محمد(2002) القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، دار المسرة، ط2، عمان، الأردن.
- نشواني، عبد المجيد(1997) علم النفس التربوي، مؤسسة الرسالة، ط9، بيروت.
- وحيد، احمد عبد اللطيف(2001) علم النفس الاجتماعي، دار المسرة، ط1، عمان، الأردن.

المصادر الأجنبية:

- Burno & Morris (1964) Social Change and Prejudice, The Free Press, N. Y.
- Doob, L.W.(1969) Psychological Aspect of Acculturation in Handbook of Social Psychology, Addison Wesley Publishing.
- Festinger L. & Shachter (1950) Social Pressure in Formal Groups, Harper.
- Good, Carter V. (1973) Dictionary of Education, 3rd ed., Mc Graw-hill Com., New York.
- Isnko, G.A. (1967) Theories of Attitudes Change, N.Y.: Meredith Publishing Co.
- Janis (1943) Attitudes Formation in Student Community.
- Krech, D. & Crutchfield, R.S. (1948) Theory and Problems of Social Psychology, Bombay: TATA. Mc Graw-Hill Publishing Co., PVT. LTD.
- Martin, F. (1967) Reading in Attitude Theory and Measurement, John Wley and Sons.
- Morris, Ginsbery (1949) Sociology, Oxford.
- Rokeach, M. & Restle, F. (1960)"A Fundamental Distinction Between Open and Closed Systems" in M. Rokeach, ed., The Open and Closed Kind, New York: Basic Books, Inc, pp.55-70.

- Sara, Kiesler (1978) Interpersonal Process in Groups and Organization, AHM Publishing Corporation.
- Sears, D.et al. (1985) Social Psychology, 5 th ed., London: Prentice-hall, Inc.
- Sherief & Sherief (1956) an Outline of Social Psychology, Harper & Brothers.
- Wrightsman, L.S. & Deaux (1981) Social Psychology in the 80s, 3ed, California: Brooks Cole Publishing Company.

استراتيجيات مواجهة الضغط المهني لدى الممرضين العاملين في مصالحي معالجة السرطان

The strategies used by nurses working in cancer treatment services to face Professional pressure

تواقي صليحة

باحثة دكتوراه / جامعة الجزائر 2

ملخص

تعتبر الضغوط المهنية من بين المشكلات النفسية الاجتماعية الأساسية التي يعاني منها الأفراد والمؤسسات على حد سواء، بحيث تؤثر سلبا على صحة الفرد وانجازته المهني وكذا السير الحسن للمؤسسة.

والعاملون في المؤسسات الاستشفائية ليسوا في منأى عن هذه الظاهرة، لاسيما الممرضون العاملون بمصالح معالجة السرطان الذين يتعاملون يوميا مع معاناة المرضى التي كثيرا ما تنتهي بالموت، فضلا عن ضغوط الظروف المهنية الصعبة المعاشة في مكان العمل.

سلط هذا البحث الضوء على مختلف الاستراتيجيات المستعملة من طرف العاملين بالتمريض في مصالحي معالجة السرطان من خلال توزيع استبيان على أفراد العينة العاملة ببعض المؤسسات الاستشفائية لجمع معطيات حول الضغط المهني في ضوء المتغيرات الفردية التالية: الجنس، السن، الخبرة المهنية والحالة المدنية.

الكلمات الدالة: الضغط المهني، استراتيجيات المواجهة، التمريض.

Abstract:

The professional pressures are considered as one of the psychosocial problems that individuals and institutions suffer from, which adversely affects the health of the individual and his professional achievements, as well as to the welfare of the institution.

Workers at the hospital institutions are not immune to this phenomenon, especially nurses working in oncology services (Cancer Treatment Services) who work under professional conditions that are often difficult and stressful, dealing with the daily suffering of the patients, which often ends in death.

This research shed light on the various strategies used by nurses in the oncology services through the distribution of a questionnaire to the members of the working sample at some hospital institutions to collect

data on the professional pressure in light of the following individual variables: Gender, age, professional experience and marital status.

Keywords: Occupational stress, Coping strategies, Nursing.

مقدمة

تعتبر الضغوط النفسية من المشكلات التي ارتبطت بالحياة المعاصرة، التي تشهد تغيرات وتحولات اجتماعية واقتصادية ومهنية... الخ، والتي تحتم على المجتمعات التكيف مع مختلف متطلباتها.

وتعدّ الضغوط المهنية من المواضيع التي لقيت ولا تزال تلقى اهتماما متزايدا من الباحثين في مجالات عديدة، لما لها من آثار نفسية وبدنية ضارة، وانعكاسات سلبية وأدائها فيعمل على سلوك الافراد واتجاهاتها، وعلى أداء المنظمات بشكل عام.

حيث كشفت منظمة العمل الدولية التابعة للأمم المتحدة، والمعنية بشؤون العمل والعمال نتائج بحوثها المستمدة من معطيات مجموعة من الدراسات الإحصائية والعلمية المتعلقة بالموضوع أجرتها على خمس دول صناعية، إذ تبين أن نحو (10%) من البالغين يصابون بفعل ظروف العمل الضاغطة بأنواع من الإحباط المؤدية للكآبة كل عام. وتذكر الدراسة أن خسارة ألمانيا من المشاكل الصحية ذات الطبيعة النفسية والعقلية تقدر بنحو (2.2) مليار دولار في العام، وفي بريطانيا يعاني (30%) من قوة العمل من شكل من أشكال الضغط النفسي أو الإحباط. وفي بولندا زاد القلق من الضغط المهني والخوف من فقدان الوظيفة بنسبة (50%) خلال الفترة من 1997 إلى 1999 م. وفي فنلندا تضيع أكثر من 30 ألف ساعة عمل كل عام بسبب حالات الانتحار الناتجة عن ظروف العمل السيئة⁽¹⁾.

يعد مجال الصحة من المجالات التي يعاني فيها العاملون من الضغوط والتوترات التي تترك آثارها النفسية والاجتماعية على الفرد. ذلك أنه كثيرا ما يواجه العاملون في قطاع الصحة مواقف وظروف عديدة يتعرضون خلالها لحالات من الاضطراب والقلق والإحباط والغضب، الأمر الذي يؤثر على حالتهم الصحية والنفسية، وينعكس سلبا على مستويات أدائهم في العمل.

والمستبعلمهنة الممرض يلاحظ أن له دورا هاما في المنظومة الصحية، وكذا في إنجاح العملية العلاجية، فهو الوسيط بين البرنامج العلاجي المسطر من طرف الطاقم الطبي والمرضى.

وتؤكد بعض الدراسات أن الممرضين من أكثر المهنيين تعرضا للضغوط النفسية، نظرا لما تتضمنه مهنة التمريض من مواقف مفاجئة، وشعور بالمسئولية نحو المرضى، وأعباء العمل الزائدة⁽²⁾.

ويعتبر التعامل والعيش مع أفراد يعانون من السرطان تجربة مؤلمة ينجم عنها عدم الاستقرار السيكولوجي، الذي يتطلب الاهتمام والدعم سواء للمرضى أو للأولياء أو المهنيين في الطب والتمريض حتى يقع تجنب الآثار المعيقة. وتظهر انعكاسات هذا الضغط من خلال مؤشرات كالعطل المرضية المتكررة، الملل، السلبية، الرغبة في تغيير المصلحة... إلخ. حيث كشفت بعض الدراسات أن المعدلات العالية من الضغط الانفعالي وانخفاض مستوى الإنجاز الشخصي تمثلاً أكبر مصدر ضاغط، ويتفق هذا مع أفضت إليه نتائج دراسة لعمارة سنة 2003⁽³⁾. حول اضطرابات الضغط والاكئاب بين طاقم التمريض، أن نسبة الإصابة بالاضطرابات العقلية وصلت إلى 78٪ من أفراد العينة (مثل الاكئاب، الضغط، والأرق... إلخ). Alpha

ويعتبر هذا البحث إضافة علمية جديدة على مستوى الصحة العمومية في المؤسسات الاستشفائية في الجزائر، حيث تسعى الباحثة من خلاله الكشف عن المصادر المهنية الضاغطة والاستراتيجيات المستعملة لمواجهةها من طرف المهنيين.

أولاً: الجانب النظري

1- مشكلة البحث

باعتبار الضغط المهني مشكلة من المشكلات النفسية الاجتماعية الأساسية التي يعاني منه الأفراد والمؤسسات على حد سواء، بحيث تؤثر سلباً على صحة الفرد وإنجازه المهني وكذا السير الحسن للمؤسسة، فالعاملون في المؤسسات الاستشفائية ليسوا في منأى عن هذه الظاهرة، لاسيما الممرضون العاملون بمصالح معالجة السرطان الذين يتعاملون يومياً مع معاناة المرضى، التي كثيراً ما تنتهي بالموت، فضلاً عن ضغوط الظروف المهنية الصعبة المعاشة في مكان العمل، لذا توجب الوقوف على التنظيم الشخصي والدينامي لديهم لأجل تحديد الطرق المستعملة من طرفهم لمواجهة هذه الضغوط المهنية.

وينطلق هذا البحث من تساؤل رئيسي عام مفاده، ماهي الاستراتيجيات التي يستخدمها الممرضون العاملون في مصالح معالجة السرطان لمواجهة الضغط المهني باختلاف مصادره في ضوء متغيرات الخلفية الفردية للممرض كالسن، الجنس، سنوات الخبرة المهنية والحالة المدنية؟

وينبثق عن التساؤل الرئيسي تساؤلات فرعية أهمها:

1- ما مستوى الضغط المهني الذي يعاني منه الممرضون العاملون في مصالح معالجة السرطان؟

2- ما هي أهم مصادر الضغط المهني لدى الممرضين العاملين في مصالح معالجة السرطان؟

- 3- هل توجد فروق دالة إحصائية في مصادر الضغط المهني لدى المرضين العاملين في مصالغ معالجة السرطان تعزى لمتغير السن، الجنس، الأقدمية المهنية والحالة المدنية؟
- 4- ما هي الاستراتيجيات الأكثر استعمالا من طرف المرضين العاملين في مصالغ معالجة السرطان لمواجهة الضغط المهني؟
- 5- هل توجد فروق دالة إحصائية في استراتيجيات مواجهة لدى أفراد العينة تعزى لمتغير السن، الجنس، الأقدمية المهنية والحالة المدنية؟

2- فرضيات البحث

يسعى هذا البحث للتأكد من الفرضيات الآتية:

- 1- يعاني المرضون العاملون بمصالغ معالجة السرطان من مستوى ضغط مرتفع.
- 2- أن أهم مصادر الضغط المهني لدى المرضين العاملين في مصالغ معالجة السرطان هي عبء المهام وظروف العمل السيئة.
- 3- لا توجد فروق دالة إحصائية في مصادر الضغوط المهنية لدى المرضين العاملين في مصالغ معالجة السرطان تعزى لمتغير السن، الجنس، الأقدمية المهنية، الحالة المدنية.
- 4- يستعمل المرضون بصورة أكثر استراتيجية طلب الدعم الاجتماعي واستراتيجية تجنب المشكل لمواجهة الضغوط المهنية في مصالغ معالجة السرطان.
- 5- لا توجد فروق دالة إحصائية في استراتيجيات مواجهة لدى المرضين العاملين بمصالغ معالجة السرطان تعزى لمتغير السن، الجنس، الخبرة المهنية والحالة المدنية.

3- أهداف البحث

- يروم هذا البحث المنصب على الاستراتيجيات المستعملة لمواجهة الضغط المهني الوصول إلى أهداف علمية وعملية أهمها:
- * الكشف عن مختلف الاستراتيجيات المستعملة من طرف المرضين العاملين بمصالغ معالجة السرطان لمواجهة المشكلات الناجمة عن الضغط المهني في بعض المؤسسات الاستشفائية في الجزائر.
 - * إضافة علمية إلى التراث العلمي مع الأخذ بعين الاعتبار الطابع الاجتماعي الجزائري لمشكلة الضغط المهني.
 - * بناء مقياس مصادر الضغط المهني يتلاءم وطبيعة مهام المرض العامل في مصالغ معالجة السرطان.
 - * بناء مقياس استراتيجيات مواجهة الضغط المهني يتماشى مع طبيعة المجتمع الجزائري.

* الكشف عن مختلف مصادر الضغط المهني لدى المرضى العاملين بمصالح معالجة السرطان.

* الكشف عن أوجه الفروق بين المرضى العاملين بمصالح معالجة السرطان في تعرضهم لمختلف مصادر الضغط المهني التي تعزى للجنس، السن، الخبرة المهنية والحالة المدنية.

* الكشف عن أوجه الفروق بين المرضى العاملين بمصالح معالجة السرطان في استعمالهم لمختلف استراتيجيات مواجهة الضغط المهني التي تعزى للجنس، السن، الخبرة المهنية والحالة المدنية.

4- أهمية البحث

قد يفيد البحث الحالي في:

- 1- الاهتمام بالصحة النفسية لفئة المرضى العاملين بمصالح معالجة السرطان، نظرا لتأثيرها السلبي على المرضى الذين هم في حاجة ماسة للرعاية والاهتمام.
- 2- الكشف عن مختلف مصادر الضغط المهني الذي يصادفها العاملون بالتمريض.
- 3- الكشف عن مختلف الاستراتيجيات الفعالة التي تمكن المرضى من الوقاية من الضغط المهني، وتساعدهم على التمتع بحالة نفسية مستقرة، الأمر الذي ينعكس إيجابا على تحسين الأداء تجاه المرضى والمنظومة الصحية ككل.

5- حدود البحث

اقتصر هذا البحث على المرضى والمرضات العاملين بمصالح معالجة السرطان بالمركز الاستشفائي فرانس فانون والمستشفى الجامعي حسيبة بن بوعلي بالبلدية، المركز الاستشفائي بيار وماري كوري بمصطفى باشا، المستشفى الجامعي ببني مسوس، المستشفى الجامعي بالرويبة.

6 - متغيرات البحث

1) - استراتيجيات مواجهة الضغط المهني

أ- التعاريف النظرية

هناك العديد من التعاريف التي حددت مفهوم استراتيجيات مواجهة الضغط المهني وذلك حسب التوجه النظري الذي ينتمي إليه كل عالم ولعل أهمها ما يلي:

* يعرف أتواتر ((Atwater استراتيجيات مواجهة الضغط المهني بأنها « أساليب تعامل يقوم بها الفرد تجاه المثيرات التي تفقده توازنه وتتجاوز قدرته على التوافق».

* ويعرفها شوبل (Schwebel) بأنها «استراتيجيات تساعد الفرد في الحصول على التوازن في الحياة اليومية الضاغطة»⁽⁴⁾.

* ويعرف (حسين والزيود) استراتيجيات مواجهة الضغط بأنها مجموعة من الأساليب أو الطرق والنشاطات الدينامية والسلوكية والمعرفية التي يستخدمها الفرد في مواجهة الموقف الضاغط لحل المشكلة وتخفيف التوتر الانفعالي المترتب عليها⁽⁵⁾.

ب- التعريف الإجرائي لاستراتيجيات مواجهة الضغط المهني وهي مجموعة من الاستجابات السلوكية، المعرفية والانفعالية التي يستخدمها الممرض في التعامل مع المواقف والأحداث الضاغطة في ميدان العمل لتحقيق التكيف والتوازن النفسي أو تخفيف آثارها. ويتم قياس أساليب مواجهة الضغط المهني في هذا البحث بالدرجة التي يتحصل عليها الممرضون حسب اجاباتهم على مقياس استراتيجيات مواجهة الضغوط المهنية المعد من طرف الباحثة.

2) - الضغط المهني

أ- التعاريف النظرية

تُحدد ضغوط العمل باعتبارها رد فعل انفعالي ومعرفي وسلوكي وفيزيولوجي للمظاهر السلبية والضارة لطبيعة العمل وتنظيمه وبيئته⁽⁶⁾.

ويعرف سيد عبد العال (2002) الضغط المهني بأنه مجموعة التغيرات الفسيولوجية، الجسمية والنفسية التي يعانها العامل أو الموظف كرد فعل لمجموعة من المثيرات المؤثرة عليه في بيئة العمل والتي لم يعد العامل أو الموظف قادرا على تحملها أو الوفاء بمتطلباتها⁽⁷⁾.
بينما يعرف كل من Cobb و Rogers و French ضغط العمل بأنه عدم الموازنة أو عدم التناسب بين ما يمتلكه الفرد من مهارات وقدرات وبين متطلبات عمله.

أما مارغليس وزملاؤه فيعرفونه بأنه «تفاعل بعض ظروف العمل مع خصائص العامل التي تسبب خللا في الاتزان البدني والنفسي للفرد»⁽⁸⁾.

ب- التعريف الإجرائي للضغط المهني

هو تلك الصعوبات المادية والمعنوية المتكررة، التي تواجه الممرض في مجال عمله بحيث تتجاوز قدرته على التحمل، وتعميق تحقيق أهدافه وإشباع حاجاته، وذلك عن طريق قياس مصادره المتمثلة في (عبء العمل، صراع الدور، غموض الدور، قلة التقدم والترقية الوظيفية، طبيعة العمل في مصالح معالجة السرطان، العلاقات المهنية ضمن التسلسل الوظيفي وبين الزملاء، ومع المرضى وأهلهم في البيئة المهنية) حسب المقياس المعد من طرف الباحثة لقياس الضغط المهني.

3) - العاملون في مهنة التمريض

هم الأشخاص الحاصلون على شهادة الكفاءة المهنية في التمريض، مثل مساعد ممرض، ممرض رئيسي، العاملون بمصالح معالجة السرطان في قسم الأطفال وقسم الراشدين (نساء، رجال) والذين لديهم مهام محدّدة (العلاج الكيميائي، العلاج بالأشعة، تقديم الأدوية اليومية، الحقن بالإبر والتضميد).

4) - المتغيرات الفردية:

وتمثلت فيما يلي:

* السن: وحدد بثلاث مراحل عمرية وهي: من -20 35 سنة، من -36 50 سنة، أكثر من 50 سنة.

* الجنس: ويشمل كل من: الإناث، الذكور.

* الأقدمية المهنية: وحددت بثلاث فترات: أقل من خمس سنوات، (-6 15 سنة)، 15 فما فوق.

* الحالة المدنية: وتشمل كل من: المتزوج، غير المتزوج.

ثانيا: الجانب المنهجي :

1- منهج البحث

تم تتبع المنهج الوصفي كونه يناسب طبيعة موضوع البحث الذي يسعى إلى الحصول على معلومات تتعلق بالحالة الراهنة للظاهرة موضوع البحث.

2- مجتمع البحث وعينته

تمّ البحث بمسح شامل لمجموع المرضى العاملين في المستشفيات الجامعية المذكورة آنفا والذي بلغ عددهم 131 ممرضا من 177 ممرضا يشكلون المجتمع الكلي، وتمثل خصائصهم فيما يلي:

* هم الممرضون الحاصلون علي شهادة الكفاءة المهنية في التمريض أو مساعد ممرض.

* الذين لم يكونوا في عطلة مرضية طويلة المدى (أكثر من ثلاثة أشهر).

* لهم خبرة مهنية لا تقل عن سنة.

* العاملون في مصالح معالجة السرطان لمدة لا تقل عن سنة.

3- مراحل البحث الميداني:

تُلخّص مراحل البحث الميداني في مرحلتين أساسيتين:

أ- مرحلة الدراسة الاستطلاعية: بجميع خطواتها وتضمنت محطتين اثنتين هما:

- * الدراسة الاستطلاعية العامة: كان الهدف منها الاحتكاك بمجتمع البحث وبناء المقياسين. حيث وُزع خلالها استبياناً تضمن سؤالاً مفتوحاً تعلق بالكشف عن مختلف استراتيجيات مواجهة الضغط المهني وشملت 425 فرداً من قطاعات الصحة، الحماية المدنية، التعليم العالي، التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، وكان اللجوء للعاملين بهذه القطاعات لكونهم يشتركون في المعاناة من الضغط المهني.
- * الدراسة الاستطلاعية الخاصة: كان الهدف منها التأكد من صدق المقياسين وثباتها وشملت بعض المرضين العاملين بمصالح معالجة السرطان في بعض المؤسسات الاستشفائية.

ويذكر أن الدراستين الاستطلاعتين مكنتا من ضبط مشكلة البحث وبلورة فرضياته والتأكد من صدق وثبات المقياسين المعدين من طرف الباحثة لخوض غمار الدراسة الأساسية.

ب- مرحلة الدراسة الأساسية: ضمن هذه المرحلة تم ما يلي:

- * تحديد المجتمع الذي شمله البحث والذي يتألف من العاملين في التمريض بمصالح معالجة السرطان في المستشفيات الجامعية والمراكز الاستشفائية السالفة الذكر والمتمثلة في (الوحدة الاستشفائية حسيبة بن بوعلي) و(المركز الاستشفائي الجامعي فرانس فانون) بولاية البليدة، و(المركز الاستشفائي بيار وماري كوري لمكافحة السرطان CPMC) بالجزائر الوسطى، و(مصالح معالجة السرطان الخاصة بالأطفال) بالمستشفى الجامعي ببني مسوس وكذا (الوحدة الاستشفائية) بالرويبة بولاية الجزائر.
- * إجراء البحث النهائي بتطبيق المقياسين المعدين بعد التحقق من ثباتها وصدقها.

4- أدوات البحث

وتتمثل الأدوات فيما يلي:

- * الأداة الأولى: تتمثل في بناء مقياس مصادر الضغط المهني لدى المرضين العاملين في مصالح معالجة السرطان من إعداد الباحثة.
- * الأداة الثانية: تتمثل في بناء مقياس يقيس الاستراتيجيات المستعملة لمواجهة الضغط المهني في مصالح معالجة السرطان من إعداد الباحثة أيضاً.

وقد تمّ بناء المقياسين وفق الإجراءات التالية:

- الاطلاع على مختلف الأدوات المستخدمة لقياس الضغط المهني ضمن الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت الضغط واستراتيجيات مواجهته.

- الاطلاع على مختلف الأدبيات التي تناولت بناء المقاييس.
- بناء استبيان استطلاعي كان الهدف منه حصر أكبر عدد ممكن من الاستراتيجيات المستعملة من طرف المهنيين من مختلف القطاعات (الصحة، الحماية المدنية، التعليم العالي، التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي) تجاه الضغط المهني.
- إجراء مسح استطلاعي لمختلف صور الضغط المهني التي يمكن أن يصادفها العاملون بالتمريض في مصالح معالجة السرطان.

5- الشروط السيكومترية لأدوات البحث

بالاعتماد على أدبيات المقاييس، والاطلاع على مختلف المقاييس الخاصة باستراتيجيات المواجهة، تم التوصل إلى بناء مقياس استراتيجيات مواجهة الضغط المهني الذي تم تطبيقه في ميدان البحث بعد التحقق من صدقه وثباته.

أ- ثبات الأداة: تهدف هذه الاداة إلى إثبات المقياس للبحث الحالي بالطرق التالية:

* طريقة ألفا لكرامباخ

حيث عبرت النتيجة (ألفا=0.87) على التماسك الداخلي الجيد وتجانس الفقرات لمقياس مصادر الضغط المهني. كما عبرت النتيجة (ألفا=0.7170) في مقياس استراتيجيات المواجهة على صلاحيته للتطبيق باطمئنان على العينة.

* طريقة تطبيق الاختبار وإعادة تطبيقه (Test-Retest)

تم استخراج دلالة ثبات المقياس باستخدام طريقة الإعادة بفواصل زمني بين التطبيقين قدر بأسبوعين على عينة ممثلة لمجتمع البحث تكونت من (30) ممرضاة). وقد تم تطبيق معادلة بيرسون لحساب الارتباط حيث كشفت النتائج عن معامل ارتباط قدر بـ 0.83 لمقياس مصادر الضغط المهني، وعن معامل ارتباط قدر بـ 0.89 لمقياس استراتيجيات المواجهة، مما تعكس هذه القيم تطابقا ممتازا بين التطبيق الأول والثاني لكلا المقياسين، ويؤكد مرة أخرى على ثبات أداتي البحث.

ب- صدق الأداة (المقياسين):

لقد تم حساب صدق المقياسين بالطرق التالية:

* صدق المحكمين

* الصدق الذاتي للمقياسين

تم حساب الصدق الذاتي بحساب الجذر التربيعي لمعامل الثبات، حيث قدر صدق مقياس مصادر الضغط المهني قدر بـ (0.93) أما صدق مقياس استراتيجيات المواجهة فقدر بـ (0.84).

6- المعالجة الإحصائية

تمّ استخدام حزمة البرامج الاحصائية للعلوم الاجتماعية الإصدار العشرون SPSS 20 إذ تم استخدام أساليب التحاليل الاحصائية التالية للتحقق من فرضيات البحث:

- * التكرارات والنسب المئوية
- * معامل الارتباط لبيرسون.
- * تحليل التباين ANOVA.

ثالثا: أهم نتائج وتوصيات البحث

1- أهم نتائج البحث

سعى هذا البحث إلى التعرف على استراتيجيات مواجهة الضغط المهني لدى العاملين بالتمريض في مصالح معالجة السرطان بتحديد مستويات الضغط وتحديد مصادره وكذا تحديد مختلف الاستراتيجيات المستعملة لمواجهته، وقد تمّ التوصل إلى عدد من النتائج الهامة نستعرضها فيما يلي:

أ- مستوى الضغط المهني

أظهرت نتائج البحث أن مستوى الضغط المهني متفاوت الدرجات لدى الباحثين، فكانت حسب الجدول (1) كالتالي:

جدول (1): مستوى الضغط المهني

النسبة	درجة الضغط
74.8%	مرتفع
25.2%	متوسط
0%	ضعيف

* يعاني نسبة 74.8% من أفراد العينة من مستوى مرتفع من الضغط المهني.

* يعاني نسبة 25.2% من أفراد العينة من مستوى متوسط من الضغط المهني.

* يعاني نسبة 0% من أفراد العينة من مستوى ضعيف من الضغط المهني.

وتعزو الباحثة هذا المستوى المرتفع من الضغط المهني لدى المرضين إلى الظروف المزرية التي يعمل فيها المرضون، حيث تعتبر فئة المرضين أكثر الفئات المهنية عرضة للعدوى نتيجة طبيعة مهامهم.

ب- مصادر الضغوط المهنية

أظهرت النتائج أن أفراد العينة يعانون من مصادر مهنية مختلفة تأرجحت نسبة التأثير بها بين المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة وتمثل تأثير هذه المصادر كما تبرزه النسب في الجدول (2) على النحو التالي:

الجدول (2): مصادر الضغوط المهنية

النسبة %	بنود مصادر الضغط المهني
90.1%	ظروف العمل
90.1%	العلاقة مع المرضى وذويهم
84.8%	العلاقة مع الزملاء
78.6%	المسار المهني
76.4%	العلاقة مع الإدارة
71.0%	عبء العمل
49.6%	غموض الدور
49.6%	المنابذة الليلية

* أثرت ظروف العمل والعلاقة مع الزملاء والعلاقة مع المرضى وذويهم بنسبة < 80%

* أثر عبء العمل والمسار المهني والعلاقة مع الإدارة بنسبة < 60%.

* أثر غموض الدور والمنابذة الليلية بنسبة < 40%

وترى الباحثة أن العلاقة بين المصادر التالية: (ظروف العمل، العلاقة مع المرضى وذويهم، والعلاقة مع الزملاء) منطقية جداً، فعندما يرى الممرض من جهة أن دوره يُلزمه بتطبيق البرنامج العلاجي المسطر من طرف الطاقم الطبي في ظروف سيئة تمنعه حتماً من أداء مهامه التمريضية على أكمل وجه، ويرى من جهة أخرى أنه في اتصال مباشر مع المريض الذي يطالبه بتلبية احتياجاته العلاجية، فإنه ونتيجة النقص وغياب وسائل العمل للقيام بالمهام اللازمة فإن الممرض يجد نفسه في حالة تنافر تؤكد هذه الحلقة المقفلة بين (ظروف العمل - العلاقة مع المرضى - العلاقة مع الزملاء) وتجعل من الشعور بالضغط حتمية لديه.

ج- مستوى الضغط المهني وفق الخلفية الفردية
توصلت الدراسة إلى معرفة مدى اختلاف مستوى الضغط المهني لدى المرضى
وفقا لخلفيتهم الفردية كما يعرضه الجدول (3) التالي:
الجدول (3): مستوى الضغط المهني وفق لخلفية الفردية

الحالة المدنية	الأقدمية المهنية	الجنس	السن	بنود مقياس مصادر الضغط المهني
(×)	(×)	(×)	(×)	ظروف العمل
(×)	(×)	()	(×)	العلاقة مع المرضى وذويهم
(×)	()	(×)	(×)	العلاقة مع الزملاء
(×)	()	(×)	(×)	المسار المهني
(×)	()	(×)	(×)	العلاقة مع الإدارة
(×)	()	(×)	(×)	عبء العمل
(×)	(×)	(×)	(×)	غموض الدور
(×)	()	(×)	()	المنابذة الليلية

المفتاح: (×) لا توجد فروق / () توجد فروق
من خلال الجدول يتضح أنه:

- * لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة تعرض المرضى للضغط الناجم عن ظروف العمل، عبء العمل، غموض الدور، المسار المهني، العلاقة مع الزملاء، والعلاقة مع الإدارة ومع المرضى وذويهم تعزى لمتغير السن ماعدا المناوبة الليلية.
- * لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة تعرض المرضى للضغط الناجم عن عبء العمل، غموض الدور، المسار المهني، المناوبة الليلية، العلاقة مع الزملاء، والعلاقة مع الإدارة ومع المرضى وذويهم تعزى لمتغير الجنس ماعدا ظروف العمل.
- * لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة تعرض المرضى للضغط المهني الناجم عن ظروف العمل والعلاقة مع المرضى وذويهم غموض الدور تعزى لمتغير الأقدمية المهنية
- * لكن توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر الضغوط المهنية الناجمة عن عبء العمل، المناوبة الليلية، المسار المهني، العلاقات مع الإدارة، لدى المرضى العاملين في مصالح معالجة السرطان تعزى لمتغير الأقدمية المهنية.
- * ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مصادر الضغوط المهنية تعزى لمتغير الحالة المدنية.

د- استراتيجيات مواجهة الضغط المهني

أشارت نتائج البحث إلى أن العاملين في التمريض في مصالح معالجة السرطان يستعملون استراتيجيات مختلفة تمثلت فيما يلي الجدول (4) التالي:

جدول (4): استراتيجيات مواجهة الضغط المهني

النسبة	بنود مقياس استراتيجيات المواجهة
93.9 %	• الإنابة إلى الله
61.8 %	• التفكير الإيجابي
58.8 %	• استراتيجيات التخطيط
42.7 %	• استراتيجيات مهدئة
38.2 %	• استراتيجية تجميع الطاقة
31.3 %	• البحث عن الدعم الاجتماعي
9.2 %	• إيجاد حلول للمشاكل
25.2 %	• وضع انقطاعات
13 %	• تجنب المشاكل

تشير النتائج أن أعلى استراتيجية يستعملها العاملون بالتمريض هي استراتيجية الإنابة إلى الله بنسبة 93.9%، وإن بدت ظاهريا بأنها إيجابية إلا أنها تظهر عجزهم أمام الضغط المهني اليومي وعدم قدرتهم على تجاوزه، وبالتالي يشير استعمالها إلى الاستسلام وتكريس الرداءة. وهذا يدخل ضمن التقبل المدعن وهو أسلوب لمحاولة التغلب على المشكلة مع توقع الأسوأ والإقرار بعدم إمكانية عمل أي شيء. بينما أدنى نسبة المقدرة بـ 9.2% شملت استراتيجية إيجاد حلول للمشاكل، وهي تمثل آخر استراتيجيات يلجأ إليها المرضون، الأمر الذي يعكس سوء علاقاتهم مع الإدارة ومع الزملاء. وهذا ما يفسر استمرار قطاع الصحة في الجزائر في حالة الرداءة.

ه- استراتيجيات مواجهة الضغط المهني وفق الخلفية الفردية

أشارت النتائج المتحصل عليها من خلال هذا البحث إلى أن العاملين في التمريض في مصالح معالجة السرطان يستعملون استراتيجيات مختلفة وفق الخلفية الفردية تمثلت فيما يلي يعرضه الجدول (5) التالي:

جدول (5): استراتيجيات مواجهة الضغط المهني وفق متغيرات الخلفية الفردية

بنود مقياس استراتيجيات المواجهة	السن	الجنس	الأقدمية المهنية	الحالة المدنية
• الإنابة إلى الله	(×)	(×)	(×)	(×)
• التفكير الإيجابي	(×)	(×)	(×)	(×)
• استراتيجيات التخطيط	(×)	(×)	(×)	(×)
• استراتيجيات مهدئة	(×)	(×)	(×)	(×)
• استراتيجية تجميع الطاقة	(×)	(×)	(×)	(×)
• وضع انقطاعات	(×)	(×)	(×)	(×)
• تجنب المشاكل	(×)	(×)	(×)	(×)
• البحث عن الدعم الاجتماعي	()	(×)	()	(×)
• إيجاد حلول للمشاكل	()	()	()	(×)

المفتاح: (×) لا توجد فروق / () توجد فروق

تشير النتائج حسب الجدول (5) إلى ما يلي:

* لا توجد فروق دالة احصائية في استراتيجيات المواجهة تعزى لمتغير السن لدى الممرضين العاملين بمصالح معالجة السرطان لأبعاد مقياس استراتيجية المواجهة ماعدا "البحث عن الدعم الاجتماعي" و "إيجاد حلول"، أي يؤثر عامل السن على مدى لجوء الأفراد لهاتين الاستراتيجيتين.

* لا توجد فروق دالة احصائية في استراتيجيات المواجهة تعزى لمتغير الجنس لدى الممرضين العاملين بمصالح معالجة السرطان ماعدا البعد الخاص بـ "إيجاد الحلول".

* لا توجد فروق دالة احصائية في تعامل أفراد العينة مع مصادر الضغوط المهنية تعزى لمتغير الأقدمية المهنية، حيث شملت عدم الدلالة الاحصائية الأبعاد التالية: (التفكير الإيجابي، تجنب المشاكل، العودة إلى الوراء، العودة إلى الله، استراتيجيات شحن الطاقة، استراتيجيات التخطيط، إيجاد الحلول للمشاكل).

* توجد فروق دالة احصائية في تعامل أفراد العينة مع مصادر الضغوط المهنية تعزى لمتغير الأقدمية المهنية والمتعلقة بالبعدين "إيجاد الحلول للمشاكل" و "البحث عن الدعم الاجتماعي".

* لا توجد فروق دالة احصائية في درجة تعرض الممرضين لمصادر الضغط المهني التي تعزى لمتغير الحالة المدنية.

2- أهم توصيات البحث

من خلال النتائج التي أسفر عنها البحث الميداني فإن الباحثة تقترح التوصيات التالية:

- * ضرورة أن تتوفر المستشفيات على برامج تدريب المرضى وخاصة العاملين في المصالح الحساسة على كيفية مواجهة ضغوطهم بأساليب مواجهة فعالة.
- * عقد دورات تدريبية للأخصائيين النفسيين لتمكينهم من التكفل بالعاملين في الصحة وخاصة العاملين بمصالح معالجة السرطان.
- * يجب الإعداد الجيد للممرض بما يتلاءم وطبيعة التمريض. لذلك يعتبر الرفع من مستواه العلمي بالتكوين الجامعي بادرة حميدة لإعاقته على تحمل الضغوط.
- * إدخال وحدات تدريبية ضمن برامج التكوين الجامعي تهيئ الطالب الجامعي في الاختصاص للتكفل بهذه الحالات.
- * إعداد مقاييس لأساليب مواجهة الضغوط المهنية تلائم المجتمع الجزائري بتوسيع عدد أفراد العينة حتى يمكن الاستفادة منها في مجال الممارسة النفسية مع العاملين في المستشفيات.

الهوامش والمراجع

- 1- محمد مصطفى محمود. (2013). استشارات موارد بشرية وتدريب. تاريخ الاستشارة /http://hrandtraining.blogspot.com/2012-07-22/07/blog-post_7817.htm
- 2- Ben Messaoud, H. (2008). Syndrome d'épuisement professionnel « burnout » chez le personnel infirmier de deux établissements hospitaliers :le centre hospitalo-universitaire d'Alger et le centre Pierre et Marie Curie d'Alger, p. 49.
- 3- Lamara-Mahamed A. et al.(2003).Evaluation des troubles anxio-dépressifs chez le personnel soignant. XXII èmes journées méditerranéennes internationales de médecine du travail. Barcelone, 10 mai 2003, p.36.
- 4- سلامة عبد العظيم حسين وطه عبد العظيم حسين. (2006). استراتيجيات إدارة الضغوط التربوية والنفسية، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، ص. 65.
- 5- نادر محمد الزبود. (2008). استراتيجيات التعامل مع الضغوط النفسية لدى طلبة جامعة قطر وعلاقتها ببعض المتغيرات. مجلة رسالة الخليج العربي، ص 87.
- 6- Laurence Leruse, I. M. (2006). Le stress au travail : Facteurs de risques, évaluation et prévention. éd SPF Emploi, p. 15.
- 7- سلامة عبد العظيم حسين وطه عبد العظيم حسين. (2006). استراتيجيات إدارة الضغوط التربوية والنفسية، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، ص. 216.
- 8- محمود سلمان العميان (2005): السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ص 106.
- 9- الأحدي، حنان عبد الرحيم. (2002). ضغوط العمل لدى الأطباء: دراسة ميدانية للأطباء العاملين في المستشفيات الحكومية والخاصة بمدينة الرياض، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- 10- الخضري، باسل مهدي. (2008). استراتيجيات التأقلم المستخدمة من قبل المرضى تحت الضغوط في مكان العمل: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة.
- 11- فاروق، السيد عثمان. (2001). القلق وإدارة الضغوط النفسية، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 12- Caillard, J. (2006). Malaise au travail : le point de vue de la médecine du travail. Amedoc, Trouville.
- 13- Claire-Alix Aunier, M.-F. B. (2006). Soins palliatifs en équipe : le rôle infirmier. éd I.U. Douleur, Paris.
- 14- Grebot, E. (2008). Stress et Burnout au travail : Identifier, Prévenir, Guérir. éd. Eyrolles, Paris.
- 15- Lazarus, F. S. (1984). Stress: Appraisal and Coping. New York: Springer.
- 16- Lescure, J.-P. L. (2008). Infirmière en cancérologie : Un métier en pleine mutation. Institut Curie, Paris.

البعد البيئي للتنمية المستدامة « المساحات الخضراء بمدينة تبسة » دراسة باستعمال نظام الاعلام الجغرافي والاستشعار عن بعد

The environmental dimension of sustainable development “Green spaces in the city of Tébessa,” study with the use of geographic information system and remote sensing

علي حجلة/ أستاذ مساعد “أ” بجامعة تبسة
محمد الهادي لعروق/ أستاذ تعليم عالي بجامعة قسنطينة

ملخص :

ازدادت أهمية المساحات الخضراء في المدن عقب الامتدادات الحضرية التي عرفتها بعد الثورة الصناعية، فأدرجت ضمن مستلزمات تخطيط المدن، وحاليا تبين الدور الحيوي للغطاء النباتي في التعديل الحراري ومواجهة ظاهرة الاحتباس الحراري للأرض، التي تقتضي التقليل من غازات الدفيئة ومنها غاز الفحم، وزيادة مساحة الغطاء النباتي، لتفادي الخطر الذي يتهدد الجميع خلال القرن 21، لهذا تسعى دول العالم الى تنمية مستدامة محورها البعد البيئي زيادة على البعدين الاقتصادي والاجتماعي من خلال اجتماعاتها(من قمة ريودي جانيرو 1987 الى قمة باريس 2015)، من هنا تأتي دراستنا للمساحات الخضراء بمدينة تبسة باستعمال نظام الاعلام الجغرافي SIG والاستشعار عن بعد Télédétection .

الكلمات المفتاحية : المساحات الخضراء، البعد البيئي، التنمية المستدامة، تبسة، نظام الاعلام الجغرافي.

Abstract:

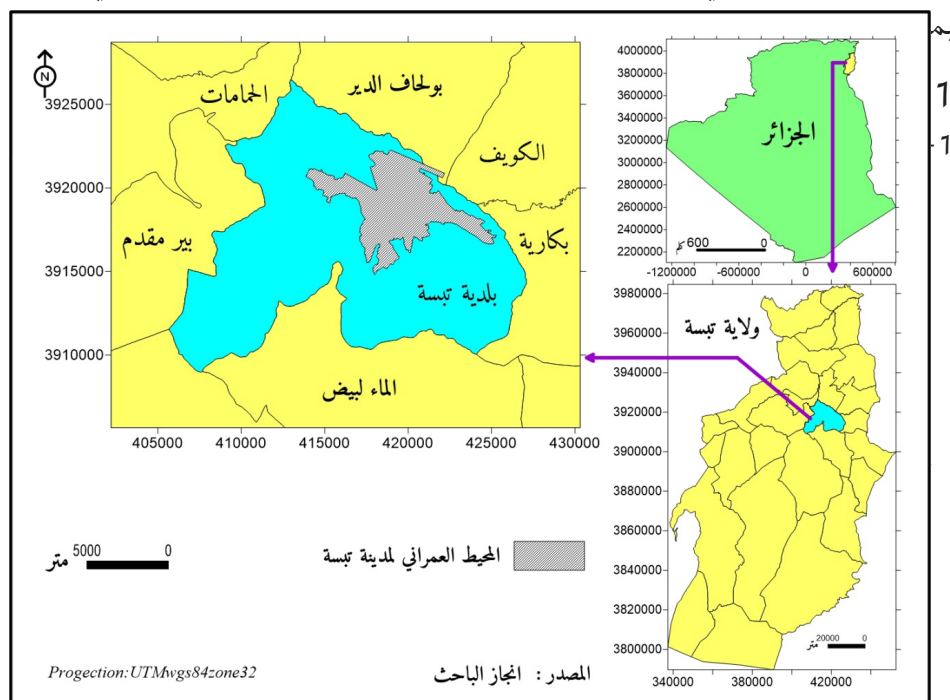
The increasing importance of green spaces in towns and cities is becoming increasingly after urban expansion, following the Industrial Revolution, they are being introduced to the requirements of urban planning, and at present the vital role of vegetation in urban areas, Thermal equilibrium, and the global warming of the Earth is demonstrated.

This phenomenon requires the reduction of greenhouse gases , such as carbon dioxide and the increase of the vegetation zone, in order to avoid the universal threat in the 21st century, the nations of the world seek sustainable development based on Environmental and economic and social dimensions through its meetings (from the Rio de Janeiro summit in 1987 to the Paris 2015 summit) in this context becomes our study of green spaces in Tébessa using the geographic information system (GIS) and remote sensing.

Key Words: Green spaces, the environmental dimension, sustainable development, Tebessa, geographical information system.

مقدمة :

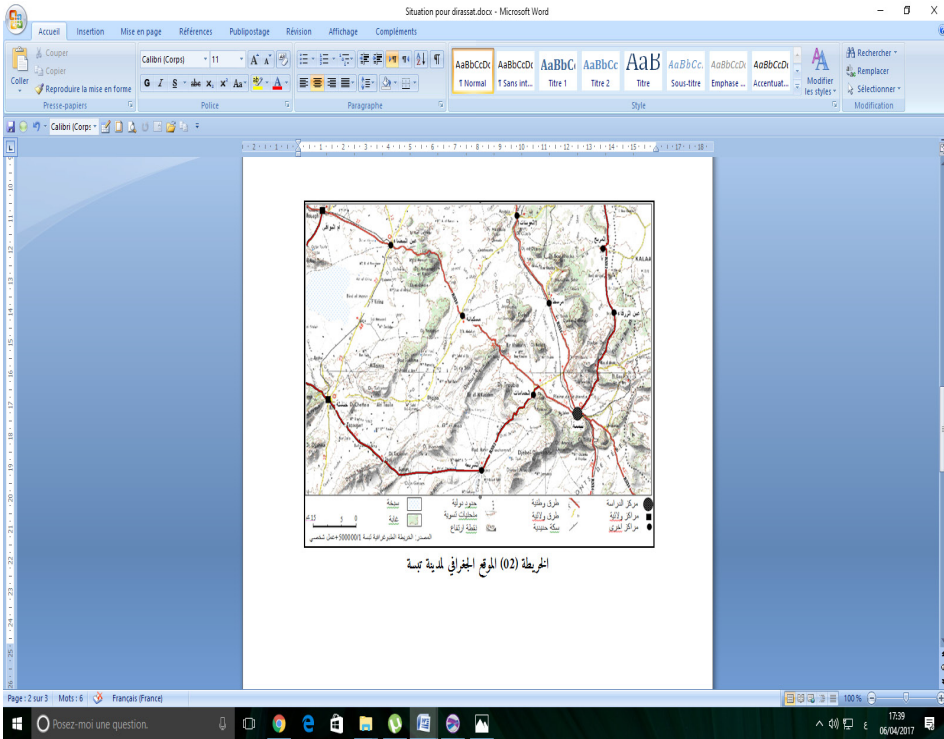
المساحات أو الفضاءات الخضراء عرفها الانسان منذ القديم، حيث ذكرت جنات عدن في القرآن الكريم، واشتهرت حدائق بابل المعلقة في بلاد ما بين النهرين وارتبط وجود المساحات الخضراء بالمياه في الفترة الرومانية والحقيقة أن الاهتمام بالمساحات الخضراء من خلال الحدائق وما تحتويه من ازهار ونباتات وأشجار عرفته الكثير من الحضارات في مختلف أرجاء العالم كمصر واليونان وبلاد فارس وحضارات الشرق الأقصى والعصور الوسطى وعصر النهضة بأوروبا والحضارة الاسلامية العربية التي تركت الكثير من النماذج الحية في هذا الميدان كالحدائق العامة بغرناطة . ومنذ ذلك الوقت الى الآن تنشأ المساحات الخضراء لأغراض شتى، و المساحات الخضراء حاليا تكتسي اهمية بالغة ومصيرية بالنسبة للنظام البيئي للكرة الارضية⁽¹⁾ ومصير الانسان كنتيجة لذلك، لهذا نجدها تلعب الدور المحوري في البعد البيئي للتنمية المستدامة ، في هذا السياق يأتي هذا العمل البحثي المتعلق



الخريطة(01) الموقع الاداري لمدينة تبسة

1-2) فلكيا: تقع مدينة تبسة على خط الطول 11°8' درجة شرقا، و خط العرض 35°4' درجة شمالا. ان هذا الموقع يدل على أن المدينة تقع بالمنطقة المعتدلة الحارة (المتوسطة) التي تميزها القارية .

1-3) جغرافيا : مدينة تبسة هي واحدة من مدن الهضاب العليا الشرقية الجزائرية، تمر بها عدة طرق وطنية (ط و رقم 10) الذي يصل مدينة قسنطينة بها مارا إلى الجمهورية التونسية، (ط و 16) الذي يصلها بعنابة والوادي شمالا وجنوبا، (ط و 82) الذي يتجه إلى الجهة الشمالية الشرقية ليربط المدينة بالحدود التونسية. إضافة إلى خط السكة الحديدية المار بمدينة تبسة متجها إلى مدينة عنابة ليربطها بمنجم جبل العنق للفوسفات بمنطقة بئر العاتر، كما يتفرع خط آخر للسكة الحديدية من مدينة تبسة إلى الجمهورية التونسية مارا بمدينة الكويف. ويوجد بالجهة الشمالية للمدينة مطارا للخطوط الداخلية علما أنه كان سابقا مطارا دوليا .



تقع المدينة بالسفوح الشمالية لجبال تبسة التابعة لجبال النمامشة التي تنتمي بدورها لسلسلة الأطلس الصحراوي، تبعد عن مدينة خنشلة ب 105 كلم وعن مدينة أم البواقي 155 كلم أنظر الخريطة (02) .

1-4) مناخ المدينة : يسود المدينة مناخ نصف جاف ذو شتاء شبه بارد⁽³⁾ Semi-aride à hiver frais كمية التساقط به 3700 ملم أما المدى الحراري فيقدر بـ 2004°م، فهو مناخ يميل الى القارية، وتبعاً لذلك فان أهم نباتاته النجيليات والنباتات العشبية الحولية بسهل المرجة شمال وغرب المدينة وأشجار الصنوبر الحلبي بمرتفعاتها الجنوبية، وقد أدت الخصائص المناخية، وتركيب التربة الكلسي الى فقر الغطاء النباتي بالمنطقة عامة وضعف كثافته .

2) تعريف المساحات الخضراء: تعرف المساحات الخضراء وفق طبيعة الاستخدام الذي تنشأ من اجله، فنجد مساحات خضراء للترابف والتزيين، مساحات خضراء مرافقة لاستخدامات اخرى على غرار الاستخدامات الصحية وغيرها من الاستخدامات، مساحات خضراء مشجرة للنزهة، الحدائق، الساحات المشجرة.. الخ (التعريف من وضع الباحث، أنظر المرجع 03 الصفحتان 182، 183) .

2-1) تعريف وتصنيف المساحات الخضراء وفق القانون رقم 07-06 المؤرخ في 13 مايو 2007 المتعلق بتسيير المساحات الخضراء وحمايتها وتنميتها في اطار التنمية المستدامة⁽⁴⁾ : يعرف المساحات الخضراء كمناطق أو أجزاء من مناطق حضرية غير مبنية ومغطاة كلياً أو جزئياً بالنباتات تماشياً مع القانون 90-25 المتعلق بالتوجيه العقاري، تتواجد داخل الأراضي الحضرية أو التي يجب تعميمها والتي هي موضوع تصنيف، ويهدف هذا القانون الى تسيير المساحات الخضراء وحمايتها وتنميتها في اطار التنمية المستدامة من خلال تحسين الاطار المعيشي الحضري، و صيانة وتحسين نوعية المساحات الخضراء الحضرية الموجودة، ترقية انشاء المساحات الخضراء من كل نوع، ترقية توسيع المساحات الخضراء بالنسبة للمساحات المبنية، الزامية ادراج المساحات الخضراء في كل مشروع بناء، تتكفل به الدراسات الحضرية والمعمارية للقطاعين الخاص والعام، وزيادة على ذلك وردت في هذا القانون بعض المفاهيم هي :

الحديقة النباتية : مؤسسة تضم مجموعة وثائقية من النباتات الحية لغرض المحافظة عليها والبحث العلمي والتعليم.

الحديقة الجماعية : تمثل مجموعة حدائق الأحياء وحدائق المستشفيات وحدائق الوحدات الصناعية وحدائق الفنادق .

الحديقة التزيينية : فضاء مهيب يغلب عليه الطابع النباتي التزييني .

الحديقة الاقامية : حديقة مهيأة للراحة والجمال وملحقة بمجموعة اقامية .

الحديقة الخاصة : حديقة ملحقة بسكن فردي .

وتصنف المساحات الخضراء وفقا لهذا القانون الى:

الحظائر الحضرية والمجاورة للمدينة :

تتكون من مساحات خضراء محددة ومسيجة، تشكل فضاء للراحة والترفيه، ويمكنها أن تحتوي على تجهيزات للراحة واللعب، و/أو التسلية، الرياضة والاطعام كما يمكن أن تحتوي على مسطحات مائية، ومسالك للتنزه ومسالك للدراجات.

الحدائق العامة :

أماكن للراحة أو التوقف في المناطق الحضرية، والتي تحتوي على تجمعات نباتية مزهرة أو اشجار ن ويضم هذا الصنف ايضا الحدائق الصغيرة المغروسة وكذا الساحات والمساحات الصغيرة العمومية المشجرة.

الحدائق المتخصصة : تضم الحدائق النباتية والحدائق التزيينية

الحدائق الجماعية و/أو الاقامية

الحدائق الخاصة

الغابات الحضرية : التي تحتوي على المشاجر ومجموعات من الاشجار، وكذا كل منطقة حضرية مشجرة بها فيها الأحزمة الخضراء .

الصفوف المشجرة: التي تحتوي على كل التشكيلات المشجرة الموجودة على طول الطرق والطرق السريعة وباقي أنواع الطرق الأخرى في أجزائها الواقعة في المناطق الحضرية والمجاورة للمدينة .

3) أهمية المساحات الخضراء⁽⁵⁾ : للمساحات الخضراء فوائد جمّة تكمن في انعكاساتها الإيجابية على حياة الأفراد و نوعية الوسط فهي:

* تمثل عامل توازن بدني ونفسي للإنسان باعتبارها أماكن للراحة و الهدوء النفسي لسكان المدن.

* على الصعيد الاجتماعي تلعب دورا مزدوجا فهي تحفز العلاقات الجوارية و الحميمية بين السكان مما يقوي من شعورهم بالانتماء و الألفة لمناطق إقامتهم والابتعاد عن ضوضاء التحضر.

* تساعد المساحات الخضراء على ترقية أذواق المواطنين و حسهم المدني و ثقافتهم البيئية.

* إضافة لمساحات جمالية بنيتها المختلفة و أشكال تهيئتها و تجهيزاتها.

* العمل على التعديل الحراري⁽⁶⁾ و تلطيف الجو يتم ذلك بفضل عملية التبخر و عملية النتح و هذه الأخيرة عملية بيولوجية تحدث على مستوى اوراق النباتات اين يتم طرح

الماء الزائد عن حاجته ويساعد التبخر النتح على تخفيض درجة الحرارة في المناطق الحارة كما ذكرناه من قبل، كما تعمل النباتات على رفع قدرة التربة على الاحتفاظ بالماء وبالتالي تغذية التجايف الباطنية (الاسمطة المائية) بالمياه كما تساعد النباتات على تنقية الهواء من خلال تثبيت الغبار والملوثات الأخرى كالرماد والأدخنة الناتجة عن الحرائق، تنقية الهواء من الغبار وتوفير الظل والتخفيف من الضوضاء.

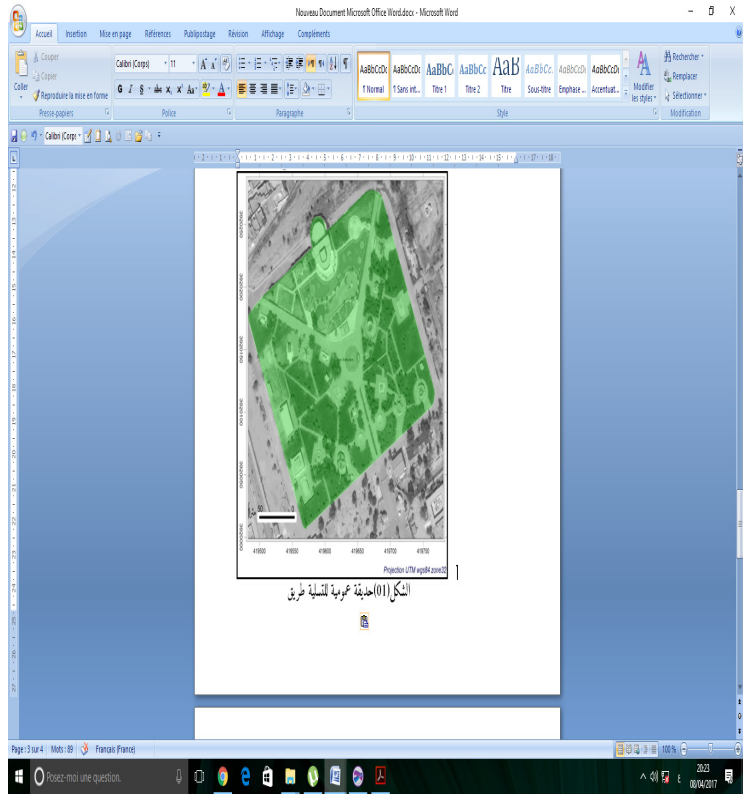
* حماية المناطق الحساسة كالأراضي المعرضة للانزلاق والتعرية والانجراف. ويزداد الاهتمام العالمي بالمساحات الخضراء والحدائق المشجرة والمساحات الغابية خاصة بعد أن تبين التراجع الكبير في المساحات التي باتت تشغلها وتبين في مقابل ذلك الخطر الداهم الذي يتهدد العالم والمتمثل في مفعول البيت البلاستيكي وارتفاع درجة حرارة الأرض، فالنبات الأخضر من خلال عملية التركيب الضوئي يساهم في امتصاص غاز الفحم المسئول الأول عن ظاهرة الاحتباس الحراري وفي مقابل ذلك طرح غاز الأوكسجين وإنتاج المواد العضوية⁽⁷⁾. لهذا فقد تضمن القانون رقم 06-07 المتعلق بتسيير المساحات الخضراء كما أشرنا إليه سابق إدراج المساحات الخضراء في كل مشروع بناء تتكفل به الدراسات الحضرية والمعمارية العمومية والخاصة، كما ألح المشرع على ترقية انشائها وتوسيعها بالنسبة للمساحات المبنية، وللإشارة أيضا فان قانون 90-29 المتعلق بالتهيئة والتعمير يتضمن هو الآخر ارفاق مشاريع البناء والتعمير بالمساحات الخضراء.

4) توزيع المساحات الخضراء بمدينة تيسة : يزداد الاهتمام بالمساحات الخضراء بصفة عامة (حدائق + مساحات خضراء) نظرا للتراجع والإهمال المتزايد الذي تعرفه ونجد المساحات الخضراء على مستوى المدينة بشكل حدائق عامة تتولى البلدية عن طريق مصالحها تسييرها والاهتمام بها من جهة، ومساحات أخرى عديدة تتوزع هنا وهناك بأرجاء المدينة تتصل بالاستخدام السكني، وتعد كمتنافس للمواطن على مستوى الأحياء السكنية المختلفة، تعرف حالة بالغة من الإهمال، وفي معظم الحالات نجدها تعج ببعض النفايات وخاصة الأكياس والقارورات البلاستيكية وتشمل حالة التدهور هذه حتى الحدائق العمومية مثل الحديقة العمومية 01 الواقعة بالقطاع العمراني 02 والحديقة العامة 02 الواقعة بالقطاع 04، ورغم أن الحدائق العمومية تمثل متنفسا للسكان وخاصة في فصل الصيف إلا أنها لا تلقى العناية اللازمة فيما عدا حديقة التسلية بالقطاع 05 (شكل 01)، وحديقة الزهور للتسلية والترفيه العائلية بالقطاع رقم 06 (شكل 02)، الملاحظ ميدانيا وجود حدائق كثيرة محلية على مستوى الأحياء لكن معظمها يعاني الإهمال رغم عمليات التهيئة التي عرفها الكثير منها، إلا ان ذلك يفترق الى الاتقان والمتابعة وهو ما جعلها تتدهور بسرعة ناهيك عن عمليات التخريب (قطع

و حرق الشجيرات ازالة الأسيجة الخضراء التزينية للأحياء السكنية) دون أن يحرك ذلك ساكنا، أهمها المتواجدة خارج الجدار الروماني بالقطاع العمراني 01، المساحات المتواجدة بأحياء : جبل انوال، حي مولدي عاشوري القطاع 09، شارع هواري بومدين، شارع واد اهللال بالقرب من وسط المدينة، مساحة قرب الحماية المدنية بالقطاع 04، مساحة خضراء بالقطاع 08 قرب ثانوية الشيخ العربي التبسي أنظر الجدول (01) والخريطة (03)

الجدول (01) توزيع الحدائق العامة (المساحات الخضراء المهيأة) في مدينة تبسة سنة 2015⁽⁸⁾

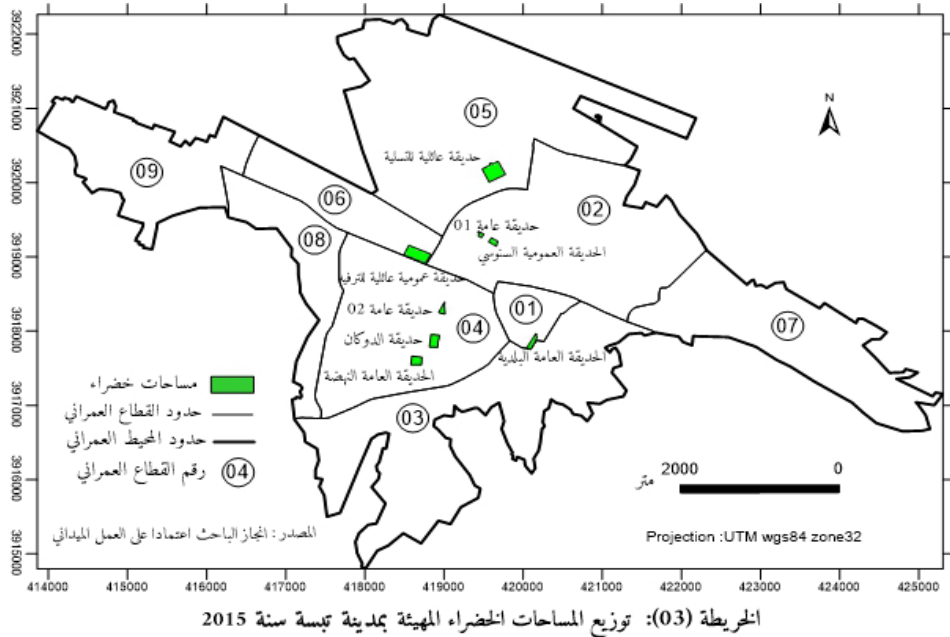
اسم الحديقة	المساحة (هكتار)	الحالة	الموقع (القطاع العمراني)	عدد السكان	نصيب الفرد
الحديقة العامة البلدية	0,99	متوسطة	01	5271	1,88
حديقة عامة 01	0,35	متدهورة	02	79899	0,13
الحديقة العمومية السنوسي	0,69	متدهورة	02		
الحديقة العمومية الدكان	1,75	متدهورة	04	30859	1,24
حديقة عامة 2	0,64	متدهورة	04		
الحديقة العمومية النهضة	1,45	متدهورة	04		
حديقة عائلية للتسلية	4,66	جيدة	05	16672	2,80
الحديقة العمومية العائلية للترفيه «الزهور»	4,29	حسنة	06	00	-
مجموع المدينة	14,82	-	-	232196	0,64

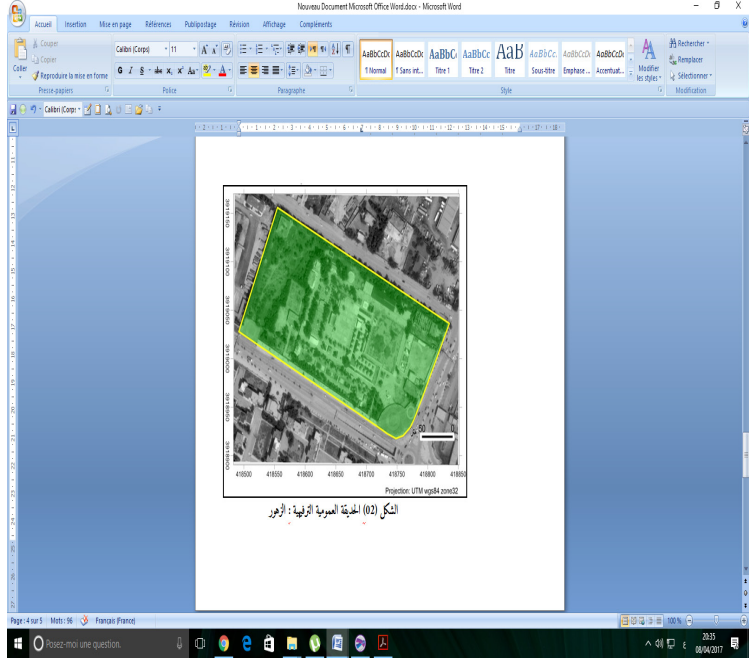


والمساحات الخضراء بالقرب من ثانوية مالك بن نبي بالقطاعين العمرانيين 03، 04 وغيرها من المساحات المنتشرة هنا وهناك عبر الأحياء السكنية.

الحدائق العمومية : أهمها ثمانية حدائق يوضحها الجدول (01) ومن خلاله نلاحظ تركيز الحدائق العمومية في القطاعات 1، 2، 4، 5، 6 فقط . أما القطاعات 7، 3، 8، 9، لا توجد بها حدائق عمومية كما يتبين لنا أيضا تفاوت كبير لمساحات الحدائق بين القطاعات، وبناء على ماورد في الجدول(01) وباعتبار أن عدد سكان المدينة لسنة 2015 هو 232196 نسمة يقدر نصيب الفرد من مساحة الحدائق بالنسبة للمدينة سنة 2015 بـ 0,64م²/ فرد و هو معدل بعيد عن المعدل الوطني 2م²/ للفرد والحقيقة أنه كما ذكرنا سابقا توجد مساحات أخرى كثيرة⁽⁹⁾ على مستوى الأحياء والشوارع بالمدينة يمكن أن تساعد في مضاعفة المساحة الاجمالية بكثير، غير أنها تفتقد لأدنى حد من العناية، ويهدف حماية المساحات الخضراء عبر اقليم ولاية تبسة بلدياته صدر القرار الولائي 777 بتاريخ 18 أوت 1999 عن مديرية التنظيم والشؤون العامة، متضمنا حماية المساحات الخضراء وتخصيصها كمرافق عامة ملك للبلدية عبر اقليم الولاية، واعتبر المساحات الخضراء

والحدائق المرفقة غير قابلة للتنازل أو البيع أو اقامة أي بناء فوقها وتخصص كمرفق عام ملك للبلدية، ووفقا لهذا القرار تم تحديد الكثير من مواقع هذه المساحات الخضراء على مستوى بلديات الولاية، من شأن هذا التثبيت القانوني رفع رقعتهها ومساهمتها في حماية الهواء من التلوث⁽¹⁰⁾، وبمدينة تبسة تم تحديد الكثير من المواقع تنتشر عبر أنحاء المحيط العمراني، يمكن ترفيتها تماشيا مع أهداف التنمية الحضرية البيئية المستدامة وهذا باهتمام اكبر بهذه المساحات وتكريس تربية بيئية سليمة كتقليد جديد بالمدينة يحول دون تحويل وجهة استخدامها (34 موقعا)⁽¹¹⁾.



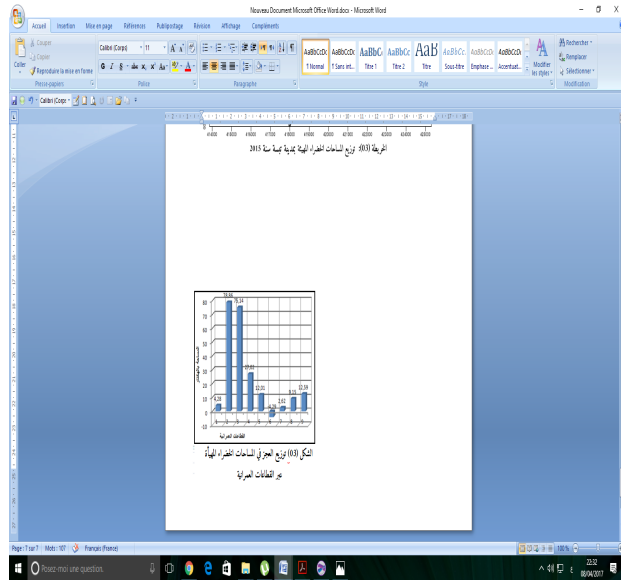


الجدول (02) توزيع المساحات الخضراء المهيأة عبر القطاعات العمرانية و العجز المسجل سنة 2015 (12)

العجز (هكتار) (13)	نصيب الفرد (م2)	مساحة الفضاءات الخضراء (هكتار)	عدد السكان (نسمة)	القطاع العمراني
4,28	1,88	0,99	5 271	01
78,86	0,13	1,04	79 899	02
75,14	0,00	-	75 139	03
27,02	1,24	3,84	30 859	04
12,01	2,80	66,4	16 672	05
-4,29	-	4,29	00	06
2,62	0,00	-	2 624	07
9,15	0,00	-	9 149	08
12,59	0,00	-	12 585	09
217,38	0,64	14,82	232 196	المدينة

5) توزيع المساحات الخضراء المهيأة والعجز المسجل عبر القطاعات العمرانية سنة 2015 :

تتطرق لكيفية توزيع هذه المساحات عبر القطاعات العمرانية من جهة و اعتمادا على معرفة نصيب الفرد من هذه المساحات داخل القطاع العمراني وبناء على المعيار الوطني الخاص بالمدن ذات الأحجام السكانية راء المهيأة عبر أرجاء المدينة أو قطاعاتها العمرانية من جهة أخرى ومن تم تنظيم عملية التدخل المبنية أساسا على محتوى الجدول (02)، ومنه يلاحظ أن المدينة بحاجة لما يعادل 217,38 هكتار من المساحات الخضراء المهيأة وأن معظم قطاعات المدينة بحاجة الى مزيد من المساحات الخضراء المهيأة فيما عدا المنطقة الصناعية مجسدة في القطاع 06، كما يلاحظ أيضا أن القطاعين 2، 3 يسجلان العجز الأكبر بـ 78,86، 75,14 هكتار على الترتيب وهذا بالنظر لحجميهما السكانيين الكبيرين أنظر(الشكل 03) يلاحظ أيضا غياب كلي للمساحات الخضراء المهيأة أو للحدائق بالقطاعات العمرانية 03،07،08،09 ولتعويض هذا العجز الكبير فانه من الضروري التدخل على مستوى المساحات الخضراء غير المهيأة المنتشرة هنا وهناك بمختلف الأحياء السكنية للمدينة بتهيئتها والحفاظ عليها من جهة والعمل على تصنيف بعضها لمنحها الحماية القانونية.



المماثلة للحجم السكاني للمدينة يمكننا معرفة العجز المسجل بخصوص المساحات ال خضراء.

6) استعمال مؤشر التغطية النباتية في دراسة المساحات الخضراء بمدينة تبسة :
من العوامل المساعدة على تحقيق التنمية المستدامة في بعدها البيئي هو ازدهار الغطاء النباتي حيثما وجد في مستوى الأوساط الريفية او الحضرية، باعتبار أن ذلك يسهم في استقرار الأنظمة البيئية، التي أصبحت مهددة بالتقهقر والتحول الى الحالة الانتكاسية بدل الارتقائية ضمن ما نطلق عليه «الكليماكس» أو الاوج المناخي النباتي للأوساط الطبيعية، بينما اتت المدن والتجمعات الحضرية على حساب مساحات شاسعة من الغطاء النباتي وخاصة بالمدن الواقعة بالعروض القريبة من خط الاستواء، يساعد الغطاء النباتي بما يشمله من مساحات خضراء أو مشجرة او غابية في التقليل من غاز الفحم وخاصة على مستوى الأوساط الحضرية التي تعتبر مصدر إنتاج أساسي له (السيارات والمصانع والتدفئة) وفي استقرار التربة والحد من الانجراف والسماح بنفاذ المياه لباطنها وبالتالي تغذية المخزون الباطني من المياه، والتقليل من خطر الفيضانات، زيادة على الفائدة الاقتصادية، والنفسية للمساحات الخضراء، ودورها في خلق مناخ محلي (بعملية التركيب الضوئي وعملية التبخر النتح) والتقليل من ارتفاع درجة الحرارة بالحواسر مثل هذه الفوائد وغيرها سبقت الاشارة اليها أثناء تطرقنا لأهمية المساحات الخضراء .

Normalized difference vegetation : (1-6 مؤثر التغطية النباتية)⁽¹⁴⁾ : index

نبذة عن المؤشر واستخداماته: يعرف اختصارا باسم NDVI من المؤشرات الطيفية الأكثر استخداما في تحليل صور الأقمار الصناعية، ودراسة الغطاء النباتي والحرائق والتصحر وانزلاقات التربة وغيرها من الظواهر الطبيعية، تم تطويره بواسطة روزي وزملاؤه سنة 1974 صيغته: $NDVI = (PIR - R) / (PIR + R)$

حيث: (NDVI : مؤثر التغطية النباتية)، (PIR: الأشعة القريبة من تحت الحمراء)، (R: الأشعة الحمراء ضمن الطيف المرئي)، ان قيم معامل التغطية النباتية تتراوح بين +1 و -1 وتدل القيمة +1 على الغطاء النباتي الكثيف بينما تدل القيمة -1 على انعدام الغطاء النباتي، وكلما كانت قيم هذا المعامل موجبة وأقرب الى +1 كلما زادت كثافة النباتات الخضراء، وتفسير هذا ان معامل انعكاس الأشعة القريبة من تحت الحمراء PIR يكون كبيرا لدى النبات الأخضر، أما الأشعة الحمراء فان انعكاسها يكون قليلا، لأن طيف الأشعة المرئية الممتصة من طرف النبات الأخضر تبلغ ذروتها في الأطوال الموجية للأشعة الحمراء . ويسمح هذا المؤشر بمعرفة وضعية الغطاء النباتي⁽¹⁵⁾ أو المساحات الخضراء من حيث كثافتها او فقرها للأسباب التي ذكرنا بعضها سابقا، ومن ذلك فالمدن أو التجمعات العمرانية عادة مايتسبب توسعها ونموها في فقدان الأراضي الزراعية والمساحات الطبيعية

لصالح الاسمنت والإسفلت وبالتالي تساعد على فقدان الغطاء النباتي، غير انها بالمقابل قد تساعد في زيادة المساحات الخضراء او المشجرة وخاصة في المدن المتواجدة بالأوساط الجافة كحال مدينة تبسة، اذا ما تمت مراعاة المعايير التخطيطية المناسبة في ميدان التهيئة والتعمير . فهل هذه هي الحقيقة في المدينة محل دراستنا ؟ وهل هناك تطور للغطاء النباتي على مستوى المدينة ؟

6-1-1) الأدوات والوسائل المستعملة :

لمعرفة مدى مساهمة التوسع العمراني في زيادة المساحات الخضراء بجميع أصنافها على مستوى المحيط العمراني سنعتمد على صور القمر الصناعي متعددة الأطياف لاندسات 8⁽¹⁶⁾ (Landsat 8) تتمتع بدرجة وضوح Résolution تتراوح بين 30 و 15 متر وهي متاحة للمختصين في ميدان الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية مجانا (2013-2016)، لذا فقد اعتمدنا عليها لحساب قيمة المؤشر المذكور بمدينة تبسة بغية معرفة درجة انتشار النبات الأخضر والمساحات الخضراء بها، خاصة وأن هذا المؤشر يأخذ في الحسبان كافة الغطاء النباتي الأخضر على مستوى المدينة ولا يقتصر على المساحات الخضراء المهيمنة، التي سبقت دراستها . مواصفات صور القمر الاصطناعي Landsat 8 (OLI and Thermal Infrared Sensor (TIRS)) يبينها الجدول التالي :

الجدول (03) نطاقات أطياف صور اللاندسات (Landsat 8 OLI) وخصائصها¹⁷

Landsat 8 Operational Land Imager (OLI) and Thermal Infrared Sensor (TIRS) Launched February 11, 2013	Bands	Wavelength (micrometers)	Resolution (meters)
	Band 1 - Coastal aerosol	0.43 - 0.45	30
	Band 2 - Blue	0.45 - 0.51	30
	Band 3 - Green	0.53 - 0.59	30
	Band 4 - Red	0.64 - 0.67	30
	Band 5 - Near Infrared (NIR)	0.85 - 0.88	30
	Band 6 - SWIR 1	1.57 - 1.65	30
	Band 7 - SWIR 2	2.11 - 2.29	30
	Band 8 - Panchromatic	0.50 - 0.68	15
	Band 9 - Cirrus	1.36 - 1.38	30
	Band 10 - Thermal Infrared (TIRS) 1	10.60 - 11.19	100 * (30)
Band 11 - Thermal Infrared (TIRS) 2	11.50 - 12.51	100 * (30)	

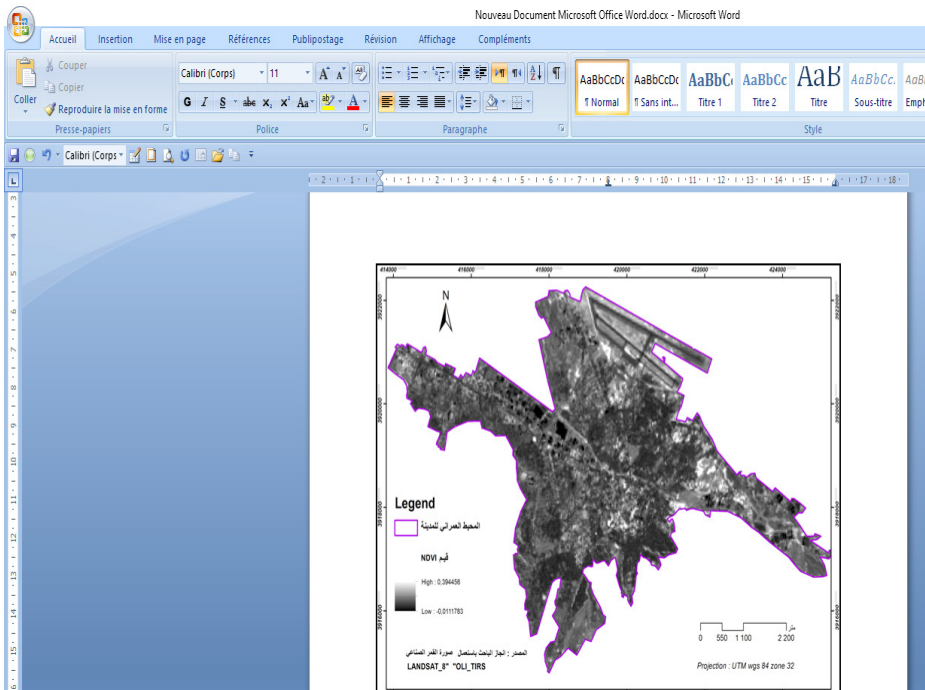
تطلب الأمر لتحقيق ما سبق اي معرفة مدى انتشار الغطاء النباتي الأخضر في الوسط الحضري للمدينة

1- الحصول على صور الأقمار الصناعية (مرئيات Multispectral Landsat) وبهذا خصوص ولفادي التداخل بين النباتات العشبية والشجيرات والأشجار المعمرة اخترنا

صور القمر الصناعي لنهاية شهر أوث، حيث لا تبقى سوى النباتات الملازمة للحدائق والمساحات الخضراء المنتشرة في بعض أجزاء المدينة إضافة الى النباتات المتواجدة بالقرب من مجرى الواد الكبير شمال المدينة، أما النباتات الحولية⁽¹⁸⁾ العشبية المتمثلة في الاستبس فمعظمها يموت لاكتمال دورة حياتها التي تدوم أقل من سنة ثم اقتطاع المساحة الخاصة بالمدينة باستعمال الوظيفة clip أو Cropping بمساعدة برامج نظام الاعلام الجغرافي SIG وخاصة منها Arc GIS و Global mapper، اختيار التاريخ المناسب للصورة.

2- الاعتماد على برنامج ArcGIS من خلال تطبيق المعادلة المذكورة سابقا للمؤشر على Raster Calculator ضمن أدوات ArcToolBox. علما أن النطاقات التي تم استخدامها هي الخامس (NIR - Near Infrared Band5) والنطاق الرابع (Band 4 - Red).

3- اخراج الخريطة الخاصة بمؤشر التغطية النباتية لمدينة تبسة (NDVI) لنهاية شهر أوث 2015 «الخريطة 04».



جدول (04) قيم NDVI بمدينة تسة ليوم 25 / 08 / 2015 (19)

الانحراف المعياري	القيمة الدنيا	القيمة القصوى	المتوسط
0,03	-0,01	0,39	0,11

بعدها تبين أن قيم مؤشر التغطية النباتية بالمدينة، تتراوح بين 011- و 0394 وهي ضعيفة تدل على نقص المساحات الخضراء التي تسودها الأشجار الكثيفة، وقيم NDVI تعكس درجة كثافة الغطاء النباتي، كما اتضح لنا بعد عملية الحساب أن متوسط مؤشر التغطية النباتية بالمدينة يساوي 011 أما الانحراف المعياري فقدر ب 0.03 ومنه فان معامل الاختلاف يساوي 2727٪. وهو ما يدلنا أيضا على تشتت نسبي للمساحات التي تغطيها نباتات خضراء عبر ارجاء المدينة، ان النتائج المتحصل عليها لهذا التاريخ لا تحالف الحقيقة بل تطابقها وفق معرفتنا للمجال المدروس وانتشار النباتات عبره، التي يشار اليها باللون الأبيض على الخريطة، فهي تلازم المساحات الخضراء المنتشرة بوسط المدينة بالقطاع العمراني 01 مثل الحديقة العمومية بجوار مقر البلدية، والحديقة العائلية للتسليية ومساحات منتشرة قرب مطار الشيخ العربي التسي بالقطاع 05 وكذلك أخرى منتشرة بالقرب من مقبرة تاغزة شرق المدينة بالقطاع 07 وهي ملازمة للاستخدام السكني على شكل حواجز او صفوف وبعض البساتين أقامها أصحابها هناك، والمساحات الخضراء التي تشغلها أشجار بالقطاع 09 حيث توجد الجامعة المركزية (التي تضم أشجار السرو cypres والصنوبر الحلبي و أشجار اخرى) وكذا المساحات الاخرى التي سبق لنا التطرق اليها من قبل الحديقة العمومية السنوسي، الحديقة العامة للترفيه بالقطاع 06، حديقة الدوكان بالقطاع 04 والنهضة بنفس القطاع

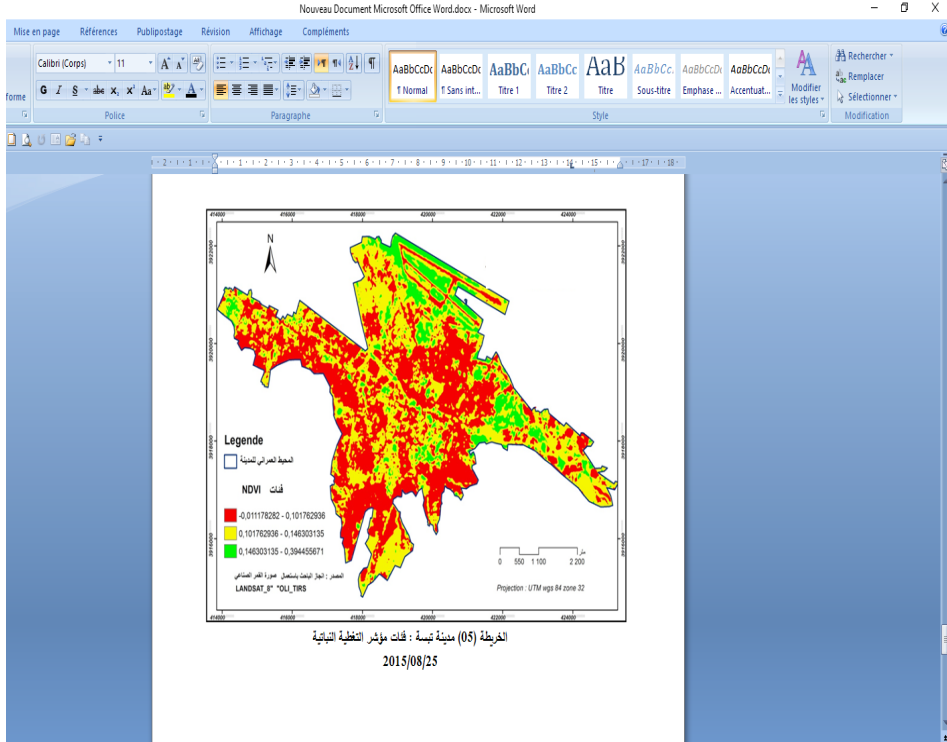
الجدول (05) مدلول قيم مؤشر التغطية النباتية (20) NDVI

قيم المؤشر	نوع الغطاء النباتي
0.75 - 0.01	غطاء نباتي غير صحراوي
القيم السالبة	البحيرات والأنهار والمحيطات
0.01 - 0	نباتات صحراوية متناثرة
0.075 - 0	الغيوم

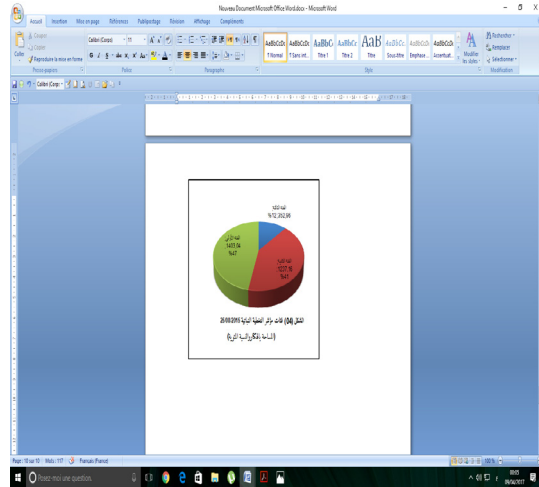
الجدول (06) توزيع مساحات فئات NDVI بمدينة تبسة 25 / 08 / 2015 (2¹)

الفئة	قيم NDVI	المساحة (هـ)	%
01	-0,011(- 0,1017)	1403,041342	47
02	0,1017 - 0,146	1237,163901	41
03	0,146 - 0,394	352,962991	12
المجموع	-	2993,17	100

6-2) حساب مساحة الغطاء النباتي الاجمالي وفق NDVI على مستوى المدينة :
 لمعرفة مجموع المساحات الخضراء يجب علينا اعتماد القيم الموجبة لمعامل التغطية النباتية (NDVI) على مستوى المدينة أي القيم المحصورة بين الصفر و 0,394 أي ضمن المجال [0,394، 0] وبعد الحصول على الصورة الفضائية الخاصة بهذا المؤشر ضمن النطاق المحدد يتم تحويلها من صيغة Raster الى صيغة Polygone لمعرفة المساحة الاجمالية وتوزيعها على القطاعات العمرانية . دلالات المؤشر المذكور يوضحها الجدول 05، غير أنه يفضل اعتماد القيم الأكبر من 0,01، لكننا وبعد استعمال صورة القمر الاصطناعي وتصنيف قيم المؤشر وبعد عملنا على مطابقة ذلك بالمعينة الميدانية تبين لنا أن قيم NDVI الدالة فعلا

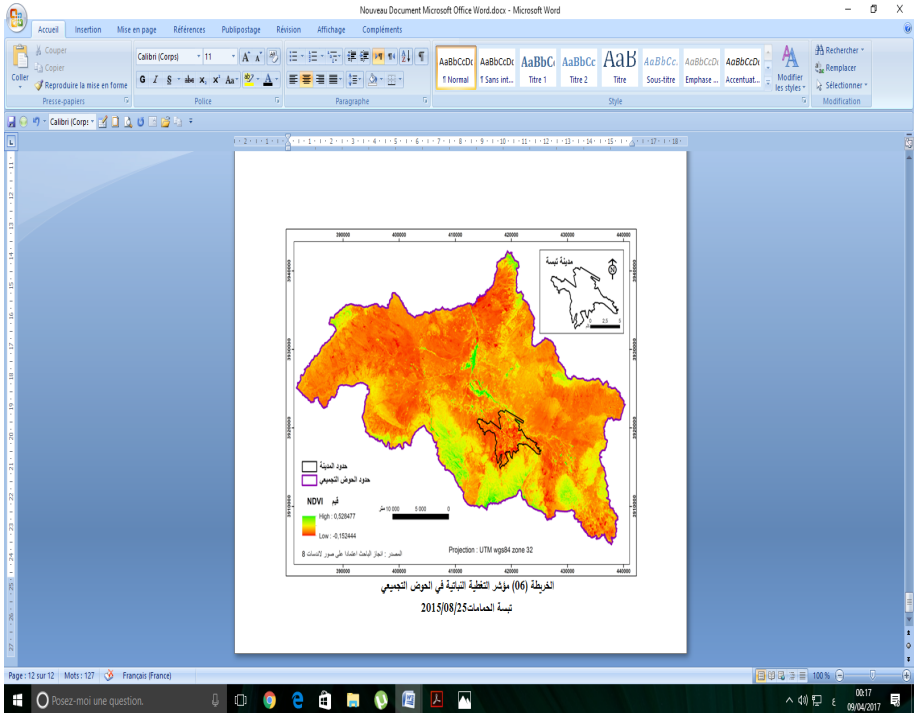


على الغطاء النباتي في مدينة تبسة تتراوح بين 0,1463 و 0,3944 كما يتضح من الفئة الثالثة على الجدول 06 والخريطة 05، أما الفئة الثانية فمعظمها نباتات عشبية، ويتضح لنا من الخريطة بوضوح الأجزاء التي تنتشر بها النباتات الخضراء مجسدة في اللون الأخضر (الفئة الثالثة) شمالا بالقطاع العمراني 05 حيث يوجد مطار تبسة أين تتواجد مساحات تغطيها أشجار الصنوبر وهي محدودة مقارنة مع ما يبدو لنا على الخريطة لأن المساحات الأخرى تغطيها نباتات خضراء عشبية بالقرب من المطار وشجيرات (الدفلة والملاح) ونبات (القطف Atriplex) وبعض الزراعات بالأجزاء القريبة من الواد الكبير، كما نجد بنفس القطاع حديقة التسلية والترفيه التي تضم أشجارا، ومساحات خضراء يعتمد استمرارها على عملية السقي، وبالقطاعين العمرانيين 01، 04 متمثلة في الجيوب الخضراء المهينة المتواجدة داخل النسيج العمراني، المتكونة من عشب أخضر كبعض الممرات، و الحواجز النباتية الخضراء (سياج نباتي)، والأشجار والشجيرات المتناسقة، وتساعد جميعا في إخفاء صبغة جمالية لشوارع ومباني المدينة بالقطاعين إضافة الى المساحات الخضراء الواقعة المرافقة لبعض الاستخدامات الصحية كمستشفى خالد بن عبد العزيز بالقطاع 01 ومستشفى الاستعجالات الطبية الجراحية بشارع بلقاسم يوسف بالقطاع 04 وغيرها من المساحات المرافقة للمؤسسات التعليمية والإدارية المختلفة. تقدر مساحة الفئة الثالثة بـ 12٪ أو مايعادل 353 هكتار غير أن مساحة لا تقل عن 30٪ تشغلها حشائش وليست بأشجار لذلك نجد نصيب الفرد الواحد من إجمالي المساحات 1064 م²/فرد.



3-6) تحليل مؤشر التغطية النباتية على مستوى الحوض التجميعي (تبسة-الحمامات) : لمعرفة الحالة التي تميز الغطاء النباتي بالمناطق المجاورة لمدينة تبسة وبغية الوصول الى

وضع توصيات تتعلق بزيادة رقعة الغطاء النباتي وكثافته وهو ما يسهم بدوره في تثبيت السفوح الجبلية ويضطلع بدور مهم في حماية التربة من التعرية (22)، وخاصة منها تلك المنتشرة جنوب المدينة (جبل بورمان، جبال الدوكان، المستيري)، قنفذة شمالا وغيرها، وجب علينا العمل على تحديد الحوض التجميعي الواجب أخذه بعين الاعتبار في العملية وهو الحوض التجميعي (تبسة - الحمامات) (32) أو بمعنى المجال المحدد بخط تقسيم المياه لمدينة تبسة ومدينة الحمامات المجاورة، وقد أخذنا الحوض التجميعي لهما نظرا للتداخل الملحوظ بالنسبة للشبكة المائية (وادي بوعكوس ينبع من الحمامات ليتصل بالواد الكبير بسهل المرجة) يمتد الحوض التجميعي المذكور على مساحة 1023 كلم² وللحصول على الخريطة 06 استعملنا صورة القمر الاصطناعي Landsat8 التي يعود تاريخها الى 2015/08/25 وتطبيق المعادلة الخاصة بهذا المؤشر (باستعمال النطاقين الخامس والسادس بدرجة وضوح أو دقة 30 متر) وقد سبق لنا استعمال هذه الصورة لدراسة هذا المؤشر بالنسبة لموضع مدينة تبسة .



6-3-1) التحليل و التقييم :

يلاحظ من الخريطة أن مؤشر (24) NDVI يأخذ قيما تتراوح بين 0,528 كحد أقصى وهو ما يتوافق وأعلى كثافة للنباتات الخضراء على مستوى الحوض وتتواجد بجبال تبسة

المتددة جنوب المدينة وخاصة بجبل بورمان، جبال الدوكان والمستيري وأجزاء أخرى بأقصى الشمال تنتشر بها أشجار الصنوبر الحلبي وبعض شجيرات البلوط الأخضر كما نجد القيم العالية نسبيا لهذا المؤشر بشمال غرب المدينة بصفاف الواد الكبير لكن النباتات الخضراء المنتشرة بهذا الجزء تتمثل في النباتات العشبية المحبة للماء بالواد الكبير ونباتات الملاح والدفلة وبعض النباتات النجيلية التي تلازم البرك المائية ومجاري الأودية (Iris des marais) وبعض المزروعات، كما نجد القيم الصغيرة لهذا المؤشر أي القيم الأقل من الصفر التي تصل الى (-0,15) ملازمة للمساحات الجرداء بالمرتفعات الجبلية والسهول.

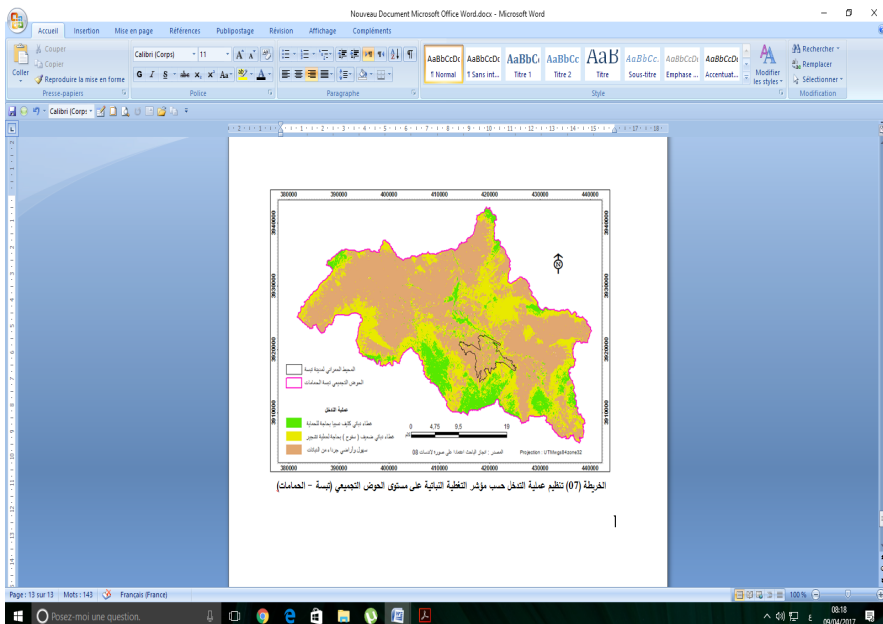
الجدول (07) توزيع فئات مؤشر NDVI في الحوض التجميعي (تبسة- الحمامات) وتوجيه عملية التدخل (25)

النطاق النباتي	المساحة (كلم2)	فئات NDVI	%	النباتات	اقتراح التدخل
01	583,00	[-0,1225(-0,1524)]	57	نباتات عشبية (حولية) بالسهول ومساحات جرداء عارية في بعض السفوح والمرتفعات.	تشجير المرتفعات والسفوح لتقليل من انجراف التربة وحدة الفيضانات .
02	328,10] [0,1733-0,1225	32	غطاء نباتي ضعيف) يميزه اكليل الجبل)	عملية تكثيف بالتشجير لتثبيت السفوح الجبلية.
03	112,16] [0,528-0,173	11	غابة (أشجار الصنوبر الحلبي) كثافة متوسطة	الحماية من الحرائق والنهب .
المجموع	1023,27	-	100	-	-

6-3-2) توصيات وتنظيم عملية التدخل على مستوى الحوض التجميعي :
 بهدف الوصول الى وضع توصيات متعلقة بالغطاء النباتي على مستوى الحوض التجميعي (تبسة - الحمامات) من شأنها المساهمة في تثبيت التربة بالسفوح الجبلية وزيادة احتفاظها بالماء من جهة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة في بعدها البيئي بصفة عامة، وبالتالي حماية المدينة بطريقة غير مباشرة من أخطار الفيضانات والأمطار السيلية الجارفة كان لا بد علينا من وضع تصنيف للغطاء النباتي وتحديد المساحات التي تتمتع بكثافة في هذا الميدان وتلك الفقيرة الى الغطاء النباتي، اعتمدنا على صور اللاندسات التي سبقت الإشارة إليها من قبل

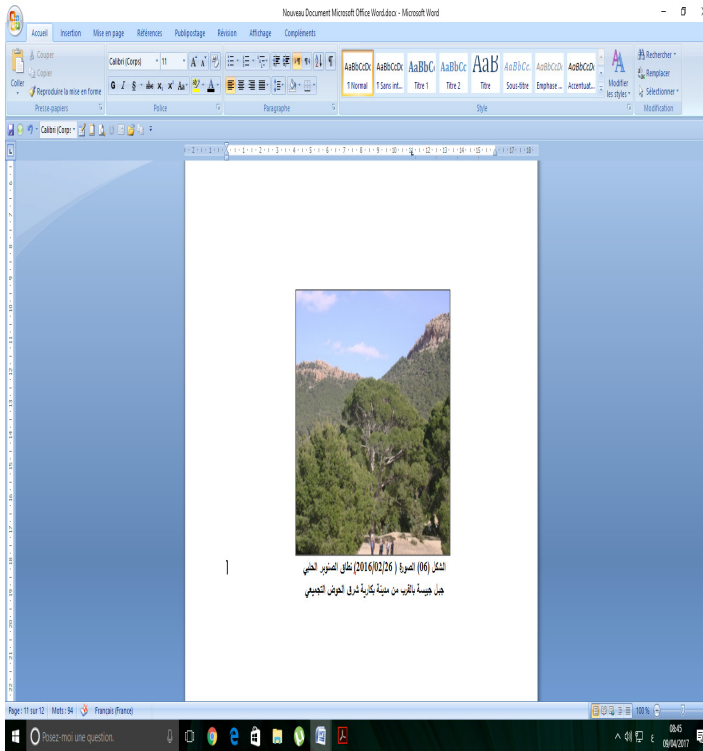
وباستعمال برمجيات نظام الاعلام الجغرافي وتحديدًا (ARCGIS 10.2.2) وبعد معالجة صورة القمر الصناعي متعددة الأطياف أمكننا الحصول على الجدول 07 الذي يتبين منه اعتمادنا في تحديد النطاقات النباتية على ثلاث فئات تماشيا مع فئات NDVI وهذه الفئات هي :

الفئة 01 : وتمثل النطاق النباتي الأول يحتل مساحة تقدر بـ 583 كلم² أو مايعادل 5.7 % من مساحة الحوض التجميعي (تسبة - الحلمات) تتراوح قيم مؤشر التغطية النباتية بهذا النطاق بين 0.152- كحد أدنى و 0,1225 كحد أعلى وتعود به النباتات الحولية التي تكمل دورة حياتها في أقل من سنة وفي شهر أوت يكون معظمها قد أتم دورة حياته لذا فان الأراضي التي يشملها هذا النطاق تبدو قبل حلول فصل الخريف مناطق جرداء خالية من النباتات الخضراء، ومن هنا تأتي القيم الضعيفة جدا لمؤشر التغطية النباتية، كما يضم هذا النطاق أيضا المناطق الجبلية ذات التركيب الكلسي الجرداء من النباتات جنوب المدينة بجبال الدكان وجنوب غرب المدينة بهضبة تازبنت وكذا في أجزاء اخرى بالمرتفعات شمالا وشرقا، وتدخل على هذه الأجزاء يجب تفادي الحرق العشوائي لهذه الأراضي بل ويجب حماية بعض النباتات التي تنتشر بمثل هذه الأراضي نذكر منها نبات الحلفاء alfa، القطف Atriplex، الشيح armoise وهي نباتات تساعد على تثبيت التربة ومقاومة انجرافها وبالتالي تصحرها زيادة على فوائدها الطبية وفوائدها المرتبطة بنشاط الرعي بالمنطقة .

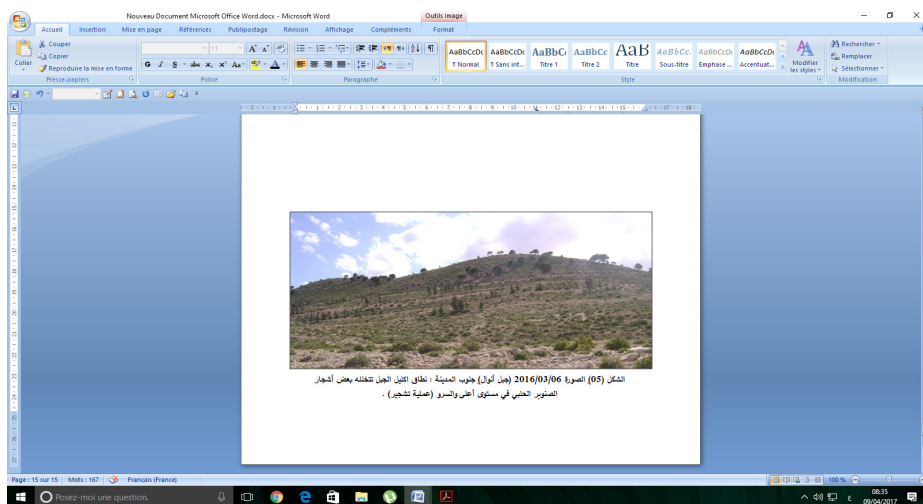


الفئة 02 : وتمثل النطاق النباتي الثاني يحتل مساحة تقدر ب328,10 كلم² أو مايعادل 32 % من مساحة الحوض التجميعي (تبسة - الحمامات) تتراوح قيم مؤشر التغطية النباتية بهذا النطاق بين 0,1225 كحد أدنى و 0,1733 كحد أعلى يتميز هذا النطاق بغطاء نباتي ضعيف مع انتشار نبات «اكليل الجبل» به بالسفوح الجبلية الواقعة جنوب و جنوب غرب المدينة والحوض التجميعي عامة وكذا شرقا بسفوح جبل جبيسة وبورمان وهذا النطاق المعبر عنه باللون الأصفر في الخريطة 07 بحاجة الى تدخل بعملية تشجير وباستعمال الأنواع النباتية المناسبة مثل الصنوبر الحلبي Pin d'Alep والسرو cyprès وغيرها من الأنواع النباتية التي تنتمي الى العائلة المخروطية أو الصنوبريات لقدرتها على مقاومة التطرف المناخي، والترب المختلفة كلسية قلبية كانت أم سيليسية حامضية .

الفئة 03 : وتمثل النطاق النباتي الثالث يحتل مساحة تقدر ب112,16 كلم² أو مايعادل 11 % من مساحة الحوض التجميعي (تبسة - الحمامات) أي عشر المساحة، تتراوح قيم مؤشر التغطية النباتية بهذا النطاق بين 0,1733 كحد أدنى و 0,528 كحد أعلى يتميز هذا النطاق بغطاء نباتي كثيف نسبيا أو متوسط الكثافة يطبعه انتشار أشجار الصنوبر



الحلبي وأنواع أخرى من الصنوبريات وأحيانا نجد شجيرات الفلين الأخضر على مساحات محدودة هذا النطاق يتوافق واللون الأخضر على الخريطة بمرتفعات جبال تبسة جنوب وجنوب شرق المدينة على الخصوص (جيسة وبورمان جنوب شرق،



الدوكان، المستيري من ناحية الجنوب والجنوب الغربي للمدينة) وهي جميعا جبال كلسية أطلسية تنتمي لجبال النمامشة وهذا النطاق بحاجة الى حماية من خطر الحرائق، وعمليات القطع والجدير ذكره أن جزء من غابة بكارية يستقطب حاليا العديد من العائلات كمتنزه طبيعي لسكان المدينة ورغم كونه يمثل ثروة طبيعية سياحية لكنها تفتقد كلية للتهيئة ولايتوفر على أدنى الشروط لاستقبال العائلات، وأبسطها توفر مسالك تسمح بولوج السيارات إليها بسهولة .

الجدول (08): توزيع القيم القصوى لمؤشر NDVI عبر القطاعات العمرانية لمدينة تبسة (26)

09	08	07	06	05	04	03	02	01	القطاعات العمرانية
0,22	0,33	0,38	22, 0	0,39	0,27	0,35	36, 0	0,29	قيم NDVI max

6-3-3) توزيع فئات NDVI max عبر القطاعات العمرانية 2015 / 08 / 25 :
 معرفة الاختلافات الموجودة بين القطاعات العمرانية لمدينة تبسة من حيث كثافة الغطاء النباتي الاخضر، متمثلا في المساحات الخضراء تطلب منا الأمر الحصول على القيم القصوى لمؤشر التغطية النباتية NDVI max موزعة على القطاعات العمرانية، وهذا لان القيم

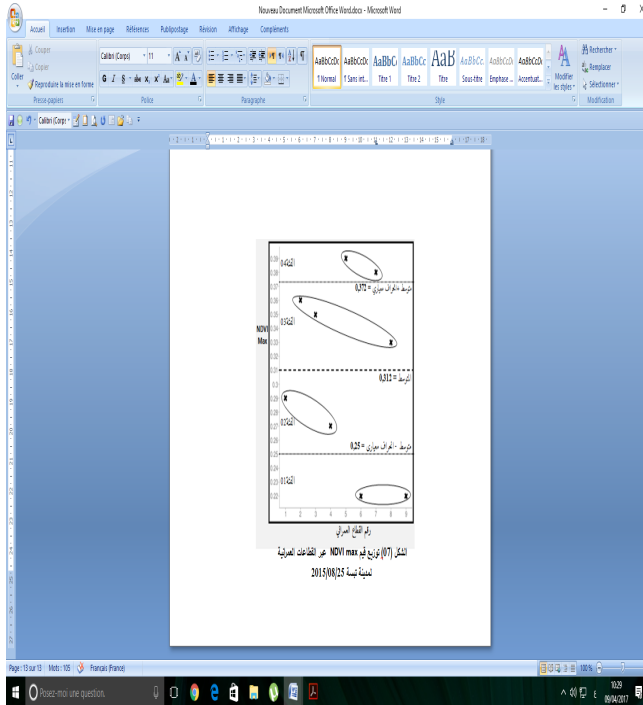
القصوى تعبر عن أكبر كثافة ممكنة على مستوى كل قطاع، فهي تسمح بالتمييز بين القطاعات اعتمادا على النباتات الخضراء الأكثر تباينا وارتفاعا، أي الشجيرات و الأشجار بصورة خاصة، هذا العمل استلزم توفر صور القمر الاصطناعي من نوع Landsat 8 المتكونة من 11 طبقة أو نطاق، ثم حساب قيم المؤشر المذكور لكافة القطاعات العمرانية بعد تجزئة الصورة الخاصة بالمحيط العمراني الى 9 أجزاء (قطاعات) ثم اعمال برنامج Arcgis 10.2 وأخذ الاحصائيات المتعلقة بالقيم القصوى للمؤشر، وكانت نتيجة

ذلك كما يوضحها الجدول 08 الذي من خلاله ومن الشكل 07 يتبين لنا أن القطاعات العمرانية لمدينة تبسة تتوزع في أربع فئات⁽²⁷⁾ تبعا للقيم القصوى لمؤشر التغطية النباتية وهذه الفئات هي :

الفئة الأولى : وتضم القطاعين 6 و 9 ويتمتعان بأصغر القيم (0,22) وبالتالي غطاء نباتي ضعيف جدا.

الفئة الثانية : وتضم القطاعين 4 و 1 بقيم تتراوح بين (0,27 و 0,29) وغطاء نباتي ضعيف.

الفئة الثالثة : وتضم القطاعات 8 و3 و2 بقيم تتراوح بين (0,33 و 0,36) وغطاء نباتي متوسط .

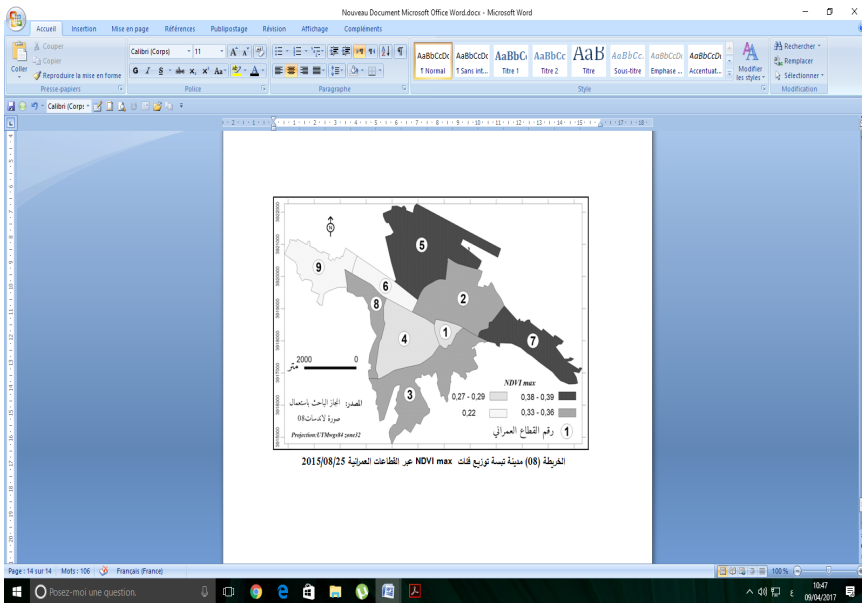


الفئة الرابعة : وتضم القطاعين 7 و 5 اللذان يتمتعان بأكبر القيم تتراوح بين (0,38 و 0,39)، وغطاء نباتي معتبر، وما يهمننا في هذا التصنيف هو الدلالة على ترتيب القطاعات العمرانية وفق توفرها على غطاء نباتي أخضر يفيد في تكريس أهداف التنمية المستدامة في بعدها البيئي كما أن هذا الترتيب يعتمد على المساحات الخضراء المهيأة أو غير المهيأة المنتشرة هنا وهناك على مستوى الأحياء السكنية او المرافقة لاستخدامات أخرى على حد سواء أنظر الخريطة أعلاه . من الخريطة يتبين لنا أنه رغم حاجة المدينة عامة الى المساحات الخضراء، ورغم أن هذه الأخيرة بصفة عامة بحاجة الى الكثير من العناية وإعادة الاعتبار إلا ان القطاعات التي تحتاج الى تدعيم أكثر من غيرها هي القطاعات 1، 4، 6، 9، وكما يبدو فمن بينها القطاع 04 رغم توفره على عدد أكبر من المساحات الخضراء المهيأة كما لاحظنا سابقا أثناء استعراضنا توزيع المساحات الخضراء المهيأة عبر القطاعات العمرانية للمدينة، لكنها عمليا في وضعية متدهورة وتفتقد الى العناية .

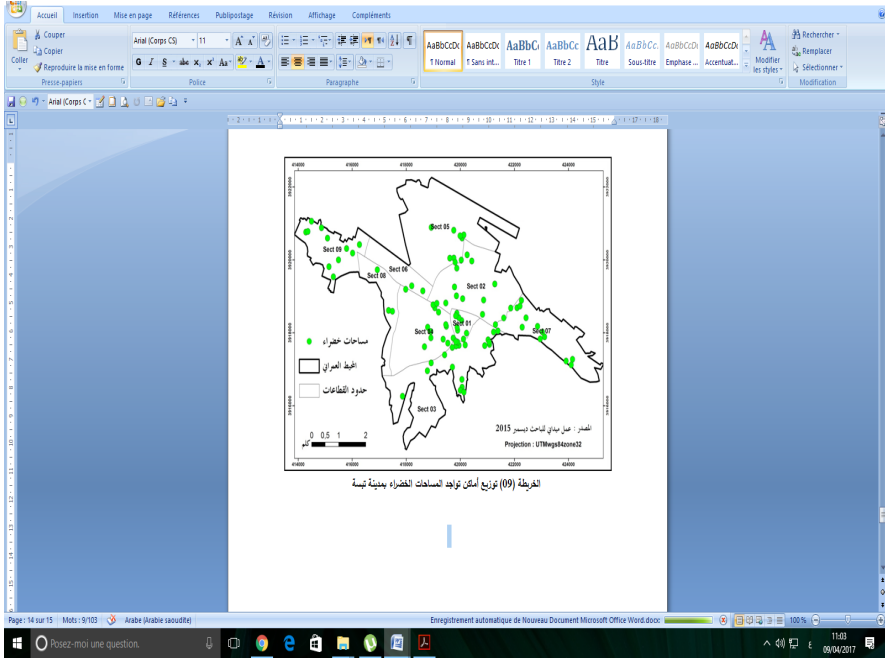
6-3-4) التدخل على مستوى المساحات الخضراء غير المهيأة :

للهوض بالمساحات الخضراء على مستوى المدينة ولتعويض النقص الفادح المتعلق بها على غرار الكثير من المدن الجزائرية يجب :

* إعادة الاعتبار للحدائق العمومية التي تعاني الاهمال زيادة على الحدائق الأخرى المتواجدة بالأحياء السكنية ومنها:



بالقطاع العمراني 09 بموضع الجامعة القديم جنوب الطريق الوطني رقم 10 وشماله (الأنابيب) بالمدخل الغربي للمدينة، وبتوسطة ابن خلدون والمركز التكنولوجي لتكوين الاطارات شبه الطيبة، وحي جبل أنوال وتلك المرافقة لبعض المرافق العمومية مثل ملعب 04 مارس، المركز الاجتماعي لرعاية البنات، ثانوية هواري بومدين، وبتوسطة محمد بوضياف وعمارات السكن نصف جماعي التي تفصلها عن الطريق الوطني 10 .



- * بالقطاع العمراني 08 بكل من حي الوثام، ثانوية الشيخ العربي التبسي (المتقن) .
- * بالقطاع العمراني 03 جنوب حي بير سالم، والمساحات الملازمة لبعض المرافق العمومية بين شارع دربال مين بن علي وشارع الميزاب بحي الجرف، المساحات الخضراء المنتشرة بحي الزيتون بالقرب من متوسطة لبيض علي جنوبا وتلك الموجودة شرق ثانوية مطروح العيد وجنوب ملعب بسطانجي اضافة الى تلك المنتشرة بحي الشيخ العربي التبسي، وبالقرب من مديريات التربية والغابات والتعمير والوكالة الوطنية للموارد المائية الى غاية متوسطة بدري عبد الحفيظ.
- * بالقطاع العمراني 04 حيث يتواجد مقر الولاية والمساحات المرافقة لثانوية مالك بن نبي وبتوسطة فرانتز فانون اضافة الى حديقتي النهضة و الدوكان العموميتين ومركز البريد الرئيسي مينارف، والمساحات الخضراء قرب متوسطة عيساوي عمار والحديقة العمومية المجاورة لحي سواعي عمار والمساحات المشجرة بمقر الجمارك .

* بالقطاع العمراني 05 المساحات الخضراء بمدخل المطار والجزء الممتد الى ميدان الفروسية L'hippodrome وتلك المتواجدة قرب ملتقى الطريق الوطني 16 ووادي رفانا .

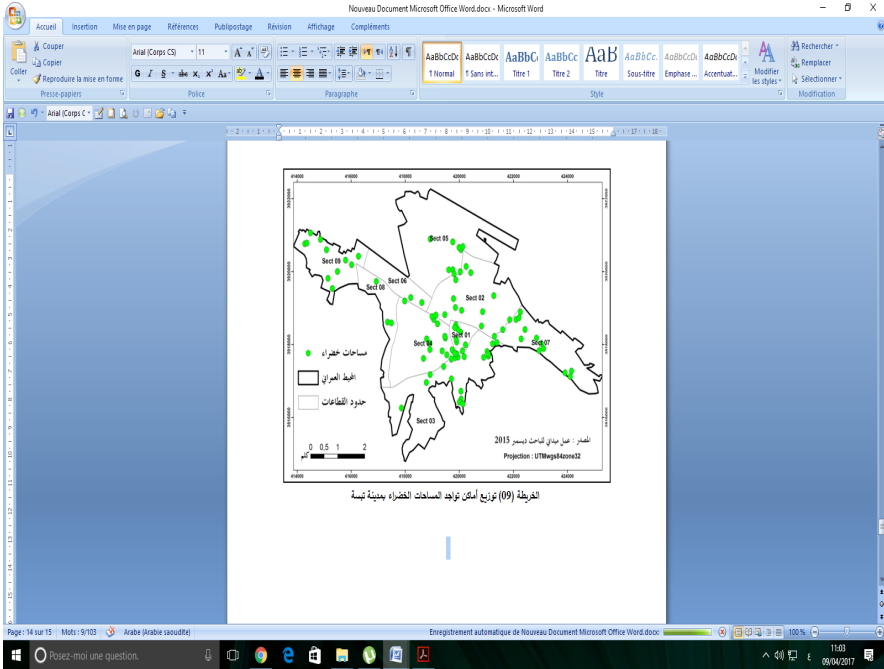
* وبالقطاع 02 من بين الفضاءات المشجرة المتواجدة بالمدرسة الابتدائية خمّان حسين بالقرب من حديقة السنوسي، والمقبرة المسيحية، وثانوية أبو عبيدة بن الجراح، وغيرها
* بالقطاع 07 نجد المساحات الخضراء المنتشرة غرب وشرق حي البعلا، وبالقرب من منطقة التخزين سونا طراك .

* بالقطاع العمراني رقم 01 من الضروري اعادة الاعتبار للمساحات الخضراء المشجرة التي تعاني من الازهال المحيطة بالسور البيزنطي من معظم الجهات، والساحة المركزية بوسط المدينة، والمساحات المشجرة الممتدة من المستشفى المركزي خالدي عبد العزيز شمالا الى غاية متوسطتي رضاحوحو وابن باديس بمركز المدينة .

جل هذه المساحات الخضراء المقترح اعادة الاعتبار لها للتخفيف من النقص الكبير في المساحات الخضراء المهيأة بالمدينة قد شملها القرار الولائي 777 الصادر بتاريخ 18 أوت 1999 عن مديرية التنظيم والشؤون العامة الذي سبق لنا الحديث عنه أنظر خريطة توزيع أماكن تواجد المساحات الخضراء بمدينة تبسة على مستوى الأحياء السكنية داخل القطاعات العمرانية، كما أن هذه المساحات تتوزع على أصناف عدة تبعا للمجموعات النباتية المستخدمة فيها ومنها الأشجار ونذكر منها السرو (cyprés) والصنوبر الحلبي (Pin d'Alep) والدلب (Platane) والصفصاف (saule) والكاليتوس (Eucalyptus) وقد أثبتت قدرتها على الازدهار في ظل المعطيات المناخية التي تميز المدينة، وكذلك أشجار الدردار (FRÊNE) وبعض أنواع الأكاسيا (Acacia)، وتساعد في الحصول على الظل وفي تكسير مسارات الرياح وهذا ما ينطبق بصورة خاصة على الصنوبريات التي تستعمل أحيانا كسياج لللبساتين وعلى امتداد بعض الشوارع وبالمرافق والمؤسسات وخاصة منها التعليمية .

* اعادة تصنيف بعض الحدائق المنتشرة عبر الأحياء السكنية لحمايتها ومنحها المناعة القانونية ومن ذلك حديقة حي جبل أنوال بالقطاع 09، الوثام بالقطاع 08 وغيرها من الحدائق، تشجير الأروقة الأمنية للارتفاقات الطبيعية أو التكنولوجية كتلك المتصلة بخطوط الكهرباء ذات الضغط العالي أو المتوسط، السكة الحديدية، المسافات الأمنية للطريق الوطني رقم 10 الذي يشكل المدخل الغربي للمدينة، والطريق الوطني رقم 16 مدخل المدينة الشمالي الغربي والطريق الوطني 82 وامتداداتها داخل المحيط العمراني وهو ما من شأنه أن يكون متنفسا للمدينة ، وكذا المسافات الأمنية للأودية التي تخترقه وخاصة واد زعرور ووادي رفانا، وروافد واد ميزاب، فموضع المدينة تتخلله الكثير من الارتفاقات المرتبطة بالشبكات.

* تشجير الرواق الأمني لخط الضغط العالي المار جنوب غرب المدينة وجعل الحزام الأخضر المترتب عن ذلك كحد لنمو وتوسع المدينة في هذا الاتجاه على المدى المتوسط (5-10 سنوات) تماشياً مع مقترح توسع المدينة الذي ورد في مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ما بين البلديات للمدى المذكور تسمح هذه العملية باستغلال 522 هكتار كمساحات خضراء على مسافة 15 كلم .



خاتمة :

يدخل هذا العمل في اطار دراسة البعد البيئي للتنمية المستدامة بمدينة تسة بالاعتماد على عنصر المساحات الخضراء، وقد عرفها مينا الدور الحيوي لها، كما عرفها وفق القانون 06-07 المؤرخ في 13 مايو 2007 المتعلق بتسيير المساحات الخضراء وحمايتها وتنميتها، الذي اولها المزيد من الاهتمام كما بين توزيع المساحات الخضراء المهياة في المدينة ومدى العجز والقصور المسجل في هذا الميدان (نصيب الفرد من مساحة الحدائق بالنسبة للمدينة سنة 2015 قدر بـ 0,64 م²/فرد) وهو بعيد عن المتوسط الوطني 2 م² للفرد الواحد، كما قدر العجز في المساحات الخضراء بالمدينة سنة 2015 بحوالي 217 هكتارا تماشياً مع ما تمليه شبكة التجهيزات الوطنية 1995 من معيار وهو 10 م²/ساكن خاص بالمدن ذات حجم 200000 نسمة .

وبخصوص توزيع هذا الاستخدام بالمدينة فان معظم القطاعات العمرانية تفتقر للمساحات الخضراء المهيأة، وقد أفضت الدراسة الى أنه ولتدارك هذا العجز ينبغي كأول خطوة اعادة الاعتبار للمساحات الخضراء غير المهيأة المنتشرة بمختلف أحياء المدينة، لقد تسنى لنا دراسة هذه الأخيرة باستعمال مؤشر التغطية النباتية لشهر أوت 2015 واعتمادا على صور القمر الصناعي Landsat8 المتعددة الأطياف و برمجيات نظم المعلومات الجغرافية (SIG) لتعذر واستحالة الحصول على معلومات كهذه بطريقة تقليدية حيث تبين أن هذا المؤشر (NDVI) بالمدينة يعد ضعيفا (متوسط مؤشر التغطية النباتية بالمدينة يساوي 0.11 أما الانحراف المعياري فقدر ب 0.03 ومنه فان معامل الاختلاف يساوي 27/27 % وهو ما يدلنا أيضا على تشتت نسبي للمساحات عبر أرجاء المدينة)، وأمكن حساب مساحة الغطاء النباتي وفق قيم (NDVI) المعبرة عن الغطاء النباتي بالمدينة وبين ذلك امكانية تغطية العجز بالمساحات الخضراء غير المهيأة المنتشرة بأحياء المدينة لبلوغ 1064م² للفرد الواحد، وبإعمال الاستشعار عن بعد بذات الطريقة كان تحليل مؤشر التغطية النباتية على مستوى الحوض التجميعي (تبسة - الحمامات) الممتد على 1023 كلم²، حيث سمح بتصنيف النباتات ومعرفة كثافتها ووضع اقتراحات لعملية تدخل هادفة لتنمية الغطاء النباتي بالحوض التجميعي للحفاظ على النظام البيئي والتنوع البيولوجي والمساعدة في تثبيت السفوح وحماية المدينة بطريقة غير مباشرة من خطر الفيضانات، زيادة على دورها الحيوي في التقليل من غازات الدفيئة، وبالتحديد غاز الفحم بالإضافة لدورها كعامل أساسي لثبات النظام البيئي للكرة الأرضية، وشملت الدراسة أيضا توزيع القيم القصوى لمؤشر التغطية النباتية NDVI عبر القطاعات العمرانية 25 / 08 / 2015 للمدينة وأخيرا وضع اقتراحات لتطوير المساحات الخضراء بها .

الهوامش والمراجع:

- د. رجاء وحيد الدويدري: البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 2003، ص 88 .
- 2 المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية تبسة 1995 .
- 3 التصنيف وفق طريقة أومبرجي أنظر: علي حجلة (مدينة الميلية : النمو الحضري وأفاق التوسع سنة 2010) رسالة ماجستير في تهيئة المجال، معهد علوم الأرض، جامعة قسنطينة 1999، ص 16 .
- 4 الجريدة الرسمية عدد 31 مؤرخة في 13 مايو 2007، الصفحة 6 .
- 5 أنظر: <http://www.startimes.com/?t=31662450> بتصرف .
- 6 تشير الأبحاث العلمية أن كل منطقة سكنية مربوطة بحزام من الأشجار بعرض واحد (01) كم يمكن أن يُساعد في تخفيض درجة الحرارة في تلك المنطقة من 2 إلى 3 درجات مئوية، مما يبرز أهمية الدور الذي يقوم به الغطاء النباتي أو الغطاء الأخضر .
- 7 د.حسن أحمد شحاتة: البيئة والمشكلة السكانية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001، ص 39 .
- 8 المصدر: تحقيق الباحث + Google earth prof لحساب المساحات
- 9 نظرا لتعدد وكثرة مواقعها (34 موقعا) مع عدم توفر معطيات دقيقة بخصوصها سنأتي لدراستها باستعمال صور اللاندسات 8 وباستعمال برنامج Arcgis10.2 .
- 10 د/ صالح محمود وهبي، د.إتسام درويش العجي: التربية البيئية وآفاقها المستقبلية دار الفكر دمشق. الطبعة الأولى. 2003. ص 262 .
- 11 هذه المواقع هي : شارع واد هلال، حي سواحي علي، مقابل مقر البلدية، خارج الحائط الروماني، وسط المدينة، ساحة النصر، مقابل دار الشباب حي الزاوية، طريق عنابة مفترق الطرق مع طريق المطار، شارع الأمير عبد القادر، شارع هواري بومدين، قاعة المؤتمرات، مفترق الطرق شارع هواري بومدين طريق الجرف، حي 250 سكن فارس يحيى، ساحة اللعب بجانب المديرية الجهوية للجمارك، الساحة العمومية الواقعة بمحاداة شارع هواري بومدين وبالقرب من القاعة الرياضية، ساحة اللعب مقابل مدرسة 04مارس 1956، ساحة خضراء تخصيص المنطقة العمرانية رقم 01، ملعب الكرة الحديدية، الساحة العمومية بالقرب من محطة نفضال طريق قسنطينة، الساحة العمومية محطة القطار، ساحة اللعب 1576 سكن مقابل 334 سكن، قطعة أرض تابعة لتخصيص المرجة، ساحة اللعب طريق عنابة مقابل مدرسة شنيخر عيسى، قطعة ترابية مقابل المصلحة التقنية لشركة الكهرباء والغاز الجرف، قطعة ترابية مقابل عيادة عبد اللاوي، ساحة اللعب داخل 476 سكن طريق عنابة، مساحة عمومية بجانب مدرسة بو عامر السعيد طريق عنابة، مساحة تخصيص عنابة 02 وتخصيص دنيا بجانب عمارة 162 نزل عاشي، قطعة أرض بجانب ثانوية فاطمة الزهراء، قطعة أرض بين الجامعة وعمارات أول نوفمبر، مساحة مقابل ملعب بسطنجي وبجانبه، ساحة اللعب بجانب جسر دراع الامام، ساحة خضراء الضغط المرتفع دراع الامام تخصيص عنابة 04، ساحة عمومية بجانب مديرية الاسمنت جسر رضا حوحو .
- 12 تحقيق ميداني للباحث .()

13 العجز بناء على أن نصيب الفرد هو 10م2/ ساكن خاص بالمدن ذات حجم 200000 نسمة، أنظر شبكة التجهيزات الوطنية 1995 ص 40.

14 () Détection de la végétation à partir d'une image satellitaire, Ahmed Tidjani et Ali Khorsi et Ziani Université Amar Thelidji Laghouat Algérie - Licence 2010.

Voir aussi :

<http://www.sigterritoires.fr/index.php/utiliser-les-images-landsat-gratuites-dans-arcgis-arcmap-pour-le-ndvi/>

15 () منار محمد أحمد شولي : دراسة غطاءات الأراضي بمنطقة نابلس باستعمال تقنية الاستشعار عن بعد، رسالة ماجستير في الجغرافيا جامعة النجاح فلسطين 2008 ص 45.

أنظر أيضا: http://earthobservatory.nasa.gov/Features/MeasuringVegetation/measuring_vegetation_2.php

16 () تم إطلاق القمر الصناعي لاندسات 8 Landsat 8 OLI يوم 11 فبراير 2013، فيما تم نشر أولى صورته للتحميل ابتداء من شهر أبريل 2013 حيث يتم نشر الصور بعد التقاطها بيوم واحد فقط، الشيء الذي أضاف قفزة نوعية من حيث دراسة وتتبع الظواهر الطبيعية.

http://landsat.usgs.gov/band_designations_landsat_satellites.php(17)

18() Les plantes annuelles sont des plantes dont le cycle de vie, de la germination jusqu'à la production de graines, ne dure qu'une année. Dans la classification de Raunkier, elles correspondent à la classe des thérophytes.

19 Arcgis 10.2 بواسطة NDVI نتائج حساب 0

20 ترجمة الباحث + <http://profhorn.meteor.wisc.edu/wxwise/satmet/lesson3/ndvi.html>

21 حساب الباحث اعتمادا على صورة لاندسات 8 وباستعمال Arcgis 10.2

22 حليلة بنت ابراهيم بن علي الزبيدي (توظيف المؤشرات الطيفية لكشف وتحليل التغير في التغطية النباتية للأجزاء الغربية من محافظة الطائف) : رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية 2010 ص 02.

23 وضع حدود الحوض التجمعي كان باستعمال نموذج الارتفاعات الرقمية DGEM بدقة 30 متر، وباستعمال برنامج

Arcgis 10.2, باستعمال الوظائف Flow accumulation, Conflow; Watershed Fill, Flow direction.

24 () $NDVI = (PIR-R)/(PIR+R)$, dans le spectre PIR :prés infra rouge(bande 05), R :rouge (bande 04).

25 انجاز الباحث اعتمادا على صورة لاندسات 8 بتاريخ 25/08/2015

26 حساب الباحث اعتمادا على صورة Landsat 08 وباستعمال Arcgis 10.2

27 تمييز القطاعات العمرانية الى أربع فئات كان بطريقة رياضية تعتمد على حساب المتوسط (La Moyenne) للقيم القصوى لمؤشر التغطية النباتية ثم حساب الانحراف المعياري (L'écart-Type) لها ومن ثمة وضع حدود الفئات انطلاقا من قيمة المتوسط (0.123) بإضافة أو انتقاص انحراف معياري واحد (0,061) أو أكثر كل مرة.

صورة المرأة في النص الديني الإسلام نموذجاً

سعداوي زهرة

استاذ محاضر / جامعة حسينية بن بو علي الشلف

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية حول مكانة المرأة في الإسلام من خلال النص الديني وخاصة النص القرآني والأحاديث النبوية وتم مناقشة الموضوع من خلال ثلاث إبعاد عي البعد السياسي والاقتصادي والاجتماعي كما مناقشة موضوع التأويل للنص الديني وتأثير الوضع الاجتماعي في تأويل النص الديني.

Abstract

This paper discusses the status of women in Islam through the religious text, especially the text of the Koran and the Prophet's Hadith. The topic was discussed through three dimensions of the political, economic and social dimension, as well as the discussion of the interpretation of the religious text and the impact of the social situation in the religious text

تعتبر قضية نظرة الأديان إلى المرأة من القضايا المعاصرة والتي بدأت تأخذ إبعاداً مختلفة، لما لديانات من تأثير تاريخي ومعاصر في تشكيل وعي الانسان تجاه قضايا المجتمع، فهو جزء مهم من تشكيل الهوية الثقافية بمختلف عناصرها من قيم ومعايير واعراف، وتعد قضية المرأة ودورها الاجتماعي من القضايا الرئيسية المعاصرة، التي بداء كثير من الباحثون يتناولونها من مختلف ابعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، في محاولة لايجاد تفسير للوضع الاجتماعي لنصف المجتمع .

وسنحاول من خلال عملنا هذا ان نتطرق الى مكانة المرأة في النص الديني الاسلامي سواء من خلال القران او الاحاديث النبوية، لما للمكون الديني من تأثير في تشكيل الوعي الاجتماعي وخاصة في المجتمعات العربية .

لقد أخذت صورة المرأة عدة أشكال في القرآن فمنها ما تضمن نصوصاً تشريعية واضحة، حددت حقوق وواجبات المرأة العامة والخاصة. ومنها ما أشار إليها من خلال النص القرآني مثل سورة يوسف ومريم ولوط ... وبشكل عام تضمن القرآن في تطرقه إلى وضع المرأة عدة مراحل أساسية

- المرحلة الأولى: اثار فيها القران الى المرأة والرجل بوصفها الانسان وتقتضي بان الرجل والمرأة كانا جزءاً واحداً: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ)⁽¹⁾. وهما متساويان في الحقوق والواجبات والعقوبات. أي أنها يخضعان إلى نفس التشريعي والقانوني.

- المرحلة الثانية، وهي تمثل حالة الثورة ضد الأنظمة القائمة ليس في المجتمع الذي ظهر فيه الإسلام فقط، بل تمثل رفض السلوكيات غير الطبيعية في كافة المجتمعات والمتعلقة بحالة التمييز بين الذكور والإناث مثل حالة وأد البنات التي كانت شائعة في بعض مناطق الجزيرة العربية. وتنظيم الزواج والعلاقات الجنسية التي كانت سائدة

- المرحلة الثالثة وهي تمثل المرحلة الجديدة والتي تضمنت الرؤية الجديدة لواقع و حياة المرأة وضمت تشريعات جديدة تتعلق بمكانة المرأة في المجتمع وحقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

مكانة وصورة المرأة في القران

وبشكل عام يمكن تفسير وضع المرأة في القرآن إلى ثلاثة محاور أساسية، هي الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

الوضع السياسي للمرأة في القرآن

لم تكن في القرآن دلالة واضحة للسماح للمرأة بمزاولة العمل السياسي أم عدمه. إلا أن بعض آيات القرآن أعطت مزية التفوق للرجل دون تحديد الميدان الخاص بذلك، قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)⁽²⁾ وقوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)⁽³⁾.

في حين كانت بعض آيات القرآن الأخرى تدل على أنه لا توجد فروق بين المرأة والرجل، قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)⁽⁴⁾، وقوله تعالى: (وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)⁽⁵⁾.

إن موضوع اشتراك المرأة في العمل السياسي في المجتمعات الإسلامية بقي موضوعاً شائكاً بين معارض لا اشتراك المرأة في أي نوع من أنواع العمل السياسي مهما كانت درجته، وبين مؤيد لمشاركتها السياسية شريطة أن لا تصل إلى رئاسة الدولة، وبين من يرى أنه لا توجد أي مشكلة من الناحية الدينية في تقلد المرأة لأي منصب سياسي مهما كان.

فالتيار الأول اعتمد على بعض النصوص القرآنية لتأكيد عدم أهلية المرأة للمشاركة السياسية كما ورد في الآيات السابقت، كما اعتمد على بعض أجزاء الآيات الأخرى كقوله

تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) (6) وقوله تعالى: (وَقُرْآنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) (7). فأنصار هذا التيار يرون أن القرآن قد حدد مكان المرأة في البيت من جانب، ومنعها حق مزاولة العمل السياسي، وذلك لكون الرجل يتفوق عليها في هذا المجال. فالمرأة لا تصلح للعمل في الميدان السياسي، كونها تخضع في كثير من الأحيان لعواطفها، ولذلك اعتبر الإسلام أن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد (8). قال تعالى: (أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) (9).

كما اعتمد أنصار هذا التيار على الأحاديث النبوية لتأكيد ذلك فهناك الكثير من الروايات التي تُسبب إلى الرسول (ص) في عدم أهلية المرأة للعمل السياسي قال الرسول: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"، "طاعة النساء ندامة، هلكت الرجال حين أطاعت النساء" وغيرها من الأحاديث.

إن أنصار هذا الاتجاه يعتبرون، بشكل عام، من الأصوليين وتقوم أفكارهم على أساس القاعدة الأصولية القائمة على مبدأ: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" (10) أي الاعتماد على نصوص جامدة، بغض النظر عن كونها تمثل نصاً واضحاً أو نصاً مقتطعاً. والأسباب التي أدت إليه. فأنصار هذا التيار يميلون إلى الاعتماد على نصوص القرآن المجزئة في تفسيراتهم. فبعض الآيات التي يعتمدون عليها هي جزء من سورة قرآنية كاملة، يتم تجاهل بناء الموضوع فيها والاعتماد على جزء بسيط. تدعمهم الفكرة الدينية القائلة بأن القرآن هو كلام الله بغض النظر عما إذا كان هذا الكلام موجه إلى فئة معينة. كما في سورة النساء التي كان جزء كبير من الخطاب فيها موجه بشكل خاص إلى نساء النبي أو أنه موجه إلى عامة المسلمين. كما في السور الأخرى. كما اعتمد أنصار هذا التيار على السنة النبوية وأحاديث الرسول بنفس الأسلوب، وربما تعتبر هذه الإشكالية عامة في تاريخ الفكر الإسلامي أي أن كثيراً من أفعال الرسول كان مرتبطاً بإطار موضوعي معالجاً لظروف قائمة وعارضة (11) أي أنها تمثل حالة مؤقتة لوضع خاص فكثير من أحاديث الرسول ارتبطت بحوادث معينة. فقولته: "ما فلح قوم ولوا أمرهم امرأة" كان موجهاً في الأساس إلى سكان بلاد فارس عندما لم يكن ملكهم ولد ذكر فولوا بدله ابنته الصغيرة، وغيرها من الأحاديث التي ارتبطت بوقائع معينة.

إن أهمية الأحاديث النبوية إنما تمثل الركن الأساسي في مناقشة أي قضية غير موجودة بنص واضح في القرآن. ففي مثل هذه الحالات يميل المفسرون إلى اعتماد الأحاديث النبوية في تفسير القضايا والمشاكل الاجتماعية المستحدثة بغض النظر عن الموقف الذي صدر فيه هذا الحديث أو الزمن، وهل صدر من الرسول بصفته رسول أم بصفته إمام الناس وقائد الدولة. كما اعتمد أنصار هذا التيار على قراءة التاريخ " فلم يثبت شيئاً من الولايات العامة

قد أُسندت إلى المرأة، لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال⁽¹²⁾، على الرغم من أن أغلب المجتمعات في العصور الماضية لم تكن تمنح المرأة أي سلطات سياسية، إلا أن أنصار هذا التيار حاولوا تفسير الماضي على أنه المقياس العام للحاضر.

أما التيار الثاني فأنصار هذا التيار يرون أن الإسلام يحرم المرأة حقوقها السياسية فلها أن تتولى الولايات العامة ويستثنون رئاسة الدولة. وربما ذهب بعضهم إلى أن المجتمع لم يتهيأ بعد لمزاولة المرأة لتلك الحقوق مزاوله فعلية من جانب، ومن جانب آخر فسّر أنصار هذا التيار بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أنها لا تمنح المرأة من تقلد المناصب الإدارية والوزارية وغيرها. واعتمدوا في ذلك على تفسير بعض النصوص القرآنية، قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)⁽¹³⁾ وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)⁽¹⁴⁾.

كما اعتمد على بعض أحاديث السيرة النبوية والتي تؤكد أن الرسول منح المرأة قسم من حقوقها السياسية فقد قبل الرسول بيعة وفد الأنصار وكان بينهم امرأتان، وهذا دليل على إشراك المرأة في العمل السياسي. كما بايع الرسول عند فتح مكة الرجال والنساء على حد سواء⁽¹⁵⁾. فالقضية بالنسبة لأنصار هذا التيار لا تتعلق بالذكورة والأنوثة بقدر ما تتعلق بالأخلاق الفاضلة التي تؤدي إلى النجاة والسلوك الصحيح سواء تحلى فيها الرجل أو المرأة. وفي تفسيرهم للحديث النبوي: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" حديث صحيح بنظرهم لكن قاله بشأن الفرس الذين ولوا عليهم فتاة لا تعرف شيئاً فجرتهم إلى الخيبة والانحطاط. إلا أنه يخص الولاية فقط أي رئاسة الدولة ولا يعني أن المرأة لا تصلح للمهام الأخرى مثل الوزارات والمؤسسات السياسية الأخرى⁽¹⁶⁾. إن أغلب أنصار هذا التيار يمثلون الحد الوسط في تفسيراتهم فهم لا يميلون إلى إنكار دور المرأة السياسي وفي نفس الوقت لا يعطونها كافة الإمكانيات السياسية معتمدين في ذلك على تفسيرهم ورؤيتهم للنصوص الدينية.

أما التيار الثالث فأنصار هذا التيار يرون أن مشكلة الحقوق السياسية للمرأة ليست مشكلة دينية أو قانونية وإنما هي مشكلة اجتماعية سياسية يتقرر فيها الرأي تبعاً للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في زمان ومكان ما. ولا يوجد هناك حكم شرعي يجرم منح المرأة حقوقها السياسية⁽¹⁷⁾.

وقد استند أنصار هذا التيار على النصوص القرآنية كقوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)⁽¹⁸⁾. فهذه الآية تعني أن الرجال والنساء شركاء في سياسة المجتمع وان السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ليست إلا أوامر بالمعروف ونواهي عن المنكر أي أن المسألة مسألة كفاءة وعدالة بغض النظر عن الجنس.

كما اعتمد أنصار هذا التيار على بعض النصوص القرآنية الأخرى التي تؤيد اتجاهاتهم وأبرزها قصة ملكة سبا في سورة النمل. فقد ذكرت في القرآن على أنها نموذج جيد في طاعة الله فبالرغم من أنها ملكة فقد حكمت العقل في مواجهة النبي سليمان. وأنها اعتمدت على الشورى: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) (19). وإن هذا يدل على أن المرأة تستطيع أن تدبر الملك وتحسن السياسة. وتعتبر ملكة سبا النموذج الوحيد في القرآن للمرأة الملكة في حين احتفظ القرآن الكريم بعدة نماذج سيئة للملوك رجال مثل فرعون وقارون وغيرهما. أما بالنسبة للأحاديث النبوية فهم يرون أن أغلبها كان مرتبطاً بحادثة معينة وهو نتاج أزمة معينة، فالحديث النبوي: ”ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة“ كان موجه إلى بلاد فارس كنتيجة إلى ما آلت إليه الدولة الفارسية في زمن الحكم ابنة كسرى ولو كانت قد أحسنت ملكة فارس في سياستها فما هو مؤكد أن وجهة نظر الرسول ستكون مختلفة⁽²⁰⁾.

كما اعتمد أنصار هذا التيار على الوقائع التاريخية للتاريخ الإسلامي والتي تؤيد أحقية المرأة في الزعامة السياسية وأبرزها قصة عائشة زوجة الرسول (ص) إبان خلافة علي ابن أبي طالب، فقد قادت السيدة عائشة المسلمين أثناء خلافة الإمام علي معلنة بذلك معارضتها لولايته ومطالبة بالقصاص من قتلة عثمان بن عفان. وتعتبر السيدة عائشة من أكبر الدعائم التي يسند إليها هذا التيار، فقد قال عنها الرسول: ”خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء“، وهذا دليل على إمكانيتها الدينية. أي أن المرأة يمكن أن تكون مرجعاً دينياً للمسلمين. كما أن السيدة عائشة تعتبر المرأة الأولى وربما الوحيدة في التاريخ الإسلامي التي تقود معارضة عسكرية وسياسية ضد أعلى سلطة دينية في الدولة⁽²¹⁾. كما إنها اعتبرت المرجع الأعلى للمسلمين في وقتها من خلال تعيينها إمام الصلاة، وهي سلطة لا يُقرّها إلا الزعيم الديني الأعلى. فقد عيّنت السيدة عائشة عبد الرحمن بن عتاب هذه الإمامة، أثناء مسيرة الجيش الذي كانت تقوده⁽²²⁾.

إن قيادة السيدة عائشة للمعارضة السياسية بوجه الإمام علي بداية ومن ثم تحولها إلى العمل العسكري قد كان موضع نقاش طويل، فخروجها على رأس الجيش أدخل المسلمين في صراع طويل حول مدى صحة ذلك الموقف، فالأحاديث النبوية كانت ضد تولية المرأة على رئاسة الدولة بناءً على الحديث النبوي القائل: ”ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة“ هذا من جانب، ومن جانب آخر أعطى القرآن القوام للرجل على المرأة: ”الرجال قوامون على النساء“. إلا أنه من جهة أخرى كانت السيدة عائشة من الزوجات المقربات للرسول وقد امتدحها الرسول أكثر من مرة في أحاديثه، بالإضافة إلى أنها من المفترض كانت على دراية بالفقه الإسلامي.

الوضع الاجتماعي للمرأة في القرآن

إن الوضع الاجتماعي للمرأة في القرآن قد يكون أكثر تحديداً من المواضيع الأخرى فقد حدد القرآن مكانة المرأة ووضعها الاجتماعي بشكل شبه مفصل، خصوصاً فيما يتعلق بالقضايا الخاصة، التكوين البيولوجي للمرأة وسلوكها الديني بالإضافة إلى قضايا أخرى مثل الزواج وطريقة اللباس وقد تضمن القرآن سور عدة تتعلق بهذه القضايا أبرزها سورة النساء إذ احتوت تشريعات دينية واضحة تتعلق بهذه القضايا ويمكن مناقشة هذا الجانب من خلال عدة جوانب أهمها ما يلي:

• الزواج:

ابتدأ القرآن الكريم بنذ العلاقات الجنسية التي كانت قائمة في المجتمع العربي قبل الإسلام والتي كانت تأخذ شكل الزواج بما يعرف حالياً بالمحارم: (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا)⁽²³⁾ وغيرها من الآيات الأخرى التي حرمت الزواج بين الأخوة والعلمات والحالات.

كما حرم الدين الإسلامي بعض العادات التي كانت شائعة في زمن الإسلام، إذ كان العرب يجرمون على أنفسهم معاشره أزواجهم بالظهار ويقول الواحد لزوجته أنت عليّ كظهر أمي فتغدو معلقة لا زوجة ولا مطلقة. ويظهر أن بعض المسلمين مارسوا ذلك أيضاً إلى أن تم تحريمه قرآناً⁽²⁴⁾.

وفيما يتعلق بالزواج بحد ذاته فقد حث الدين الإسلامي على الزواج في أكثر من آية كقوله تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)⁽²⁵⁾. أي أن القضية الأساسية التي كانت موضع نقاش دائم في القرآن الكريم في قضية تعدد الزوجات، فقد أجاز الدين الإسلامي تعدد الزوجات للزوج الواحد وفق ما جاء في قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعْوِلُوا)⁽²⁶⁾.

وقد اختلفت الاتجاهات المفسرة لهذه القضية فهناك تيار يرى أن شرط تعدد الزوجات هو وجود العدالة بينهما، وهي قضية صعبة وأن المقطع: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) قد جاء في مقام الاستدراك في حالة الخوف من عدم العدل بين الزوجات العديديات، لذلك وجب الاقتصار على زوجة واحدة⁽²⁷⁾، كون تحقق العدالة بين كافة الزوجات تبدو قضية صعبة لأنها تخضع في الأساس لعواطف الإنسان بشكل أساسي، أي أن القضية لا تحكمها معايير محددة يستطيع المرء السير وفق متطلباتها وأن الآية في الأساس خاصة بحالة معينة، إذ أن ورود لفظة البيهات يضيف عليها وضعاً معيناً، أي أنها معالجة لوضع خاص وليست بالقاعدة العامة.

وقدر روى البخاري ومسلم في صدد ذلك حديثاً عن عروة قال سألت عائشة عن قول الله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ...) فقالت أن اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه جمالها ومالها فيريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقتها عن ذلك إلا أن يبلغوا لهن على سننهن في الصداق⁽²⁸⁾.

هذا بالإضافة إلى أن هنالك اتجاه آخر، وهو يمثل قاعدة الأغلبية، إذ يرى أن النص القرآني واضح في إجازة تعدد الزوجات للمسلمين، وقد استند في ذلك إلى السنة النبوية وتعدد زوجات النبي وسيرة الصحابة إذ عرف عنهم تعدد الزوجات أيضاً، كما شاع لدى بعضهم التطلق والزواج باستمرار⁽²⁹⁾.

أما فيما يخص الطلاق فقد أجاز الإسلام الطلاق تحت وجود مبررات مثل ما يتعلق بالسلوك السيئ أو عدم التوافق النفسي وقد دعا القرآن إلى المعاملة الحسنة بين الزوج والزوجة، قال تعالى: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَهُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًّا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)⁽³⁰⁾. إلا أن الدين الإسلامي اعتبر الطلاق أبغض الحلال فهو لم يجرمه على غرار الديانة المسيحية ولكن جعله بشروط، حفاظاً على البناء الأسري والتربوي في العائلة.

• المرأة وتكوينها البيولوجي في القرآن:

يعتبر التكوين العضوي للمرأة من أهم المواضيع التي دارت حولها نقاشات كثيرة سواء ما تعلق منها بالمرأة وتكوينها البيولوجي أو من خلال الطريقة التي يرى فيها رجال الدين الأسلوب الصحيح للباسها.

لقد حدد القرآن عدة محاور في تناول قضية المرأة من ضمن ناحية التكوين البيولوجي. لا يحق للمرأة الصلاة أثناء فترة الحيض وكذلك الصيام. قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ)⁽³¹⁾. أي أن القرآن أشار إلى حالة أذى وهي أقرب إلى حالة المرض. إلا أن أغلب المفسرين مالوا إلى أن نقيض فكرة الطهارة هي النجاسة، وعلى هذا الأساس اعتبرت المرأة نجسة أثناء فترة الحيض وهو أغلب ما ذهب إليه المفسرون. ويبدو أن فكرة النجاسة قد اقتبست من الديانات القديمة وخاصة اليهودية. إذ اعتبرت المرأة نجسة ليس فقط في جسدها ولكن كل ما تجلس عليه أو تمسه يصير نجساً كذلك⁽³²⁾، هذا من جانب ومن جانب آخر اعتبر الإسلام أن لا يحق للمرأة الإمامة في الصلاة وهي محصورة بالذكورة.

كذلك مال بعض المفسرين إلى اعتبار أن كل ما في جسد المرأة عبارة عن عورة بما في ذلك صوتها. كذلك وجب سترها استناداً إلى نص قرآني، قال تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ⁽³³⁾. وفي هذا السياق يتصارع تياران رئيسيان، الأول ويمثل التيار المتشدد والذي يرى أن المرأة يجب أن لا يظهر منها إلا وجهها وكفيها، وأن المكان الأمثل لها هو المنزل، قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)⁽³⁴⁾ أي أن على المرأة الاحتجاب بكل ما تحمله المفردة من معاني جسدية ومعنوية، وأن لا تختلط بالرجال ما دون زوجها أو المحارم.

أما التيار الثاني فيرى أن الاحتجاب الذي عناه القرآن هو احتجاب معنوي أخلاقي في الأساس خطاب وجه إلى المرأة والرجل على حد سواء وأن ما دعا إليه القرآن هو عدم الابتذال والحفاظ على الحشمة وعدم تشبه بنساء ما قبل الإسلام: (وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ) وفيما يخص الآية الخاصة بتفضيل بقاء النساء في بيوتهن: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) فيرى المفسرين أنها خطاب موجه إلى نساء الرسول بشكل خاص وليس على عامة النساء والدليل على ذلك أن الآية تضمنت تحريم التزوج بنساء الرسول بعده من جانب ومضاعفة الذنب عليهن في حالة الخطأ من جانب آخر⁽³⁵⁾.

كما اعتمد أنصار التيارين على الأحاديث النبوية لدعم وجه نظرهم، قال الرسول: ”لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار“ وروي عن عائشة أن أساء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله فقال لها يا أساء إن المرأة إذا بلغت الحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفه“.

فالتيار الأول يرى التعميم بناءً على الحديثين السالفين أي أن ما لا يجوز في الصلاة لا يجوز في غيره من الأوقات الأخرى لذا وجب على المرأة الاحتجاب في كافة الحالات عدا المجازة بنص قرآني واضح فيما يتعلق بالأبناء والزواج وغيرهم.

أما أنصار التيار الثاني فيرون أن الاحتجاب محدود في حالات الصلاة وحالات الحيض بشكل خاص وأن المرأة قادرة على مزاوله حياتها بشكل طبيعي⁽³⁶⁾.

أما بالنسبة للعلاقات الجنسية، فقد حث القرآن على الزواج في أكثر من آية. كما أن هناك العديد من أحاديث الرسول التي حثت عليه، واعتبرته أساساً ونصف الدين. وقد ركز الإسلام على ضرورة الشرعية في العلاقات الجنسية أي أن تكون في إطار الزواج. ولذلك دعا الرسول مَنْ ليس لديه القدرة على الزواج إلى الصيام، قال الرسول: ”يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج ومن لم يجد فليصم“ وهو تأكيد على أن العلاقات الجنسية يجب أن تكون في إطار الزواج. أما بالنسبة للعلاقات الجنسية غير المشروعة والمعروفة بالزنا فقد ساوى القرآن في هذه المسألة بين الرجل وبين المرأة فالعقوبة شبه واحدة على كلا الجنسين وهي الجلد بالنسبة للزناة الذين لم يتزوجوا بعد والرجم بالنسبة للمتزوجين قبلاً.

إن التمييز الوحيد في هذه المسألة بين المرأة والرجل أنه دعا إلى حجر الزانية ولم يدعو إلى حجر الذكر الزاني أيضاً. وقد تكون هذا الجانب أساسياً في التمييز بينهما، إلا أن الدين الإسلامي اعتبر أن أية عملية اتهام للمرأة بالزنا دون وجود دليل مادي قاطع تعتبر من الكبائر وهو ما يعرف بـ«القذف» أي اتهام المرأة في شرفها دون وجه حق ودون وجود دليل مادي واضح وبيّن مع وجود الشهود.

الوضع الاقتصادي للمرأة في القرآن والسنة

إن الوضع الاقتصادي للمرأة في الإسلام قد يكون أكثر وضوحاً من الجوانب الأخرى المتعلقة بالمرأة، كون الخطاب القرآني قد تضمن تفصيلاً دقيقاً عن حقوق المرأة سواء ما تعلق منها بالإرث أو المرتبط بحقوقها الاقتصادية كزوجة. فمن ناحية حقها في الميراث فقد وردت عدة نصوص قرآنية توضح حقها في ميراث الأب أو الزوج كذلك حق الزوج في إرث زوجته، قال تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً)⁽³⁷⁾، وقوله: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)⁽³⁸⁾.

كما أكد القرآن على حق المرأة في وراثتها ولدها، قال تعالى: (وَلِأَيُّوبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ)⁽³⁹⁾.

كما أكد الإسلام أحقية المرأة في وراثتها أخيها وفق ما جاء في قوله تعالى: (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)⁽⁴⁰⁾.

وفيما يتعلق بحقوق الإرث بين الأزواج، فقد وردت في قوله تعالى: (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ)⁽⁴¹⁾.

إن قراءة النصوص القرآنية المتعلقة بحقوق المرأة الاقتصادية تبين أنها امتازت عن غيرها من النصوص المتعلقة بالمرأة بميزة الوضوح فهي جاءت على شكل نصوص قانونية أكثر منها دينية. فقد حددت حقوق المرأة وصلت حد النسب المؤتية، مثل حق المرأة من زوجها وحقها في الإرث وغيرها.

إن القضية الأكثر أهمية بالنسبة للحقوق الاقتصادية للمرأة المسلمة هي في منح المرأة الذمة المالية المتعلقة بما أعطي لها من حق الميراث وبذلك كان لها حق إبرام العقود المدنية من بيع وشراء وكل التصرفات المالية بما فيها حق ضمائها المالي لغيرها⁽⁴²⁾. والملاحظ أن قضية حقوق المرأة الاقتصادية لم تدخل في جدال بين الفقهاء وبين التيارات الفكرية الأخرى. كونها كانت واضحة المعالم ومحددة بشكل دقيق لذلك انحصرت التيارات الإسلامية في إطار واحد وهو تأكيد أن المرأة قبل الإسلام لم تكن تتمتع بحقوق اقتصادية وقد منحها الإسلام ذلك⁽⁴³⁾.

وما زال الخطاب الإسلامي يسير على نفس هذا المنوال دائماً، فمقارنة تعتمد في الأساس على وضع المرأة في العصور السالفة للإسلام أو مقارنة بالإمبراطوريات التي كانت سائدة في تلك الفترات. وبالمقابل ثمة تيار آخر يدعو إلى مساواة المرأة بالرجل من الناحية الاقتصادية، فالدين الإسلامي منح الذكر ضعفي حق الأنثى في الميراث. وهي قضية أصبحت تتعرض لكثير من الانتقادات كون التيارات الفكرية المعاصرة تدعو إلى نوع من المساواة المطلقة. في حين يرى التيار الديني أن عدم التساوي له دوافع موضوعية تتمثل في الأعباء التي يتحملها الرجل كونه يتحمل مسؤولية عائلة إضافية⁽⁴⁴⁾. إلا أن هذا لا يبدو تبريراً موضوعياً لعدم المساواة في حصة الرجل والمرأة، فكون الذكر يتحمل أعباء إضافية مثل مسؤوليته عن إعالة أبويه أو غيرها ليست قضية ذات إلزام ديني ولكنها قضية ذات إلزام عرفي وقيمي وأخلاقي في حين أن نصيبه في الإرث هو إلزام ديني.

2. التأويل الاجتماعي للنص الديني في الإسلام

من خلال تتبع النصوص المتعلقة بقضايا المرأة في الإسلام يلاحظ بشكل عام أن فكرة المساواة كانت مطروحة إلى حد ما في الدين الإسلامي، وأن تكن فكرة التكامل بين الرجل والمرأة أكثر وضوحاً، على اعتبار أن المرأة والرجل جزءان لا يمكن لأحدهما القيام بوظيفته بمعزل عن الآخر أي أنها يكملان بعضهما البعض.

إلا أن التأويل للنصوص الدينية كان أكثر ميلاً نحو تحميل الأنثى مسؤولية الخطيئة معتمداً في الأساس على فكرة ترسم صورة «الله» على أنه ذكر⁽⁴⁵⁾.

فالخطاب الديني يحمل الأنثى مسؤولية الخطيئة الأولى. فإخراج آدم من الجنة، وأن سبب شقاء الإنسانية هو خطيئة الأنثى (حواء) فهي التي أغوت آدم بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها. وكان عقابها النزول إلى الأرض، وأن الله عاقب حواء بالحمل وأوجاعه فهي تبرئ الذكر (آدم) من تلك الخطيئة. إن تلك الرواية تعكس مجتمعاً يكون فيه الرجل مثلاً للخير والبراءة، في حين تمثل الأنثى الشر والخطيئة، فالقصة تشير إلى المجتمع أكثر من تفسيرها للنص الديني⁽⁴⁶⁾.

في حين إن تتبع النص القرآني لا يوحي بتحميل المرأة تلك المسؤولية، قال تعالى: (فَوَسْوَسَ هُمَا الشَّيْطَانُ) (47) وقوله: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ) (48) وقوله: (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ) (49) وقوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) (50).

فالملاحظ مما سبق من الآيات أن الله عز وجل حمل مسؤولية الخطأ لكلا الطرفين (الذكر والأنثى) ولم يحمل المسؤولية الخطيئة لطرف واحد والخطاب القرآني يبدو أنه موجه إلى الرجل والمرأة على حد سواء، فلا وجود لفكرة ضعف المرأة مقارنة مع الرجل كما هو شائع في الخطاب التنظيري الديني على العكس من ذلك يوضح النص الديني مسألة مناقضة لما يصوره الفكر الديني قال تعالى (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُوءُ) (51).

إن قصة الخطيئة التي التصقت بالأنثى لا يبدو أنها اقتباس عن الفكر التوراتي الذي تضمنته الديانة اليهودية مثلما يذهب نصر حامد (52)، ولكنه في الأساس نتاج العقل الذكوري العربي بشكل أكثر تأثيراً، وما الاقتباس عن الفكرة التوراتية إلا كونه نتيجة لسبب (العقل الذكوري). هذا الأسلوب في التأويل لم يقف عند حد إصاق الأفكار الاجتماعية بالنص القرآني فقط بل تعداه إلى تفسير القصص القرآني بمعنى يغير واقع أو بنية النص القرآني بشكله الكامل، فأبرز فكرة الميثولوجيا العربية هي فكرة الدهاء والمكر التي نسبت إلى المرأة والتي تجسدت من خلال الروايات القصصية وأبرزها قصة ألف ليلة وليلة، وما حملت هذه الروايات من دهاء نُسب إلى النساء. إن الفكرة التي أقتبس منها دهاء ومكر المرأة هي فكرة قرآنية في الأساس تضمنتها سورة يوسف على لسان عزيز مصر، قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) (53) أي أن صفة الكيد التي وصفت بها هي على لسان عزيز مصر وهي تصف في كل الأحوال مجموعة معينة من النساء في فترة زمنية معينة، إلا أن التأويل الاجتماعي اعتمد على اقتطاع النص القرآني من سياقه والاحتفاظ بعبارة (كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ) وكأنها خطاب موجه إلى كافة النساء.

إن تلك الإشكالية تربط في الأساس بقدسية القرآن الكريم واعتبار أن كل ما في القرآن هو كلام الله عز وجل وهي فكرة تبدو خاطئة إلى حد بعيد، فهناك فرق كبير بين التشريع الإلهي والقصص القرآني ونموذج القصص القرآني في الأساس يراد به العبرة والموعظة بشكل عام لا التعميم من خلال سياق النص. لقد اعتمد العقل الاجتماعي على الدمج بين القدسية الإلهية والنص القرآني لإخراج أفكار تلائم العقل الذكوري، إضافة عبارة "قال تعالى" تجعل النص وكأنه نص إلهي وليس نص قصصي عن لسان عزيز مصر ومن ثم مقارنة بنص آخر قال تعالى: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (54). فالحقيقة الأولى، بالنسبة

للعقل الاجتماعي: (إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمًا)، والحقيقة الثانية: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) لنتج فكرة أن النساء أكثر شراً من الشيطان نفسه. بهذا الأسلوب صاغ العقل العربي نظرتة للمرأة من خلال تأويل النص القرآني بالطريقة التي تلائم واقعه الاجتماعي.

لم يكن هذا النص هو الوحيد الذي خضع لطريقة التأويل هذه في سورة آل عمران، قال تعالى: (فَلَمَّا وَصَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أَنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)⁽⁵⁵⁾. فالنص السابق هو خطاب امرأة عمران وجهته إلى الله عز وجل فنذرت فيه ما في بطنها لله، وكون المولودة أنثى فهي لا تصلح للقيام بالعبادات الدينية كونها محصورة في شخص الذكور في تلك الفترة (حسب وجهة نظر امرأة عمران) وبنفس الأسلوب السابق تعامل العقل الاجتماعي الديني مع هذا النص بإضافة جملة قال تعالى: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ) تجعله يبدو وكأنه تشريع إلهي، بالاعتماد على القدسية التي يحتفظ بها النص القرآني كما مر ذكره. ومن ثم فهو تفضيل إلهي للذكور على الإناث، ولا غرابة أن نجد بعض الكتب وقد تصدرتها الآية السالفة الذكر كدليل على تفضيل الذكور على الإناث.⁵⁶

إن إشكالية العقل الذكوري امتدت إلى المفسرين الدينيين أيضاً فالأولى اجتزأت الآيات القرآنية بنفس الأسلوب السابق، وإن لم تكن تلك الآيات ضمن القصص القرآني. إلا أنهم اعتمدوا على نفس المبدأ وهو اقتطاع جزء من الخطاب القرآني وتأويله بالطريقة التي تناسب الواقع الاجتماعي. ومن نماذج ذلك الاقتطاع في قوله تعالى في سورة الأحزاب: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)⁽⁵⁷⁾. فكثير من المفسرين مالوا إلى اعتماد الآية الثانية (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) في تبرير مطالبهم بضرورة التزام المرأة داخل البيت وعدم الخروج منه معتمدين في تفسيرهم على القاعدة الفقهية التي تقول: ”العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب“ على الرغم من أن الآية موجهة بشكل خاص إلى نساء النبي ضمن أحكام خاصة بهن. فقد حُرِّمَ على نساء النبي أن يتزوجن من بعده وهو شيء جائز لغيرهن من النساء. كما ضوعف لهن العذاب إذا ارتكبن خطيئة⁽⁵⁸⁾.

ولكن يبدو أن القرآن نزل على مجتمع كان التمييز بين الرجل والمرأة أو بين الذكر والأنثى جزءاً من ثقافتهم ونظامهم الاجتماعي، فمن الطبيعي أن ينعكس هذا التمييز على تأويلات القرآن معهم. وعلى هذا الأساس فمن الخطأ أن تعامل نماذج التعبيرات السجالية على أساس أنها تشريعات جاء بها الإسلام. وهو الأمر الذي يفسر لنا كثرة الفتاوى والتأويلات الخاطئة النابعة من ذلك الخلط بين السياق السجالي والسياق التشريعي⁽⁵⁹⁾.

وبطبيعة الحال خضعت أحاديث الرسول لنفس الأسلوب التأويلي الذي يحاول تطويع النص الديني لي مطابق الواقع والقيم الاجتماعية السائدة. وربما تعتبر ظاهرة ختان الإناث التي شاعت في حوض نهر النيل (مصر والسودان) من تلك الظواهر الاجتماعية التي نسبت أحاديث للرسول تميزها. فقد نُسب للرسول عن أم عطية الأنصارية أن امرأة كانت تختن البنات بالمدينة فقال لها الرسول: "لا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للرجل) والإنهاك هو المبالغة في ختان البنت⁽⁶⁰⁾.

فالحديث السابق ذو مدلول اجتماعي في الأساس يلاحظ منه أنه يميز ختان الأنثى تلك الظاهرة المعروفة منذ عهد الفراعنة كان غايتها القضاء على الشهوة الجنسية لدى الأنثى. ولم تعرف تلك الظاهرة في منطقة الجزيرة العربية بيئة الرسول، لكنها عرفت في تلك البيئة فقط. كذلك الحديث الذي نُسب إلى الرسول فقد شاع بين رجال الدين في تلك البيئة فقط⁽⁶¹⁾. إن ذلك بسبب قدرة البيئة على تطويع النصوص الدينية لتواكب القيم والعادات والأعراف الاجتماعية من خلال أحاديث تفضل الرجل على المرأة من وجهة نظر الرسول، هو جزء من إعادة إنتاج النظام الاجتماعي الذكوري. هذا النظام يعيد إنتاج وسائل ضد الأنثى قد لا تكون القسرية صفة بالغة الوضوح فيها. ولكنها قد تأخذ صفة العنف الرمزي كما يصفه يار بورديو⁽⁶²⁾، فالعنف الرمزي قد يظهر بشكل بسيط يتجسد من خلال رموز معينة وأحد هذه الرموز هو العنف الرمزي اللغوي الذي يتخذ من اللغة وسيلة لإبراز جوانب عدائية ضد الأنثى⁽⁶³⁾. ويبدو أن التأويل الديني يميل إلى هذا النوع من العنف الرمزي كحلقة أولية لتبرير درجات أعلى من العنف قد لا تكون الرمزية حاضرة فيها.

وفي هذا السياق تبدو فكرة دوركايم واضحة في تأكيد أن الدين من صنع الحياة الاجتماعية، بمعنى أن الاعتقاد الديني ما هو إلا إنتاج اجتماعي⁽⁶⁴⁾، وهي رؤية قد تقترب من رؤية ماكس ويربر في التفرقة السوسولوجية بين الشكل الديني الكنائسي للمجتمعات الدينية، وبين النبي الأخلاقي الذي يقوم بالثورة على النظام والأنماط الاجتماعية الفردية. فالشكل الكنائسي يمثل انعكاس للواقع الاجتماعي – بغض النظر عن موضوعيته – والثاني النبي الذي يمثل قيم مثالية تعمل على بناء عقائدي جديد⁽⁶⁵⁾.

وهذه الوضعية تمثل أصعب المشاكل التي تواجه الفكر الديني في الاختيار بين البديل الحُلُقي والروحي على حساب تحديد نطاق التكاثر الاجتماعي في نطاق المجتمع⁽⁶⁶⁾.

المراجع والمصادر

- (1) سورة الحجرات، الآية 13.
- (2) سورة النساء، الآية 34.
- (3) سورة الأحزاب، الآية 33.
- (4) سورة التوبة، الآية 71.
- (5) سورة البقرة، الآية 228.
- (6) سورة الأحزاب، الآية 53.
- (7) سورة الأحزاب، الآية 33.
- (8) الأنصاري عبد الحميد إسماعيل، قضايا المرأة بين تعاليم الإسلام وتقاليد المجتمع، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 34-35.
- (9) سورة البقرة، الآية 282.
- (0) نفس المصدر، ص 43.
- (1) أحمد كمال أبو المجد، مجلة العربي، الكويت، مايو 1977، ص 19.
- (2) الأنصاري عبد الحميد إسماعيل، المصدر السابق، ص 47.
- (3) سورة البقرة، الآية 228.
- (4) سورة النساء، الآية 01.
- (5) الأنصاري عبد الحميد، مصدر سابق، ص 51.
- (6) الأنصاري عبد الحميد، مصدر سابق، ص 55.
- (7) أعمار يحيى، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، الجزائر، 2001، ص 89.
- (8) سورة التوبة، الآية 71.
- (9) سورة النمل، الآية 32.
- (20) أعمار يحيى، مصدر سابق، ص 90.
- (2) صبار خديجة، المرأة في الميثولوجيا العربية، القاهرة، 1998، ص 85-93.
- (2) كحالة عمر رضا، المرأة في القديم والحديث، ج 02، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979، ص 192.
- (23) سورة النساء، الآية 22.
- (24) دروزة محمد عبده، المرأة في القرآن، مصدر سابق، ص 105.
- (25) سورة النور، الآية 32.
- (26) سورة النساء، الآية 3.
- (27) دروزة محمد عبده، المرأة في القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، 1989، ص 113.

- (28) نفس المصدر، ص 112 .
- (29) خديجة صبار، المرأة في الميثولوجيا العربية، مصدر سابق، ص 95-101 .
- (30) سورة البقرة، الآية 231 .
- (3) سورة البقرة، الآية 222 .
- (33) الألباني محمد ناصر الدين، الرد المفحم، المكتبة الإسلامية، عمان، 2001، ص 136 .
- (34) سورة الأحزاب، الآية 33 .
- (35) دروزة محمد عبده، المرأة في القرآن، مصدر سابق، ص 229-236 .
- (36) دروزة محمد عبده، مصدر سابق، ص 242-246 .
- (37) سورة النساء، الآية 07 .
- (38) سورة النساء، الآية 11 .
- (39) سورة النساء، الآية 11 .
- (40) سورة النساء، الآية 12 .
- (41) سورة النساء، الآية 12 .
- (42) منسي سامية، المرأة في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1996، ص 65 .
- (43) شلتوت محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، الطبعة الخامسة عشر، القاهرة، دار الشرق، 1988، ص 232 .
- (44) منسي سامية، المرأة في الإسلام، مصدر سابق، ص 62-63 .
- (45) نورهان حسين منير، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الديني، الإسكندرية، 1994، ص 143 .
- (46) أبو زيد نصر حامد، دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2000، ص 19-22 .
- (47) سورة لأعراف، الآية 20 .
- (48) سورة البقرة، الآية 36 .
- (49) سورة لأعراف، الآية 22 .
- (50) سورة لأعراف، الآية 27 .
- (5) طه الآية، 120
- (52) نصر حامد أبو زيد، مصدر سابق، ص 21 .
- (53) سورة يوسف، الآية 28 .
- (54) سورة النساء، الآية 76 .
- (55) سورة آل عمران، الآية 36 .
- || في كتاب المرأة العربية والفكر والحديث تصدرت الآية السالفة مقدمة الكتاب أ

(56) سورة الأحزاب، الآيتين 32، 33.

(57) الأنصاري عبد الحميد، مصدر سابق، ص 33.

(58) أبو زيد نصر حامد، دوائر الخوف، مصدر سابق، ص 208 ؛

(59) حسين عبد المجيد رشوان، علم اجتماع المرأة، المركز الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص 93.

|| يلاحظ من مراجعة لفقته المذهب الشيعي أنه يُجيز ما يُعرف بـ "زواج المتعة" ويستند في ذلك إلى وقائع منسوبة إلى آل البيت وخاصة الإمام علي بن أبي طالب في كونه كان يمارس زواج المتعة. هذا بالإضافة إلى أبنائه وقسم من الصحابة. في حين يغيب هذا المفهوم لدى المذاهب الإسلامية الأخرى. أنظر:

60 Joycen W. Lley, The Islamic Movement Of Iraqi Shias, Lynne Rinnai, London, 1992.

(61) بيار بورديو، السلطة الذكورية، ترجمة إحسان محمد، القاهرة، 2001، ص 38-45

(62) Mohamed Bin Abdul-aziz Al Musnad, Islamic Fatwa Regarding Women, Daressalam, U.K., First edition, 1996, P. 132.

(63) محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع، الدار الجامعية، القاهرة، 1983، ص 264.

(64) نفس المصدر، ص 265.

(65) نفس المصدر، ص 280.

قراءة سوسيولوجية في ظاهرة العنف ضد الأصول، الأسباب والحلول.

Social perspectives on violence against parents (causes & solutions)

د: سعيد زيوش

جامعة حسيبة بن بوعل، الشلف

الملخص:

إن ظاهرة الاعتداء على الآباء أو الأمهات في المجتمع الجزائري قد أصبحت في ازدياد ملحوظ، هذه الظاهرة التي كانت إلى وقت قريب لا نكاد نسمع عنها وإذا تم ذلك فإنها تصبح حديث الخاص والعام، لكن بتعرض مجتمعنا لعدة موجات تغيير ونقصد هنا بظاهرة العولمة وما صاحبها من قيم جديدة ونظم غير النظم الاجتماعية التي ألفها المجتمع الجزائري، حيث أصبحت ظاهرة الاعتداء على الأصول من الظواهر الشائعة في أوساط المجتمع، وقد يرجع ذلك إلى انعدام الوازع الديني وضعف أساليب التنشئة الأسرية وعدم توافق أساليب التربية مع التغييرات الحاصلة وغيرها من العوامل الأخرى.

Abstract :

The phenomenon of violence against parents in Algerian society has become more and more significantly, this phenomenon, which until recently could hardly hear, it becomes a public and private speech, but exposure Algeria to several waves of change, we mean the phenomenon of globalization and the accompanying values of new systems of social systems composed by Algerian society, which has become a phenomenon of violence against parents common phenomena among the community may be due to lack of religious faith and the weakness of family education methods and lack of education methods agree with the changes and other factors.

مقدمة:

شهد المجتمع الجزائري في الأعوام الأخيرة جرائم قتل بشعة و غريبة لم نكن نسمع عنها من قبل، فلم تعد صورة المجرم تقتصر على ذلك الفرد المنحرف أو المضطرب عقليا، و صرنا نسمع عن جرائم ارتكبتها أفراد في حق آبائهم و أزواجهم و حتى أبنائهم، و لأسباب أقل ما يقال عنها أنها تافهة.

فمظاهر العنف و الجريمة خرجت من نطاق المريض العقلي و المنحرف لتدخل فئات مثقفة و ذات تكوين علمي عالي، كما تعدت حدود الشارع إلى العائلة و المدرسة، حيث تعدى أشكال العنف كل القيم و النظم التي يعيشها المجتمع الجزائري و وصل إلى حد الاعتداء على الآباء و الأمهات من طرف أبنائهم و هذا ليس بالسب و الشتم و العقوق وإنما بالضرب و ممارسة كل أنواع العنف الجسدي عليهم، مما أدى إلى بروز هذه الظاهرة في أوساط المجتمع الجزائري بشكل كبير في الآونة الأخيرة، و صار العنف لغة تواصل بين الكثيرين و حل يلجأ إليه الصغير و الكبير على حد سواء في تطورات تعبر عنها أرقام جرائم القتل و الاختطاف المسجلة سنويا و بشكل يطرح تساؤلات حول الأسباب الحقيقية في العنف المتفجر في المجتمع.

و من بين أهم التساؤلات التي تتناولها هذه الورقة هي كالاتي:

1- ما هي الأسباب التي أدت بالأبناء إلى الاعتداء على الأصول ؟

2- ما هي أساليب معالجة هذه الظاهرة؟

سنحاول في هذه الورقة البحثية معالجة هذه المشكلة مبينين الأسباب الكامنة وراء اعتداء الأبناء على آبائهم و محاولة تحديد الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها لمعالجة ظاهرة اعتداء الأبناء على الأصول، حيث قسمنا هذه الورقة إلى أربعة محاور كالاتي:

المحور الأول: المقصود بالعنف ضد الأصول

المحور الثاني: النظريات النفسية و الاجتماعية المفسرة للعنف

المحور الثالث: أساليب التنشئة و علاقتها بالعنف على الأصول

المحور الرابع: سبل معالجة ظاهرة العنف ضد الأصول

قبل البدء في الطرح السوسولوجي للظاهرة نشير إلى الأرقام الصادرة عن مصالح الدرك الوطني في نصف الأول من لسنة 2015 حيث تبين تورط 1844 طفلا في عدة جرائم، بينهم 6 أطفال في قضايا قتل و 4 أطفال في محاولات للقتل العمدي، فيما تورط 11 آخرون في 8 قضايا متعلقة بالضرب و الجرح العمدي المفضي إلى الوفاة، كما تورط

22 طفلاً في قضايا التعدي على الأصول بينهم ثلاث إناث، زيادة على متابعة 839 طفلاً و طفلة في قضايا الاعتداءات الجسدية و 962 في قضايا سرقة.

وبخصوص أعمار المتورطين في الجرائم و المخالفات المذكورة، نجد أن معظمهم ما بين 16 و 18 سنة متبوعين بفترة 13 إلى 16 سنة، أما ما بين 10 إلى 13 سنة فقد أحصي منهم 180 جانحا، فيما يبلغ عدد المتورطين الذين تقل أعمارهم عن 10 سنوات، 50 متورطاً¹.

المحور الأول: المقصود بالعنف ضد الأصول

أولاً: مفهوم العنف ضد الأصول :

ونقصد به هو كل سلوك سيئ يصدر من طرف الأبناء، يختلف هذا السلوك باختلاف الأفراد وباختلاف الدوافع والأسباب التي أدت إلى ارتكاب هذا النوع من العنف، ونقصد به أيضاً هو كل فعل يتسم بالعنف ضد الوالدين كما أنه قد يكون عنفاً معنوياً، نفسياً، جسدياً أو كل ما سبق ذكره.

كما يمكننا التأكيد بأن العنف ضد الأصول هو كل فعل يحمل نوع من الإساءة إلى الوالدين أو أحدهما مهما كان نوع وحجم هذه الإساءة.

تعريف العنف:

يعرف العنف بأنه سلوك إيذائي قوامه إنكار الآخرين كقيمة مماثلة لأننا أو للنحن، كقيمة تستحق الحياة والاحترام، ومرتكزة على استبعاد الآخر، إما بالخط من قيمته أو تحويله إلى تابع أو بنفيه خارج الساحة أو بتصفيته معنوياً أو جسدياً².

ويعرف أيضاً بأنه (سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف قد يكون فرداً أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية بهدف إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة).

إذا فالعنف يتضمن عدم الاعتراف بالآخر ويصاحبه الإيذاء باليد أو باللسان أي بالفعل بالكلمة، وهو يتضمن ثلاث عناصر (الكراهية - التهميش - حذف الآخر)³.

والعنف سلوك غير سوي نظراً للقوة المستخدمة فيه والتي تنشر المخاوف والأضرار التي تترك أثراً مؤلماً على الأفراد في النواحي الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي يصعب علاجها في وقت قصير، ومن ثم فإنه يدمر أمن الأفراد وأمان المجتمع .

الخصائص العامة التي يتصف بها العنف :

- 1-العنف سلوك لا اجتماعي كثيرا ما يتعارض مع قيم المجتمع والقوانين الرسمية العامة فيه .
 - 2-العنف قد يكون ماديا فيزيقيا وقد يكون معنويا مثل إلحاق الأذى النفسي أو المعنوي بالآخرين .
 - 3-العنف يتجه نحو موضوع خارجي قد يكون فردا أو جماعات أو قد يكون نحو ممتلكات عامة أو خاصة .
 - 4-العنف يهدف إلي إلحاق الضرر أو الأذى بالموضوع الذي يتجه إليه .
- ولا يمكن دراسة ظاهرة العنف ودينامياتها دون الإشارة إلي بعض المفاهيم التي تتداخل معها مثال العدوان، الغضب، القوة، الإيذاء⁴ .

أولا: العنف والعدوان:

يرتبط العنف بالعدوان ارتباطا وثيقا فالعنف هو الجانب النشط من العدوانية، ففي حالة العنف تنفجر العدوانية صريحة مذهلة في شدتها واحتياحها كل الحدود، وقد تنفجر عند الأفراد الذين لم يكن يتوقع منهم سوى الاستكانة والتخاذل، أي أن العنف هو الاستجابة السلوكية ذات السمة الانفعالية المرتفعة التي تدفع صاحبها نحو العنف دون وعي وتفكير لما يحدث وللتائج المترتبة على هذا الفعل .

ثانيا: العنف والغضب:

هناك علاقة وثيقة بين الغضب والعنف فلو تخيلنا أن هناك متصلا لوجدنا أن الغضب يقع في أول المتصل في حين يقع الغضب المتوسط في منتصفه في حين يقع العدوان في آخر المتصل، أي إن العنف هو أقصى درجات الغضب، وهو تعبير عن الغضب في صورة تدمير وتخريب وقتل، وقد يكون هذا التعبير في صورة فردية أو جماعية، وذلك عندما تقوم الجماعات بالتعبير عن غضبها بالخرق أو التدمير للممتلكات العامة مثلا .

ثالثا: العنف والقوة:

القوة هي (القدرة على فرض إرادة شخص ما، ويتم فيها التحكم في الآخرين، سواء بطريقة شرعية أو غير شرعية بناء على ما لدى الفرد من مصادر جسدية أو نفسية أو معنوية)، والملاحظ على أن الأقوياء هم الذين يفرضون إرادتهم حتى وإن كان يقاومهم الآخرين، وهذا ما نلاحظه عندما يمارس المعلم سلطته في ممارسة العنف علي تلاميذه أو الرجل علي أبنائه بحكم سلطته الأبويه أو الرجل علي زوجته في المجتمعات الذكورية⁵ .

فمن يمتلك القوة يصبح قادرا على ممارسة العنف على الضعفاء سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات وحتى على مستوى الدول .

رابعاً: العنف والإيذاء:

إن تعريفات الإيذاء عديدة ومتباينة ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها الفرد الذي يقع عليه الإيذاء والمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع، ولقد ظل فعل الإيذاء داخل الأسرة مثلاً يحاط بالكتان داخل مجتمعاتنا، كما كان حتى وقت قريب يبارس في مدارسنا من قبل المدرسين تجاه التلاميذ تحت شعار التربية، ولكن في ظل التطورات التربوية الحديثة وانتشار فكر حقوق الطفل والمرأة أصبح ينظر لهذه السلوكيات على أنها ممارسات تتميز بالعنف بغض النظر عن نظرة العرف والتقاليد لها .

المحور الثاني : النظريات النفسية والاجتماعية المفسرة للعنف :

أولاً: العنف في ضوء نظرية التحليل النفسي :

يرجع «فرويد» العنف إما لعجز (الأنا) عن تكييف النزعات الفطرية الغريزية مع مطالب المجتمع وقيمه ومثله ومعاييرها، أو عجز الذات عن القيام بعملية التسامي أو الإعلاء، من خلال استبدال النزعات العدوانية والبدائية والشهوانية بالأنشطة المقبولة خلقياً وروحياً ودينياً واجتماعياً، كما قد تكون (الأنا الأعلى) ضعيفة، وفي هذه الحالة تنطلق الشهوات والميول الغريزية من عقالها إلى حيث تلمس الإشباع عن طريق سلوك العنف . كما يرى «فرويد» أن دوافع السلوك تنبع من طاقة بيولوجية عامة، تنقسم إلى نزعات بنائية (دوافع الحياة) وأخرى هدامة (دوافع الموت) وتعتبر دوافع الموت عن نفسها في صورة دوافع عدوانية عنيفة، وقد تأخذ هذه الدوافع صورة القتل والحقد والتجني ومقر دوافع الموت أو غريزة التدمير هو اللاشعور .

في حين ترى الفرويدية الحديثة أن العنف يرجع إلى الصراعات الداخلية والمشاكل الانفعالية والمشاعر غير الشعورية بالخوف وعدم الأمان وعدم المواءمة والشعور بالنقص⁶ .

ثانياً: النظرية الإحباطية:

ولقد وضع «دولا رد» مجموعة من القوانين السيكلوجية لتفسير العدوانية والعنف منها

1- كل توتر عدواني ينجم عن كبت .

2- ازدياد العدوان يتناسب مع ازدياد الحاجة المكبوتة .

3- تزداد العدوانية مع ازدياد عناصر الكبت .

4- إن عملية صد العدوانية يؤدي إلى عدوانية لاحقة بينما التخفيف منها يقلل ولو مؤقتاً من حدتها .

5- يوجه العدوان نحو مصدر الإحباط وهنا يوصف العدوان بأنه مباشر وعندما لا يمكن توجيه العدوان نحو المصدر الأصلي للإحباط، فإنه يلجأ إلى توجيه العدوان نحو مصدر آخر له علاقة مباشرة أو رمزية بالمصدر الأصلي، وعندها يسمى هذا العدوان مزاحاً وتعرف هذه الظاهرة بكبش الفداء، فالمعلم الذي يجبط من قبل مديره يوجه عنفه نحو الطلبة لأنه لا يستطيع أن يعتدي على المدير والزوجة التي يعنفها زوجها تقسو على أطفالها⁷ .

ثالثاً: نظرية التعلم الاجتماعي :

وهي من أكثر النظريات شيوعاً في تفسير العنف وهي تفترض أن الأشخاص يتعلمون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى، وأن عملية التعلم هذه تبدأ بالأسرة، فبعض الآباء يشجعون أبناءهم على التصرف بعنف مع الآخرين في بعض المواقف، ويطالبونهم بالأذى يكونوا ضحايا العنف، أو عندما يجد الطفل أن الوسيلة الوحيدة التي يحل بها والده مشاكله مع الزوجة أو الجيران هي العنف، فإنه يلجأ إلى تقليد ذلك⁸ . وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة فإنه يشاهد أن المعلم يميل إلى حل مشاكله مع الطلبة باستخدام العنف، كما أن الطلبة الكبار يستخدمون العنف في حل مشكلاتهم فيقوم بتقليد هذا السلوك العنيف عندما تواجهه مشكلة .

كما أن وسائل الإعلام تعرض في برامجها العديد من الألعاب والبرامج التي تحتوي على ألفاظ وعبارات ومشاهد تساعد على تأسيس سلوك العنف لدى الأطفال.

الفرضيات الأساسية لنظرية التعلم الاجتماعي :

- 1- أن العنف يتم تعلمه داخل الأسرة والمدرسة ومن وسائل الإعلام.
- 2- أن العديد من الأفعال الأبوية أو التي يقوم بها المعلمون والتي تستخدم العقاب بهدف التربية والتهذيب غالباً ما تعطى نتائج سلبية .
- 3- إن العلاقة المتبادلة بين الآباء والأبناء والخبرات التي يمر بها الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة، تشكل شخصية الفرد عند البلوغ، لذلك فإن سلوك العنف ينقل عبر الأجيال .
- 4- إن إساءة معاملة الطفل في المنزل يؤدي إلى سلوك عدواني تبدأ بذوره في حياته المبكرة ويستمر في علاقته مع أصدقائه وإخوته، وبعد ذلك مع والديه ومدرسية⁹ .

رابعاً: نظرية التنشئة الاجتماعية:

وهي تفترض أن العنف يتعلم ويكتسب خلال عملية التنشئة الاجتماعية، كما يتشرب المرء مشاعر التمييز العنصري أو الديني، ويؤكد ذلك أن مظاهر العنف توجد بشكل واضح في بعض الثقافات والثقافات الفرعية بينما تقل في ثقافات أخرى، فبعض الثقافات الفرعية التي تمجد العنف تحتل نسبة الجريمة فيها معدلات عالية، كما نجد أنه في المجتمعات الذكورية التي تعطي السلطة للرجل كثيراً ما نجد أن الرجال يمارسون العنف بشكل واضح ويسوقون المبررات المؤيدة لعنفهم .

هذا بالإضافة إلى ما يسود المجتمع من توجهات فكرية مؤيدة أو معارضة للعنف متمثلة في الأمثال والعرف والثقافة السائدة⁰¹ .

خامساً: الاتجاه البنائي الوظيفي في تفسير العنف :

ويقوم هذا الاتجاه على فكرة تكامل الأجزاء في كل واحد والاعتماد المتبادل بين العناصر المختلفة للمجتمع الواحد، لذلك فإن أي تغير في أحد الأجزاء من شأنه أن يحدث تغيرات في الأجزاء الأخرى وبالتالي فالعنف له دلالاته داخل السياق الاجتماعي، فهو إما أن يكون نتاجاً لفقدان الارتباط بالجماعات الاجتماعية التي تنظم وتوجه السلوك، أو نتيجة لفقدان الضبط الاجتماعي الصحيح، أو نتيجة لاضطرابات في أحد الأنساق الاجتماعية مثل النسق الاقتصادي أو السياسي أو الأسري، أو نتيجة لسيادة اللامعيارية في المجتمع واضطراب القيم .

سادساً: نظرية الصراع في تفسير العنف :

وتقوم هذه النظرية على الفكر الماركسي التي ترجع العنف في المجتمع إلى الصراع وخاصة الصراع الطبقي، والصراع أيضاً يمتد ليشمل كافة الصراعات السياسية والإثنية والدينية، وصراع المصالح والصراع على السلطة، والصراع يمثل التربة الخصبة لزيادة مظاهر العنف في الوقت الراهن، خصوصاً في ظل عدم توازن القوى، فعادة ما يميل الطرف الأقوى لفرض هيمنته على الأضعف لتستمر بعد ذلك دائرة العنف¹¹ .

المحور الثالث: أساليب التنشئة وعلاقتها بالعنف على الأصول:

تتفق أغلب الدراسات النفسية والاجتماعية على أن سلوك العنف على المستوى الفردي أو الجماعي هو عادة مكتسبة متعلمة تتكون لدى الفرد منذ وقت مبكر في حياته من خلال العلاقات الشخصية والاجتماعية المتبادلة ومن خلال أساليب التنشئة الاجتماعية، ويمكن إجمال أهم الأسباب المؤدية لتأسيس سلوك العنف لدى الأبناء ضد أوليائهم في العوامل الآتية:

أولاً: العوامل الأسرية:

ويمكن إجمالها في الآتي :

* أساليب التنشئة الخاطئة مثل (القسوة - الإهمال - الرفض العاطفي - التفرقة في المعاملة - تمجيد سلوك العنف من خلال استحسانه، القمع الفكري للأطفال من خلال التربية القائمة على العيب والحلال والحرام دون تقديم تفسير لذلك - التمييز في المعاملة بين الأبناء).

* فقدان الحنان نتيجة للطلاق أو فقدان أحد الوالدين.

* الشعور بعدم الاستقرار الأسري نتيجة لكثرة المشاجرات الأسرية والتهديد بالطلاق.

* عدم إشباع الأسرة لحاجات أبنائها المادية نتيجة لتدني المستوى الاقتصادي.

* كثرة عدد أفراد الأسرة فلقد وجد من خلال العديد من الدراسات أن هناك علاقة بين عدد أفراد الأسرة وسلوك العنف.

* بيئة السكن فالأسرة التي يعيش أفرادها في مكان سكن مكتظ يميل أفرادها لتبني سلوك العنف كوسيلة لحل مشكلاتهم¹².

ثانياً: أسباب مجتمعية:

1- ثقافة المجتمع: ويقصد بالثقافة هنا جميع المثل والقيم وأساليب الحياة وطرق التفكير في المجتمع فإذا كانت الثقافة السائدة، ثقافة تكثر فيها الظواهر السلبية والمخاصمات وتمجد العنف فإن الفرد سوف يتبع تلك الأنظمة ويدخل في النسق الذي يعتبر السلوك العنيف من مقومات المجتمع.

2- إن المجتمع يعتبر بمثابة نظام متكامل يؤثر ويتأثر بأنساقه المختلفة في نسق الأسرة يؤثر في نسق التعليم ونسق الإعلام يؤثر الأسرة وهكذا، فإذا ساد العنف في الأسرة فسوف ينعكس على المدرسة وهكذا.

3- الهامشية: فالمناطق المهمشة المحرومة من أبسط حقوق الإنسان ونتيجة لشعور ساكنيها بالإحباط عادة ما يميلون إلى تبني أسلوب العنف بل ويمجدونه.

4- الفقر يعتبر الفقر من الأسباب المهمة في انتشار سلوك العنف نتيجة لإحساس الطبقة الفقيرة بالظلم الواقع عليها خصوصاً في غياب فلسفة التكافل الاجتماعي وفي ظل عدم المقدرة على إشباع الحاجات والإحباط المستمر لأفراد هذه الطبقة.

5- مناخ مجتمعي يغلب عليه عدم الاطمئنان وعدم توافر العدالة والمساواة في تحقيق الأهداف وشعور الفرد بكونه ضحية للإكراه والقمع³¹.

ثالثا: أسباب نفسية:

- 1- الإحباط فعادة ما يوجه العنف نحو مصدر الإحباط الذي يحول دون تحقيق أهداف الفرد أو الجماعة سواء كانت مادية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية
- 2- الحرمان ويكون بسبب عدم إشباع الحاجات والدوافع المادية والمعنوية للأفراد مع إحساس الأفراد بعدم العدالة في التوزيع
- 3- الصدمات النفسية والكوارث والأزمات خصوصا إذا لم يتم الدعم النفسي الاجتماعي للتخفيف من الآثار المترتبة على ما بعد الأزمة أو الصدمة
- 4- النمذجة فالصغار يتعلمون من الكبار خصوصا إذا كان النموذج صاحب تأثير في حياة الطفل مثل الأب أو المعلم .
- 5- تعرض الفرد للعنف فالعنف يولد العنف بطريقة مباشرة علي مصدر العدوان أو يقوم الفرد المعنف بعملية إزاحة أو نقل على مصدر آخر له علاقة بمصدر التعنيف
- 6- تأكيد الذات بأسلوب خاطئ (تعزيز خاطئ) من قبل الذات أو من قبل الآخرين
- 7- حماية الذات عندما يتعرض الفرد للتهديد المادي أو المعنوي
- 8- حب الظهور في مرحلة المراهقة خصوصا إذا ما كانت البيئة الاجتماعية تقدر السلوك العنيف وتعتبره معيارا للرجولة والهيمنة .
- 9- وقت الفراغ وعدم وجود الأنشطة والبدائل التي يمكن عن طريقها تصريف الطاقة الزائدة .
- 10 - شعور الفرد أو الأفراد بالاغتراب داخل الوطن مع ما يصاحبه من مشاعر وأحاسيس نفسية واجتماعية حيث وجد في العديد من الدراسات أن هناك علاقة بين العنف والاعتراب .
- 11 - غالبا ما يصدر العنف عن الأفراد الذين يتسمون بضعف في السيطرة علي دوافعهم عند تعرضهم للمواقف الصعبة مما يؤدي لسلوك العنف⁴¹ .

رابعا : وسائل الإعلام وألعاب الأطفال :

تلعب وسائل الإعلام دورا كبيرا في تأسيس سلوك العنف لدى الأطفال من خلال ما تعرضه من برامج ومسلسلات على الشاشة لما تحتويه من عناصر الإبهار والسرعة والحركة والجاذبية وبالتالي يقوم الطفل بتمثلها وحفظها في مخزونه الفكري والسيكولوجي، كما أن مسلسلات الأطفال بما تحتويه من ألفاظ وعبارات لا تتناسب في كثير من الأحيان مع واقع مجتمعنا الجزائري كما نجد أن الألفاظ والمشاهد تكرر مفاهيم القتل والعدوان والسيطرة والقوة.

المحور الرابع: معالجة ظاهرة العنف ضد الأصول

أولاً: الاهتمام بالوازع الديني :

الدين الإسلامي دين الفطرة السليمة جاء ليخاطب العقل والفكر وهو دين المنهج الرباني لا يقر به نقص ولا تشوبه شائبة، هو نظام الحق المستقيم الذي رضيه الله تعالى لنا دينا قال تعالى « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »⁵¹ ولن يكون الإسلام فقط بالقول باللسان بل اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، فالله تعالى لن يقبل العمل بالقول فقط أو بالاعتقاد فقط بل يقبله متمثلاً في حياة الأفراد بالعمل وعندما يجتمع الإيثار والقول والعمل يصبح ذلك العمل مقبولاً عند الله تعالى لكن عندما يختل أحد الأركان يؤدي إلى ضياع وشتات الأفراد فينعكس ذلك على المجتمع بصورة سلبية ويعد البعد عن الدين السبب الأول والرئيس لظاهرة العنف وذلك يتلخص بعدة أمور⁶¹:

1. أن من لا يلتزم بتعاليم الإسلام يكون قريباً من كل شيء حرمه الله تعالى فلا يستطيع أن يفرق بين ما هو حلال وما هو حرام فيلجأ الفرد إلى السب والشتم واللعن والضرب فهو لا يعلم قوله تعالى « وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ »⁷¹.

2. فصل الدين عن أمور الدنيا فالغرب يقود حملته شرسة ضد أبناء المسلمين وذلك بنشر العلمانية بينهم وإبعادهم عن الدين ولم يعلم أبناء المسلمين أن ديننا الإسلامي نظم جميع أمور الحياة بكافة جوانبها.

3. تحكيم غير شرع الله تعالى بين أبناء المسلمين وقد أدى ذلك إلى الشعور بالظلم وعدم العدل لأنه لم يشعر أنه قد أخذ حقه من غريمه فيضطره ذلك إلى العنف وذلك مصداقاً لقوله تعالى « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ »⁸¹.

كما أن الدين سلطة عليا تقوم على فكرة العقاب والثواب، وهو نظام اجتماعي له اثر كبير في تنظيم المجتمع، لأن العلاقة وثيقة بين الدين وقواعد السلوك، ويؤكد الكثير من علماء الاجتماع على أهميته في ضبط سلوك الأفراد والجماعات معاً كونه يتضمن علاقة لا تقوم بين رجل وآخر فحسب، لكنها تقوم كذلك بين الإنسان وقوة أعلى منه. فالدين يفرض جزاء يمكن وصفه بأنه فوق اجتماعي كالخوف من غضب الله. ويرى بعض الكتاب لأمثال "بنيامين كد B.Kidd" والفيلسوف المعاصر "لويس Lewis" ان قاعدة السلوك الخلفي لا تقوى على البقاء بدون تأييد من الدين.

فالنظام الديني سلطة قوية لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس في ضوء مشيئة قوى فوق بشرية، ولهذا فإن قواعد السلوك الخلفي لا يمكنها البقاء والاستمرار بدون سلطة الاعتقاد الديني⁹¹.

وإذا تناولنا الإسلام كخاتم الديانات فنجد أن مبادئه تقوم على ضبط اعتقاد وسلوك الفرد ليحقق في النهاية خير البشرية وسعادتها. وهو ليس ضبطاً لأهداف مادية أو وظيفية أو نحو ذلك ولكنه ضبط يأتي كنتيجة حتمية لإيمان الفرد وتسليمه الكامل لأوامر الله وهذا هو معنى الإسلام، وبالتالي يؤدي ذلك إلى تكوين شخصية فعالة في تكوين البناء الاجتماعي. ولذا فالضبط الاجتماعي من المنظور الإسلامي هو نتيجة طبيعية لمسئولية المجتمع المسلم في بناء وتعزيز المؤسسات الاجتماعية والتربوية التي تضبط سلوك الأفراد وتوجهه على أساس إسلامي.⁰²

أما الضبط الخارجي فينشأ من ارتباط القواعد القانونية بالدين لما للدين من سلطان عظيم في نفوس الأفراد، فكان الناس يمثلون لما تأمر به الديانة دون مناقشة أو مراجعة، وفي المجتمعات الحديثة شرعت القوانين بواسطة هيئات متخصصة نجد أن الدين كان يمثل المصدر الأول الذي تستند إليه هذه القوانين، وبخاصة في مجتمعاتنا الإسلامية.

لذلك ينظر للدين في كل مجتمع تقريباً على أنه هو الحافظ الأول للأخلاق منذ العصور التاريخية، عندما كانت الأخلاق والقانون والعادات والتقاليد والدين جزءاً واحداً لا يتجزأ، وكان الدين هو التنظيم الاجتماعي الوحيد الذي يسود الحياة الاجتماعية وينسقها.

12

ثانياً: تقسيم الأدوار الاجتماعية:

ويمثل ذلك في إعادة غرس العادات والتقاليد التي اعتادها المجتمع والتي تتطلب من الأب قدراً من المسؤولية فإن الرجل في بيته يجب عليه أن يستخدم نوعاً معيناً من الأساليب الخشنة مع أسرته وهو المقياس الذي يمكن من خلاله معرفة المقدار الذي يتصف به الإنسان من المسؤولية تجاه أسرته.

والسكن الضيق الذي يعيش فيه الزوجين له دور في العنف فهو غالباً ما يؤدي إلى التوتر الدائم بين أفراد الأسرة بسبب عدم توفر المساحة اللازمة للحركة وينعكس هذا التوتر على الأسرة ككل مما يعرضها للعنف.²²

وأيضاً قد يكون من أسباب العنف المنتشر عربياً وعالمياً والتي تنتقل عبر الفضائيات والانترنت والتغيرات التي تحدث في المجتمع الكبير تنتقل وبشكل غير مباشر إلى المجتمعات الصغيرة.³²

ثالثاً: توفير العلاج النفسي:

يرى بعض الباحثين أن العنف نابع عن اضطراب في نفسية الفرد الذي يمارسه قولاً وفعلاً دون أن يعيروا اهتماماً للظروف والأوضاع المحيطة بالفرد وترجع الأسباب النفسية.⁴²

1. معالجة الأسباب الذاتية التي ترجع إلى شخصية القائم بالعنف كأن يكون لديه خلل في الشخصية بمعاناته من اضطرابات نفسية أو تعاطي المسكرات و المخدرات، أو يكون لديه مرض عقلي⁵².

2. توفير العلاج النفسي لمن وقع ضحية للعنف في صغره حيث أن وقوع العنف على الأشخاص منذ صغرهم فقد أكدت الدراسات الحديثة التي أجريت على الأطفال أن الذي يمارس عليه العنف باستمرار يتلبد الحس لديه ويصبح قليل التأثر بالأحداث التي يعيشها والتي تستثير انفعال الآخرين ممن لم يمارس عليهم العنف كما يتولد عندهم الإحساس بالدونية نتيجة لمشاعر العجز والخوف المترسخة مرة بعد مرة، وأن من يمارس عليه العنف وهو صغير سيأرسه لاحقاً مع عناصر البيئة ومع أصدقائه ومن يتعامل معهم وخاصة مع زوجته وأطفاله.

3. إذا وجد الفرد واقعا لا يقبله فإنه يلجأ لا شعورياً إلى رد فعل معاكس لهذا الواقع وكلما كان الدافع قويا كان رد الفعل قويا بل قد يؤدي إلى التطرف والعنف⁶².

4. محاولة التغلب على أشكال العنف الصادرة من الأفراد التي تكون وسيلة من الفرد لإيجاد حل لإعادة التوازن بينه وبين بيئته والتخلص من الصراع الداخلي فيؤديه ذلك إلى وسائل غير سليمة مثل الضرب والشتيم.

5. الاهتمام بشعور الفرد المتزايد بالإحباط وضعف الثقة في النفس فيدفع ذلك إلى العنف⁷²، وقد يكون أيضاً تهميش الأفراد وعدم إعطاء الفرصة لهم لإبداء رأيهم وخاصة الأطفال في المدارس ومما يزيد العنف عندهم ما يلي:

1. تركيز المعلم على جوانب الضعف عند الطالب والإكثار من انتقاده.

2. الاستهزاء بالطالب والاستهتار من أقواله وأفكاره.

3. عدم الاهتمام بالطالب وعدم الاكتراب به مما يدفعه إلى استخدام العنف ليلفت الانتباه لنفسه.

4. عنف المعلم اتجاه الطلاب⁸².

رابعاً: الاهتمام بالجوانب الاقتصادية:

قد تكون الأسباب الاقتصادية من أهم أسباب العنف مثل الفقر أو الدخل الضعيف الذي لا يكفي المتطلبات الأسرية، أو حالة المسكن أو المنطقة التي يعيش فيها واستخدام الأب للعنف في الأسرة ليس لتحصيل المال منهم ولكن تفرغاً لشحنات الخيبة والفقر الداخلية وإذا كان العنف في خارج حدود الأسرة فالسبب إنما هو الحصول على النفع المادي.

ومن أهم الأسباب الاقتصادية:

1. محاولة تعديل سوء توزيع الثروات فالفرد يرى الفئات التي تتصف بالغنى الفاحش وتمتتع بامتيازات كثيرة بينما فئات أخرى لا تنال من الدنيا إلا الفقر المدقع.
2. مراقبة انتشار الطرق غير المشروعة في الكسب والحصول على الرزق مثل الرشوة والربا والسرقة وغيرها.
3. غرس روح التكافل الاجتماعي بين أوساط المجتمع، ودعم الجمعيات الفاعلة و كذا منظمات المجتمع المدني التي لها احتكاك مباشر بفئات المجتمع.
4. وضع إستراتيجية للتقليل من انتشار البطالة وخاصة أن البطالة تشعر رب الأسرة بالعجز وعدم تحمله المسؤولية مما يؤدي إلى فقدان ثقته بنفسه وتفقدته الشعور بالاطمئنان فيظهر العنف والشقاق والنزاع في الأسرة⁹².

خامساً: التعاون بين الأسرة والمدرسة

الأسرة الحديثة هي الأسرة الصغيرة التي تتكون من زوجين وأبنائهما وهي المدرسة الأساسية لكل طفل، لأن ما يتعلم فيها يبقى معه طوال حياته. وعن طريقها يكتسب قيمه الاجتماعية ومعايير سلوكه. وتعد الأسرة بلا منازع الجماعة الأولية التي تكسب النشء الجديد خصائصه الاجتماعية الأساسية، أي هي الوسيلة الرئيسة للتنشئة.

ويتأثر الطفل في تنشئته الاجتماعية بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي لأسرته ويؤثر ذلك المستوى على تحقيق مطالبه، ويختلف أثر تلك التنشئة أيضا تبعا لجنس الطفل، فالأسرة لا تعامل الذكور من الأطفال كما تعامل الإناث.

ويختلف سلوك الأب والأم قبل ولادة الطفل عن سلوكهما بعد ولادته، وبذلك تصبح عملية التنشئة الاجتماعية عملية متبادلة أي عملية تأثير وتأثر. وأن سلوك الوالدين اتجاه الطفل له أثر كبير على تنشئته الاجتماعية⁹³.

* دور الأم في التنشئة: لقد أعطت مختلف أدبيات علم النفس والاجتماع والتربية وحتى الأدب أولوية وأهمية كبيرة لدور الأم في تنشئة أطفالها، باعتبارها النموذج والقذوة التي يحتذي به الطفل منذ الصغر من حيث اكتسابه لسلوك أمه منذ البدايات الأولى وتكمن أهمية الأم باعتبارها الوحيدة الملائمة لطفلها من الولادة إلى أن يكبر ويبلغ السن التي تؤهله ليكون فردا من أفراد المجتمع.

إن الأم بالنسبة لصغيرها تمثل رمزا للحب والحنان والعطاء غير محدود، فهي المسؤولة عن كل صغيرة وكبيرة تخص أبناءها ولا يبقى حكرا على مرحلة الطفولة بل يستمر إلى

حدود المراهقة، لا سيما هذه الأخيرة حيث كثيرا ما يلجأ الأبناء على اختلاف جنسهم ومشاكلهم ومتطلباتهم إلى صدر الأم في مرحلة يكون الأب متركزا حول ذاته فارضا نوع من الهيبة والاحترام وفي بعض الأحيان يمارس نوعا من التسلط يجعل الأبناء بطريقة غير مباشرة يفرون منه . إن هذه الفترة تجعلنا نستنتج أن أسلوب معاملة الأب في كثيرا من الأحيان هي التي تجعل الأبناء كبارا و صغارا يفرون و يتعدون عنه وتبقى بذلك العلاقة أحادية الجانب بين الأبناء والأم وبذلك فهي علاقة تشوبها النقص داخل الأسرة. دور الاب في التنشئة : إن دور الأب في التنشئة لا يقل أهمية على دور الأم، فدور الأم يبرز كثيرا في الشهور والسنين الأولى من حياة الطفل وقد أدت هذه الأهمية لدور الأم إلى النظر بأن دور الأب هو دور ثانوي، فالأب وإن لم يبرز دوره في المراحل الأولى للطفل فإنه يتضح جليا بطريقة غير مباشرة من حيث توفير المتطلبات المادية واحتياجات الطفل من حليب وغذاء وكساء وحماية... الخ، وهذه الأشياء تساعد الطفل على النمو جسديا مضافا إليه حنان الأم¹³. كما أن هناك العديد من المبررات لضرورة التعاون بين الأسرة والمدرسة في مجال تربية الطفل نذكر منها ما يلي:

- 1- أن التعاون بين هاتين المؤسستين يحقق درجة مقبولة من الفهم المتبادل لدور كل منهما في مجال تربية الطفل والناشئة، مما يؤدي إلى زيادة التنسيق وعدم التعارض بينهما، إذ كثير ما يؤدي التعارض والتناقض في أدوارهما إلى تكوين صراع نفسي لدى التلميذ.
- 2- أن التعاون بين هاتين المؤسستين يؤدي إلى التخلص من غالبية المشكلات التي قد يواجهها التلاميذ وبخاصة مسألة الغياب عن المدرسة، أو الفشل في الامتحانات، وغيره، والتي قد تتسبب التسرب الدراسي، وفي هذا زيادة في الفاقد التعليمي.
- 3- أن التعاون بين هاتين المؤسستين يؤدي إلى زيادة فهم المدرسة لأوضاع التلاميذ الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وبالتالي مساعدته على تحطى المشكلات التي قد تواجههم في هذا المجال، وعلى التكيف مع المجتمع والمدرسة.
- 4- أن التعاون بين هاتين المؤسستين يعطى الفرصة لتوضيح مواقفها على نحو أفضل فيما يتعلق بتكثيف الواجبات المنزلية التي قد يلجأ إليها المعلمين، وقد لا تترك للتلميذ فرصة لنشاطات أخرى غير الدراسة، ورغبة بعض الآباء في ترك بعض من وقت أبنائهم للقيام بنشاطات أخرى غير الدراسة إن التنسيق بين المدرسة والبيت في هذا المجال يؤدي الى راحة التلميذ النفسية وزيادة تحصيله الدراسي وإلى زيادة حبه للمدرسة وانتمائه إليها.
- 5- إن التعاون بين هاتين المؤسستين يساعد على الدمج بين ثقافتهما، مما يؤدي إلى ارتفاع تطلعات كل منهما إلى مستوى متطلبات العصر الحاضر، بما يحمله من تغيرات

ومستجدات قد يقف منها بعض الأباء والمعلمين موقف الرفض لخوفهم من التجديد، أو موقف المشجع سعياً منهم إلى الحدأة.

6- إن التعاون بينهما يجعل خطة العمل التربوي مشتركه بينهما في ضوء اعتماد أهداف مشتركه توجه العملية التربوية فيها²³.

سادساً : الاهتمام بمكافحة العنف في المدارس بالتعاون مع الأولياء :

حيث يجب أن يقوم المختصون في هذا المجال بالعديد من الفعاليات والأنشطة للتخفيف من هذا السلوك سواء لدى المعلمين أو الطلبة أو الأولياء تجاه أبنائهم ومن هذه الفعاليات والأنشطة:

1- تنفيذ العديد من الندوات لأولياء الأمور في أساليب التنشئة الاجتماعية المناسبة لكل مرحلة عمرية باعتبار أن الأسرة هي المصدر الأساسي في تأسيس سلوك العنف لدى الأطفال.

2- تنفيذ العديد من الندوات لأولياء الأمور حول حقوق الطفل في الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية وحقه في اللعب والمشاركة والتعبير عن الرأي وحقه في الشعور بالأمن النفسي والاجتماعي.

3- تنفيذ العديد من الندوات واللقاءات مع المعلمين والإدارات المدرسية حول الخصائص الإنمائية لكل مرحلة عمرية والمشكلات النفسية والاجتماعية المترتبة عليها وخصوصا مرحلة المراهقة وكيفية التعامل مع هذه المشكلات وخصوصا سلوك العنف .

4- تنفيذ العديد من الندوات للمعلمين والإدارات المدرسية حول حقوق الطفل النفسية والاجتماعية والمدنية والسياسية.

5- المشاركة في غرس فعلي وواقعي لفكرة الديمقراطية والتعبير عن الرأي والمشاركة في صنع القرارات خصوصا التي تتعلق بشؤونهم.

6- عقد دورات للمشرفين التربويين والمديرين والمديرات والمعلمون والمعلمات في حقوق الإنسان وحل النزاعات ومنحى التواصل السلمي الخالي من العنف.

7- الإشراف على البرنامج المدرسي من خلال وزارة التربية والتعليم الذي يهدف في الأساس إلي تعليم مبادئ الديمقراطية والحوار ونبد الصراعات والدفاع عن الحقوق بأساليب الحوار الهادئ البناء

8- الإشراف على برنامج بناء والذي من ضمن أهدافه الكشف عن التلاميذ المتأثرين بالصدمة والتي من ضمن آثارها سلوك العنف حيث يقدم هذا البرنامج العديد من الأنشطة والفعاليات التي تحذ من هذا السلوك.

- 10- تنفيذ العديد من المخيمات الصيفية والأشرف عليها والتي من ضمن أهدافها التفريغ الانفعالي عن طريق الأنشطة الحركية والرسم والتمثيل والفنون الشعبية والتي تسهم في خفض العدوانية بالإضافة إلى أنشطة متنوعة ذات صلة بمفاهيم حقوق الإنسان .
- 11- تنفيذ العديد من المعارض والمهرجانات والتي تحتوي علي ركن أساسي خاص بحقوق الطفل سواء من حيث الفقرات التي تقدم أو المجسمات والرسومات التي تعبر عن حقوق الطفل وكذلك الفقرات التي تحتوي علي مضمون توجيهي إرشادي لبعض القضايا التي تهم الطفل .
- 12- التنسيق مع المؤسسات غير الحكومية أو منظمات المجتمع المدني التي تعمل في مجال حقوق الإنسان والدعم النفسي الاجتماعي لمساعدة الأطفال في هذا المجال³³.
- 13 - توزيع النشرات والملصقات الخاصة بحقوق الطفل و توزيع النشرات الخاصة بالآثار المترتبة علي استخدام العقاب والعنف تجاه الطلبة والوسائل البديلة للعقاب والعنف .
- 14- تنفيذ العديد من المسابقات التي تتناول مواضيع حقوق الطفل والتوجيه والإرشاد.
- 15- القيام بدورات قصيرة للمعلمين الجدد في كيفية التعامل مع الطلبة من خلال منحي التواصل الاعنفي القائم علي الإرشاد بالرابطة الوجدانية .
- 16- العمل على الجانب الوقائي للحد من سلوك العنف لدي الطلاب من خلال جلسات التوجيه الجمعي وتوظيف الإذاعة المدرسية والجانب الإعلامي في المدرسة
- 17- العمل علي الجانب الإنمائي من خلال تنمية مهارات الاتصال والتواصل بدون عنف لدى المعلمين والطلبة وتدريب الطلبة علي تنمية المهارات الاجتماعية .
- 18- أما علي المستوى العلاجي فيقوم المختصين في التوجيه والإرشاد بتنفيذ العديد من البرامج العلاجية للطلبة العدوانيين والذين يتبنون العنف في حل مشكلاتهم والتي تقوم في الأساس على نظريات التوجيه والإرشاد (السلوكية - المعرفية - العقلانية الانفعالية السلوكية - الإنسانية - السلوكية الحديثة)
- 19- كما يقوم هؤلاء المختصين في التوجيه والإرشاد بتقديم الدعم والمساندة النفسية للطلبة المتأثرين بالصدمات والأزمات التي تترك في كثير من الأحيان مشاعر عدائية وتولد سلوكا عنيفا وذلك من خلال البرامج الإرشادية التي تقوم في الأساس علي جلسات التفريغ الانفعالي وتقوية مفهوم الذات والشعور بالأمن النفسي والاجتماعي .
- 20 - إنتاج العديد من المجالات والتي تتضمن العديد من المواضيع ذات العلاقة بحقوق الإنسان والتوجيه والإرشاد⁴³.

خاتمة:

إن ظاهرة العنف قد أخذت حيزا كبيرا في واقع حياتنا المعاش فأصبحت هذه الظاهرة تقتحم مجال تفكيرنا وسمعنا وأبصارنا ليل نهار، وأصبحنا نسمع عن العنف ضد الأصول والعنف ضد المرأة والعنف الديني العنف ضد الأطفال وغيرها من المصطلحات التي تندرج تحت أو تتعلق بهذه الظاهرة، ولكن اختلال منظومة القيم، وتراجع الوازع الأخلاقي، يشكل في نظري أحد الأسباب الرئيسية في انتشار الظاهرة واستفحالها. فقد أصبح مجتمعنا بفعل هيمنة قيم السوق المتوحشة، وتغليب المصلحة الذاتية، يعيش نوعا من اختلال المعايير، وتراجع العديد من القيم الاجتماعية، كالتضامن والتكافل ونفسي الفردية، وغياب التواصل بين مكونات الأسرة.

أما عن الانعكاسات النفسية لهذه الاعتداءات على الوالدين، فهي جد خطيرة على استقرارهم النفسي، إذ تبرز العديد من الدراسات في هذا المجال، أن الأشخاص المعنفين يتولد لديهم شعور حاد بالانقباض والإحباط، وعدم القدرة على العيش بشكل طبيعي وفقدان الثقة في المستقبل.

كما أن عنف الابن ينبغي التعامل معه، باعتباره رد فعل نفسي تجاه محيطه الأسري والاجتماعي عموما. ففي غياب آليات الحوار داخل الأسرة وانعدام التواصل وعدم القدرة على حل المشاكل، تسود لغة العنف، ويحل معها فقدان الثقة بين مختلف أعضاء الأسرة، وهو ما قد يعكس سلباً على العلاقة مع المجتمع، مما يخلق لدى الابن إحساسا بالضيق والقلق، ويدفعه من ثم، إلى الإدمان على المخدرات، واعتماد العنف تجاه ذاته وتجاه الآخرين.

ولو تصفحنا بحثنا في التاريخ لوجدنا هذا المفهوم صفة ملازمة لبني البشر على المستوى الفردي والجماعي، بأساليب وأشكال مختلفة تختلف باختلاف التقدم التكنولوجي والفكري الذي وصل إليه الإنسان، فنجدته متمثلا بالتهديد والقتل والإيذاء والاستهزاء والخط من قيمة الآخرين والاستعلاء والسيطرة والحرب النفسية وغيرها من الوسائل.

والاتجاه نحو العنف نجده في محيط سلوكيات بعض الأفراد، كما نجده في محيط سلوكيات بعض الجماعات في المجتمع الواحد، كما يوجد في محيط المجتمعات البشرية، وهو يوجد في مختلف الأوقات، وقد تزداد نسبة العنف في مجتمع معين وقد تنقص، كما تختلف قوته من مجتمع إلى مجتمع ومن زمن إلى زمن، وقد تكون صور التعبير عن العنف عديدة ومتباينة لأن الناس مختلفون ومتباينون، كما أن الناس يعيشون في ظل مناخيات ثقافية وسياسية واقتصادية مختلفة.

ولقد بدأ الاهتمام بظاهرة العنف الموجه ضد الأصول سواء على مستوى الجزائي أو العربي أو من طرف الباحثين والعاملين في المجال الاجتماعي والقانوني والنفسي والتربوي

أو على مستوى المؤسسات والمنظمات غير الحكومية في التزايد، وذلك نتيجة لتطور الوعي النفسي والاجتماعي بأهمية الاهتمام بالأسرة وضرورة توفير المناخ الاجتماعي والثقافي والنفسي والتربوي المناسب لقيام الأولياء بمهامهم المسندة إليهم، والعمل على الاهتمام بالأطفال جسديا واجتماعيا لما لهذه المرحلة من أثر واضح على شخصية الطفل في المستقبل، بالإضافة لنشوء العديد من المؤسسات والمنظمات التي تدافع عن حقوق الأسرة، وقيام الأمم المتحدة بصياغة اتفاقيات عالمية تهتم بحقوق الأسرة عامة وبعض الفئات التي تدرج تحتها الأسرة ومنها الأولياء وبضرورة حمايتهم من جميع أشكال الإساءة والعنف الذي قد يتعرضون لها.

قائمة المراجع :

القرآن الكريم

- 1 -ع، أسابع. «ظهور جرائم غريبة وبشعة في المجتمع الجزائري». النصر، 2 جانفي 2016، ص 12.
- 2 -حيدر، البصري. العنف الأسري الدوافع والحلول. الأردن : دار المحجة البيضاء، 2001، ص 22.
- 3 -خالد عبد الرحمن، السالم. الضبط الاجتماعي والتماسك الأسري. الرياض : دار المحبة، 2000، ص 110.
- 4 -سيد عبد الحميد، مرسي. الفرد والمجتمع في الإسلام. القاهرة : مكتبة وهبة، 1989، ص 122-124
- 5 -خالد عبد الرحمن، السالم، مرجع سابق، ص 88.
- 6 -شكور جليل، وديع . العنف والجريمة. القاهرة : الدار العربية، 1997، ص 35.
- 7 -ليلي، عبد الوهاب. العنف الأسري الجريمة والعنف ضد المرأة. دمشق : دار المدى، 2002، ص 63.
- 8 -محمد محمد، نعيمة. التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية . الإسكندرية : دار الثقافة العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص 66.
- 9 -نفس المرجع، ص 78.
- 10 - سلوى، عبد المجيد الخطيب . نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر. القاهرة : مطبعة النيل للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص 52.
- 11 -شكور جليل، وديع. مرجع سابق، ص 32.
- 2 -فاروق محمد، العادلي. دراسات في الضبط الاجتماعي. القاهرة : دار الكتاب الجامعي، 1985، ص 69.
- 13 -محمد، معجب الحامد. دور المؤسسات التربوية غير الرسمية في عملية الضبط الاجتماعي. الرياض : مركز ابحاث الجريمة، 1997، ص 121.
- 14 -سلوى، عبد المجيد الخطيب، مرجع سابق، ص 54.
- 15 -سورة المائدة : 3.
- 16 -فرج محمود أبو ليلي. الإسلام وبناء المجتمع، القاهرة : دار المعارف، 1999، ص 13.
- سورة الحجرات : 11.

- سورة المائدة : 44 .
- 17 - عبد الله، الخريجي. الضبط الاجتماعي، جدة : دار رامتان، 1982، ص 12 .
- 18 - سيد عبد الحميد، مرسي، مرجع سابق، ص 69 .
- 19 - فرج محمود أبو ليلى، مرجع سابق، ص 35 .
- محمد عبد السلام، العرود . ”العنف الأسري من منظور إسلامي، دوافعه وآثاره“، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ص ص 42-43 .
- 20 <http://swmsa.net/forum/archive/index.php/t-9440.html>
- 21 -محمد عبد السلام، العرود، مرجع سابق، ص 34 .
- http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_42371.html
- 22 -محمد، أبو زيد. موقف الإسلام من ظاهرة العنف.الرياض : دار الهدى، 2006، ص 89 .
- 23 -عيسى، حمدان. مظاهر العنف لدى الطلبة الجامعيين. القاهرة : الدار الأهلية للطباعة والنشر، 2000، ص 17 .
- 24 -يونس، إنتصار. السلوك الإنساني. القاهرة : دار الحرية، 2007، ص 173 .
- 25 -محمد عبد السلام، العرود، مرجع سابق، ص 88 .
- 26 - سلوى، عبد المجيد الخطيب، ص 60 .
- 27 -نفس المرجع، ص 62 .
- 28 - سلوى، عبد المجيد الخطيب، مرجع سابق، ص ص 68-70 .
- 29 - سلوى، عبد المجيد الخطيب، مرجع سابق، ص 77 .
- 30 -محمد، صفوح الأخرس. نموذج لاستراتيجية الضبط الاجتماعي في الدول العربية.الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1997، ص 22 .

مكانة علم الاجتماع في الجزائر

د. نصر الدين بن عودة

جامعة حسيبة بن بو علي / الشلف

الملخص :

لقد وجهت عدة انتقادات للمشتغلين بعلم الاجتماع، كونهم لم يصلوا إلى القيام بدورهم لرفع قيمته ومكانته، وكون هذا العلم لا يتجاوز الأكاديمية في الطرح، و وصف كذلك بأنه علم لا يتعدى صدهاء جدران الجامعة، مما دفع بأصحاب القرار إلى تهيمشه وتقزيمه حتى تظهر أنها علوم تجريدية لا جدوى منها، والعمل على إبعاده عن الواقع اليومي وتنمية المجتمع، بينما العلوم التكنولوجية و التقنية نالت العناية و الاهتمام و ووصفها بأنها المخرج من دائرة التخلف وتحقيق التنمية. وهذا ما دفع الطلبة الحاصلين على شهادة البكالوريا النفور منه وجعله آخر فرصة لهم من بين الاختيارات الممنوحة لهم، نظرا لتصوراتهم أن هذا التخصص لا يضمن لهم مستقبلا مهنيا .

Abstract :

The users of the Psychology make face to a high number of criticisms because of their inability to play their role in order to raise its value and its place, this science does not overtake the exposition district, and is definite such as a science that does not overtake the university's walls, however the deciders were in such way obliged to marginalize and reduce it until it seems as an unremarkable useless science, and to act to get it far from the reality and the society's development, while technological and technical sciences obtained interest and attention, and to definite it such as the issue from the under development and the development's concretization, that is what incites the baccalaureate titulars to run away from this science and to classify it as the last one of the choices they have been given on the understanding of their imagination that this specialty does not occur them a vocational future.

تمهيد:

لقد عاش علم الاجتماع وضعيات متعددة منذ تأسيسه في الجامعة الجزائرية، فمن تخصص معترف به وبالمعرفة التي يحملها و التي يمكنها أن تساهم في بناء الفكر النقدي لدى الطالب ليصبح إطارا مساهما في عملية التنمية، إلى التخصص الذي أصبح يضم

المفوضين من التخصصات الأخرى وتضيق فرص التوظيف أمام خريجه، نتيجة الجهل بماهية هذا التخصص وطبيعة المهام المهنية التي يمكن أن توكل لحاملي شهادة علم الاجتماع، إضافة إلى أن المشتغلين بهذا العلم من باحثين وأساتذة جامعيين يشعرون بإحباط نظرا للأزمة التي يجياها هذا العلم وما يعانیه من تهميش . إن محاولة تحديد مكانة ووضع علم الاجتماع في الجزائر و المشتغلين بهذا العلم ووضع خريجها المهنية، يتطلب التطرق إلى : نشأة هذا العلم، والظروف التي تطور فيها، ثم مكانة ووضع علم الاجتماع في الجزائر.

المرحلة التأسيسية الأولى لنشأة علم الاجتماع (ابن خلدون

(إذا كان الايطاليون يزعمون أن» فيكو» هو مؤسس علم الاجتماع وإذا كان البلجيكيون يدعون أن»كتليه» هو أول من استخدم تسمية الفيزيائية الاجتماعية ليشيروا بها إلى العلم الجديد، وإذا كان الفرنسيون يدعون» كونت» هو مؤسس علم الاجتماع بلا منازع فان التاريخ يشهد أن هناك مفكر عربي ظهر قبل هؤلاء جميعا استطاع أن يقيم صرح هذا العلم على أسس منهجية سليمة، فعرفه وحدد موضوعه ومنهجه وراح يغرس مسائله ويستنبط قوانينه، ذلك هو عبد الرحمان ابن خلدون . أدرك ابن خلدون منذ بدأ مقدمته أنه يقوم بمحاولة غير مسبوق إليها وهي تأسيس علم الاجتماع، أو ما سماه بعلم العمران البشري أو الاجتماع الإنساني وفي هذا يقول « وكأن هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع، وهو العمران البشري أو الاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أم عقليا»^[1] . ويقرر ابن خلدون أول من يدرس ظواهر الاجتماع على هذا النحو الجديد بقوله « وأعلم أن هذا الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص»^[2] وينتهي من استعراض ما عسى أن يكون له علاقة بعلمه الجديد، فلا يجد له شبيها، فيقول « ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما وأعثرنا على علم جعلنا بين ذكره وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسائله، وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه، فتوفيق من الله وهداية، وان فاتني شيء في إحصائه واشتبهت بغيره مسائله فلنأظر المحقق إصلاحه ولي بعض الفضل لأنني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق.»^[3] ومن القضايا التي اهتم بمعالجتها المراحل التطورية للدول والحضارات الإنسانية، فيما يعرف بنظرية الدورة التاريخية وتحليله لنشأة السلطة وتطورها، واثار ذلك على طبيعة نظام الحكم فيما يعرف بنظرية العصبية. كما اهتم بمعالجة الظواهر الاقتصادية بالإضافة إلى كثير من مسائل التربية والتعليم، ومن هنا يتضح أن مقدمة ابن خلدون تشمل جميع النواحي الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع العربي الإسلامي الوسيط وهذا ما جعل

العديد من العلماء يعترفون بقيمة كتاباته وتأثيرها على تحليل قضايا سوسيولوجية عامة، لا تزال تشكل اهتمامات العديد من علماء الاجتماع والتاريخ والاقتصاد والسياسية، وأصبح هناك اعتراف عالمي الآن بدور ابن خلدون في الدعوة إلى إنشاء علم الاجتماع.^[4]

3- العوامل التاريخية لنشأة السيسولوجيا الغربية:

من خلال الأحداث التاريخية التي عرفتھا المجتمعات الأوروبية بدأ يتشكل مجتمع جديد بداية من القرن 15 وهو عصر النهضة الأوروبية إلى غاية نهاية القرن 19، ويمكن هنا تحديد ثلاث محطات هامة ارتبط ظهور علم الاجتماع بها، عصر الأنوار الذي يعتبر امتداد لعصر النهضة، والثورة الفرنسية والثورة الصناعية. إن المجتمع في القرون الوسطى كان يخضع للنظام الإقطاعي الذي يتميز بالطبقات الاجتماعية لكن سرعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية عجّلت بروز طبقة جديدة هي البرجوازية التي لعبت دورا أساسيا في ظهور المجتمع الجديد، كما أن الكنيسة لعبت دورا سلبيا بمنعها المفكرين من التطرق إلى الخطاب الديني و الميتافيزيقي، في مقابل ذلك تركت بعض المجالات المسموحة في المجال الطبيعي، بشرط ألا تتعارض الاكتشافات العلمية مع مبادئ الكنيسة.^[5]

إن مسيرة علم الاجتماع خلال المرحلة التأسيسية الثانية هي نتاج لعصري النهضة والتنوير فقد تطورت البحوث و الدراسات في أوروبا خصوصا بعد عصر النهضة الأوروبية الذي شهد حركة إحياء العلوم القديمة وقد عكف على البحوث و الدراسات الاجتماعية طوائف من المفكرين و العلماء الذين يمثلون المدارس الفلسفية التي ظهرت في عصور الانتقال العلمي، وكانت تعاني من عقم وتحلف القرون الوسطى إلى تقدم وفاعلية وديناميكية العصر الحديث.^[6]

ومن أهم المدارس الفكرية التي كان لها الفضل الأكبر لظهور علم الاجتماع في أوروبا:^[7]

- مدرسة التعاقد الاجتماعي على يد «توماس هوبز»-«جون لوك»-«جون جاك روسو»

- مدرسة فلسفة القانون-«مونتيسكيو»

- مدرسة فلسفة التاريخ «هيغل»

- مدرسة الفلسفة الاقتصادية «كيناي»-«أدم سميث»-«جون ستيوارت ميل»
وهذه المدارس الأربع تبقى من أهم العوامل الفكرية لظهور علم الاجتماع في العالم الغربي، فظهر علم الاجتماع بمفهومه الحديث في أوائل القرن 19، وقد كان أوغيست كونت «سباقا إلى ذلك، وياليه في ذلك الفيلسوف الألماني» هربرت سبنسر في منتصف

القرن 19، وفي الولايات المتحدة بدأ علم الاجتماع كتخصص أكاديمي ليؤسس قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو عام 1892، ثم أسس علم اجتماع أوربي في جامعة بوردو عام 1895، وفي عام 1905 أسست الجمعية الاجتماعية الأمريكية الجمعية الأكبر في العالم من علماء الاجتماع المحترفين، وفي عام 1919 أسس قسم علم الاجتماع بجامعة لودفيج الألمانية، أما أقسام علم الاجتماع في بريطانيا فأسست بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت إيطاليا لها نصيب من أعمال «باريتو».^[8]

مكانة علم الاجتماع في الغرب :

إن الأهمية التي أعطاها « كونت» لعلمه الجديد هي أهمية نابغة من مواضيع علم الاجتماع، حيث أن لهذا العلم المكانة المميزة اجتماعيا و أكاديميا، فنجد أن الأوائل الناجحين هم من يحولون إلى أقسام علم الاجتماع ونجد أن للباحث الاجتماعي في الغرب دور كبير يمنحه الاحترام و التقدير الاجتماعي .

4- نشأة علم الاجتماع في العالم العربي :

أ- نشأة علم الاجتماع كتفكير اجتماعي :

ظهرت في الحضارات الشرقية القديمة كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل طوائف من الحكماء والفلاسفة و المرعين و المصلحين والمفكرين الذين عالجوا موضوعات الفلسفة و الفكر الاجتماعي معالجة لا تقل أهمية عن المعالجة اليونانية.^[9] وفي الحضارة الإسلامية يعتبر الإسلام دين و نظام اجتماعي، فوضع تشريعات دقيقة ومنظمة وحث على التفكير والاجتهاد وطلب العلم وانشغل المفكرون الأوائل في عهد الخلفاء الراشدين بجمع القرآن وتفسيره ورواية الحديث وتجميعه وتبويبه بالمسائل الفقهية، أما في العصر الأموي فزاد الاهتمام بالموضوعات الفقهية. وفي العصر العباسي كانت محاولات الفكر واسعة وذلك لاتساع حركة النقل، وظهرت العديد من العلوم وكانت مكان تلقين المعارف وكان أغلب الطلاب يتوافدون إليها أجنب في وقت كان فيه العالم الغربي يعيش عصر الظلام والجهل.^[10]

إن علم الاجتماع في الوطن العربي في مرحلته الحديثة قد استفاد من كل التراث عن طريق سفر رواده إلى كل من فرنسا وأمريكا و بريطانيا ثم في مراحل لاحقة إلى دول اشتراكية، حيث تم حصولهم على الشهادات التخصصية في علم الاجتماع، مع وجود مهادت أساسية في المجتمع العربي ساعدت على تطوره، ووجود دراسات وكتابات في علم الاجتماع، فظروف الوطن العربي التي نما فيها علم الاجتماع اتسمت قبل الحرب العالمية الثانية بهيمنة الظاهرة الاستعمارية، في حين كانت انعكاسات الحرب العالمية الثانية كبيرة

على الواقع العربي من تزايد الشعور القومي، وتزايد الحركات التحررية العربية. كما شهدت نهاية الأربعينات حتى الثمانينات جملة من التطورات منها استقلال أقطار الوطن العربي وتزايد مشاريع التنمية.^[11]

ب- نشأة علم الاجتماع كعلم أكاديمي :

إن وضع الدراسات و البحوث الاجتماعية ووضع علماء الاجتماع العرب هو امتداد لوضع الجامعة في الوطن العربي، وذلك في جميع التخصصات العلمية و الإنسانية،» نتيجة لخضوع أجزاء كثيرة من الوطن العربي للاستعمار المباشر لفترة طويلة، فقد صمم الاستعمار كثير من اطر التعليم والثقافة، وفي بعض الأقطار هو الذي اوجد المؤسسات الأكاديمية والتربوية في شكلها النظامي الحديث «.^[12] وتجدر الإشارة كذلك انقسام علم الاجتماع في الوطن العربي قد تباينت فترات نشأتها ودرجة استقلاليتها، تحت تأثير ضغط العلوم الأخرى خاصة الفلسفة، فقسم علم الاجتماع الذي انشأ في جامعة القاهرة سنة 1925 كقسم مستقل أعيد دمج مع الفلسفة حتى سنة 1956، أما معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا فكان هو الآخر فرعاً تابعاً للفلسفة. في حين أنشئ قسم علم الاجتماع في كلية الآداب في الجامعة السورية عند نهاية الأربعينات، أما في العراق فقد أنشئ قسم علم الاجتماع كقسم مستقل مع بداية الخمسينات ضمن كلية الآداب جامعة بغداد.^[13]

ج- مكانة علم الاجتماع في الوطن العربي:

الواقع أن المؤسسات الرسمية في الوطن العربي ما تزال تتجاهل الدور الحقيقي الذي يمكن أن يلعبه علم الاجتماع في التأثير الإيجابي في التحولات الجارية في المجتمع. أما من ناحية المجتمع فالكثير من أفراد المجتمع لا يعلمون ما هو هذا العلم، وينظر لبعض الباحثين نظرة خوف فيعتقدون أنهم متآمرين مع السلطة وهذا يظهر في الاستمارات والمقابلات التي يقوم بها الباحث ويظهر ذلك من خلال أجوبتهم بالتحفظ. وفي الجامعات يصنف علم الاجتماع آخر العلوم ترتيباً، وهذا ما دفع الطلبة الحاصلين على شهادة البكالوريا النفور منه وجعله آخر فرصة لهم من بين الاختيارات الممنوحة لهم. إلا انه تجدر الإشارة إلى عدة كتابات رافقت نشأة علم الاجتماع، إلا أنها غلبت عليها السمة التقليدية التوليفية، كما أن البعض الآخر وخاصة الأطروحات نجد أنها عاجلت مواضيع لا تمس مشكلات الواقع العربية وطموحاته آنذاك.

5- واقع علم الاجتماع في المغرب العربي:

إن نشأة علم الاجتماع في المغرب العربي كعلم أكاديمي يعود إلى الاستعمار الفرنسي حيث جعل بلاد المغرب ميدان الدراسات الأنثروبولوجيا والاجتماعية فكان لخدمة

الإيديولوجية الكولونيالية. وفي المغرب فقد أنشئ معهد السوسولوجيا بمساعدة اليونسكو سنة 1960، وتم إغلاق المعهد سنة 1971 حيث ادمج تدريس علم الاجتماع في شعبة الفلسفة وعلم النفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.^[14]

إن نظرة المجتمعات في المغرب العربي تشبه مثلتها في الوطن العربي، إذ يعتبرون علم الاجتماع من العلوم الكمالية كما نجد المشتغلين في العلوم الاجتماعية أغلبهم يقيدون هذا العلم في جانبه النظري فقط دون المجال التطبيقي وبالتالي الباحث الجامعي يفتقد إلى الخبرة الميدانية لغياب المخابر البحثية ولاحظ «جمال معتوق» أن بعض الباحثين الجزائريين لا يملكون مكتبات خاصة على عكس التونسيين والمغربيين الذين هم أحسن حالا وان غلاء المعيشة تؤثر سلبا على الباحث في شراء الكتب وتوفير الأدوات اللازمة للبحث، مما يؤدي إلى غياب راحتهم النفسية.^[15]

6- وضعية علم الاجتماع في الجزائر:

إن الحديث عن وضعية علم الاجتماع نشير من خلالها إلى نشأة فرع علم الاجتماع بجامعة الجزائر والتي يدرس فيها علم الاجتماع كتخصص أكاديمي. ومن أهم المراحل التي عرفتها مسيرة علم الاجتماع في الجزائر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا:

* الفترة الممتدة من 1958-1963: تمثل مرحلة السوسولوجيا الاستعمارية الرسمية، حيث تم تأسيس قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر سنة 1958، وقد كان التدريس خلال هذه الفترة موجها فقط لأبناء المعمرين الفرنسيين. ومن حيث البرامج فقد كانت تابعة للجامعات الفرنسية في فرنسا، ومسطرة على مقاسها كما هو الشأن بالنسبة لكل البرامج في مختلف الفروع العلمية.^[16]

* الفترة الممتدة من 1963-1971: إن الميزة الأساسية التي كانت تميز علم الاجتماع في هذه الفترة، أنه علم مازال يمارسه الفرنسيون أنفسهم وذلك لندرة المتخصصين في هذا المجال كما أن الدروس كانت تعطى باللغة الفرنسية والنظام التعليمي خلال هذه المرحلة كان من حيث البرامج والغايات مرتبطا بالجامعة الفرنسية.^[17]

* الفترة الممتدة من 1971-1984: خلال هذه الفترة كان تسيير أمور المجتمع تحت سيطرة الحزب الواحد والمركزية، ما جعل المسؤولين يستعملون وظائفهم في تكريس ايديولوجية النظام. وفي هذا الصدد يقول جمالعتوق «كذلك نجد أن علم الاجتماع والمنشغلين به جندوا للدفاع عن الإيديولوجية الاشتراكية أي إيديولوجية الحزب الحاكم. وعليه نجد أن علم الاجتماع تحول من علم أكاديمي - علمي - إلى علم إيديولوجي، ونفس الشيء ينطبق على الطلبة حيث كان الخطاب الرسمي ينظر إليهم بمثابة حماة الإيديولوجية الاشتراكية وأبواقها». ^[18]

وفي هذه الفترة نال علم الاجتماع نوع من الاهتمام والعناية به من خلال الإصلاحات التي طرأت عليه وعلى التعليم العالي، أما البرنامج الخاص بعلم الاجتماع والتخصص كانت موجودة وتعتبر عن السلطة الحاكمة، فمثلا لتكريس الثورة الزراعية تم فتح تخصص ريفي وحضري وتخصص علم اجتماع صناعي لخدمة الثورة الصناعية . وأهم سميات هذه المرحلة:

ظهور سوسيولوجية وطنية ناطقة باللغة العربية تأكدت مع قرارات عام 1971 ومرسوم 25 أوت 1973 التي استهدفت جزأرة الجامعة وتعريب مناهجها وتغيير نظمها البيداغوجية . وهكذا جاء قانون التعريب للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة سنة 1980 . ولتحقيق هذا الهدف اضطرت الدولة الجزائرية إلى طلب المساعدة من المشاركة للتدريس و السهر على تعريب الجزائريين .

امتد تدريس علم الاجتماع بعض التخصصات كعلم النفس، القانون، الهندسة المعمارية، الجغرافيا، الصحافة، الطب...، كنوع من الإعداد للمهن ذات الطابع الاجتماعي [19].

* الفترة الممتدة من 1984 إلى يومنا هذا :وفي هذه الفترة نال علم الاجتماع التهميش والتقزيم، كما أفرغت البرامج من الشعارات والمفاهيم ذات الصبغة الاشتراكية، وتم الاستغناء عن المنشغلين بعلم الاجتماع، بحيث أصبح المسؤولون ينظرون لهذا العلم نظرة عدائية . [20].

ولا يمكن إهمال أحداث أكتوبر 1988 التي ميزت الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد، وكانت له انعكاسات على توجهات البلاد عامة والممارسة السوسيولوجية خاصة، وظهر التيار الإيديولوجيا الإسلامي، وتجسدت هيمنته على مستوى البرامج في مقياسين مقياس المنهجية الذي أصبح تدرس في إطاره المنهجية الإسلامية كبديل عن المنهجية الغربية ومقياس علم الاجتماع الإسلامي، ثم عرف تراجع هذا التيار مع نهاية التسعينات بعد المصالحة الوطنية . [21].

وتقبل الجزائر منذ 2004 على تبني الإصلاح الجديد و المتمثل في نظام ل.م.د.فهل سيسمح هذا الإصلاح بإدماج الجامعة الجزائرية ضمن المستوى التعليمي العالي وتدخل في مرتبة الجامعات العالمية وتتمكن من التنافس العلمي و التكنولوجي أم أن هذه التغييرات ستبقى شكلية ؟

7- مكانة علم الاجتماع في الجزائر

أ- وجهة نظر المشتغلين بعلم الاجتماع : طرق جمال معتوق في كتابه علم الاجتماع في الجزائر في فصله الخامس: قراءة نقدية لواقع علم الاجتماع بالجزائر حيث لاحظ:

-إنشاء عدة تخصصات جديدة في علم الاجتماع من باب المباهاة أو العناد دون النظر إلى من يقوم على هذا التخصص من أساتذة مختصين. وفي هذا المنوال يقول « لا يمكننا الكلام عن سييسولوجيا فعالة قادرة على المساهمة في قراءة وفهم ما يجري داخل مجتمعنا إلا إذا أعدنا النظر في كيفية إحداث التخصصات السييسولوجيا وإعطاء الأولوية لتلك التي نحن في حاجة إليها، والممكن أن تساهم في عملية التنمية، وكذلك السماح للمتخرج بالحصول على شغل بدلا من إنتاج البطالين». [22]

-كما أن مقاييس برنامج علم الاجتماع ليست مسايرة للواقع المعاش، بحيث توجد مقاييس التكوين ليست لها صلة بالمناصب بعد التخرج وهو ما يؤكد سفير ناجي بقوله « لقد أثبتت تجربة العشر سنوات التي مضت أن هذه البرامج تجاوزها الزمن وتحتاج إلى مراجعة معمقة، وهناك وحدات أخرى لا احد يرى لها أهمية سواء من بين الطلبة أم من بين المعلمين». [23]

-في علم الاجتماع يجد الطالب أن ما تحصل عليه من معارف لا يستطيع توظيفها في عمله، ذلك لغياب مهنة علم الاجتماع أو المختص فيه. وفي هذا الشأن يقول محمد سعيد فرح «الحاجة الماسة إلى تعويد الطالب الدارس للعلم على التفكير النقدي لمشكلات المجتمع، وعلى المشاركة في أكثر من مجال ليتاح له العمل أكثر من مهنة». [24] كما يقول « كيف يستفيد دارس علم الاجتماع من شهادته الجامعية عند حصوله على وظيفة في إدارات التنمية أو مركز الشرطة أو في مجالات الإعلام...؟ فهناك فرص كثيرة لتحقيق استفادة الطالب من هذا العلم في مجالات العمل». [25]

-وبخصوص الطلبة الموجهين لعلم الاجتماع، فلا توجد شروط لالتحاق به، ولو تركت لهم حرية الاختيار لتناقص عددهم بشكل كبير بحكم الصورة التي يحملونها عنه، وفي هذا الصدد يقول جمال معتوق «أغلبية الطلبة الوافدين على هذا التخصص ليسوا من الطلبة المتفوقين أو ذوي المستوى العالي ولا حتى المقبول، بل الضعفاء و الذين وجدوا جميع أبواب التخصصات مغلقة في وجوههم، فالحل الوحيد الذي بقي أمامهم هو علم الاجتماع». [26]

وفيما يخص برامج علم الاجتماع: فقد أشار إلى النقاط التالية: [27]

* يطغى عليها البعد النظري أكثر منه التطبيقي .

* أغلب محتويات هذه البرامج لا تعطي للطالب آخر ما توصل إليه علم الاجتماع العالمي.

* تعمل هذه البرامج على تغريب الطالب فلا وجود لإسهامات العرب والمسلمين في تطور الفكر الاجتماعي، كما لا تتناول تحليل المجتمع الجزائري من الجوانب الثقافية والتربوية.

* فيما يخص أساليب وطرق التدريس فهي تعمل على التلقين والحفظ ويتجلى ذلك في طرق تقييم الطالب في الامتحانات ويلزم الطالب بإعادة كتابة ما درسه على ورقة الإجابة.

- فيما يخص نوعية المراجع في المكتبات الجامعية فإن مكتباتنا تفتقر إلى مراجع أو كتب من إنتاج سوسيولوجي جزائري و هذا بالرغم من وجود أعمال لا يستهان بها من حيث الجودة وتوفر المواصفات العلمية المطلوبة .

- هناك بعض المقاييس الهامة والأساسية تعطي للتدريس لبعض الأساتذة بعيدة عن متطلبات التخصص. وأصبح بعض الأساتذة يدرسون مقاييس لعدة سنوات دون إضافة وتحسين وتطوير في محتواها العلمي. - وفيما يخص مشكلة إعداد المذكرات والرسائل الجامعية يتمثل في نوعية المواضيع المتناولة للدراسة، فالبعض منها متكرر، قديم في ثوب جديد ويتحمل الأستاذ المشرف مسؤولية في انتشار هذه المواضيع التي لا تساهم في الواقع الاجتماعي الجزائري، وأصبحت وسيلة للحصول على الشهادات.

وتعرض «عمراني بهجة» إشكالية الهوية عند فئة خريجي علم الاجتماع الأكاديمي، حيث ينشأ هذا المشكل من غياب منصب علم الاجتماع في التصنيفات المهنية للوظائف العمومي وفي المؤسسات الاقتصادية، نتيجة غياب ثقافة علم الاجتماع في المجتمع الجزائري، وبجهل مكانة علم الاجتماع في المجتمع يحرم السوسيولوجيين المهنيين من توظيف معارفهم السوسيولوجية وإبراز كفاءتهم وقدراتهم . يخلق هذا الغياب مشاكل لفئة خريجي علم الاجتماع، مما يجبرهم على قبول مناصب عمل ليست لها أية صلة بالشهادة الجامعية التي يحملونها، كما أن المهام المهنية التي توكل لهم هي مهام بسيطة لا تتطلب التطبيق السوسيولوجي، وبالتالي تعاني هذه الفئة من عدم تمتعهم بهويتهم السوسيولوجية المهنية، نتيجة غياب الاعتراف الاجتماعي بهم كسوسيولوجيين سواء كان ذلك من قبل المسؤولين أم من قبل زملائهم، مما يجعلهم يعيشون أزمة هوياته وهي نتيجة ازدواجية بينها طالب علم الاجتماع خلال تكوينه وما بين الواقع المهني الذي يعيشه، بينما نجد تخصصات أخرى يعترف الجميع بمهنتهم كمهنة المختص في علم النفس و الحقوقي والاقتصادي وغيرها.^[28]

ويتناول الفضيل ريمي من خلال تشخيصه وتحليله لواقع علم الاجتماع في الجزائر من كشف بعض السلبيات التي تعيق تطور علم الاجتماع ومنها:^[29]

- كيفية التدريس: بالرغم من المدة المعتبرة من عملية التعريب إلا أن البعض مازال يدرس بالدارجة وذلك على حساب اللغة العربية الفصحى، بينما نجد البعض الآخر يستعمل خليطا ومزيجا من العربية والفرنسية أو الدارجة التي يتحدث بها في الشارع أو في أسرته، ما ينعكس سلبا على التحصيل وتكوين الطلبة، ويتطلب الأمر إعادة النظر في مكانة اللغة في الجامعة الجزائرية ولا يتأتى ذلك إلا بالرسكلة وتكوين الأساتذة في هذا الشأن.

- إن الأساتذة في كثير من الأحيان يمتنون طريقة الإملاء و الإلقاء دون مناقشة و حوار مع الطلبة .

- ما زالت طريقة السبورة هي المستعملة، ويلاحظ غياب الوسائل التعليمية، وبرمجة الخرجات الميدانية.

- أما على مستوى الأعمال الموجهة فيبقى الأستاذ هو مصدر المعرفة التي يغيب فيها الطالب إلا بعرض البحوث على شكل قراءة ما تحويه دون حوار ومناقشة وتحليل.

- نادرا ما يتقدم الأستاذ بتزويد الطلبة بمطبوعة محاضرات لمقياس درسه أكثر من ثلاث سنوات. وفي الأخير يتساؤل أين تكمن أفاق علم الاجتماع في ظل هذه التناقضات التي يحملها كل من المسؤولين و المشتغلين بهذا العلم من جهة، و الطلبة من جهة ثانية؟

وتستعرض « كريمة فلاحى »^[30] لأهم المعوقات التي تعترض علم الاجتماع في الجزائر و التي تعوق أداء وظائفه الأساسية في العملية التنموية ومنها: إشكالية تبني النظريات الغربية في دراسة المجتمعات العربية و الإسلامية، إشكالية المنهج و التي تخص الطريقة التي تتم بها معالجة البحوث السوسولوجية، بحيث تتناول جل البحوث بصورة وصفية دون تغلغل في عمق الظاهرة من الناحية التفسيرية والتأويلية، وهو الأمر الذي جعل من حقل السوسولوجيا يمتلىء بالظواهر المكررة المعتادة . إشكالية اللغة و اللغة السوسولوجية، إشكالية المكونين و المتكونين، تسييس العلم. وتوصلت « جميلة شلغوم » من خلال دراستها الميدانية إلى النتائج التالية:^[31]

- إن المشتغلون بالحقل السوسولوجي في الجزائر مجرد موظفين و مدرسين جامعيين، فالعلاقة اقتصادية أساسها تقديم خدمات مقابل أجر وليست علاقة أساسها الولاء و حب المعرفة.

- الانشغال الدائم بالقيام بالمهام الأكاديمية الموكلة إليهم من تدريس إشراف و تأطير تحضير الامتحانات، والتي تأخذ منهم وقتا كبيرا ولا تساعدهم على المشاركة في التظاهرات

الدولية التي تعمل على تطوير وتحسين المعارف والخبرات، وعدم وجود علاقة بين المنهاج التعليمي و الواقع الاجتماعي .

- إن الخدمة المقدمة من قبل المشتغلون بعلم الاجتماع لا تتعدى عمليات نسخ ونقل المعارف دون مراعاة لمتطلبات الحداثة، دون تجديدها أو الإضافة فيها، وتقتصر الممارسة السوسيولوجية على النظرية وتلقى كما هي تطبيقا لما جاء في البرامج، وتغييب المجتمع الجزائري لمجتمع قابل للدراسة السوسيولوجية.

- إن علم الاجتماع يصنف أكاديميا واجتماعيا في أسفل قائمة العلوم في الجزائر بسبب ضعف الإنتاج السوسيولوجي لأغلب المشتغلين به، وغياب الدور الفعلي و الجاد بسبب تقصيرهم وعدم تمكنهم من فهم دورهم الاجتماعي، وعدوانية المجتمع وانغلاقه أمام علم الاجتماع بسبب جهله لمقومات وإمكانات هذا العلم الناجمة عن النظرة الدونية لهذا العلم ومشتغليه.

ب - نظرة الطلبة لعلم الاجتماع : إن نظرة الطلبة إلى علم الاجتماع على أنه نوع من الفلسفة ولا تتطابق برامجه التكوينية الدراسية مع الواقع الجزائري، ورغم إتمام هذا التخصص بالدراسة الميدانية كغيره من العلوم التكنولوجية، إلا أن اغلب الطلبة يرون لا فائدة من تكوين جامعي لا مجال فيه للعمل بعد التخرج.

ج - نظرة المجتمع لعلم الاجتماع: إن علم الاجتماع يتعرض للانتقاد من أغلبية أفراد المجتمع حتى ذوي المستوى العلمي منهم، إن سمعته تتميز بالدونية نتج عن عدم ظهوره بقوة في المؤسسات الاقتصادية والخدماتية وأنه علم قليل الصلة بالمجتمع ولا يصلح المتخصص فيه من السير الحسن للإدارة والمؤسسة. ويؤثر المجتمع على الطلبة الحائزين على شهادة البكالوريا بالتسجيل في اختيار التخصص الذي له أولوية في التوظيف والبحث عن التخصص المطلوب في سوق العمل، وقد يحجم الطالب عن تخصص علم الاجتماع خوفا من نقد المجتمع له لسوء اختياره، وبالتالي يختار تخصصا مقبولا عند المجتمع وان لم يكن له رغبة فيه.

د - علم الاجتماع و البحث العلمي: إن أستاذ علم الاجتماع اليوم لم يعد قادرا على الإبداع و التأليف بعدما كان ينصب عمله بتهيئة الأجيال وتكوينهم أصبح نموذجا للتكاسل ومرآة لطلبته، كما نجد من الأساتذة الذين لا تهمهم خدمة هذا العلم بقدر ما تهمهم مصالحهم . إن المختصين في علم الاجتماع يجمعون بأن البحث العلمي في العلوم الاجتماعية يكاد يكون منعذما، ويظهر ذلك من خلال النتائج الميدانية وإن وجدت يكون الغرض منها الحصول على شهادات أعلى وبالتالي الترقية المهنية وليس الهدف منه ترقية المجتمع.

ه - علم الاجتماع وسياسة التشغيل : يجهل الكثير من طلبة علم الاجتماع مهنتهم المستقبلية بعد إنهاء مسيرتهم الدراسية بالجامعة، وحتى لو توفرت مناصب الشغل لهؤلاء فإنهم يصطدمون بعائق عدم تطابق ما تعلموه ومحيط العمل. كما أن عدد المتخرجين من الجامعات في تزايد مستمر ومن بينهم طلبة علم الاجتماع التي تنعدم فيها مناصب الشغل في سوق العمل وإن الجامعة الجزائرية تسعى إلى استقطاب أكبر عدد ممكن من الطلبة، والأجدر أن تسعى إلى التوفيق بين هذا العدد الهائل وسوق العمل. كما أن خريجو علم الاجتماع يعانون من تهميش في سوق العمل بسبب عدم وضوح المهام المهنية التي توكل لهم وعدم تعرف المستخدمين على مكانة ودور هذا التخصص، فهل نظام ل. م. د يحقق مبدأ التنمية المحلية في برامجهم؟

الخاتمة:

نظرا لما لعلم الاجتماع من أدوار ووظائف هامة في المجتمع، أصبح العناية به واجبة وضرورية تبعا إلى ما قدمه من دفع عجلة التنمية و التقدم في الدول المتقدمة. والجزائر عملت على تدريس هذا التخصص بجامعاتها كفرع مستقل، إلا أن وظيفته الأساسية تبقى غائبة، وتعمل على تكوين طلبة غير قادرين على التفكير في القضايا والمشكلات الاجتماعية التي يواجهونها أو تلك التي يواجهها المجتمع ككل. ومن خلال استعراض مكانة ووضعية علم الاجتماع في الجزائر هناك عدة معوقات تحول وتعرقل مساره وهذه المعوقات جعلت من علم الاجتماع يعاني، بل أصبحنا نشاهد الشارع الجزائري ينظر إليه بدونية بل البعض يرى أن لا أهمية لعلم الاجتماع لأن لا فائدة ترجى منه. ويتطلب الأمر إعادة الاعتبار لهذا العلم واثبات وجوده على الساحة الأكاديمية، ويتطلب ذلك التضحيات الجسام من طرف المشتغلين بهذا العلم والطلبة وتوعية المجتمع عامة بضرورة وفائدة هذا العلم، كما يتطلب من الوزارة الوصية بتوفير الإمكانيات اللازمة للنهوض بعلم الاجتماع وتطويره وتحسين نوعيته حتى يكون بالإمكان أن يتخرج طلبتنا قادرين على العمل في أي مجال من مجالاته.

قائمة المراجع :

- 1- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الفكر، ط 2003، ص 48
- 2- نفس المرجع، ص 49
- 3- نفس المرجع، ص 51
- 4- محمد أحمد بيومي، تاريخ التفكير الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995، ص 81
- 5- حنطابلي يوسف، علم الاجتماع في الوطن العربي بين الفكر المرفوض والواقع الفرفوض، ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، 2000، ص 76
- 6- إحسان محمد إحسان، عدنان ليمان الأحمد، المدخل إلى علم الاجتماع، عمان، ط 1، دار وائل للنشر والتوزيع، 2005، ص 107
- 7- نفس المرجع، ص 112
- 8- هشام يعقوب مريزيق، المدخل إلى علم الاجتماع، الأردن ط 1، دار الراية للنشر والتوزيع، 2008 ص 20
- 9- إحسان محمد إحسان، عدنان ليمان الأحمد، مرجع سابق، ص 90
- 10- نفس المرجع، ص 101
- 11- هادي صالح العيساوي، أفاق علم الاجتماع، عمان، دار أسامة للنشر و التوزيع، 2008، ص 31 - 32
- 12- حيدر إبراهيم علي، علم الاجتماع و الصراع الإيديولوجي في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 1985، 78، ص 14
- 13- هادي صالح العيساوي، مرجع سابق، ص 35
- 14- نفس المرجع، ص 35
- 15- جمال معتوق، واقع وأفاق علم الاجتماع في المغرب العربي- دراسة ميدانية بالجزائر، تونس و المغرب أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع الثقافي جامعة الجزائر، 1998-1999.
- 16- مبروحة نوار، تدريس علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية دراسة المشكلات والطرائق والحلول، أطروحة دكتوراه دولة، قسم علم الاجتماع، جامعة عنابة، 1998-1999، ص 135
- 17- جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، الجزائر، ط 2006، ص 1، ص 74-79
- 18- نفس المرجع، ص 90
- 19- محمد حافظ دياب، علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال، بيروت، مجلة المستقبل العربي، العدد 134، 1990 ص 9820

- 20- جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، مرجع سابق ص 96
- 21 - جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، مرجع سابق ص 34
- 22 - سفير ناجي، محاولات في التحليل الاجتماعي ترجمة م عبن ناصر طبعة مشتركة بين ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 33
- 23- محمد سعيد فرح، ما علم الاجتماع، الإسكندرية، منشأة المعارف، دون سنة، ص 12
- 24- نفس المرجع، ص 16
- 25 - جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا مرجع سابق، ص 27.
- 26 عمروني بهجة، آفاق علم الاجتماع في الجزائر: أزمة هوية عند السوسيولوجيين المهنيين، دكتوراه علوم تخصص علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر، 2013-2014. ص 10
- 27 - dspace.univ-biskra.dz
- 28- الفضيل رتيمي، واقع وأفاق علم الاجتماع في الجزائر، ديسمبر 2015. 30
- 29- كريمة فلاح، المعوقات الوظيفية لدور علم الاجتماع في الجزائر، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، العدد الخامس، 2007، ص 271-284
- 30- جميلة شلغوم، واقع السوسيولوجيا في الجزائر في ظل الحداثة وما بعد الحداثة، رسالة ماجستير في علم الاجتماع تنظيم وديناميكيات اجتماعية و المجتمع، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2012-2013، ص ص 177-187

علم النفس الاجتماعي موضوعه وأهم العلماء المساهمين في تطوره

أ.صفية بوداني

جامعة حسينية بن بوعلي / شلف

مقدمة

يعتبر علم النفس الاجتماعي، تلك الدراسة التي تقدم المفاهيم، والمناهج، والنظريات العلمية الأساسية في تحليل الظواهر السلوكية، والمحاولة العلمية في فهم جوانب من العلاقات لدى الأفراد في الحياة الاجتماعية، كما يهتم أيضا بدراسة السلوك الاجتماعي للفرد في الجماعة ودراسة سلوك الأفراد فيما بينهم داخل الجماعة الواحدة أو بين جماعة وجماعة، من حيث أنه استجابة كلية أو جزئية في موقف معين، ويسعى أيضا إلى البحث عن الاسس والمرجعيات النفسية والاجتماعية التي تتحكم في سلوك الافراد من حيث تأثرهم وتجاذبهم فيما بينهم ومحاولة فهم أهم القوانين الأساسية التي تنظمه، وعليه فقد عرف علم النفس الاجتماعي بمحاولات مختلفة ومتعددة من طرف الباحثين، كونه تلك الدراسة التي تهتم بدراسة تجاذب الافراد فيما بينهم، ومحاولة فهم أسس التجاذب والتنافر، التعاون والعدوان، التجمهر والانعزال، العنف والتعصب ودراسة سلوك الفرد الاجتماعي وتغييراته في الجماعة وأثرها عليه بحضورها الرسمي وغير الرسمي في حياة الفرد.

1. تعريف علم النفس الاجتماعي

يعرف دينكن منتشل **Dinkin Mintchel** «علم النفس الاجتماعي أنه العلم الذي يدرس الافراد في وقت تفاعلهم وعلاقاتهم مع بيئتهم الاجتماعية، أي أنه العلم الذي يدرس حالة الأفراد النفسية وأثر العلاقات والتفاعل الاجتماعي فيها».

ويرى أتوكلينبرغ **Otto Klineberg** هو الآخر أن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس فعاليات الفرد من حيث هو متأثر بأفراد آخرين يستطيعون أن يحدثوا أثرهم فيه إما بشكل فردي، وإما كرهط، ويمكنهم أن يؤثروا، إما بصورة مباشرة عن طريق وجودهم في تجاور مباشر مع الفرد، وإما بصورة غير مباشرة من خلال صيغ السلوك التقليدية، أو المتوقعة بين الناس، التي تؤثر في الفرد حتى لو كان وحده، سواء عمل بصورة إيجابية أو سلبية».

أما بارسون **PARSON** 1951 فاعتبر علم النفس الاجتماعي بأنه العلم الذي يهتم بدراسة توقعات الفرد وتنبؤاته لسلوكه وسلوك الآخرين نحوه في موقف ما».

وحسب هوللندر 1971 **Hollander** «أن علم النفس الاجتماعي احد الميادين العلمية التي تهتم بدراسة سلوك الانسان دراسة موضوعية وهو العلم الذي يهتم بالفرد كشريك في العلاقات الاجتماعية والأحداث المؤثرة فيه».

لقد تعددت التصورات النظرية لمفهوم علم النفس الاجتماعي وتراكت في تاريخ علم النفس الاجتماعي منذ نشأته الحديثة بأعداد لا نظير لها في العلوم الاخرى، وهذا نظرا للخصوصية والمكانة التي يحتلها هذا العلم بين العلوم، هذا من جهة ومن جهة أخرى يرجع هذا الزخم الكبير في التصورات النظرية لعلم النفس الاجتماعي إلى تنوع موضوعاته وتطور بحوثه ودراساته العلمية.

2. ميادين البحث في علم النفس الاجتماعي

* البحث في الفرد في حد ذاته من خلال محاولة فهم طبيعة مرجعيات التكوين المعرفي والنفسي كالاتجاهات والتصورات والاعتقادات الفكرية، الحب، الانسحاب، ومدى أثر الجماعة في تكوين هذه الاطر وتمثلها الرسمي وغير الرسمي في حياة الفرد.

* البحث في علاقات الافراد فيما بينهم داخل الجماعة، ومحاولة فهم طبيعة تأثير الافراد ببعضهم داخل الجماعة كدراسة كيفية اتخاذ القرارات والتنافس والصراع والتجاذب والتنافر.

* البحث في علاقات الجماعات فيما بينهم من خلال تفسير طبيعة الثقافة الرسمية وغير الرسمية التي تتحكم في سلوك الافراد كالتعصب، الهجرة، العنف، والجريمة المنظمة.

3. أهم المساهمين الفلاسفة في موضوعات علم النفس الاجتماعي :

إن أولى بوادر الاهتمامات الفلسفية بموضوعات علم النفس الاجتماعي نلمسها في أعمال بعض الفلاسفة نذكر منهم:

ابن سينا

حاول اظهار أن أساس المرض النفسي هو السلوك الاجتماعي، اذ اشار هذا الأخير في العديد من أعماله إلى أثر الجماعة في سلوك الفرد وعلاقة الفرد بالآخرين، وعلاقة الجماعة بتقدير الذات لدى الفرد وأثر الجماعة على الصحة النفسية والجسدية لدى الفرد، وبين أهم الاسس النفسية والاجتماعية للمرض الجسدي ودور الجماعة في المرض والعلاج، وركز على أهمية تقدير الذات المكتسبة من خلال تصور الآخرين وعلاقتها بالمرض وقد أشار في كتابة الاصل والعودة إلى أن احدى جوارى الملك التي كانت منحنية للأسفل وذلك لرفع أدوات المائدة وضيوف الملك جالسون حول، فأصبحت هذه الاخيرة بروماتيزم مفاجئ في المفاصل، وصارت غير قادرة على أن تأخذ الوضع الطبيعي لجسمها منذ ذلك اليوم، ولم

يستطع أشهر الأطباء فعل شيء حيالها، ثم رجعوا إلى ابن سينا في علاجها، واعتبر هذا الأخير أن سبب مرضها هو نفسي، فجعل انفعال الخجل هو أحد العوامل المساندة في العلاج، فبدأ يرفع ملابسها بادئا بالرفع من الاسفل الى أعلى الخمار، مما أتيح هذا الأمر لدى المريضة انفعالا مضادا نتيجة لرفع ملابسها، حينها أوقف المزاج الروماتزمي فوقفت معتدلة كما كانت وشفيت من مرضها.

ابن حزم

هو الآخر من أهم الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بموضوع الحب وهو موضوع من موضوعات علم النفس الاجتماعي، وأعطى له أهمية كبيرة من الشرح والتفسير في ماهيته وأساسه النفسية والاجتماعية، حيث عرفه على أنه « اتصال أو اتفاق بين النفوس في عالمها السابق قبل حلولها في الأجساد، فالنفوس التي اتصلت واتفقت مالت في الحقيقة الى بعضها البعض، ويقول أن الحب هو اتصال بين أجزاء النفوس في أصل عنصرها الرفيع، على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي، ومجاورتها في هيئة تركيبها، وسر التمازج والتباين بين المخلوقات هو الاتصال والانفصال، والشكل دائما يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد، والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد، والنزوع فيما تشابه فيما بينها، والنفس مهياة لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفور، وكل ذلك معلوم بأحوال الفطرة، فالنفوس المتشابهة تميل إلى المشاركة والمجاورة والتجاذب له كالمغنطيس والحديد، فلا يتحابان اثنان إلا اذا كانت بينهما مشكلة واتفاق في الصفات الطبيعية وكلما كثرت الاشباه زادت المجانسة تأكد التجاذب والحب.

توماس هوبز Thomas Hobbes

من بين أهم الفلاسفة الغربيين الذين تحدثوا وفسروا وشرحوا طبيعة الفرد في علاقته مع الآخرين، وبينوا أن كل الافراد متساوون في الطبيعة وليس لديهم رغبة في التجمع بل هم في سعي دائم لتدمير بعضهم البعض، وأكد هوبز أنه لفهم بنية المجتمع ككل يجب علينا أولا أن نفهم بنية الأفراد النفسية وتركيباتها كفهم رغباتهم وانحرافاتهما التي تقودهم الى الصراع مع الأفراد الآخرين، ويرى هوبز أن كل فرد لديه الرغبة السرمدية حد الموت في التسلط والسلطة، والرغبة الفطرية والدفينة في التحكم في سلوك الآخرين، إذ أن هذه الاخيرة تسمح له بالتحكم في مستقبل الآخرين وتعطيه الدافعية للنجاح والبقاء من خلال الاعتداء والعدوان والتميز الجسدي والفكري المتعالي عن الآخرين الذي يجذب له الغنى والحظ والمكانة العالية بينهم، لذلك نجد الفرد في محاولة وصراع مستمر لإخضاع الآخرين لسلطته وقوته واراادته من أجل الحفاظ على البقاء.

جان جاك روسو J. Rousseau.

حاول روسو من خلال كتابه العقد الاجتماعي إلى اظهار حقيقة العلاقة بين الفرد ومجتمع وأثر هذا الاخير في تغير طبيعة الفرد الخيرة وافسادها من خلال ممارسات التربية الفاسدة عليه من طرف المجتمع، ونادى في كتابه «اميل» الرجوع الى الطبيعة في تربية الأبناء وبين أن المجتمعات البشرية ليست هي الطبيعة الحقيقية وليست أساسية في اعداد الفرد الصالح، إنما هي دائما ضد الطبيعة الانسانية الخيرة، وأن تدخل المجتمع في نشأة الفرد هو ما يفسد تلك الطبيعة الخيرة الأولية في الانسان، ويعد روسو أول من أشار الى التحريفات والتغيرات النفسية التي يلحقها المجتمع بالطبيعة الخيرة للإنسان، كما بين من خلال أعماله، أن هو من يخلق الفروق ولا مساواة بين الأفراد، لأن الافراد في الحقيقة يولدون متقاربين ومتشابهين في حاجاتهم المختلفة، لكنهم يختلفون بعد ذلك بالفعل الاجتماعي، كما يعد روسو أول من أشار في كتابه العقد الاجتماعي إلى مفهوم الشخصية وأثر الفعل الاجتماعي في تكوينها، وبين أن المجتمع عندما لا يحترم الطبيعة الخيرة في الانسان، هو أصل سلوك الافراد غير السوي والمسؤول الوحيد عن سلوك الفرد المتوحش.

لقد كانت موضوعات علم النفس الاجتماعي متواجدة في فكر الفلاسفة واهتماماتهم منذ القدم وبشكل مستمر وكانت أعمالهم دائما تدور وترتكز حول الطبيعة البشرية وأثر المجتمع على هذه الطبيعة، أما علماء القرن التاسع عشر فكانت اهتماماتهم الفكرية والعلمية إلى حدا ما تدور حول فكرتين أساسيتين يمكننا تلخيصهما كالآتي:

* تنتج المؤسسات الاجتماعية من الاستعدادات الفردية.

* تؤثر الظروف الاجتماعية في سلوك الأفراد.

تبحث الفكرة الأولى في محاولة فهم التنظيم الاجتماعي والعمليات الاجتماعية من خلال فهم استعدادات الافراد وفهم الطبيعة الانسانية، حيث كانت هذه الفكرة ملهمة لعلم النفس الجماعات لدى جوستاف لوبون Lebon الذي كرس كل وقته للبحث في هذا الميدان ومحاولة إثرائه من خلال نظريته سيكولوجية الجماهير، إلا أن دور كايم Durkheim حاول في بداية أعماله السوسولوجية أن يعارض ويحتج على هذه الترجمة السيكولوجية للظاهرة الاجتماعية الموجودة حاليا بشكل مخفف في نظرية كاردينر Kardiner، التي ترى أن المؤسسات الأولية نتجت عن البناء الأساسي والجوهري للشخصية، وأن الاستعدادات الفردية تشرح وتوضح الخصائص الاجتماعية كما بينها بلاتون Platon وأكد أن هناك تفاعل بين الفرد والمجتمع وتوازن في عملية التأثير المتبادلة بين السبب والنتيجة.

أما الفكرة الثانية فهي تركز على تأثير الظروف الاجتماعية والبيئية في سلوك الأفراد، حيث تولدت من هذه الفكرة العديد من النظريات والمحاولات العلمية في تفسير السلوك

الاجتماعي، كنظرية علاقة المناخ بسلوك الفرد الاجتماعي والتي سبق الاشارة إليها في كتاب روح القوانين للفيلسوف لـمونتيسكيو Montesquieu خلال القرن 17، وقد حاول من خلالها أيضا العديد من الباحثين القيام بدراسات وصفية حول الخصائص السلوكية العامة للشعوب انطلاقا من طبيعة المناخ البيئي والاجتماعي، والاشارة إلى تأثير الظروف الطبيعية وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في نفسية الفرد وخصائصه السلوكية كدراسة ألبرت Albert التيين فيها هو الآخر من خلال مرجع طرحه سنة 1924 تحت عنوان علم النفس الاجتماعي أن سلوك الأفراد الاجتماعي يكون بفعل أثر العادات المكتسبة من المحيط الفيزيقي والاجتماعي»

أهم العلماء المساهمين في تطور علم النفس الاجتماعي

دوركايم Durkheim

اختلف Durkheim في مساهمته العلمية لتفسير ظاهرة الانتحار في أوروبا، التي كانت تحمل إضاءة حاسمة حول فهم طبيعة، ووظيفة المجتمع بالنسبة للأفراد من خلال طرق البحث العلمية الحديثة، ويّين في دراسته أن المجتمع هو تلك الحقيقة الكامنة وراء الفعل الاجتماعي، ومجموع الخصائص والطرق القانونية التي تهيه القوة والسلطة في اكره الأفراد لسلطته والتفكير والعمل على تكوين الشعور المطلق للفرد بتبعيته له، فالحياة الاجتماعية حسب دوركايم ترتكز في الحقيقة على مجموع التصورات والعمليات العقلية والنفسية للأفراد، ومن ثم يظهر علم الاجتماع حسب تصوره كعلم نفس خاص يهتم بدراسة نفسية الأفراد وتحليل سلوكياتهم حسب مزاعمه.

لقد كان تحليل وتفسير دوركايم لوظيفية للمجتمع، مرجعية علمية مغذية ومفسرة لفهم حقيقة سلوك المرض والسواء في المجتمع، وتعد دراسته لظاهرة الانتحار مرجعية نظرية هامة لفهم حقيقة عوامل وأسباب الظاهرة الاجتماعية انطلاقا من تحليل نفسية الفرد وعلاقته الاجتماعية بالآخرين، اذ بينت وأظهرت هذه الدراسة، كيف أن الأفراد ينهون حياتهم ويمجدون من سلوكياتهم وذلك كله من خلال تصورات اجتماعية مكتسبة من الجماعة التي ينتمون إليها، وبينت احصائيات الدراسة أيضا، أن هناك عوامل فردية ذاتية أخرى تعود الى طبيعة تكوين الفرد ونشأته الاجتماعية هي الأخرى تتحكم في ظاهرة الانتحار لدى الأفراد في أوروبا مثل الأنانية التي يتميز بها الفرد، وضعف اندماجه الاجتماعي وضعف العلاقة الاجتماعية بين الفرد وجماعته التي ينتمي إليها.

قبريل تارد G.Tard

حاول تارد Tard في أبحاثه الاجابة عن سؤال هام في علم النفس الاجتماعي، ألا وهو لماذا سلوك الفرد في مظاهره العامة عندما يكون داخل الجماعة أو عندما يتصل بالجمهور لا يكون هو نفسه عندما يكون في معزل عن الجماعة أو الجمهور، وقد حصر تارد إجابته بعد أبحاثه الطويلة عن هذا الموضوع في أن هذا التغير يعود في حقيقته إلى تقليد الفرد للأخرين داخل الجماعة التي ينتمي إليها، وعرف التقليد على أنه مجموع المعرف العقلية للحقيقة الاجتماعية، والتقليد الاجتماعي هو الآلية النفسية الاجتماعية الاساسية لدى الفرد لتفسير وفهم الواقع والتكيف معه.

جوستاف لوبون G.Lebon

يعتبر Lebon أول من طور نظرية علم النفس الاجتماعي، وهي نظرية سيكولوجية الجماهير، أين بين وبين فيها أن الحشد يتألف من عناصر أفراد متلاحمة ومتناسكة أثناء تجمع ما، يتلاحمون ويتضامنون فيما بينهم كتلاحم الجسد الواحد من اجل الدفاع والحفاظ على بقائهم، ويظهر هؤلاء الافراد في تلاحمهم وتجمعهم، خصائص سلوكية، تختلف اختلافا تاما عن خصائصه السلوكية عندما يكون في معزل عن هذا الحشد، كاختلاف الخلية في خصائصها الحيوية عندما تكون في معزل عن خلايا الجسم الأخرى.

إن الجمهور أي الحشد يمنح الأفراد مجالا وحيزا لاستخراج روح الجماعة التي يشعرون بها ويفكرون فيها، إن التفكير في اختلاف الأشكال السلوكية لكل فرد داخل الحشد وفي معزل عنه، هو ما دفع Lebon إلى ملاحظة هذه الظاهرة السلوكية ومقارنتها في كلتا الحالتين واستخراج خصائصها والعوامل المؤثرة في ذلك التغير وتحليل سلوك الفرد والعوامل النفسية والعقلية المؤثرة فيه داخل وخارج في الجماعة والمحددة لسلوكه.

شارلز فوري Charles Fourier

يعد شارل فوري من بين أهم أعلام علم النفس الاجتماعي المغمورين، ومن بين العلماء الجادين في تفسير السلوك الاجتماعي الذين لم تسلط عليهم البحوث والدراسات العلمية اهتماماتها، ولم تهتم كثيرا بأعماله وبقيت أعماله هامشية وقليلة التأثير، أي بصورة أخرى ذات تأثير غير مباشر في موضوعات علم النفس لوقت طويل من الزمن إلى يومنا هذا، رغم أنه من أولى الباحثين الذين تنبّهوا إلى موضوعات علم النفس الاجتماعي، من خلال نظرية الوحدة المتكاملة للمحفزات الأربعة، حاول فيها اعطاء تعريف اجتماعي للحدس وأهم العوامل النفسية والاجتماعية المؤثرة في نظام حدس الفرد، اذ حاول من خلالها البحث في نظام اجتماعي يبرر دراسة الانسان في بيئته الاجتماعية، إلا أن محاولاته الفلسفية الأولى

باعت بالفشل في البحث عن الأسس الاجتماعية للحدس ليتحول بعد ذلك إلى دراسة الانفعالات والرغبات وحاول وضع قائمة تتكون من 12 رغبة كمرجعية أساسية لتفسير سلوك الانسان، خمسة منها أساسية تتعلق بالأحاسيس الأولية (كالإحساس لذوق، الرؤية، السمع، الرائحة) وهي تتعلق بالحفاظ على البقاء، وأربعة منها تتعلق بدوافع الحياة هي (الحب، الطموح، الصداقة، العاطفة) تتعلق بالانتماء والتكيف الاجتماعي، وثلاثة منها تتعلق بتوزيع الطاقة والمذهب السلوكي الشرير (الخداع، الحيلة، والرغبة في التغير والتقدم) في الآلية الاجتماعية، اذ تعتبر الرغبة الأخيرة بالنسبة للفرد الأعلى والأهم والأكثر رغبة وأهمية من بين كل الرغبات الأخرى، وقد أكد Charles Fourier على أهمية التنشئة الاجتماعية في توجيه هذه الرغبات وتصحيح مسارها.

ماك دوجال M. Dogal

يعتبر M. Dogal اول عالم في علم النفس الاجتماعي يصدر مؤلف بعنوان علم النفس الاجتماعي وذلك سنة 1908، بين فيه علاقة الطبيعة البشرية المتمثلة في الغرائز وتوجيه السلوك الاجتماعي لدى الفرد متجاهلاً أثر العقل الجمعي عليه.

فرويد S.Freud

لم يشير فرويد في أعماله مباشرة إلى موضوع علم النفس الاجتماعي ، لكن في الحقيقة أن بعض منها كانت تحمل في طياتها محاولات العلمية الجادة في فهم و تفسير علاقة بعض الظواهر النفسية بالجماعة و تحليلها تحليلًا سيكولوجيًا، مستندا في تبريره على حقيقة أن « حياة الفرد هي عبارة عن نموذج كامل مختزل فيه حياة الجماعة .

الا أن مرجع الطوطم والحرام، يعتبر من أهم وأعظم أعمال فرويد،الذي تختزل فيه اتجاهات علم النفس الاجتماعي الحقيقية، ومرجعا أساسيا و هاما في تفسير الظاهرة الجماعية انطلاقا من التحليل النفسي لبنية الفرد، بالإضافة الى هذا المرجع يعد نعتبر بدورنا أن مرجع القلق والحضارة أيضا من بين أهم الأعمال التي حاول فيها فرويد تفسير السلوك العدواني والحروب خلال الحضارات انطلاقا من أسس نفسية في الفرد.

خاتمة

إن التصور النظري في تتبع تاريخ تطور علم النفس الاجتماعي لا يمكننا حصره في بعض الأعمال دون الأعمال الأخرى ولا يمكننا إحصاء أعلامه الفكرية ككل وإحصائهم في بعض الاوراق أو المراجع، وهذا نظرا لثراء موضوعات النفس الاجتماعي وتعددتها وتشعبها، كتشعب العلاقة بين الفرد والجماعة وتعددتها بين الجماعة والجماعة الأخرى.

المراجع

1. محي الدين مختار: محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر سنة 1982، ص 47.
2. نفس المرجع، ص 47.
3. نفس المرجع، ص 47.
4. نفس المرجع، ص 47.
5. نفس المرجع، ص 47.
6. فؤاد البهي السيد: علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، دار الفكر العربي
7. عثمان نجاتي: الدراسات النفسانية عند علماء المسلمين، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 151.
8. Jean Stœtzel : La psychologie social, Aubin, Paris, 1984, p14.
9. IBID, p15.
10. IBID, p18
11. Gustave-Nicolas Fisher : les concepts fondamentaux de la psychologie social, DUNOD, 4 édition, 2009, p9
12. IBID, p8
13. IBID, p18
14. Jean Stœtzel : La psychologie social, Aubin, Paris, 1984, p17
15. J.P. Pétard: La psychologie social, Bréal, France, 2007, p24
16. V. Abischer, D.Oberlé, le groupe en la psychologie social, DUNOD, 4 em édition, 2012, p21
17. IBID, p23

دور القطاع غير الرسمي في التنمية الحضرية .

.The role of the informal sector in urban development

أ. بوزيدي سليمان

جامعة محمد بن أحمد وهران 2

ملخص:

تتطلب التنمية الحضرية تعبئة و تجنيد كافة الموارد المادية و البشرية المتاحة في المجتمع و التكامل بين قطاعات المجتمع المختلفة،و يمثل القطاع غير الرسمي تنظيمًا اقتصاديًا متكاملًا و له قوة هائلة من الناحية الإنتاجية و الاقتصادية في تنمية المجتمع الحضري، لذا تزايد الاهتمام العالمي بدراسة الوسائل اللازمة لتنمية دور القطاع غير الرسمي و زيادة تأكيده في المناطق الحضرية، أملا في أن يسهم بدور يعتمد به في حل المشكلات المعينة في الدول النامية، و كان لا بد أن تتباين الطموحات المعلقة على هذا القطاع من دولة لأخرى تبعا للواقع الاقتصادي و الاجتماعي التي تتميز به و تعايشه كل منها و نظم من خلال هذا المقال إلى بيان دور القطاع غير الرسمي في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمع الجزائري عامة و للمجتمع الحضري على وجه الخصوص.

الكلمات المفتاحية: القطاع غير الرسمي، النشاط الاقتصادي غير الرسمي، التنمية الحضرية، التنمية الاقتصادية، التنمية الاجتماعية، المجتمع الحضري، العمل.

Abstract :

Urban development requires the mobilization and recruitment of all material and human resources available in the community and integration between different sectors of society, and the informal sector represents economically structured integrated and has a great power of the productivity and economic in the urban development of society, so increasing global interest in the study means necessary for the development of the role of the informal sector and increased emphasis in urban areas, hoping to contribute to the role of support in solving specific problems in developing countries, and it was necessary that the ambitions attached to this sector of the country to another vary, according to economic reality and social which is characterized by and coexistence each of them and hope that through this article to indicate the role of the informal sector in economic and social development of Algerian society in general and for the urban community in

particular. **Key words** :informal sector, Economic activity informal, urban development, economic development, social development, urban society, .work

مقدمة :

يلعب القطاع غير الرسمي دورا مهما في التنمية الحضرية و الاقتصادية و الاجتماعية وذلك بخلق فرص العمل، و توليد الدخل لأعداد متزايدة من قوة العمل، و يكتسب أهمية خاصة، بسبب طبيعته المعاكسة لاتجاه الدورة الاقتصادية، بمعنى أنه ينمو و يتسع نشاطه في أوقات الركود، في حين يميل نموه التباطؤ في أوقات الرواج، بالإضافة إلى مايمثله القطاع غير الرسمي من أهمية للمشتغلين به، فإنه يسهم كذلك في إنتاج السلع و خدمات رخيصة نسبيا لمحدودي الدخل مما يخفف من الآثار السلبية المترتبة على انخفاض الدخول الحقيقية أو عدم زيادتها بالقدر المناسب لمواجهة ارتفاع أسعار السلع و الخدمات المنتجة. إذ تحاول هذه الدراسة التعرف على دور القطاع غير الرسمي في التنمية الحضرية و الاقتصادية و الاجتماعية و العوامل المؤثرة على نشأته و نموه و أهم الفئات الاجتماعية النشطة فيه، و يمكن بلورة هدف البحث بالدرجة الأولى إلى الدور الفعلي الذي يقوم به القطاع الحضري غير الرسمي في التنمية الحضرية في المجتمع و تحديد المعوقات أو المشاكل التي يعاني منها القطاع الحضري غير الرسمي إذ يمكننا طرح التساؤلات التالية:

- * ما مفهوم القطاع غير الرسمي؟.
- * ما طبيعة القطاع غير الرسمي و خصائصه بالمجتمع الحضري؟.
- * ما مفهوم التنمية الحضرية و أبعادها؟.
- * ما دور القطاع غير الرسمي في التنمية الحضرية؟.
- * ما المعوقات التي تعترض أداء القطاع غير الرسمي في التنمية الحضرية؟
- * ما المقترحات الملائمة لتنمية أداء القطاع غير الرسمي في التنمية الحضرية؟.

1. مفهوم القطاع غير الرسمي :

تعتبر مشكلة التعريف بالمفاهيم و تحديدها من المشكلات التي تكتنفها صعوبات كثيرة في العلوم الاجتماعية، و لا شك أننا بصدد تناول مفهوم القطاع الحضري غير الرسمي بالتعريف يصاحبه بلا شك العديد من الصعوبات التي تمكن من محاولا تعريف أي مفهوم اجتماعي و اقتصادي تلك المتمثلة في اختلاف الرؤى و المنطلقات الفكرية و الأيديولوجية لكل باحث حول هذا المفهوم، و نلاحظ أن القطاع غير الرسمي لديه عدة تعريفات و التي تعكس موقف الباحثين من القضايا المجتمعية المختلفة بل و تعكس في نفس السياق مجالات

اهتمام المتخصصين في العلوم الاجتماعية على اختلاف فروعها، فلا يوجد حتى الآن تعريف متفق عليه حول مفهوم القطاع غير الرسمي، وتكاد كل دراسة تستقل بتعريف خاص بها تحدد بناء على الهدف من دراستها وإجراءاتها كما تفرّق بعض الدراسات بين نوعين من القطاع غير الرسمي هما القطاع شبه الرسمي والقطاع غير الرسمي.¹

ويقصد بالقطاع غير الرسمي ذلك القطاع الذي يشمل وحدات اقتصادية، تعمل في أنشطة نقدية، وتمارس أنشطة مشروعة وبطبيعتها ولكنها لا تلتزم جزئياً أو كلياً بالإجراءات الرسمية التي حددها الدولة لمزاولة نشاطها، وبذلك يستبعد من نطاق الدراسة كافة أنشطة التبادل والأنشطة غير النقدية، كما يتم استبعاد الأنشطة غير المشروعة، المرتبطة بالمخدرات والدعارة... إلخ على كافة المستويات الطبقية، وأيضاً أنشطة الخاصة بالطبقة العليا، باعتبارها أنشطة غير مشروعة أيضاً. ويقصد بالوحدة الاقتصادية أي نشاط اقتصادي: إنتاجي، أو تجاري، أو خدمي يمارسه شخص طبيعي أو معنوي، في منشأة أو خارجها، ويدرّ دخلاً وعلى هذا، يعتبر وحدة اقتصادية ذلك الجزء من الوحدة السكنية المخصصة لمزاولة نشاط اقتصادي معين بصفة مستمرة، وكذلك العربة المثبتة بنهر في الطريق، أو على رصيف أو سوق، وأيضاً الباعة الذين يعرضون بضائعهم على الأرض وبالأسواق، وينصرفون في نهاية اليوم، والباعة المتجولين، ومقدمي الخدمات المتجولين، ومن في حكمهم.²

وفي هذا الصدد ظل القطاع غير الرسمي منذ أكثر من ثلاث عشرات يثير الدراسات والأبحاث التي شرع في جزء كبير منها مكتب العمل الدولي ومنظمة العمل الدولية.³

وقد أفضى تعدّد الدراسات وتنوع مقارباتها وكذا توجيهها إلى نتائج محتشمة، غير أن ذلك لم يساعد على بروز تعريف موحد وعملي بل على عدة تعاريف تقوم على بعض المعايير والخصائص مرتبطة أساساً بالنشاط. ويعود التعريف الأول للقطاع غير الرسمي الذي قبله مكتب العمل الدولي ودعّمته منظمة العمل الدولية، إلى سنة 1972، وقد تمّت صيغته على أساس نتائج تحقيق أنجز في كينيا استناداً إلى

معايير كان قد حددها سنة 1971 كيث هارت (خبير مستقل).⁴

ويعتبر كل نشاط خفي إذا توفرت فيه على الأقل المعايير السبعة الآتية:

- (1) سهولة دخول السوق
- (2) استعمال الموارد المحلية.
- (3) الملكية العائلية للمؤسسة.
- (4) نشاطات على نطاق صغير.
- (5) التكنولوجيا ذات الكثافة العليا في العمل.

6) التكوين المكتسب خارج النظام المدرسي.

7) أسواق ذات المنافسة غير المنظمة.

1.2- تعريف القطاع غير الرسمي :

استُحدث مصطلح «القطاع غير الرسمي» في بداية السبعينيات من القرن الماضي، ووردت الإشارة إليه للمرة الأولى في الدراسة التي أجراها كيث هارت Keith Hart سنة 1971 عن العمال في المناطق الحضرية بدولة غانا وخلص في دراسته إلى أن هناك نموذجا ثنائيا للدخل الذي يحصل عليه العاملون في المناطق الحضرية... و أطلق عليه هارت بالعمل غير الرسمي لكن بالرغم من تزايد الاهتمام به، لا يوجد تعريف مقبول عالميا له أو لنطاقه. ويقصد إحصائي العمل الذين يدرسون القطاع غير الرسمي به الأنشطة الاقتصادية التي تُنجز في المؤسسات غير المنشأة حسب القانون، إلا أن الاقتصاد غير الرسمي ليس بمرادف للقطاع غير الرسمي (الذي يشمل العمالة الرسمية وغير الرسمية على حد سواء) أو العمالة غير الرسمية (التي قد توجد في القطاعين الرسمي وغير الرسمي على حد سواء).⁵

ومن هذا المنطلق تركز الدراسة على الأنشطة الرسمية وغير الرسمية المنجزة في القطاع غير الرسمي. وأنسب تصور لموضوع للاقتصاد غير الرسمي عبارة عن تحول متواصل من الرسمي إلى غير الرسمي، حيث تحتل مختلف الأنشطة والجهات الفاعلة نقاط مختلفة في هذا التحول. ويكون الانتقال من الوضع غير الرسمي إلى الوضع الرسمي تدريجيا؛ ويمكن للشركات الفردية والأسر المعيشية والعمال الاضطلاع ببعض الأنشطة غير الرسمية وبعض الأنشطة الأخرى الرسمية في الوقت ذاته. وفي بعض الأحيان يتنافس الاقتصاد غير الرسمي مع القطاع الرسمي. وفي العادة، مع ذلك، يصب إنتاج الاقتصاد غير الرسمي وتجارته وتوزيعه وخدماته لفائدة الاقتصاد الرسمي، كما أنه يتفاعل معه.

ويشمل القطاع غير الرسمي طائفة عريضة من القطاعات التي تقدم السلع، وخاصة من خلال أنشطة التصنيع والزراعة، والخدمات، التي تتراوح ما بين تجارة التجزئة وخدمات الأسر المعيشية، على حد سواء. ويتقاطع الاقتصاد غير الرسمي أيضا مع جوانب الصناعات الإبداعية، وكذلك الجماعات الأصلية والمحلية، لكن هذه القطاعات ليست محل تركيز الدراسة.⁶

وحضي القطاع غير الرسمي بحصة كبيرة من الخصائص وفرص العمل في العديد من البلدان النامية. وتشير التقديرات إلى أن العمالة غير الرسمية أو العمالة في الاقتصاد غير الرسمي شكّلت، على مدى أكثر من عقدين من الزمان، أكثر من نصف العمالة في المجالات غير الزراعية في أغلب بلدان الدخل المتوسط وبلدان الدخل المنخفض. وتحظى إفريقيا، جنوب الصحراء. بنصيب الأسد من تقديرات مساهمة القطاع غير الرسمي في

الناتج الإجمالي المحلي بحيث يبلغ نصيب الاقتصاد غير الرسمي قرابة الثلثين من الناتج الإجمالي المحلي إذا أضيفت الزراعة ونصف القيمة الإجمالية المضافة للأنشطة غير الزراعية. وتليها في ذلك الهند 50 ٪ من مجموع الناتج الإجمالي المحلي، وبعدها بلدان من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأمريكا اللاتينية.⁷ وتشير الإحصاءات الوصفية إلى أن نسبة العمالة في القطاع غير الرسمي ترتبط بعلاقة سلبية بالناتج المحلي الإجمالي لكل نسمة. كما ترتبط العمالة في القطاع غير الرسمي بعلاقة إيجابية بانتشار الفقر عبر البلدان، لكن لا دليل يبرهن على أن العمالة تتسبب، أو لا تتسبب، في انخفاض الناتج المحلي الإجمالي أو ارتفاع معدلات الفقر، أو على أن السمة غير الرسمية ستزعزع أسس التنمية الاقتصادية. فقد لوحظت في الواقع في الأقاليم التي خضعت للدراسة زيادة في معدلات العمالة غير الرسمية مع تسارع النمو الاقتصادي. وتؤيد هذه الإحصاءات والتحليلات الأدبيات التي تصف الاقتصاد غير الرسمي بأنه «سمة لا تغيب» عن أقاليم من قبيل أمريكا اللاتينية وأفريقيا.⁸

ويعمل الناس في القطاع غير الرسمي إما لأنهم مستبعدون رغما عنهم من القطاع الرسمي بسبب افتقارهم للمؤهلات أو لوجود عراقيل أخرى تحول دون دخولهم في القطاع الرسمي، وإما لأنهم يختارون العمالة غير الرسمية أو تنظيم المشاريع غير الرسمي بسبب الاستقلال أو المرونة أو الميول الشخصية. وليست الفوائد المالية بأقل بالضرورة في الاقتصاد غير الرسمي عنها في القطاع الرسمي، وقد تشمل الفوائد الاقتصادية الأخرى من العمل في الاقتصاد غير الرسمي القدرة على الاستجابة للتغيرات على الساحة التكنولوجية أو التنافسية والقدرة على الصمود أمام مخاطر الاقتصاد الكلي المتتظمة.

2.2- مفهوم النشاط غير الرسمي :

وهو المجهود الذي يبذله الفرد لإشباع حاجاته أو الحصول على الأموال والخدمات. ويتميز النشاط الاقتصادي بصفتين أحدهما اجتماعية والأخرى فردية، وتمثل الصفة الاجتماعية بالتبعية المتبادلة بين الشخص وأفراد الهيئة الاجتماعية مع بعضهم بصفتهم منتجين. كما تقوم رابطة التبعية بين أفراد الهيئة الاجتماعية بصفتهم مستهلكين. أما الصفة الفردية في النشاط الاقتصادي فمصدرها أن قيمة الفرد كعنصر اقتصادي تعتمد إلى درجة كبيرة على صفاته الشخصية كالذكاء وحب النظام والرغبة في العمل وخدمة المجتمع وغيرها من الصفات والعوامل الخاصة.

ويقصد به أيضا: الأنشطة المتعلقة بالإنتاج، التوزيع والاستهلاك، ويكون في شكل علاقة الإنسان والطبيعة وعلاقة الإنسان والإنسان.

والنشاط غير الرسمي حسب مكتب العمل الدولي يعدّ نشاطا غير فلاحيا، ويتميّز بمعيار أو عدة معايير من المعايير التالية:

- * نشاط غير مسجل في صندوق الضمان الاجتماعي ولدى مصالح الضرائب وفي الإدارة العامة ولدى مصالح الإحصاء.
- * نشاطات تمارس بدون سجل تجاري.
- * نشاطات رئيسية أو ثانوية غير مصرح بها.
- * نشاطات غير قانونية.
- * نشاطات محظورة
- * نشاطات متقلبة غير مرخص بها.⁹

2. الاتجاهات النظرية المفسرة لنشأة القطاع غير الرسمي:

1.1-الاتجاه الأول:

يفسر وجود هذا القطاع في ضوء مفهوم التحضر الشديد أو الزائد « l'urbanisation accélérée » فقد كانت هذه الدرجة من التحضر سببا في الهجرة المتزايدة للعمل من الريف إلى المدينة، مما أدى إلى عجز قطاعات الاقتصاد الرسمي الحكومية والخاصة عن استيعاب المهاجرين. وحقبة الأمر، أن التحضر الزائد ليس، في حد ذاته، سبب تركيز القطاع غير الرسمي في المدن، ولكن تحيز الدولة في تخطيطها لصالح المناطق الحضرية على حساب المناطق الريفية، وتضحيتها بمنافع سكان الأحياء الفقيرة لمصلحة قاطني الأحياء الراقية، هو الذي أسهم في انتشار القطاع غير الرسمي في الأوساط الحضرية مقارنة بالريف الذي يوجد به نشاط اقتصادي غير رسمي، ولكنه أقل انتشارا. وعلى هذا يمكن القول أن النشاط الاقتصادي غير الرسمي لا يرتبط بمنطقة إيكولوجية معينة، وإنما هو محصلة القرارات السياسية غير المتوازنة التي تتعلق بتخصيص موارد المجتمع.¹⁰

1.2-الاتجاه الثاني:

يذهب أصحابه إلى نشأة القطاع غير الرسمي نتيجة طبيعة لآليات النشاط الرأسمالي، وهو من هذه الناحية يشكل قطاعا مكمل للاقتصاد الرسمي: (قطاعات غير منعزلان وغير مغلقان) على حد تعبير «ميلتون سانتوس»

Milton Santos¹¹ « les deux circuits ne sont pas fermés, ni isolés l'un de l'autre, au contraire, ils communiquent et sont interdépendants »

كما يضيف منظري هذا الاتجاه أن القطاع غير الرسمي يشمل على كل الأنشطة التي تحقق دخلا ولا تخضع لتنظيم الدولة، وتبعاً لذلك فإنه لا يتحمل أية تكاليف يتحملها القطاع الرسمي، ولا يتمتع العاملون به بأية حقوق أو خدمات مما تنص عليه القوانين والقواعد الإدارية التي تنظم علاقات الملكية والتراخيص وعقود العمل والقروض المالية، وغيرها.

كما يرى الذين ينطلقون من هذا المنظور أن: «غير الرسمية» هي السمة الأصلية للنشاط الاقتصادي، الذي أرسيت قواعده إبان القرن التاسع عشر (19)، وازدهر مع أوائل القرن العشرين (20)، حين تزايد النمو الصناعي في كثير من البلدان وتزايد التشريعات المالية والعمالية وصفوف النقابات العمالية الأمر الذي أضخم الجهاز البيروقراطي للدولة فانقسم الاقتصاد إلى قسمين: أحدهما تسيطر عليه الدولة وتقوم بتنظيمه والآخر يتكون من الأنشطة الاقتصادية الصغيرة التي تعمل بعيدا عن سيطرة الدولة.

1.3- الاتجاه الثالث:

يرى أصحابه أن ظاهرة القطاع غير الرسمي لا ترتبط بالتوزيع المكاني للنشاط الاقتصادي، ولا تمكن ديناميات سوق العمل والإنتاج، وإنما ترجع إلى القواعد الإدارية والقوانين المتعددة والمعقدة التي فرضتها الدولة التي تتبنى فكرا ليبراليا لتنظيم الاقتصاد، وقد استخدمت الدولة هذه القوانين كأداة تمنح بمقتضاها مزايا المشاركة في الاقتصاد الرسمي لنخبة من الرأسماليين وأصحاب الثروات، وتحول بواسطتها دون دخول غيرهم إلى قطاعات هذا الاقتصاد.

ومع ذلك، فإن غالبية الأفراد العاديين (ذو الدخل المحدود)، تجاهلوا هذه القوانين، وباشروا أنشطة اقتصادية في إطار الترتيبات التي وضعوها بأنفسهم لتتوافق مع احتياجاتهم من ناحية، ومع إمكانياتهم من ناحية أخرى.

ومن هذه الزاوية، فإن «غير الرسمي» تعد أكثر من كونها مجرد آلية للتجارب مع ندرة العمل بالمناطق الحضرية، فهو يمثل قوى إنتاج حقيقية داخل اقتصاد يحمل معالم الرأسمالية التجارية، وتبعاً لذلك يكون المستثمر في القطاع غير الرسمي لا مجرد منتج هامشي يتسم بمستوى منخفض للإنتاجية، وإنما هو شخص استطاع أن يباشر نشاطا اقتصاديا تنظر إليه الدولة على أنه مخالف للقانون.

وهكذا نجد أن الدولة بممارستها الاقتصادية عبر حقب تاريخية متتالية وبسبب انحيازها إلى النخبة الرأسمالية، قد أسهمت في خلق «القطاع غير الرسمي» الذي أوى إليه كل من لم يتمكن من العمل في المنشأة الاقتصادية التي نشأت في الإطار الرسمي الذي حددته الدولة، وكل من لم يكفه دخله من العمل في تلك المنشآت.²¹

3. خصائص القطاع غير الرسمي:

يذهب علماء الاجتماع إلى أن من الخصائص التي يميّز بها القطاع الحضري غير الرسمي كمنشآت اقتصادية ما يلي:

1- أنه نشاط مفتوح لمن يرغب ممارسة العمل في مجاله، فليست هناك قيود تحول دون دخول

- أحد إليه، لا من حيث التنظيم أو المهارة أو المال.
- 2- أنه نشاط يقوم على نمط من الملكية العائلية أو القرابية أساسا.
- 3- أنه نشاط من النوع صغير الحجم «المايكرو» Micro ولذلك فهو يعتمد على كثافة العمل وعلى استخدام أنماط قديمة من التكنولوجيا.
- 4- أنه نشاط غير منظم، يواجه منافسة شديدة من جانب القطاعين الرسمي الخاص أو العام أو من الحكومة، ولذلك فهو يعاني من انخفاض معدلات التراكم الرأسمالي، وعدم القدرة على تحديث وسائل الإنتاج فيه.¹³

كما تقدّم المكتب الدولي للعمل (B.I.T) في تقريره المشهور بـ: Rapport Kénya سنة 1972 سبعة خصائص ومميزات للقطاع غير الرسمي¹⁴

- 1- سهولة الاندماج في الأنشطة (النشاطات).
 - 2- استعمال الموارد المحلية.
 - 3- الملكية العائلية للمؤسسات.
 - 4- نقص ومحدودية النشاطات.
 - 5- استعمال تقنيات تفضل الاستعانة واللجوء إلى اليد العاملة الكثيرة.
 - 6- نسبة معتبرة تمثل أفراد خارج نظام التكوين الرسمي.
 - 7- أسواق مفتوحة على المنافسة ويتهرب أصحابها من الإجراءات القانونية.
- وتظهر نشاطات القطاع غير الرسمي كنشاطات غير حكومية وغير مشتركة أو أجنبية وتعبير آخر فهي مجملها نشاطات خاصة، تقليدية وشعبية أو أجنبية وتعبير آخر فهي مجملها نشاطات خاصة، تقليدية وشعبية غير منظمة وهامشية وخفية غير مسجلة ضمن القوائم والسجلات التجارية للنظام الاقتصادي.⁵¹

فالملاحظ في القطاع غير الرسمي غياب كل من التخصص الدقيق وتقسيم العمل الحقيقي، يتسم الأجر فيه بالمرونة ويعتمد نظام التسويق فيه على العلاقات الشخصية والعائلية والتعاقدات اللارسمية، يعتمد بالدرجة الأولى على الجهد البشري، وتتسم السلطة فيه بأنها غير تقليدية، فالرئيس يجمع بين رأس المال والمهارة في شخص واحد، وعادة ما ينظر إلى القطاع الحضري غير الرسمي أنه غير محمي، يفتقر أصحابه إلى الحماية من أجهزة الدولة سواء ما يتعلق بالمستويات الأجور وظروف العمل أو غيرها.

وتتضح خصائص القطاع غير الرسمي بشكل واضح عندما تقارن بتلك المتعلقة بالقطاع الرسمي، وتعبير آخر اختلاف القطاع الرسمي عن غير الرسمي من حيث السير والعمل «Fonctionnement» استقلالية خاصة أو نسبية.

وتبقى خصائص المتعلقة بالقطاع غير الرسمي تختلف وتباين من باحث إلى آخر حسب ميدان الدراسة ومضمون البحث.

4. مفهوم التنمية الحضرية:

1.4- مفهوم التنمية:

التنمية هي تقدم المجتمع عن طريق استنباط أساليب إنتاجية جديدة أفضل ورفع مستويات الإنتاج من خلال إثناء المهارات والطاقات البشرية وخلق تنظيمات أفضل، هذا فضلا عن زيادة رأس المال المتراكم في المجتمع على مرّ الزمن.⁶¹

وعليه فإن الدول المتقدمة اقتصاديا هي التي حققت الكثير في هذا الاتجاه بينما تلك التي حققت تقدما غير ملحوظ في هذا الطريق هي ما يطلق عليها بالدول المتخلفة اقتصاديا ومن ثم فإنّ التنمية الاقتصادية تنطوي ليس فقط على تغيرات اقتصادية معينة بل وتتضمن كذلك تغيرات هامة في المجالات الاجتماعية والهيكلية والتنظيمية.

فالتنمية تتضمن زيادات في الدخل القومي الحقيقي وفي نصيب الفرد منه وهذا التحسّن في الدخل أو الإنتاج، و يساعد على زيادة الادّخار ممّا يدعّم التراكم الرأسمالي والتقدّم التكنولوجي في المجتمع، وتساعد هذه بدورها على دعم الإنتاج والدخل وبالإضافة إلى هذه التغيّرات تشتمل التنمية الاقتصادية كذلك على تحسين كل من مهارة وكفاءة وقدرة العامل على الحصول على الدخل وتنظيم الإنتاج بطريقة أفضل، وتطوير وسائل النقل والمواصلات وتقدّم المؤسسات المالية، وزيادة معدل التحصّر في المجتمع وتحسّن مستويات الصّحة والتعليم وتوقعات الحياة وزيادة وقت الفراغ وتحسين التجهيزات المتاحة للاستخدام ولاشك في أنه يوجد فرق شاسع فيما بينها بين الدول المتقدمة اقتصاديا والدول المتخلفة اقتصاديا فيما يتعلق بكل من هذه الوسائل.

إذن فمفهوم التنمية شأنه شأن العديد من المفهومات التي لا نجد لها تعريفا محددًا ومتّفقا عليه بين المشتغلين بالتنمية الاجتماعية و الاقتصادية، فبينما تعرّف التنمية باعتبارها عملية توافق اجتماعي، يعرّفها آخرون بأنها تنمية طاقات الفرد إلى أقصى حد مستطاع أو بأنّها إشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان أو الوصول بالفرد لمستوى معين من المعيشة أو أنّها حالة مرغوب فيها سواء تمّ أو لم يتم تحقيقها في إطار اجتماعي مختلف عن سابقه.⁷¹

فالتنمية عملية واعية موجهة وفق إرادة وطنية مستقلة من أجل إيجاد تحوّلات هيكلية وإحداث تغيرات سياسية و اجتماعية و اقتصادية تسمح بتحقيق تصاعد مطرد لقدرات المجتمع المعني وتحسين مستمر لنوعية الحياة.⁸¹

2.4- التنمية الحضرية:

هي مجموعة العمليات الدينامية المتكاملة التي تحدث في المجتمع الحضري من خلال الجهود الحكومية في إطار سياسة اجتماعية متكاملة تتمثل في تزويد الحضريين قدرا من المشروعات الاستثمارية و التكنولوجيا و الخدمات الاجتماعية مثل: الصحة، التعليم والاتصال و المواصلات، و يعتمد هذا على موارد المجتمع من أجل الوصول إلى ارتفاع مستوى معيشة الأفراد في المجتمع الحضري.⁹¹

من خلال التعاريف السابقة للتنمية عامة و التنمية الحضرية خاصة يمكن تلخيص أهم عناصر التنمية الحضرية و مؤشراتها:

- عملية حضارية متكاملة تتم وفقا لإرادة وطنية مستقلة .
- إحداث تحولات هيكلية في بنية المجتمع الحضري .
- توسيع الخيارات المتاحة للمواطنين بأجيالهم المتعاقبة.
- تحقيق معدلات متزايدة من النمو الاقتصادي بالاعتماد على التكامل بين القطاعين الرسمي و غير الرسمي .
- تحسين مستمر لنوعية الحياة المادية و المعنوية لأفراد المجتمع.⁹²

5. بعض الدراسات التي تناولت القطاع غير الرسمي من حيث التنمية:

1.5- دراسة إسماعيل قيرة حول «الأنشطة الاقتصادية الحضرية غير الرسمية في المجتمع الجزائري بين الاستقلال و التبعية في سياق عملية التنمية الحضرية، حالة مدينة سكيكدة (الجزائر)»¹² و تركز هذه الدراسة على المدينة الجزائرية المعاصرة، و تسعى لتشخيص أوضاعها الواقعية في ضوء الشواهد و المبررات التي يمدّها بها الواقع الاجتماعي الجزائري الذي تراكب و تتداخل فيه أشكال متعدّدة للإنتاج. و تركز الدراسة على نشاطين اقتصاديين هما: البيع المتجوّل و حرفة الإسكافية، سعيا للتعرف على الوضع الفعلي لهذه الأنشطة غير الرسمية، و مدى استقلالها أو تبعيتها في التنمية الحضرية، على اعتبار أنّها ليست أمرا معزولا عن مجمل الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية في البلاد، بل هي من أبرز الأعراض التي تدلّ على تناقضات البناء الاجتماعي و عجزه عن الاستجابة للزيادات السريعة في عدد المترشحين للعمل. أما أهداف هذه الدراسة تمثلت فيما يلي:

- تحديد المعوّقات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي تحول بين أداء هذه الأنشطة لدورها في عملية التنمية.- دراسة العلاقات التي توجد بين مختلف فروع النشاط

الاقتصادي غير الرسمي. -دراسة العلاقات التي تربط القطاع الحضري غير الرسمي ببقية الأنشطة الإنتاجية الأخرى. أما عن مناهج الدراسة فقد اتخذت الدراسة اتجاهها منهجيا متعدد الجوانب؛ حيث استخدمت المنهج الوصفي، الإحصائي، المقارن، التنازحي إلى جانب الاعتماد على ثلاثة أدوات أساسية هي: الملاحظة المباشرة، و الوثائق والمستندات، وصحيفة الاستبيان، بالإضافة إلى أداتين فرعيتين هما المقابلات الحرة، والتفاعل غير المباشر المنظم.

أ/ يمثل العمل غير الرسمي ميكانيزما لتفسير البدائل المتبقية للفئات التي تعيش على هامش تقسيم العمل غير الرسمي أو غير المنظم ويمكن تلخيص نتائج الدراسة فيما يلي: -يتكون القطاع غير الرسمي من الفئات الاجتماعية التي لا تجد مكانا منتظما في التقسيم الاجتماعي للعمل.

-هناك عملية نمو للوزن النسبي و الحيز الاجتماعي لهذه الفئات.

-جذب أعداد كبيرة من المهاجرين مما ينتج عنه تفاقم المشكلة الحضرية.

-ارتفاع عدد المتسولين و المنحرفين من جرّاء تزايد عدد العاملين بالأنشطة غير الرسمية.

ب/ تشكّل الرأسالية الرثة في مدينة سكيكدة جماعة اجتماعية غير متجانسة، يرتبط أفرادها بطرق مختلفة، سواء أسلوب الإنتاج الاشتراكي أو الرأسالي، كما أنّها تشغل مكانة غير وراثية في البناء الاجتماعي و مواقع طبقية متناقضة. فقد تبين أنّهم لا يشكلون قوة عمل حضرية سلبية؛ فهم على دراية بما يجري حولهم، و يساهمون في الحياة الحضرية، من خلال الاشتراك في الانتخابات، و الانتهاء إلى الحزب الحاكم و الجمعيات المختلفة. و مع ذلك، فهم يشكلون فئة اجتماعية مظلومة و مهانة، و يتعرّضون لأبشع استغلال عن طريق المزودين بالسلع و المواد الأولية و الوسطاء. و بينما يعمل القطاع غير الرسمي في أسواق غير محمية و غير منظمة و معرضة لرقابة رجال الأمن، فإن القطاع الرسمي يعمل في الأسواق المحمية. و قد أدى هذا الاختلاف في عمل القطاعين إلى تمايزهما ايكولوجيا و اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا و ثقافيا. هذا التمايز أدى، من جهة أخرى، إلى خلق نوع من التبعية تشبه، إلى حد كبير، تبعية اقتصاد متخلف لاقتصاد متقدم.

2.5-دراسة «السيد حنفي عوض» حول «العمالة الجائلة في البناء الحضري دراسة سوسيولوجية في مدينة الزقازيق»²²، إذ تتمحور إشكالية هذه الدراسة في أن علماء الاجتماع ينظرون إلى أشكال العمالة الجائلة على أنّها ظاهرة حضرية، مرتبطة بنمو المدن، وبالرغم من الأهمية العلمية لهذه الظاهرة، فما زال التعريف بها موضوع جدل بين مختلف العلماء المهتمين بدراستها، إذ تعد العلاقة بين ظاهرة العمالة الجائلة والتحصّر من الموضوعات ذات الدلالة العلمية، حيث ترتبط دراستها بالبناء الاجتماعي لمجتمع

الدراسة وما يمكن أن تسفر عنه الدراسة من قضايا علمية تفيد العلم والمجتمع، وتعد الدراسة الراهنة دراسة وصفية لعينة من العمالة الجائلة والتي لا تخضع لأي نوع من أنواع التنظيم الرسمي، فكانت التساؤلات حول طبيعة النسق الحرفي لهذه العمالة وطبيعة الحياة الاجتماعية لهذه الطبقة؟ أما فيما يخص منهج الدراسة تبنى السيد الحنفي عوض منهج المسح الاجتماعي للعينة والمقابلة إذا أجريت هذه الدراسة في مدينة الزقازيق، على عينة عددها 119 من الذكور و 62 من الإناث، وذلك في يناير 1986 حتى نهاية مارس من العام نفسه، - إن العمالة الجائلة إنها طريقة لكسب قوت يومهم وفق عوامل الصدفة.

- بالنسبة للسلوك السياسي لأفراد العينة، نجد اتجاهها سلبيًا نحو المنظمات السياسية الرسمية، يتمثل في انعدام المشاركة السياسية الرسمية نحو برامجها.

3.5 دراسة كل من Michael و Carla تفيد أن نشاطات القطاع الحضري غير الرسمي تساهم بشكل كبير في الحياة الحضرية في الدول النامية من خلال تحسين ظروف البيئة الحضرية مثل الإمداد بالمياه، جمع القمامة، والأعمال الخدمية الأخرى، كما أكدت الدراسة على الدور الحيوي و الهام للقطاع الحضري غير الرسمي في تقديم الفرص الوظيفية وآثارها الإيجابية الملموسة على تقدم الاقتصاد الحضري، وأنه من المتوقع في ظل تزايد الفجوة بين العرض و الطلب لخدمات البيئة الحضرية. فإنه سوف تستمر أهمية الأنشطة غير الرسمية، كما سوف يضل القطاع الحضري غير الرسمي له دور يلعبه بشكل واضح في التنمية الاقتصادية الحضرية.²³

4.5 دراسة «أميرة مشهورو آخرين» حيث تناولت بالتحليل القطاع غير الرسمي و دوره في مصر، و تذهب الدراسة إلى أن عدم مرونة القطاع غير الرسمي في مصر و غيرها من الدول النامية، و عدم قدرته على استيعاب العمالة الوافدة التي تأتي للعمل في أسواق العمل الحضرية من أهم العوامل التي جعلت الباحثين و العلماء و الهيئات الرسمية تغير نظرتها إلى القطاع غير الرسمي كقطاع متخلف و هامشي و محدود الأهمية إلى النظر إلى اعتباره قطاعاً يتصف بالحيوية و الفاعلية و القدرة على توفير فرص العمل لنسبة كبيرة من العمالة الحضرية فضلاً عن توفير دخول متناسب و تفاوت مهارات العمال بالقطاع غير الرسمي هذا إلى جانب اكتساب العاملين فيه المهارات و القدرات المختلفة ممن لم تتح لغالبيتهم فرص الحصول على قدر مناسب من التعليم و التدريب عبر القنوات الرسمية.⁴²

6. الدور الذي يلعبه القطاع غير الرسمي في تنمية المجتمع الحضري:

1.6- خلق فرص عمل:

يمثل القطاع غير الرسمي أهمية خاصة تتضح في حجمه بالنسبة لاقتصاديات العالم بشكل عام، وما يقدمه من إسهامات لدول العالم الثالث بشكل خاص فإنناجه يمثل 27% من إجمالي الإنتاج المحلي في الولايات المتحدة الأمريكية، و 20% في إيطاليا، و 10% في السويد، و 08% في بريطانيا، بينما هو في الدول النامية لا يقل عن ثلث النشاط الاقتصادي تقريبا، وفي إفريقيا، ومن خلال دراسة أجرتها منظمة العمل الدولية لنحو 13 مدينة إفريقية تبين أن الأنشطة الاقتصادية غير المسجلة في الإحصاءات الرسمية، والتي تعبر عن القطاع غير الرسمي تتراوح من 40% إلى 60% من قوة العمل الحضري، بينما ينقسم الباقون بين العمل الرسمي والبطالة.⁵² ويؤكد أهمية القطاع غير الرسمي أصحاب الازدواجية الحضرية الذين رأوا أن القطاع غير الرسمي هو جزء أساسي ومكمل للقطاع الرسمي.

ونشير هنا إلى العلاقة التي قدّمها إحدى دراسات منظمة العمل الدولية بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي إلى ثلاثة مستويات:

(أ) علاقة خلفية: وتعني أنّ القطاع الرسمي يقدم المواد الخام الفائضة عن استهلاكه كالمعادن، الجلود، الأخشاب،... الخ إلى القطاع غير الرسمي.

(ب) علاقة أمامية: وتعني استخدام منتجات القطاع غير الرسمي إمّا كمداخيل للرسمي، أو كسلع استهلاكية، وطالما أن منتجات القطاع غير الرسمي هي سلع تامة الصنع في مجملها، فإن النمط الثاني -لارسمي- أكثر شيوعا وتنوعا من الأول -رسمي-.²⁶

(ج) علاقة تكنولوجية: تتمثل في جانب المهارة والتكنولوجيا، حيث يمكن لبعض عمال القطاع الرسمي الدخول إلى القطاع غير الرسمي، سواء بالالتحاق بمشروعات موجودة بالفعل، أو تأسيس ورشات خاصة بهم، وبالأجدر نقل للمهارات إلى القطاع غير الرسمي.

2.6- حل مشكلات العمالة:

يسهم القطاع غير الرسمي في حل بعض مشكلات العمالة، وفي مقدّمة هذا المستوى إيجاد فرص عمل لتوليد الدخل، وحل مشكلات التدريب، فبعد أن تأكد أن القطاع غير قادر عمليا على امتصاص اليد العاملة المنتجة في العديد من دول العالم الثالث، اضطرت أعداد كبيرة من العمل على اختلاف مستوياتهم المهنية، سواء المولودين بالمدينة أو المهاجرون الباحثين عن فرص عمل إلى محاولة إيجاد وسائل للعيش خارج بناء العمل الرسمي، تمثّلت في القطاع غير الرسمي الذي استوعب كل هؤلاء، وغيرهم أيضا، حيث تتسع حدوده

وأشبطته أو تضيق وفقا لطبيعة كل مجتمع ريفي، حضري وحجمه وظروفه السياسية، الاقتصادية.

كما يلعب القطاع غير الرسمي دورا تدريبييا هاما، خاصة في مجال الفنون الإنتاجية، والصناعات اليدوية، كالسجاد والأواني الفخارية، والحلي، والصناعات المعدنية فهو كما ذكر «كينيث كينج» «King» Keneth قطاع يقدم الخبرة التدريبية خارج نطاق التعليم الرسمي المؤسسي، لكل ممن يرغب والذين فاتتهما فرصة التعليم أو التدريب، أو دفعتهم ظروفهم للتسرب منها.²⁷

3.6- توفير السلع والخدمات:

يلعب القطاع غير الرسمي دورا اقتصاديا هاما من خلال إنتاج السلع والخدمات، حتى أن إنتاجه، بلغ حسب إحصائيات منظمة العمل الدولية بـ: 20٪ على الأقل من جملة الإنتاج الحضري بإفريقيا وهو إنتاجي يخدم المستهلكين ذوي الدخل المنخفض أساسا على حسب تعبير «ليفنجستون» «Livingstone»، غير أن هذا الدور الاقتصادي للقطاع غير الرسمي قد يتجاوز نطاق إشباع حاجيات الفئات الاجتماعية محدودة، الدخل ليصل إلى باقي الفئات حيث تؤكد بعض الشواهد الحضرية أن هناك تكيفا طبقيا للقطاع غير الرسمي، بمعنى أنه ليس قطاعا للفقراء أو محدودي الدخل وإنما هو قطاع يمكن أن يدخل أو يحل به أبناء كافة الطبقات الدنيا، الوسطى والعليا، وإن اختلفت دوافع دخوله نسبيا فيما بينها.

4.6- دعم السياسات التنموية:

يؤدي القطاع غير الرسمي دورا في دعم سياسات التنمية طويلة المدى بشكل خاص من خلال قدراته الامتصاصية للمال، والحد من الفقر الحضري، وتوليد دخل قومي، وإتاحة فرص التدريب والتأهيل، وتوفير السلع والخدمات، والمحافظة على ثبات الأسعار من خلال مرونته التي قد تعطيه الفرصة لإنتاج السلع وخدمات أقل تكلفة، وبالتالي أقل سعرا كما يعدّ دفعة عالمية للمحافظة على بقاء البشر كما يقال.

وانطلاقا من أهمية الدور التنموي اتّسمت الدولة في العديد من البلدان النامية بدرجات من التسامح، والتسبب في مواجهة القطاع غير الرسمي باعتباره قطاعا يقلّل من الأعباء والالتزامات الحكومية الرسمية وبالتالي لا تكون هناك حاجة لإصدار قوانين تمنعه أو القضاء عليه بل العكس، تشجيعه والعمل على نموه.

وأخيرا حول علاقة القطاع غير الرسمي لسياسات التنمية، فإنه يمكن القول إن الشواهد التاريخية بوجه عام، وتلك المتعلقة بمجتمعنا بوجه خاص، تؤكد أن القطاع غير

الرسمي يتعرّض تذبذبات عديدة، فيزدهر أحيانا وينكمش أحيانا أخرى، متأثرا بمختلف الأحوال السياسية، والاقتصادية على الصعيدين العالمي والمحلي.

5.6- خلق فرص العمل:

يلعب القطاع غير الرسمي دورا معتبرا في استيعاب فرص العمل وخلق مناصب جديدة، أقل تكلفة من مثلتها في القطاع الرسمي، وله دور في التخفيف من حدة البطالة يتّضح ذلك من خلال مختلف الشرائح الاجتماعية التي يمتصّها (عمال مأجورين، عاطلين، متقاعدين، أطفال، نساء، موظفو القطاع العمومي).

إذ يؤدي القطاع غير الرسمي إلى خلق وظائف إيجابية بالغة الأهمية، فنشاطاته تعتمد على رؤوس أموال محدودة، كما يستطيع استيعاب العمال سواء الأقل مهارة أو غير المؤهلين، فنشاطات القطاع غير الرسمي قادرة على أن تغطي القطاعات الاقتصادية الرئيسية بغض النظر عن الموقع الجغرافي، كما أن نوعية ومكان العمل يتميزان بمرونة عالية ودون شروط باعتماد الوسائل اليدوية.⁸²

إن المنظمات غير الحكومية، مراكز التكوين، الورشات، مشاريع البناء، جمعيات رجال الأعمال كلها تنشط في إطار ما هو لارسمي، ومع ذلك استطاعت أن تصل إلى الفئات الفقيرة وتقديم مساعدات للبطالين من خلال إعادة تأهيلهم و تكوينهم ورفع كفاءتهم ومهارتهم، فالدولة بوسعها توجيه جزء كبير من استثمارها لصالح مجالات وأنشطة اللارسمي الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من القطاع الرسمي.

إنّ تهميش نسبة متزايدة من قوة العمل في العالم وتقلص فرص العمل في القطاع الرسمي، وإن كانت تعود بالضرر على المجتمع فإنه يدفع بكثيرين إلى العمل في القطاع غير الرسمي الذي يبقى هدف أساسي في إستراتيجيات التنمية في البلاد النامية وذلك بغض النظر عن نوعية العمل أو القطاعات التي يتم فيها العمل، فالمهم هو توفير فرص العمل المنتج المتواصل، وتبقى النشاطات الممارسة بصفة غير رسمية أحد الحلول لمشكلة البطالة. أما من جهة أخرى نجد أنّ «جرين» Green» يؤكد في دراسته عن المجتمع التنزاني، ومدى خطورة ترك الأنشطة الصغيرة تنمو وتتطور، لأنها تطرح العديد من المشاكل وتشكل خطرا وتهديدا للثروة، بمعنى أنّها ستؤدي إلى خلق نوع من العقلية البورجوازية الصغيرة المضادة للثروة وللتقدم الاجتماعي. فمجرد السماح للباة المتجولين و صغار المنتجين و غيرهم من الفئات الاجتماعية التي تعمل على هوامش الاقتصاد الحضري كممارسة الأنشطة الحرة و التطور سواء من ناحية الحجم أو العدد، فإنهم جميعا سيتحالفون مع الطبقة الرأسمالية والقادة التقليديين و البورجوازيين التابعة لهم و التي تخلق ميكانيزمات التدعيم الداخلي.²⁹

وهذه بعض الأهداف الرئيسية للقطاعين الرسمي وغير الرسمي :

الأهداف الرئيسية للقطاع غير الحقيقي (غير الرسمي)	الأهداف الرئيسية للقطاع الحقيقي (الرسمي)
تحقيق مداخيل في السوق	تحقيق أقصى حد من الربح في السوق
سهولة الدخول ، عدم احترام القواعد	دخول مقنن، وجود نقابات
انعدام تشريع العمل	تطبيق تشريع العمل
التميل الذاتي	الاستفادة من القروض الوطنية والأجنبية
عدم دفع أي رسوم أو ضرائب	دفع الرسوم والضرائب أجور وعقود العمل
التشغيل الذاتي، الأجرة على الوحدة المنتجة	* تنظيم السوق:
* تنظيم السوق:	حواجز عند الدخول
غياب الحواجز عند الدخول	علامات مسجلة، منتجات معيارية
منتجات مقلدة	أسواق محمية (الحصص، الرخص، الرسوم)
أسواق غير محمية	* التكنولوجيا:
* التكنولوجيا:	عصرية ومستوردة إنتاج واسع النطاق
تقليدية، مكيفة، مُنشأة	الاستعمال المكثف لرأس المال
الاستعمال المكثف للعمل وحدات إنتاجية صغيرة ومتنوعة.	

7. المشاكل التي يعاني منها القطاع الحضري غير الرسمي:

إن المشاكل و العوائق التي يعاني منها القطاع الحضري غير الرسمي في أداء دوره في الاقتصاد الحضري، من جهة و من جهة أخرى الظروف التي تعيق و تكبّد قدرات هذا القطاع على أداء دوره في التنمية الحضرية نذكر مايلي:

- مشكلات خاصة بعدم توفر المواد الخام اللازمة لتشغيل القطاع غير الرسمي سواء فيما تعلق بنقص هذه المواد أو عدم كفايتها أو لارتفاع أسعارها.
- تعدد الإجراءات الرسمية الواجب إتباعها عند ممارسة الأنشطة غير الرسمية، و تعدد الجهات الرقابية التي تشرف عليها.

-مساهمة العاملين في القطاع الحضري غير الرسمي في خلق مشكلات عن طريق عدم إتباعهم للقوانين و اللوائح المنظمة لأنشطتهم فضلا عن التهرب الضريبي أو عدم التأمين على العمال.

-مشكلات خاصة بالتعرض لأنواع مختلفة من الاستغلال من جانب الوسطاء و السماسرة و المزودين بالمواد الخام إلى جانب تعرض أرباب هذه الأنشطة و غيرهم من العاملين لصور عديدة من الاستغلال و المحاصرة من قبل التفتيش و شرطة العمران .

- مشكلات خاصة بارتفاع معدلات الضرائب مما يدفع البعض إلى التهرب من سدادها.

-مشكلات خاصة بتشريعات العمل و التأمينات الاجتماعية.

و توصلت دراسة عن القطاع غير الرسمي بين الدولة و العاملين به أن الإجراءات الرسمية الواجب إتباعها عند مزاولة النشاط الاقتصادي غير الرسمي متعددة و معقدة و حصرتها هته الدراسة في أكثر من عشر جهات و هي: إدارة الحي، ومرورا بالسجل التجاري ثم الخضوع لرقابة إدارة التأمينات الاجتماعية و مكتب العمل و مصلحة الضرائب و إدارة الأمن و ووزارة التأمين و الصحة و الداخلية و البيئة و شرطة الحي ، كما أن الدولة رغم تعدد هذه الأجهزة لا تقدم تسهيلات للعاملين في هذه الأنشطة غير الرسمية.⁰³

توصيات الدراسة:

حاولنا من خلال هذا المقال التعرف على حقيقة الدور الذي يلعبه القطاع غير الرسمي في تنمية المجتمع الحضري من خلال مساهمته في تزويد السكان الحضريين بأنواع مختلفة من السلع و الخدمات الأساسية التي تشبع بدورها احتياجات الفئات الاجتماعية المختلفة، و أن العاملين في هذا القطاع يساهمون في الحياة الحضرية على غرار المشاكل التي يواجهونها مساهمة فعّالة، و تبيان الدور الذي يلعبه هذا القطاع في تنمية المجتمع الحضري، فالأنشطة الحضرية غير الرسمية هي جزء هام في منظومة الاقتصاد الحضري، و تحتل موقعا حيويا في الخريطة الإنتاجية و الخدمية للمجتمع، و توفير معدلات مناسبة من الدخل و اكتساب العاملين فيه مهارات يدوية و خبرات مهنية عالية و بناء على ذلك يمكننا عرض أهم التصورات لتطوير القطاع غير الرسمي في ظل التوجهات الجديدة للاقتصاد. على النحو التالي:

* ضرورة الاهتمام بتدعيم القطاع غير الرسمي و العمل على زيادة مشاركته في التنمية الحضرية.

* الاهتمام بالرعاية الصحية و الاجتماعية للعاملين في القطاع غير الرسمي و حمايتهم من كل الاستغلال و الظلم .

* ضرورة تبسيط الإجراءات و القواعد القانونية التي تواجه العاملين في القطاع غير الرسمي و خاصة عندما يخص تسوية وضعيتهم و الحصول على رخص لممارسة هذا النشاط بصيغة قانونية.

* ضرورة إدماج القطاع غير الرسمي في القطاع الرسمي ليتسنى للعاملين بالحصول على حقوقهم المختلفة.

و في الأخير يمكن الإشارة إلى أن هناك عدة تساؤلات ظهرت من خلال التطرق لهذا المقال فيما يخص طبيعة هذه الأنشطة و مدى فعاليتها في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية ؟ و دور المرأة في أنشطة القطاع غير الرسمي ؟ و هل توجد سياسة رسمية محدّدة من طرف الحكومة الجزائرية في التعامل مع القطاع غير الرسمي بأنشطته المختلفة ؟.

التهميش:

- 1 - محمد ياسر الخواجة، علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية و التحليل الواقعي، مصر العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط 2010، ص. 196.
- 2 سليمان بوزيدي، الشباب و الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية في المدينة دراسة ميدانية بمدينة سعيدة- الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، (منشورة) كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، وهران الجزائر، 2011. 2012 ص 67.
- 3 - منشورات المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، القطاع غير الرسمي أو هام و حقائق، الدورة العامة العادية 24 جوان 2004، ص 38 .
- 4 - منشورات المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، القطاع غير الرسمي أو هام و حقائق، المرجع نفسه، ص 38.
- 5 سليمان بوزيدي، الشباب و الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية في المدينة دراسة ميدانية بمدينة سعيدة- الجزائر، المرجع السابق، ص 76.
- 6 جيريبي دي بير، كون فو، دراسة تصورية عن الابتكار و الملكية الفكرية و الاقتصاد غير الرسمي، المنظمة العالمية للملكية الفكرية، جنيف 17-13 مايو 2013، ص 01. 02.
- 7 جيريبي دي بير، كون فو، دراسة تصورية عن الابتكار و الملكية الفكرية و الاقتصاد غير الرسمي، المرجع نفسه، ص 02.
- 8 جيريبي دي بير، كون فو، دراسة تصورية عن الابتكار و الملكية الفكرية و الاقتصاد غير الرسمي، المرجع السابق، ص 03.

- 9 - منشورات المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، القطاع غير الرسمي أو هام و حقائق مرجع سابق، ص، 38.
- 10 - محمد حسن، القطاع غير الرسمي بين الدولة والعاملين به، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد السابع والثلاثون، العدد 01، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية، القاهرة، جانفي 2000، ص.ص 113-114.
- 11 - Santos M, les villes de tiers monde, paris, Génin, librairies techniques, 1971, p 397.
- 12 - محمد حسن ، القطاع غير الرسمي بين الدولة والعاملين به، المرجع السابق، ص 116-117.
- 13 سليمان بوزيدي، الشباب و الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية في المدينة دراسة ميدانية بمدينة سعيده - الجزائر، المرجع السابق، ص 81
- 14 -Lautier B, l'économie informelle dans le tiers monde, Ed, la découverte, paris, 1994 , p13
- 15 -Lautier B, Ibid, p13
- 16 - محمد عبد العزيز عجيمة، محمد علي البثني، التنمية الاقتصادية مفهومها نظرياتها سياساتها، الدار الجامعية الإسكندرية، مصر، 2004. ص.ص 21-22.
- 7 - ديفيد هارسون، علم اجتماع التنمية و التحديث، تر محمد عيسى برهون، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1998، 1، ص 10.
- 18 - على خليفة الكواري، تنمية للضياع لفرص التنمية، محصلة المتغيرات المصاحبة للنقط في بلدان مجلس التعاون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1996، ص 29.
- 9 - محمد ياسر الخواجة، علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية و التحليل الواقعي، مصر العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط 2010، 1، ص 200.
- 20 - محمد ياسر الخواجة، علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية و التحليل الواقعي، المرجع نفسه، ص 201.
- 21- إسماعيل قيرة، الأنشطة الاقتصادية الحضرية غير الرسمية في المجتمع الجزائري بين الاستقلال و التبعية في سياق عملية التنمية الحضرية، حالة مدينة سكيكدة - الجزائر ، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1989.
- 22 -السيد حنفي عوض، العمالة الجائلة في البناء الحضري، دراسة سوسولوجية بمدينة الزقازيق، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، المجلد 01، العدد 01، يناير 1990، ص.ص -275 319.
- 23 Michael,R and Carla,C.Copntributions of urban informal sector to Environf mental sector and Mega Urbanization in developing Countries,J.A.R, Spring 1996,P1-15.

- 24 - أميرة عبد للطيف مشهور و آخرون، القطاع غير الرسمي في حضر مصر، إطار نظري للدراسة، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية ، القاهرة، المجلد 25، العدد 02، ماي، 1988، ص.ص 20-16
- 25 - علي عبد الرزاق جلبي و آخرون، «القطاع غير الرسمي في مدينة القاهرة، التقرير الثاني، المجتمع المحلي وملامح القطاع غير الرسمي»، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية، القاهرة، 2001، ص 17.
- 26 - السيد الحسيني و آخرون، القطاع غير الرسمي في حضر مصر، مرجع سابق، ص -82 81.
- 27 - السيد الحسيني و آخرون، القطاع غير الرسمي في حضر مصر، المرجع نفسه، ص 82.
- 28 - أنظر: السيد الحسيني و آخرون، القطاع غير الرسمي في حضر مصر، مرجع سابق، ص. ص 78 79 -
- 29 - إسماعيل قيرة، علي غربي، في سويولوجية التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص 100.
- 30 - حسن محمد، القطاع غير الرسمي بين الدولة والعاملين به، مرجع سابق، ص 66.

التوزيع النمطي للجريمة بالأوساط الحضرية في الجزائر

Stereotyping of crime in the urban media in Algeria

ا. زعرور طارق

جامعة حسينية بن بوعلي (الشلف)

ملخص

يتناول هذا المقال البحث في أهم الأنماط الإجرامية المرتكبة في الأوساط الحضرية في مختلف مناطق الجزائر، والتي قمنا بتقسيمها إلى أربع مناطق كبرى وهي منطقة الشرق الجزائري وتضم الولايات الشرقية، ومنطقة الوسط الجزائري وتضم ولايات الوسط، ثم منطقة الغرب الجزائري وتضم الولايات الغربية، وأخيرا منطقة الجنوب الجزائري والتي تضم مختلف الولايات الجنوبية للجزائر، وهذه محاولة منا لرصد أهم أنماط الجرائم الأكثر انتشارا بها ومساهمة منا لمعرفة أهم التباينات المكانية لهذه الأنماط، وهذا من خلال عرض وتحليل مختلف المعطيات الإحصائية المقدمة لنا من طرف المديرية العامة للأمن الوطني والمسجلة على كامل التراب الوطني لمدة عشرة سنوات كاملة ابتداء من سنة 2002 إلى غاية سنة 2012 لمختلف أنواع الجرائم التالية: جرائم ضد الأفراد، جرائم ضد الممتلكات، جرائم الأمن العمومي، الجرائم الاقتصادية، جرائم المخدرات.

abstract

This article examines the most important criminal patterns committed in urban areas in different regions of Algeria, which we divided into four major regions, namely the eastern region of Algeria, which includes the eastern states, the central region of Algeria and includes the states of the center, then the western region of Algeria and includes the western states, And this is an attempt to monitor the most important types of crimes and the contribution of us to know the most important spatial differences of these patterns, and this by presenting and analyzing the various statistical data provided to us by the Directorate General of National Security and registered throughout the national territory for a period of Ten years from 2002 to 2012 for the following types of crimes: crimes against individuals, crimes against property, public security crimes, economic crimes, drug crimes

مقدمة:

يعد البحث السوسولوجي في علم الجريمة من مجالات البحث البكر في الجزائر، فقد سجلت هذه الأخيرة تأخرا واضحا في مجال الدراسات الاجتماعية عموما وبعض التخصصات التي لا تزال تعد من مجالات البحث التي لم تسعها الدراسة العلمية كالحال بالنسبة للدراسات الإجرامية، فيمكن القول أن هذا المجال من الدراسات خصوصا

الأكاديمية منها كان مغيب لفترة من الزمن حيث لم تشهد معظم جامعات الجزائر مثل هذه الدراسات إلا في السنوات العشر الأخيرة، وهذا الأمر قد يرجع إلى حدائه بعض التخصصات في الجامعة الجزائرية من جهة، ومنها ما قد يرجع إلى سعي جهات الدولة إلى الابتعاد على نوع من التحفظ خصوصا ما هو متعلق بالجرائم وهو ما أفرز صعوبة لدى الباحثين والمهتمين بهذه الدراسات لصعوبة الحصول على البيانات والإحصاءات المطلوبة من جهة أخرى.

إن الحديث عن موضوع الجريمة وأنهاطها بالجزائر يفرض على الباحث الأخذ بعين الاعتبار فعل الجريمة وما يصاحب هذا الفعل من نتائج جد وخيمة تكون دائما آثارها سلبية على الفرد والجماعة، فقد أصبح موضوع الجريمة اليوم في الجزائر من المواضيع التي فرضت نفسها في الساحة العلمية كمواضيع مهمة للدراسة العلمية وهذا يبدو واضحا من خلال ما تقدمه اليوم وتكشف عليه أجهزة الدولة من أرقام أقل ما يقال عنها أنها تعدت الخطوط الحمراء، فعلى سبيل المثال فقد أحصت مصالح الشرطة القضائية سنة 2011م ما مجموعه 53136 جريمة ضد الأشخاص على مستوى التراب الوطني منها 43444 حالة للضرب والجرح، والضرب والجرح المؤدي إلى الموت وأكثر من 10791 جريمة تهديد، أما جرائم الممتلكات فقد سجل في نفس الفترة 20046 جريمة منها 18777 جرائم السرقة بكل أنواعها، أما جرائم ضد الأملاك العامة فقد سجل ما يقارب 3820 جريمة موزعة كذلك على مختلف أنواعها من تخريب، تكسير، سرقة... الخ، أما عن جرائم أمن الدولة فقد سجلت مصالح الشرطة القضائية دائما في نفس الفترة نحو 3674 جريمة أما عن الجرائم الاقتصادية فقد سجل ما مجموعه 2899 جريمة منها جرائم الاحتيال على الممتلكات العمومية 174 جريمة والخاصة 8 جرائم وجرائم إصدار بدون رصيد فكانت 110 جريمة، جرائم تحويل الأموال 35 جريمة، جرائم التعدي على قانون إجرام الصفقات فكانت 55 جريمة كما سجلت 94 جريمة خاصة بمصالح الجمارك، هذه الخطورة ليست مرتبطة بهذه الأرقام فقط فقد تعدت ذلك لتصل إلى حدود النوع والنمط الذي أصبح اليوم متفنن فيه وبطرق حديثة متطورة متماشية مع تطور المجتمع، من هذا المنطلق والمنطق سوف نقوم بعرض هذه الدراسة التي تتطرق إلى البحث في أهم الأنماط الإجرامية المرتكبة في الأوساط الحضرية في الجزائر.

مشكلة الدراسة:

تعد مشكلة الجريمة من بين أهم المشكلات التي أثارت اهتمام الإنسان منذ القدم، فمنذ فجر التاريخ شكل هذا الفعل استنكارا وردود فعل كل حسب طبيعته، فالجريمة كظاهرة اجتماعية لازمت المجتمعات البشرية ولا زالت حتى اليوم فقد عرف الإنسان أنماطا مختلفة

من صور السلوك الإجرامي من حصيلة التطورات الاقتصادية والاجتماعية، السياسية والثقافية للمجتمعات البشرية، الأمر الذي استدعى دوما منها البحث في أسبابها وعواملها وإيجاد أفضل الحلول والطرق للوقاية منها والتصدي لتتائجها، والتي دوما ما كانت تحدث إخلالا واضحا على مستوى أنساقها الثقافية والتربوية أو على مستوى بناها الاجتماعية والاقتصادية . سواء كانت هذه البني بسيطة خالية من التعقيد كالمجتمعات الأولى أو مركبة غاية في التعقيد كالمجتمعات الحديثة.

يعتبر الوطن العربي عموما والجزائر على وجه الخصوص من البلدان التي لم تهتم بوضع أطر نظرية وتطبيقية لتفسير السلوك الإجرامي والبحث فيه في ظل التحولات السياسية، الاقتصادية الاجتماعية والثقافية التي تحدث في رحاه اليوم وما يصاحبها من إفرزات على مستوى البيئة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، أدى هذا إلى بروز مفاهيم وأنماط سلوك ثقافية جديدة عكست ربما صورة عدم التوازن بين معدل النمو الاجتماعي الاقتصادي، معدلات التمدن من جهة و سرعة التغيير الاجتماعي من جهة أخرى وهو ما خلق العديد من المشكلات الاجتماعية مثل: البطالة، السكن، الهجرة، المصالح الاجتماعية، التفكك الاجتماعي، الجنوح، الجريمة وغيرها كثير، وهو ما يتجسد فعلا في مختلف التقارير الصادرة عن المديرية العامة للأمن الوطني حول حجم الجرائم المرتكبة. فعلى سبيل المثال فقد أدت مصالح الشرطة القضائية سنة 2011 م 1 ما مجموعة 53 136 جريمة ضد الأشخاص منها 43444 حالة للضرب والجرح والضرب والجرح المؤدي إلى الموت، وأكثر من 10791 جريمة تهديد، أما جرائم الممتلكات فقد سجلت في نفس الفترة 20046 جريمة منها 18777 جرائم السرقة بأنواعها. أما جرائم ضد الأملاك العامة فقد سجل ما يقارب 3820 جريمة موزعة كذلك على مختلف أنواعها من تخريب، تكسير، سرقة... الخ، أما عن جرائم أمن الدولة فقد سجلت مصالح الشرطة القضائية دائما في نفس الفترة نحو 3674 جريمة أما عن الجرائم الاقتصادية فقد سجل ما مجموعه 2899 جريمة منها جرائم الاحتيال على الممتلكات العمومية 174 جريمة والخاصة 8 جرائم وجرائم إصدار بدون رصيد فكانت 110 جريمة، جرائم تحويل الأموال 35 جريمة، جرائم التعدي على قانون إجرام الصفقات فكانت 55 جريمة كما سجلت 94 جريمة خاصة بمصالح الجمارك.

مما سبق تتضح لنا الرؤية الموضوعية لدراسة هذا الموضوع خصوصا أنه يتعلق بأمن الأفراد والمجتمع من ظاهرة تعتبر اليوم من أكثر الظواهر خطرا على أمن المجتمعات وسلامتها، ويمكن للباحث تحديد مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة على التساؤل الآتي: ما واقع الجريمة في المناطق الحضرية بالجزائر؟.

أهداف الدراسة:

1. الوقوف على أحجام واتجاهات الجرائم في الجزائر.
2. التعرف على أهم الأنماط الإجرامية الأكثر انتشارا بمختلف الأقاليم والمناطق في الجزائر.
3. معرفة مختلف التباينات المكانية من حيث الأنماط المنتشرة من منطقة إلى أخرى.
4. استنتاج أهم العوامل المؤدية إلى تزايد حجم الجريمة في المجتمع الجزائري.
5. التوصل إلى مجموعة من المقترحات اللازمة لمواجهة ظاهرة الجريمة في المجتمع الجزائري.

تساؤلات الدراسة:

1. ما هي أهم أنماط الجرائم الأكثر حضورا بالأوساط الحضرية في الجزائر؟.
2. ما هي أهم العوامل التي تتحكم فيها من حيث الكم والنوع؟.
3. ما هي أهم الاتجاهات و الأنماط التي تتخذها حركة الإجرام في الجزائر؟.
4. هل تتباين هذه الأنماط حسب المنطقة؟.

مصطلحات ومفاهيم الدراسة:

مفهوم الجريمة:

ينظر إلى الجريمة من وجهة نظر قانونية على أنها مخالفة القانون أي الفعل القصدي الهادف إلى الجريمة الذي يخالف به صاحبه القانون، ويترتب على هذه المخالفة عقاب قانوني محدود وهذا يتفق مع ما هو متعارف عليه عند أصحاب القانون إذا لا مجال للحديث عن جريمة بدون نص قانوني²

إن الحديث عن الجريمة بأنها الفعل المخالف لنصوص القانون الجنائي الذي يضمن المشع كتعريف قانوني فإن الجريمة كسلوك إنما هي تختلف عن غيرها من أنماط السلوك المخالف لقواعد السلوك الاجتماعي، هكذا إذن يمكن تعريف الجريمة اجتماعيا بأنها «السلوك المخالف لما ترضيه الجماعة، كما أنها كل فعل ضار بالمصالح الاجتماعية وفيه انتهاك لجريمة التقاليد والأعراف والعادات ويقتض الحساب والمسألة اجتماعيا»³.

وهذا ما ذهب إليه «ميرتون» حين ربط الضرر بالفاعل، أي أن الإجرام ناجم عن الجماعة صاحبة الموقف، فالأفعال ضار بفضة المجتمع لأنه كما يتصور أن الجريمة مظهر من مظاهر انهيار الجماعة لأن وسائل الضبط الاجتماعي والعدالة لا تؤدي دورها إلا بطريقة شكلية.⁴

مما سبق يمكن إعطاء تعريف الجريمة من الناحية الاجتماعية ببساطة فنقول:

هي عبارة عن رد فعل يخالف الشعور العام للجماعة، وهي فعل فردي أو جماعي يشكلكخرقا لقواعد الضبط الاجتماعي التي أقرها المجتمع، والذي يمكن التعبير عنه بمجموعة القيم والأعراف السائدة في فيه 6

المفهوم الإجرائي للجريمة:

نقصد بهذا المفهوم «الجريمة» في هذه الدراسة الفعل الغير قانوني الذي يرتكبه الفرد بشكل فردي أو جماعي، سواء كان بالغا أو قاصرا، يخالف النظام العام محكوم بنص قانوني تفرد له عقوبة مناسبة.

مفهوم النمط:

تعمل معظم العلوم المختلفة اليوم بما يسمى «بلوائح التنميط أو التصنيف» وبتجميع مختلف السلوكيات أو الظواهر المشابهة في نمط واحد، فهذه العملية تعد اليوم خطوة مهمة نحو الفهم والتفسير وتساعد على تحليل الظواهر الاجتماعية ودراستها، إلا أن التنميط يكون أحيانا على حساب التمييز والتفصيلات، فلما نحاول التصنيف والتنميط وحشر سلوكيات مختلفة تحت مسمى واحد نكون قد ضحينا ببعض السلوكيات المختلفة فهذه العملية إذن هي عملية نسبية غالبا ما تخضع لرؤية الباحث ونظرته للموضوع 7.

والنمطية هي جملة النماذج والصفات المتماثلة والتي يمكن تصنيف موضوعاتها داخل فئات وأنواع وأجناس تتميز كل منها بصفات معينة تميزها عن غيرها، ويطلق إسم الفئة على أي نوع من الأشياء أو الأفعال أو العلاقات التي يتكرر حدوثها بنظام ووفرة كافيين لجعل المجموعات ذات أهمية واضحة، وتحمل الفئة أو المجموعة عادة خصائص مادية لظاهرة ما وتصورا فكريا يتسم بالاتساق المنطقي، وتكتسب الفئة أهميتها عندما تجمع بشكل محكم بين عناصر الواقع واتساق المنطق في تحديد ظاهرة ما 8.

ويقصد بالتنميط أيضا التصنيف وفقا لمعايير أو مجموعة من المعايير ويستخدم هذا المنهج في تصنيف العناصر الثقافية أو الجماعات الإنسانية، أو الجماعات المحلية كما يستخدم في عملية تنميط الجريمة والسلوك الإجرامي 9.

التعريف الإجرائي لنمطية الجريمة:

نقصد بها كل أنواع الأفعال والسلوكيات التي يرتكبها البالغون والمجرمة بنص قانوني، والمصنفة وفق تصنيف علمي محدد.

منهج الدراسة وإجراءاتها منهج الدراسة:

إن اختيار منهج معين يتوقف على طبيعة الموضوع ومشكلاته، وعلى نوع البيانات المراد جمعها ولأجل هذا في ضوء طبيعة الدراسة والأهداف التي تسعى لتحقيقها استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتبر أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات دقيقة أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية وذات مصداقية، تم تفسيرها بطريقة موضوعية مما ينسجم مع المعطيات الميدانية الفعلية للظاهرة. 10

كما أن هذا المنهج يوفر لنا عملية الوصف الدقيق وتفصيل ظاهرة الجريمة وأنماطها المنتشرة بالأوساط الحضرية في الجزائر، على صورة نوعية أو كمية رقمية فالتعبير الكمي يعطي وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى.

مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من مجموع الإحصاءات الوطنية للجرائم المقدمة من طرف المديرية العامة للأمن الوطني من الفترة الممتدة من 1 جانفي 2002 إلى غاية 31 ديسمبر 2011 لكامل التراب الوطني للجرائم التالية: جرائم ضد الأشخاص، جرائم ضد الممتلكات، جرائم الأمن العمومي لجرائم الاقتصادية، جرائم المخدرات.

عينية الدراسة

نظرا للعدد الكبير لوحدات أو عناصر مجتمع الدراسة قرر الباحث بعد تقسيم الجزائر إلى أربع مناطق كبرى منطقة شرقية منطقة وسطى منطقة غربية منطقة جنوبية الاستعانة بعينة قصدية لاختيار أربع ولايات لكل منطقة كانت كالتالي:

- * منطقة الشرق الجزائري: ولاية قسنطينة ولاية عنابة باتنة سطيف.
- * منطقة الوسط الجزائري ممثلة في الولايات التالية: الجزائر أبو مراد س تيبازة البلدية.
- * منطقة الغرب الجزائري ممثلة في الولايات التالية: وهران أمستغانم معسكر تلمسان
- * منطقة الجنوب الجزائري ممثلة في الولايات التالية: ورقلة بشارة تمراست الجلفة.

أنماط الجرائم المرتكبة في الجزائر

1- أنماط جرائم الأفراد في الجزائر

جدول رقم (01): يوضح انماط جرائم الأفراد في الجزائر من سنة 2002 إلى 2011 حسب المنطقة.

الاقليم	السنوات	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المجموع
المدن الكبرى لإقليم الشرق	أنماط الجرائم											
	القتل العمدي	27	34	21	33	28	31	33	33	27	33	300
	القتل الخطأ	10	38	6	22	20	13	14	13	11	16	163
	الضرب والجرح المؤدي للموت	15	9	13	132	10	18	08	07	10	14	236
	الضرب والجرح	6433	2052	5792	5876	6044	5946	6314	6470	6086	6740	60753
	التهديد	711	857	1034	841	955	914	1002	1053	1158	1214	9739
	القذف	47	60	47	29	48	25	20	35	18	21	350
	السب والشتم	257	1316	1313	1087	1258	1285	1353	1687	1563	2272	13391
	جرائم الآداب	739	788	880	457	526	412	411	411	460	533	5762
	القتل العمدي	32	38	27	38	18	23	23	30	24	20	273
المدن الأربعة الكبرى لإقليم الوسط	القتل الخطأ	21	32	18	20	58	56	40	21	28	40	334
	الضرب والجرح المؤدي للموت	104	67	26	58	26	10	13	24	08	12	348
	الضرب والجرح	7316	7388	7620	5784	6011	7766	8213	8868	8336	9566	76568
	التهديد	1272	1520	1791	1817	1987	1765	1739	2013	1997	2848	18749
	القذف	40	73	79	41	84	50	67	107	101	119	761
	السب والشتم	1963	2212	2302	2852	3031	3077	6300	4930	4579	4321	35567
	جرائم الآداب	436	445	468	455	481	530	538	715	519	613	5200
	القتل العمدي	33	30	16	54	26	20	26	34	28	29	296
	القتل الخطأ	13	07	17	21	14	23	38	44	54	36	267
	الضرب والجرح المؤدي للموت	111	23	16	24	16	14	04	19	09	09	245
المدن الأربعة الكبرى لإقليم الغرب	الضرب والجرح	2681	2597	1647	2452	3044	2903	3491	4163	3993	4289	31260
	التهديد	538	622	547	488	927	953	1101	1110	1188	1552	9026
	القذف	45	14	30	54	35	47	40	21	66	54	409
	السب والشتم	272	384	404	286	797	1048	1272	1368	1494	8127	
	جرائم الآداب	438	302	228	242	462	375	422	401	447	3698	

121	10	10	07	09	2	18	10	18	10	9	القتل العمدي	المدن الأربعة الكبرى لإقليم البوادي
91	11	10	06	05	03	17	04	09	18	8	القتل الخطأ	
93	03	05	05	07	-	14	11	03	37	8	الضرب والجرح المؤدي للموت	
13574	1740	1561	1376	1578	1307	1346	1124	1071	1224	1247	الضرب والجرح	
3371	471	411	398	335	350	346	289	307	263	201	التهديد	
190	28	29	09	22	16	26	9	12	26	13	القذف	
3647	707	620	273	440	413	307	282	248	182	175	السب والشتم	
2375	174	237	203	195	188	231	226	263	295	363	جرائم الآداب	

لمصدر: وزارة الداخلية. المديرية العامة للأمن الوطني. إحصاء جرائم الأفراد على المستوى الوطني، 2001-2011.

من خلال قراءة بيانات الجدول رقم (01) والذي يمثل أنماط جرائم الأفراد في الجزائر يتبين أن أنماط جرائم الأفراد تتشابه وتتقارب في صورتها الكلية في كل مناطق الجزائر، غير أننا نسجل نوعا من الاختلاف في بعض منها على مستوى منطقة الجنوب الجزائري كالتالي:

ففي منطقة الشرق الجزائري سجلنا جريمة الضرب والجرح كأحد أهم أنماط جرائم الأفراد الكثيرة الانتشار فقد بلغت كمتوسط حجمها أرقاما مرتفعة للغاية تتراوح بين 5000 إلى 7000 جريمة في المرتبة الأولى، ثم نجد جريمة السب والشتم التي بلغت أقصاها في سنة 2011 أين سجلت نسبة 2400 جريمة في المرتبة الثانية، أما جريمة التهديد فقد كانت في المرتبة الثالثة أين تراوحت النسب من 700 إلى 1400 جريمة، ثم تأتي جريمة الآداب وجرائم سرقة السيارات كأدنى جريمتين لمنطقة الشرق الجزائري.

أما منطقة الوسط فقد كانت الأنماط الأكثر إقبالا من طرف المواطنين بالنسبة لجرائم الأفراد مشابهة لتلك الأنماط المنتشرة في منطقة الشرق غير أن الاختلاف المسجل كان بالنسبة للنسب التي ارتفعت أكثر عند جرائم الضرب والجرح أين بلغ متوسط معدلاتها أقصاه يسجل سنة 2009 أكثر من 8000 جريمة، والذي تراوح متوسطها عبر كل السنوات ما بين 5200 و 8000 جريمة في المرتبة الأولى ثم جاءت جريمة السب والشتم في المرتبة الثانية بنسب مرتفعة أيضا حيث تراوحت عبر كل السنين من 1900 إلى 6400 جريمة، وفي المرتبة الثالثة نجد جرائم التهديد كأحد أهم الأنماط الثلاثة المسجلة في منطقة الوسط والشرق أين تراوحت معدلاته من 1100 إلى غاية 2900، ثم جاءت من جريمة الآداب والقتل العمدي كأدنى نمطين مسجلين لهذا الصنف من الإجرام.

وفي منطقة الغرب الجزائري برز كذلك نمط الضرب والجرح كأول نمط مسجل بالنسبة لجرائم الأفراد حيث بلغ متوسط معدلها العام في هذه المنطقة 31260 في المرتبة

الأولى غير أن المرتبة الثانية في هذه المنطقة كانت لنمط التهديد عوض السب والشتم كما هو مسجل في المنطقتين السابقتين حيث بلغ متوسط معدله العام 9026 جريمة مسجلة، أما منطقة الجنوب الجزائري فقد وافقت المنطقتين الأولى والثانية من حيث أكثر الأنماط انتشارا بالنسبة لجرائم الأفراد، حيث برزت جريمة الضرب والجرح كذلك كأول نمط يمارس بمتوسط معدل 13574 جريمة، تلاه نمط السب والشتم ثم التهديد بنسب متقاربة بلغت 3674 و 3371 جريمة على التوالي.

أنماط جرائم الممتلكات في الجزائر:

جدول رقم (02): يوضح أنماط جرائم الممتلكات في الجزائر من سنة 2002 إلى 2011

حسب المنطقة.

الاقليم	السنوات	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المجموع
المدن الكبرى الأربعة لإقليم الشرق	أنماط الجرائم	1126	1414	2054	2305	2606	2330	1908	2013	2263	1685	19704
	السرقه بالعنف والتهديد	1856	2005	1266	1049	1046	1053	950	1023	1373	1405	13026
	السطو على الأملاك	2754	2909	2089	1229	1478	1031	2135	2113	2340	1439	19517
	السرقه بالطرق العمومية	176	874	798	707	734	924	511	767	693	603	6787
	النشل	148	165	129	132	133	126	145	138	151	138	1405
	إستعمال مفاتيح مصطنعة	2323	2760	2409	2359	845	2577	2394	2417	2217	1902	22203
	السرقه بالاحتيال	390	424	212	101	262	312	207	309	341	365	2923
	سرقه السيارات	318	706	684	486	222	809	916	847	1223	1438	7646
	السرقه بالكسر	39	56	27	36	34	37	50	31	63	70	443
	إفتعال حريق	28	38	22	46	52	44	25	41	38	26	360
إبتزاز												

21242	2019	1717	1921	1746	1791	2889	2507	2066	2082	2504	السرقه بالعنف والتهديد	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الوسط
19404	1749	1402	1843	1306	1567	2253	1892	2284	2464	2644	السطو على الأموال	
33692	1558	1878	2016	1891	2473	2810	2775	4879	5732	7680	السرقه بالطرق العمومية	
14633	1039	1459	1322	1483	1178	1578	1486	1600	1704	1784	النشل	
2679	192	204	290	229	256	309	254	238	292	415	إستعمال مفاتيح مصطنعة	
7803	686	700	740	869	868	959	780	648	1007	546	السرقه بالاحتياي	
9304	850	787	1009	942	736	989	1379	729	1014	869	سرقه السيارات	
13141	2254	1916	1697	1803	1607	1553	374	958	946	1033	السرقه بالكسر	
757	82	91	71	63	21	63	78	23	212	53	إفتعال حريق	
280	11	07	09	11	10	16	12	34	116	54	إبتزاز	
21801	2241	2197	2117	2058	2174	2069	5641	852	1168	1284	السرقه بالعنف والتهديد	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الغرب
8734	822	763	902	694	692	796	698	1443	914	1010	السطو على الأموال	
11980	1400	1371	1401	1385	1145	950	803	789	1302	1435	السرقه بالطرق العمومية	
5159	579	607	587	660	600	458	385	187	552	544	النشل	
995	112	89	113	103	108	105	71	55	93	146	إستعمال مفاتيح مصطنعة	
18070	2463	2322	1967	2078	1614	1510	970	1042	2028	2076	السرقه بالاحتياي	
1818	181	153	241	269	168	220	174	103	190	119	سرقه السيارات	
3384	503	413	360	342	271	318	269	177	359	373	السرقه بالكسر	
235	22	19	17	26	17	19	16	25	49	25	إفتعال حريق	
158	13	09	12	15	29	25	19	01	18	17	إبتزاز	

3164	315	361	431	290	332	407	393	187	266	182	السرقه بالعنف والتهديد	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الجزائر
7289	849	823	771	685	736	283	772	774	782	814	السطو على الأموال	
4030	341	376	327	278	160	241	368	623	603	695	السرقه بالطرق العمومية	
2445	320	362	207	232	235	338	201	223	238	89	النشل	
531	31	46	53	41	32	84	63	27	80	74	إستعمال مفاتيح مصطنعة	
7474	732	914	906	788	727	1001	821	527	626	432	السرقه بالاحتيال	
1062	126	99	113	96	89	179	91	61	121	87	سرقه السيارات	
2004	185	265	254	261	288	160	171	124	130	166	السرقه بالكسر	
202	13	17	14	17	19	14	34	27	23	24	إفتعال حريق	
57	03	01	03	02	02	03	01	04	02	09	إبتزاز	

المصدر: وزارة الداخلية. المديرية العامة للأمن الوطني. إحصاء جرائم الممتلكات على المستوى الوطني، 2001-2011.

من خلال قراءة بيانات الجدول رقم (02) والذي يوضح أهم أنماط جرائم الممتلكات في الجزائر والذي عرف اختلافات ونوع من التفاوت في هذه الأنماط من منطقة لأخرى حيث نجد في منطقة الشرق الجزائري نمط الاحتيال يبرز كأول جريمة من جرائم الممتلكات إذ بلغ متوسط مجموع الجرائم في هذا النمط 22203 جريمة مسجلة وقد بلغت هذه النسب أقصاها سنة 2003 أين سجل هذا النمط متوسط مجموع جرائمه 2760 جريمة، ثم يليه نمط السرقه بالعنف والتهديد بمتوسط مجموع جرائم بلغ 1904 جريمة بلغت أقصاها سنة 2006 بمتوسط مجموع جرائم بلغ 2606 جريمة في المرتبة الثانية، ثم في المرتبة الثالثة نجد نمط السرقه في الطرق العمومية إذ بلغ مجموعها العام 19517 جريمة، بلغت أقصاها سنة 2003 بنسبة بلغت 2909 جريمة.

أما منطقة الوسط الجزائري فقد عرفت هي الأخرى مجموعة متعددة من الأنماط الإجرامية المتعلقة بجرائم الممتلكات كان أهمها في المرتبة الأولى فنمط جريمة السرقه في الطرق العمومية إذ بلغ مجموع جرائمه المسجلة 33692 جريمة، بلغت أقصاها سنة 2002 أين قدرت بـ 7680 جريمة، ثم تليها في المرتبة الثانية نمط السرقه مع العنف والتهديد بمجموع عام بلغ 21242 بلغ أقصاه سنة 2006 بـ 2889 جريمة، ثم يأتي نمط

السطو في المرتبة الثالثة بمجموع عام قدره بـ 19404 جريمة بلغت أقصاها سنة 2002 بمجموع 2644 جريمة، ثم جرائم النشل في المرتبة الرابعة بمجموع عام بلغ 14633 جريمة، بلغ أقصاه سنة 2002 بمجموع 1784 جريمة ثم تليها جرائم السرقة بالكسر، ثم سرقة السيارات، ثم جرائم الاحتيال .

وفي منطقة الغرب الجزائري فقد تشابهت صورة الأنماط مع مناطق الشرق الجزائري حيث نجد جرائم السرقة عن طريق العنف والتهديد تحتل المرتبة الأولى بمجموع 21801 جريمة بلغ أقصاها سنة 2005 حيث وصلت إلى 5641 جريمة، ثم جرائم السرقة عن طريق الاحتيال فقد بلغ مجموعها 18070 جريمة في المرتبة الثانية بلغت أقصاها سنة 2011 حيث قدر بـ 2463 جريمة تلتها جرائم السرقة في الطرق العمومية في المرتبة الثالثة حيث قدر مجموعها 11980 جريمة، أم عن باقي الأنماط الجرمية الأخرى فقد احتلت مراتب متدنية كجرائم السيارات والنشل وغيرها.

أما منطقة الجنوب الجزائري فقد برز نمط إجرام الاحتيال كأول نمط من إجرام الممتلكات أكثر انتشارا بين الجرائم حيث قدر مجموع جرائمه 7474 جريمة، سجلت أعلى نسبة له في سنة 2006 إذ بلغت 1001 جريمة مسجلة، تبعثها جرائم السطو بمجموع قدر بـ 7289 جريمة في المركز الثاني ثم نجد في المركز الثالث جرائم السرقة في الطرق العمومية بمجموع 4030 جريمة، ثم المركز الرابع نجد جرائم السرقة مع العنف والتهديد الذي لم يتجاوز في هذه المنطقة 3164 جريمة.

3- أنماط جرائم الأمن العمومي في الجزائري.

جدول رقم(03): يوضح أنماط جرائم الأمن العمومي في الجزائر من سنة 2002 إلى 2011 حسب المنطقة.

المجموع	2011	2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	2003	2002	السنوات أنماط الجرائم	الأقاليم
903	76	161	133	73	142	79	67	75	40	57	مساعدة المجرمين	المدن الكبرى الأربعة لإقليم الشرق
34	01	03	04	01	01	05	01	06	09	03	التمرد	
14	--	01	--	01	--	05	04	--	01	02	التملص	
130	04	11	09	13	38	07	02	03	07	36	التسول	
1053	125	122	110	108	71	99	97	97	107	117	عطل غير قانونية	
716	120	85	57	67	54	120	53	57	40	63	مساعدة المجرمين	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الوسط
305	10	42	36	64	41	33	27	05	21	26	التمرد	
95	26	13	04	04	08	10	06	04	13	07	التملص	
583	20	159	67	59	108	70	21	48	20	11	التسول	
2933	177	189	185	221	604	448	291	263	139	207	عطل غير قانونية	
1550	158	205	114	136	153	176	139	109	175	191	مساعدة المجرمين	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الغرب
264	08	18	21	46	33	44	28	21	24	21	التمرد	
80	04	04	06	23	08	08	03	03	09	12	التملص	
389	18	28	16	22	48	32	31	15	32	67	التسول	
3466	154	263	273	327	311	294	439	307	496	602	عطل غير قانونية	
458	41	44	51	39	55	75	43	31	52	27	مساعدة المجرمين	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الجنوب
12	01	01	01	02	01	01	01	01	02	01	التمرد	
22	--	--	01	02	02	--	12	--	04	01	التملص	
58	--	04	01	11	03	04	09	09	03	14	التسول	
2202	184	334	515	146	165	130	181	192	139	216	عطل غير قانونية	

لمصدر: وزارة الداخلية. المديرية العامة للأمن الوطني. إحصاء جرائم الأمن العمومي على المستوى الوطني، 2001-2011.

من خلال ما تقدمه بيانات الجدول رقم (03) الخاصة بأنماط الجرائم الأمن العمومي الأكثر انتشارا في الجزائر، فقد تبين أن هذا الصنف من الجرائم تتشابه أنماطه في كل مناطق

الجرائم، حيث النمط الأول يتمثل في نمط الجرائم الخاصة بالعطل غير القانونية حيث انخفضت هذه الأعداد في منطقة الشرق وارتفعت في باقي المناطق الأخرى من الوطن، إذ سجلت منطقة الشرق 1053 جريمة في هذا الصنف، ومنطقة الوسط 2933 جريمة كأعلى نسبة مسجلة على الإطلاق ثم منطقة الغرب بـ 3466 جريمة، وفي الأخير نجد منطقة الجنوب بـ 2202 جريمة.

وقد جاءت جريمة مساعدة المجرمين كثاني نمط منتشر في الجزائر، وفي كل مناطقه بأعداد سجلت تقاربا في كل من منطقة الشرق والغرب والوسط، في حين قلت هذه الأعداد في منطقة الجنوب وقد كانت كالتالي: منطقة الغرب بـ: 1550 جريمة، ثم منطقة الوسط 1053، ثم منطقة الشرق بـ 903 جريمة، وأخيرا منطقة الجنوب 456 جريمة.

أما جريمة التسول فقد احتلت المرتبة الثانية في كل مناطق الجزائر، كأحد أكثر الأنماط انتشارا في هذا الصنف من الجرائم، حيث عرفت منطقة الوسط أكثر الأعداد لهذا النمط حيث بلغ عددها أكثر من 583 جريمة.

أما نمط التمرد فقد احتل المرتبة الرابعة في كل مناطق الجزائر، بنسب وأعداد كانت متدينة مقارنة مع الأنماط الأخرى السابقة المسجلة على المستوى الوطني عرفت منطقة الوسط الجزائري أكثر المناطق إجراما لهذا الصنف إذ بلغ عدد جرائم هذا النمط في هذه المنطقة أكثر من 365 جريمة .

4- أنماط الجرائم الاقتصادية في الجزائر.

جدول رقم (04): يوضح أنماط الجرائم الاقتصادية في الجزائر حسب المنطقة.

المجموع	2011	2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	2003	2002	السنوات	الأقاليم
											أنماط الجرائم	
170	27	22	30	012	17	15	12	10	25	--	تهريب الأموال العامة	المدن الكبرى الأربعة لإقليم الشرق
23	06	04	03	06	02	01	01	--	--	--	الإخلال بقواعد السوق	
01	01	--	--	--	--	--	--	--	--	--	إساءة تسيير المال العام	
60	09	04	17	21	03	01	03	02	--	--	إنتهاك قانون النقد	
09	03	--	--	01	01	01	01	01	01	--	الفساد	
53	12	07	14	07	07	04	01	01	--	--	الإحتيال الضريبي	
282	74	66	77	40	03	02	04	16	--	--	المخالفات الجمركية	
73	19	17	07	05	16	09	--	--	--	--	المخالفات التجارية	
188	32	29	21	58	23	13	12	--	--	--	التهريب	
318	47	53	41	44	30	34	24	12	33	--	تهريب الأموال العامة	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الوسط
35	06	09	06	10	01	--	--	01	01	01	الإخلال بقواعد السوق	
06	--	--	01	01	02	--	01	01	--	--	إساءة تسيير المال العام	
400	123	156	85	16	07	02	03	05	03	--	إنتهاك قانون النقد	
07	--	--	01	01	01	01	--	01	--	02	الفساد	
67	27	15	02	01	09	08	02	01	02	--	الإحتيال الضريبي	
107	53	22	15	05	07	01	01	02	01	--	المخالفات الجمركية	
93	19	14	11	10	23	16	--	--	--	--	المخالفات التجارية	
68	05	01	05	08	19	26	04	--	--	--	التهريب	

205	17	24	23	22	23	28	28	17	23	--	تهريب الأموال العامة	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الغرب
33	11	08	05	02	01	--	01	02	--	03	الإخلال بقواعد السوق	
03	--	--	02	01	--	--	--	--	--	--	إساءة تسيير المال العام	
452	33	21	45	02	05	03	15	03	01	--	إنتهاك قانون النقد	
--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	الفساد	
18	09	03	--	--	02	01	01	--	--	--	الإحتيال الضريبي	
67	41	09	08	--	04	01	03	01	--	--	المخالفات الجمركية	
188	57	41	21	20	29	20	--	--	--	--	المخالفات التجارية	
853	63	81	72	86	163	145	243	--	--	--	التهريب	
78	11	13	12	07	07	09	05	06	08	--	تهريب الأموال العامة	
14	02	02	06	01	01	02	--	--	--	--	الإخلال بقواعد السوق	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الجنوب
--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	إساءة تسيير المال العام	
11	01	01	03	01	01	02	--	02	--	--	إنتهاك قانون النقد	
03	--	--	--	01	01	01	--	--	--	--	الفساد	
07	03	01	01	02	--	--	--	--	--	--	الإحتيال الضريبي	
--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	المخالفات الجمركية	
137	26	13	54	05	21	18	--	--	--	--	المخالفات التجارية	
503	102	112	54	49	71	59	56	--	--	--	التهريب	

مصدر: وزارة الداخلية. المديرية العامة للأمن الوطني. إحصاء الجرائم الاقتصادية على المستوى الوطني، 2001-2011.

من خلال معطيات الجدول رقم (04) والذي يوضح أنماط الجرائم الاقتصادية الأكثر انتشارا في مناطق الجزائر، يتبين أن هناك اختلاف في أنماط الجرائم الاقتصادية المسجلة في الجزائر حسب كل منطقة، وأن لكل منطقة ما يميزها من أنماط جرائم تختص بها كل منطقة حسب ظروفها، حيث برز في منطقة الشرق الجزائري نمط المخالفات الجمركية كأول نمط يمارس أكثر من طرف المواطنين، ثم يتبعه نمط جرائم التهريب كأحد ثاني الأنماط إجراما في هذه المنطقة حيث بلغ عدد الجرائم المسجلة بهما على التوالي 282 جريمة و 188 جريمة. أما في منطقة الوسط الجزائري فقد سجلنا أنماط جرائم اقتصادية تختلف عنها في منطقة الشرق حيث برز نمط جرائم انتهاك قانون النقد في المرتبة الأولى كأحد أهم هذه الأنماط انتشارا في هذه المنطقة بـ 400 جريمة، ثم يأتي نمط تهريب وتحويل الأموال العمومية كأحد ثاني هذه الأنماط انتشارا في منطقة الوسط حيث بلغ عدد جرائم هذا النوع أكثر من 318 جريمة.

وفي منطقة الغرب ومنطقة الجنوب نجد أن نمط جرائم التهريب هو النمط الأكثر حضورا لدى المواطنين فقد بلغ عدد جرائمه في منطقة الغرب أكثر من 853 جريمة وفي منطقة الجنوب الجزائري أكثر من 503 جريمة، ثم نجد نمط جرائم النقد حوالي 452 جريمة في المركز الثاني، مقابل نمط المخالفات التجارية كثان نمط في منطقة الجنوب الجزائري إذ بلغ عدد هذه الجرائم بها حوالي 137 جريمة.

أنماط جرائم المخدرات في الجزائر:

جدول رقم (05): يوضح أهم أنماط المخدرات في الجزائر حسب المنطقة.

الاقليم	السنوات	أنماط الجرائم	المدن الكبرى الأربعة لإقليم الشرق	المجموع
الاقليم	2002	عنب	104,8	2679 كغ
	2003	القنب	153,5	2679 كغ
	2004	شجر القنب	208,9	1570 كغ
	2005	حبوب القنب	253,4	1570 كغ
	2006	زيت القنب	489,7	0,265 كغ
	2007	خشخاش الأفيون	426,9	--
	2008	هيروين	399,8	3,200 كغ
	2009	كوكايين	136,8	1,100 كغ
	2010	أقراص مهلوسة	134,9	27324
2011		464,2	51472	
المجموع			617280	

6940 كغ	201,9	643,3	8'863	1063,4	1064	902,1	33,1	824,6	832,7	221,4	عنب القنب	المدن الأربعة الكبرى لإقليم الوسط	
1,195 كغ	--	--	1,10	--	--	--	0,095	--	--	--	شجر القنب		
0,071 كغ	--	--	07'0	--	--	0,001	--	--	--	--	حبوب القنب		
--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	زيت القنب		
--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	خشخاش الأفيون		
4,854 كغ	2143	22,92	682,9	10,74	378,4	14,6	88,8	26,8	1554	224,6	هيروين		
93,250 كغ	8340	1,8	594,3	159	20126	44	66,5	150	9500	268,6	كوكايين		
459257	95055	22223	14071	39189	37504	58641	35325	27098	72511	57640	أقراص مهلوسة		
21903 كغ	721,5	1820	4180	2774	6709	770,3	1029,4	1004	1196,5	1699	عنب القنب		المدن الأربعة الكبرى لإقليم الغرب
1 كغ	--	--	--	--	--	--	--	--	01plt	--	شجر القنب		
--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	حبوب القنب		
--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	زيت القنب		
20 غ	--	--	--	--	20	--	--	--	--	--	خشخاش الأفيون		
40 غ	--	40	--	--	--	--	--	--	--	--	هيروين		
228,94 غ	1,60	3,6	69,87	7,62	138,3	7,9	0,05	--	--	--	كوكايين		
1,123.701	12173	83749	12271	772806	14518	42766	23203	26719	116226	19270	أقراص مهلوسة		

عنب القنب	شجر القنب	حبوب القنب	زيت القنب	خشخاش الأفيون	هيروين	كوكايين	أقراص مهلوسة
2955 كغ	99,393 كغ	0,488 كغ	--	77,7 غ	112,2 غ	757,7 غ	73704 قرص
50,3	--	--	--	--	6,4	13,0	2185
48,3	--	--	--	--	--	--	27114
93,2	--	--	--	--	--	320,7	2603
202,8	0,416	--	--	7,3	91,8	343,2	3241
181,5	1,040	0,414	--	7,1	3,3	--	2065
148,1	0,527	0,006	--	12,2	10,7	80,8	5604
71,6	0,04	0,04	--	--	--	--	6583
196,6	6,96	0,028	--	51,1	--	--	15923
69,3	0,410	--	--	--	--	--	3120
123,6	--	--	--	--	--	--	5266

المدن الأربعة الكبرى لإقليم الجنوب.

من خلال معطيات الجدول رقم (05) الذي يمثل أنماط المخدرات في الجزائر فإنه يتضح أن هناك اختلافا وتفاوت من منطقة إلى أخرى في الجزائر من حيث أنماط المخدرات وجرائمها المسجلة، ففي منطقة الشرق الجزائري نجد نمطين بارزين من أنماط جرائم المخدرات وهما عنب القنب والذي سجل أعداد متدنية بالمقارنة مع المناطق الأخرى فقد بلغت كمية عنب القنب المحجوزة 2679 كلف، أما الأقراص المهلوسة وهو النمط الثاني المنتشر في هذه المنطقة فقد بلغت كمية الأقراص المحجوزة 617280 قرص.

أما المنطقة الوسطى فقد عرفت أكثر من الشرق بالنسبة لهذه الأنماط حيث سجلنا بها إضافة إلى النمطين الموجودين في منطقة الشرق وهي القنب الذي بلغت كميته 6940 كلف، والأقراص المهلوسة التي بلغت 459257 قرص، نجد كذلك نمطي الهيروين والكوكايين اللذان سجلا حضورهما في كل السنوات بنسب بلغت في الأولى 4854 غ والثانية 93,250 غ.

وفي منطقة الغرب الجزائري لم تظهر سوى ثلاثة أنماط رئيسية تمثلت في نمط عنب القنب الذي بلغت كميته 21903 كلف، إضافة إلى الكوكايين بكمية 22894 غ إلا أن العدد الأكبر قد سجل بالنسبة للأقراص المهلوسة الذي بلغ رقما جنوبيا في هذه المنطقة ليصل إلى 1,123.701 قرص.

أما بالنسبة لمنطقة الجنوب الجزائري فقد عرفت تقريبا كل الأنماط المتواجدة في قائمة جرائم المخدرات بدءا بكل أنواع القنب (من عنب وشجر وحبوب) التي بلغ عددها أكثر من 12837 كلغ من هذا النوع من المخدرات، إضافة إلى خشخاش الأفيون، والهيريون والكوكايين والأقراص المهلوسة التي بلغ عددها المحجوز 73704 قرص.

نتائج الدراسة:

من خلال ما تم عرضه حول أنماط الجرائم في الجزائر من خلال الإحصاءات المقدمة من طرف المديرية العامة للأمن الوطني عن حركة الإجرام في الجزائر من سنة 2002 إلى غاية سنة 2011، ومن خلال تحليل هذه الإحصاءات تبين أن حركة الإجرام في الجزائر تتصف بالتذبذب العام فيها، فمن حيث الأحجام والأعداد فقد تبين أنها تقترب من بعضها في بعض السنوات وتختلف اختلافا كبيرا في سنوات أخرى، كما أن هذا التذبذب قد مس أيضا الأنماط الإجرامية الأكثر انتشارا في مناطق الجزائر، حيث اتسمت بالتقارب أحيانا وبالتباعد أحيانا أخرى، غير أنه من الممكن القول أن حركة الإجرام ورغم اختلافها أحيانا كما سبق وقلنا إلا أن المدن الكبرى للجزائر قد شهدت خلال هذه الفترة حركة معتبرة من الإجرام مست كل التراب الوطني وهذا ما يدل على أن التغير الاجتماعي وما يصاحبه من عمليات اجتماعية قد مس المجتمع بكامله، فلم نعد اليوم نتكلم عن مدن ومجتمعات محافظة في الجزائر إلى أبعد الحدود. مما يعني أن الجزائر اليوم قد دخلت في مرحلة جديدة من مراحل إجرام أفرادها فمن خلال دراسة أنماط الجرائم في هذه المرحلة تبين أن كل مناطق الجزائر عرفت مختلف أنماط الجرائم رغم تفاوت هذه النسب والأرقام في كل منطقة.

إن الحديث عن التفاوتات والاختلافات المسجلة على مستوى النسب والأرقام في مناطق التراب الجزائري، يدفعنا حتما إلى الحديث عن الاختلاف الموجود أيضا بالنسبة للعوامل التي غالبا ما تكون مؤثرة وفعالة في دفع الأفراد إلى الجريمة، فالسياسة الجزائرية ومنذ السنوات الأولى للاستقلال وإلى غاية اليوم قد سجلت فشلا ذريعا من حيث التنمية الشاملة المتكافئة بالنسبة للمدن والأقاليم، فقد اتجهت الجزائر إلى تبني سياسة تنموية جهوية ركزت في أساسها على المناطق الشمالية الوسطى وبعض العواصم والمدن الكبرى الشرقية والغربية كأساس للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما أدى إلى مخاطر كثيرة ما زالت الجزائر إلى حد اليوم تعاني منها مثل المشكلة السكانية، وتغير الهيكل السكاني للجزائر وتركيبته الديموغرافية فبعدما كانت تمثل سكان الأرياف أصبحت فيما بعد الغالبية العظمى من سكان المدن وهو ما جعل المدن الكبرى تستقبل أعدادا هائلة من المهاجرين وما زالت حتى الآن ما جعل من هذه المدن تعيش في كابوس تمثل في التكدس السكاني وظهور العشوائيات السكانية التي تعتبر اليوم من أكثر المناطق تصديرا للمجرمين في

الجزائر، بالإضافة إلى عدم احترافية الدولة في عملية الترحيل وإسكان هذه العشوائيات وهو ما أدى إلى ظهور التكتلات السكانية داخل المدن الجديدة ما نتج عنه من أعداد ونسب للجريمة داخل هذه الأحياء خصوصا جرائم الأفراد التي تعد أحد أكبر أنواع الجرائم في الجزائر.

تعد العوامل الطبيعية من أهم العوامل الحاسمة في إحداث مختلف الجرائم وأنماطها إذ غالبا ما يؤثر المحيط الطبيعي في تصرفات أفرادها فيما يتركه فيهم من تربية فكرية وجسدية ونفسية تختلف حتما من منطقة إلى أخرى ولا جدال في ذلك أن بعض الاختلافات في مستويات وأحجام الجريمة من جهة وبعض أنماطها من جهة أخرى تتأثر هي الأخرى بالمحيط الطبيعي وهذا ما يجد تفسيره في الاختلاف الموجود لبعض الجرائم في الجزائر فالظروف الطبيعية الجبلية الوعرة التي تتميز بها منطقة الشرق الجزائري والذهنيات القاسية والوعرة التي يجوزونها ربما هي التي أدت إلى النسب الكبيرة والمرتفعة المسجلة بهذه المنطقة لجرائم الأفراد، كما أن الطبيعة الصحراوية الشاسعة لمنطقة الصحراء هي التي جعلت نسب جرائم الأمن العام مرتفعة بها وهو ما يجد تفسيره في الظروف الأمنية الصعبة التي تعيشها هذه المنطقة.

وتلعب الظروف الاقتصادية ليس في الجزائر فقط وإنما على المستوى العالمي أيضا دورا هاما في نسب إجرام الأفراد، فمشكلة الفقر والبطالة هما مشكلتان غالبا ما ترتبطان بالجريمة، فعلاقة الظروف الاقتصادية بالجريمة هي علاقة مباشرة ونتائجها غالبا ما تكون ظاهرة وسريعة على المجتمعات وفي الجزائر تبدو هذه العلاقة واضحة فالمستويات المرتفعة لنسب وأحجام الجريمة في السنوات التي تلي 2002 مباشرة تعد من أهم السنوات التي ازدادت بها النسب وهي تتميز بحالة اقتصادية متدنية وركود اقتصادي ميز تلك الفترة في الجزائر.

ومنذ بداية 2007 بدأت هذه النسب والأرقام بالتراجع تارة والارتفاع تارة أخرى وهي فترة تميزت بفترة ازدهار اقتصادي في الجزائر نتيجة ارتفاع أسعار المحروقات وهو مؤشر معبر عن العلاقة بين الجريمة والظروف الاقتصادية، التي تعد عوامل ترتبط ارتباطا وثيقا بالعوامل الاجتماعية التي غالبا ما تنتج أيضا وتزيد مخاطرها إذا ازدادت نسب ومعدلات الفقر والبطالة في المجتمع.

ومن خلال تحليل ما سبق يمكن إعطاء بعض النتائج فيما يخص هذه الإحصاءات في الجزائر

- 1- تشابهت أنماط جرائم الأفراد في معظم مناطق الجزائر إذ مثلت جريمة الضرب والجرح أهم نمط من الأنماط المنتشرة في الجزائر في هذا الصنف من الإجرام.
- 2- اختلفت أنماط جرائم الممتلكات في كل مناطق الجزائر، ففي المنطقة الشرقية والغربية

برز نمط جريمة السرقة بالعنف والتهديد، أما منطقة الوسط فالسرقة في الطرق العمومية، ومنطقة الجنوب برزت جريمة والنصب والاحتيال كأول جريمة منتشرة في المدن الجزائرية.

3- سجلت جرائم الأمن العمومي في الجزائر نمطين أساسيين منتشرين بكثرة في كل مناطق الجزائر وهما جريمة العطلة الغير قانونية وكذا جريمة مساعدة المجرمين.

4- سجلت الجرائم الاقتصادية في الجزائر نوعا من الاختلاف من حيث المنطقة في أنماطها الأكثر انتشارا، حيث برز أكثر نمط المخالفات الجمركية وجريمة التهريب كإحدى أكثر الجرائم انتشارا في المنطقة الشرقية، بينما برز نمط جرائم تهريب المال العام أكثر في منطقة الوسط، أما منطقة الغرب والجنوح فنمط التهريب وهو النمط الغالب في هذا النوع من الإجرام.

5- سجلت جرائم المخدرات أنماطا مختلفة حسب المنطقة، فقد عرفت كل مناطق الجزائر نمطين هما القنب والأقراص المهلوسة، أما منطقة الوسط ومنطقة الجنوب على الخصوص فقد عرفت أنماطا أخرى كالكوكاين والهروين، والخشخاش.

خلاصة:

إن الحديث عن حركة الإجرام في الجزائر يبدو معقدا أكثر مما يبدو عليه الأمر في اختصاره في جملة من الإحصاءات التي يربطها الباحث بتحليل الواقع الاجتماعي، ذلك أن هذه الإحصاءات لا تعبر كما قلنا على الواقع الحقيقي للظاهرة الإجرامية في الجزائر، فمن جهة فالدولة الجزائرية غالبا ما تخفي الحجم الحقيقي لمثل هذه الظواهر مثل ذلك جرائم الفساد والاختلاس والتي رغم ووجودها إلا أننا لم نلمس لها أثر في مجموع الجرائم الاقتصادية التي هي بين أيدينا، ومن جهة أخرى إحصاء الكثير من الأفراد عن التبليغ على عدد من الجرائم لأسباب مختلفة منها الخوف، أو خشية العار، وحتى لظروف اقتصادية أيضا، ومنها ما هو متعلق بعدم كفاءة جهاز القضاء الجزائري بمسايرة الأحجام الكثيرة المتسارعة للجريمة في الجزائر وبالتالي انتظار المواطن قد يطول.

لقد برهنت حركة الإجرام في الجزائر عن عجز مؤسسات الدولة وأجهزتها الأمنية في وضع سياسة واضحة وإستراتيجية أمنية محكمة للحد والتقليص ومحاربة الجريمة في مدنها وهذا الفشل يبدو لأكثر وضوحا في النسب المسجلة في مختلف السنوات والتذبذب الذي ميزها في هذه الفترة خير دليل على ذلك وما يؤكد هذا القول هو السياسة الجنائية المتبعة من طرف الدولة وأجهزة العدل الجزائرية التي أصبحت غير قادرة على مجابهة أفعال المجرمين عن طريق الردع وبالتالي أصبح المجرم اليوم في الجزائر يفتخر ويتغنى بعدد مرات دخوله السجن لأن فترة عقوبته لم تكن طويلة.

المراجع

- وزارة الداخلية المديرية العامة للأمن الوطني، حوصلة الجرائم المرتكبة الفترة الممتدة من سنوات 2002 2011 الجزائر سنة 2012 .
- 2- السراج، عبود. علم الإجرام و على العقاب . جامعة الكويت، سنة 1981، ص 36 .
- 3-المهيرات، بركات النمر . جغرافية الجريمة. دار مجدلاوي للنشر، عمان 2000، ص 36 .
- 4- علي، بوعناقة. الشباب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت سنة 2007، ص 38 .
- 5- حسن، إسماعيل عبيد. سوسيولوجية الجريمة. شركة ميدلايت المحدودة، لندن، سنة 1993، ص 97 .
- 6-المهيرات، بركات النمر، مرجع سابق، ص 37 .
- 7-محمد، صفوح الأخرس. نموذج لإستراتيجية الضبط الاجتماعي في الدول العربية. أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، سنة 1998، ص 114 .
- 8-محمد عاطف، غيت وآخرون. قاموس على الاجتماع. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة 2006، ص 454 .
- 9-رجاء وحيد، الدويدي. البحث العلمي. دار الفكر، دمشق، سنة 2002، ص 183 .
- 10- المرجع نفسه، ص 183 .

تشرّد المسنين في المجتمع الجزائري

أ. غيبوب حكيم

باحث دكتوراه / جامعة الجزائر 2

ملخص:

لقد شهدت السنوات الأخيرة إنتشارا واسعا لظاهرة التشرّد بين جميع فئات أفراد المجتمع سواء الرجال أو النساء، الصغار والكبار، وقد أثرت هذه الظاهرة على النسيج الإجتماعي حيث أصبحت تهدد مكانة بعض الأشخاص في العيش الكريم داخل الأسرة، وخاصة فئة المسنين الذين يحتاجون إلى رعاية وإهتمام نظرا لما تشهده هذه المرحلة من تغيرات نفسية وجسمية تجعلهم غير قادرين على خدمة أنفسهممما بالك وهم في الشارع، ويعتبر التشرّد خاصة عند المسنين إنعكاس للخلل الوظيفي الموجود في المجتمع.

Abstract :

Homelessness is one of the new phenomena in the Algerian community which has spread in the recent years, widespread among all categories of the members of society, men and women, junior and senior. Social fabric is affected by homelessness phenomenon and becomes threatening, the living of some people inside families especially the category of elderly who needs care due to what this phase sees psychological and physical changes, they make them unable to live with in addition to their inability to provide services to themselves what do you think if they are in streets.

الكلمات المفتاحية: التشرّد، المسنين، تغيرات ومشكلات المسنين.

مقدمة:

أدت التغيرات التي مرّ بها المجتمع الجزائري إلى ظهور العديد من المشكلات الإجتماعية و الظواهر الخطيرة التي أصبحت تعكر صفاء الحياة المستقرة التي يطمح إليها الإنسان ويسعى جاهدا إلى تحقيقها، ومن بين هذه الظواهر تشرّد المسنين، حيث أصبحنا نرى أشخاص في مكانة أبائنا وأمهاتنا في الشارع وهذا يعكس لنا الخلل الذي أصبحنا تعاني منه الأسرة في بنائها ووظائفها فلم تعد العلاقات داخل الأسرة بسيطة كما كانت عليه بل أصبحت أكثر تعقيدا، وأدت إلى ضعف التلاحم بين الأفراد وظهور الفردانية عند أفراد

الأسرة بسبب التخلي عن بعض القيم والمعايير خاصة داخل الأسرة النووية، وإتباع معايير جديدة تشجع على الإستقلالية كما نلاحظ في كثير من الأحيان إنسحاب بعض الأسر من القيام ببعض وظائفها خاصة فيما يتعلق بكبار السن ورحمتهم ورعايتهم فهناك من يعاملهم بسوء والبعض لا يحترمهم حتى أن بعض الأشخاص يقومون بطردهم خارج البيت، كل هذه الأسباب والعوامل تكون في غالب الأحيان سبب رئيسي في إنسحاب المسنين من الجو الأسري ولجوؤهم إلى الشارع وبالتالي التشرّد .

هذا كله يدفعنا للتساؤل : ماهي العوامل والدوافع التي أدت إلى ظهور تشرّد المسنين في مجتمعنا؟

وماهي أهم التغيرات والمشكلات التي تشهدها مرحلة الشيخوخة (المسنين)؟

أولاً: أهمية دراسة المسنين:

يمثل المسنون شريحة مهمة في المجتمع لها مكانتها ودورها ونظراً لما تتعرض له من إهمال وتفريط، هذا بالإضافة إلى مجموعة من الأسباب والدوافع التي أدت إلى زيادة الإهتمام بدراسة المسنين

على المستوى العالمي تبين أن هناك زيادة في أعداد المسنين مما يشير إلى أننا أمام شريحة عمرية ليست بالقليلة تستحق الإهتمام والرعاية في سن الستين فما فوق أي أنها ستزيد من 10% إلى 22% في الفترة 2000 إلى 2050 وتصبح عندها موازية لفئة الأطفال و للمرة الأولى في تاريخ البشرية فإن التحول الديمغرافي من حالة تتسم بارتفاع معدلات المواليد والوفيات إلى حالة تتميز بانخفاض صغار المواليد والوفيات سيؤدي إلى جعل حصة كبار السن موازنة لحصة صغار السن في مجموع عدد السكان¹

و من خلال الدراسات التي أجريت عن المسنين يمكن الوقوف على مشكلاتهم وحاجاتهم الأساسية حيث أشار (هاريس) أن السنوات القادمة سوف تشهد تغيرات كبيرة في جمهور المسنين كجماعة في حاجة إلى الإهتمام ورعاية خاصة، وأن لهذه التغيرات تأثير على إهتمامات واحتياجات المسنين.

فالشيخوخة مرحلة عمرية لها خصائصها وتغيراتها ما يستدعي من المجتمع الإهتمام بهذه الفئة وتوفير خدمات وحاجيات تسهل حياتهم وكنوع من رد الجميل على الخدمات التي قدموها للمجتمع.

حيث أعلن السكرتير العام للأمم المتحدة (كوفينان) في المؤتمر لهيئة الأمم المتحدة عن إعلان السنة الدولية لكبار السن في 10/01/1998 إن الزيادة السريعة في أعمار المسنين عبر العالم تمثل تحولا ديمغرافيا غير مسبوق تغير العالم لدرجة تجعل من الصعب التعرف

عليه كما أنه يستعد لهذه التحديات الضخمة بما في ذلك حل المشاكل التي تواجه المسنين في الأرياف بدول العالم الثالث و المخاطر التي تهدد نظم المعاشات و الرعاية الطبية.²

ثانيا: التشرد

إن تعريف كلمة تشرد يختلف باختلاف البلدان حول العالم. والأساليب التي يستخدمها الدارسون للمشكلة والأهداف التي يضعونها تؤثر في الطريقة التي يعرفون بها الكلمة. والتعريف الذي يستعملونه يؤثر هو بدوره في الإحصاءات التي ينشرونها. لذلك من الصعب، هنا إذا لم يكن من المستحيل، أن نكون فكرة دقيقة وشاملة عن المشكلة.

ويعد المتشرد كل إنسان لا يجد مأوى يأوي إليه و لعل هذا أقرب مفهوم يشير إلى التشرد و يمكننا القول بأن المتشرد هو الشخص الذي ليس له عنوان ويمكن إعتبار الشخص متشرد على أساسين هما:

* التشرد آفة إجتماعية تسري بالعدوى و تنتشر بالتقليد.

* المتشرد مسوق عاجلا أم أجيلا إلى الجريمة و المتشرد له صلة بظاهرة التسول فجميع الشرائع تعتبر المتسول متشردا³.

ويعرف أيضا عدم وجود محل إقامة معروف و لا وسائل عيش و لا مهنة، و الركون إلى الحمول رغم القدرة على العمل و الإستناد إلى التسول و الصدقات.

و التشرد هو الهروب و النفور من الخلية أي الأسرة بسبب الظلم و الاضطهاد و القسوة و العنف أو المنع و الحرمان⁴.

ثالثا: كبار السن (المسنين)

يستخدم الباحثون في مجال دراسة المسنين أحيانا مفهوم الشيخوخة وأحيانا أخرى مفهوم التقدم في العمر على أنها مترادفان و يشيران إلى نفس المعنى و كلاهما قد إستخدم بأشكال مختلفة فمفهوم التقدم في العمر هو أحد المفاهيم المراوغة إلى درجة جعلت من غير المستطاع تناوله تجريبيا و تعددت المقاييس المستخدمة في تحديد مرحلة الشيخوخة شملت العمر الزمني العمر البيولوجي العمر السيكولوجي العمر الإجتماعي.

و أعطى الدكتور "كما لأغا" تصنيف للمسنين من حيث العمر و يتمثل في أربعة مراحل وهي :

الكهل: وهو الذي يتراوح سنه من 60 الى 70 سنة و لكنه لا يزال يتمتع بالنشاط و الحيوية في مختلف المجالات الحيوية .

الشيخ: هو من كان عمره يمتد من 70 الى 80 سنة. حيث تتميز هذه المرحلة بملازمة الشخص للبيت نتيجة الضعف وعدم القدرة .

الهرم: وهو الشخص الذي بلغ 80 سنة فما فوق و غالبا ما نجده ملازما للفراش .

المعر: وهو الذي تجاوز 100 سنة فأكثر⁵

ويرى (السيدسلامة إبراهيم) أن المسن هو من بلغ عمره خمسة وستون عاما فما فوق إلا أنه يضيف فيقول أن المسن حقيقة هو الشخص الأكبر سنا من ذلك يعاني تدهورا وظيفيا يؤثر بشكل ملموس على مجمل الوظائف الحيوية و نظرا لما يعانيه من عجز فإنه عادة ما يتطلب حماية و رعاية من الآخرين.⁶

و تؤكد منظمة الصحة العالمية على أن سن 65 هو بداية لمرحلة الشيخوخة و إعتبار الشخص مسن خاصة أن هذا السن يتفق و سن التقاعد مع تشريعات غالبية الدول فيما يتعلق بقانون العمل و سن التقاعد و في سنة 1973 فصلت الجمعية العامة للأمم المتحدة في الأمر بتحديد سن 65 سنة لإعتبار الشخص مسنا و أكدت أن هذا التحديد يختلف باختلاف الأفراد⁷

و قد تناول مفهوم المسن من طرف العديد من التخصصات العلمية حيث عرفه المنظور الطبي: بأنه تلك التغيرات الفسيولوجية غير القابلة للرجوع و التي تحدث في الجسد نتيجة تقدمه في العمر تستمر بصفة تصاعدية.

المنظور النفسي: ذلك الفرد الذي لا يستطيع عند تقدمه في العمر أن يتوافق بطريقة ناجحة بإعتبار أن التوافق الذاتي هو التغيير في السلوك من أجل التوافق بنجاح مع تغيير الموقف الاجتماعي.

رابعاً: التغيرات و المشكلات المرتبطة بالمسنين:

يمر الإنسان عبر مراحل عمره بمجموعة من التغيرات الجسمية و النفسية و العقلية و الإجتماعية قد يتولد عن هذه التغيرات مجموعة من المشكلات و تعتبر مرحلة الشيخوخة من مراحل العمر التي تصاحبها تغيرات سريعة و من أهم هذه التغيرات و المشكلات لدينا:

1. التغيرات و المشكلات الصحية للمسنين

أكدت العلوم الطبيعية أن الشيخوخة من الناحية البيولوجية عبارة عن إضمحلال جسمي في البناء و الوظيفة بحيث يتقدم السن بعد إكتمال النضج و هذه التغيرات الإضمحلالية المسيرة لتقدم السن تعترى كل الأجهزة الفسيولوجية و العضوية و الحركية و العصبية⁸

و من مظاهر هذا الإضمحلال نقصان الوزن و الطول و تغير لون الشعر و ضعف إنتصاب القامة لإنحناء العمود الفقري كما يتجلد الجلد و يصبح أكثر جفافا و تظهر الأوكياس الدهنية.

و من التغيرات الفسيولوجية للمسنين في مرحلة الشيخوخة عدم القدرة على التفاعل مع التغيرات الداخلية للجسم و الخارجية مثل تأخر الشفاء من الأمراض و تأخر إستعادة التوازن الطبيعي للجسم هذا بالإضافة إلى التغيرات في الجهاز الهضمي بدءا من الفم إلى المعدة و التغيير في الجهاز البولي .

و تحدث تغيرات في القوة العضلية فتضمحل العضلات في هذه المرحلة تبعا لزيادة العمر و تقل مرونتها بسبب التغيرات الفسيولوجية و بذلك تتأثر النواحي الحركية ينعكس عنها عدم قدرة المسن على المشي و ترتعش أصابعه ما يؤثر على مهاراته في الأخير . كما يحدث تغيير حسي و عقلي مع التقدم في العمر فتضعف القدرة بالإضافة إلى تغير الصوت و وضعفه.

و تجدر الإشارة إلى أن تلك التغيرات نسبية من مسن إلى آخر تبعا لتباين الخصائص الجسمية و الحسية و النفسية و الإجتماعية و البيئة التي يعيش فيها .

و في ضوء التغيرات الصحية و الأمراض التي قد تنتج عنها و تسبب للمحيطين بهم عدة مشكلات . فالمسن بحاجة إلى رعاية صحية حقيقية سواء كانت من قبل أسرهم أو من قبل مؤسسات الرعاية الصحية الخاصة ذلك لأن الأمراض التي تصيبهم تأخذ وقتا طويلا و جهدا أكبر و إمكانيات و مهارات فنية يجب تيسيرها بأدب و صبر كما أنهم يحتاجون إلى تأهيل جسمي و نفسي للعلاج⁹

و على هذا فإن المسنين بحاجة إلى المساعدة على القيام بوظائفهم المعيشية اليومية و المساندة النفسية و الإجتماعية و توفير الموارد المادية التي تساعدهم على التغلب على الأعباء المتزايدة كما أنهم بحاجة إلى توفير المصادر الطيبة المختلفة.

و من الناحية الوقائية فهم في حاجة إلى التوجيه الخاص بطرق الإحتفاظ بصحة جيدة و إتباع الأساليب المعيشية التي تلائم تلك المرحلة العمرية مع الإحاطة بطرق الضبط و الوقاية من الأمراض و العلل المزمنة و كذلك الإحاطة بالتغيرات البيولوجية و الفسيولوجية المصاحبة للعمر⁰¹

2. التغيرات و المشكلات النفسية للمسنين:

تعتبر الحالة النفسية عند كبار السن محصلة لعدة عوامل تؤثر كل منها سلبا أو إيجابا بدرجة أو أخرى على نفسيتهم و من ثم فإن حالة المسن النفسية ليست حالة نمطية واحدة

وإنما لكل مسن حالته الخاصة به تبعاً لطبيعة تعرضه لتأثير العوامل المختلفة ودرجة تأثره بها .

و نتيجة لتلك العوامل فإنه تعترى المسن بعض التغيرات النفسية ومنها تمركزه حول الذات حيث ينسحب منها للإهتمام بالموضوعات الخارجية كما يجد المسنين صعوبات في التحكم في إنفعالاتهم و يعجزون عن ضبط مشاعرهم و عواطفهم و يميلون إلى العناد و التعصب للرأي و يثورون لأتفه الأسباب كما أنهم قد يشعرون بالإضطهاد و يميلون إلى الشكوى من تصرفات الناس السيئة معهم و الشكوى من الأمراض و يتوجهون إلى الإعجاب بالماضي و الاعتقاد أن الماضي أفضل مما هم عليه الآن ما يظهر نوع من السخرية من الأجيال الأخرى اللاحقة لجيلهم¹¹

و يتصف المسن بالإحباط و قد يقف موقف المتحكم من كل شيء و السّاحر من كل الناس حتى من نفسه كما يفتقد القدرة على تحديد الأهداف و يشعر بأنه لافائدة من الحياة ذلك لأن الفترة الباقية قصيرة و المستقبل مخوف بالمخاوف .

بالإضافة لهذه التغيرات النفسية التي تصاحب هذه المرحلة فإن المسنين يواجهون مشكلات نفسية عديدة منها الشعور بالوحدة التي تعني إحساس الفرد بوجود فجوة نفسية تباعد بينه و بين الأشخاص إلى درجة يشعر معها بإفتقاد التقبل و الحب من الآخرين بحيث يترتب عن ذلك حرمان الفرد من الإنخراط في علاقات مثمرة مع الآخرين .

و يعتبر القلق إحدى المشكلات المرتبطة بالمسنين و تعرّف بأنها حركة إنفعالية غير سارة يعاني منها عندما يشعر بالخوف أو تهديد من شيء ما دون أن يستطيع تحديده تحديدا واضحا و غالبا ما يصاحب هذه الحالة بعض التغيرات مثل ضعف القدرة على التفكير و فقدان السيطرة على ما يقوم به الفرد²¹

و بالرغم من وجود ظاهرة القلق في معظم المراحل العمرية إلا أنها تزداد مع التقدم في العمر و غالبا ما يصاحبها أعراض إكتئابية و قد ترتبط بالخوف من المناطق المفتوحة، ترك المنزل، الفشل، السقوط، الموت . وغيرها من المواقف الاجتماعية .

3 . التغيرات و المشكلات الاجتماعية للمسنين :

تتسم مرحلة كبر السن بتغيرات اجتماعية تظهر بوضوح مع التقدم في العمر و تكون ذات تأثير كبير في حالة التوافق الاجتماعي لديهم و تزداد تلك التغيرات حدّة مع زيادة التغيرات الاجتماعية و الإقتصادية و الثقافية التي يشهدها المجتمع في الآونة الأخيرة و التي إنعكست سلبا على جميع فئات المجتمع حيث تغير نمط الأسرة من الممتدة إلى النووية

و سيطرة الإتجاه المادي على العلاقات و التخلي على بعض العادات و التقاليد الإجتماعية و ضعف نسق القيم .

وحتى المسنون لم يسلموا من آثار تلك التغيراتفبعد أن كانت إلى عهد قريب توجد علاقات وروابط أسرية قوية بين الآباء و الأبناء و إحترام كبار السن من الصغار و الكبار و الشباب في المحيط الأسري فقد تغيرالحال و أصبح كل واحد منهم مستقل بنفسه و شؤونه الخاصة، و مما يزيد الأمر صعوبة هو زيادة الفجوة الثقافية بين الأبناء و الآباء كبار السن و التي تؤثر بدورها على نمط العلاقات الأسرية.مما يساهم في زيادة الشعور لدى المسنين بالإنسحابالإجتماعي و الشعور بعدم الفائدة من وجودهم³¹

كما يعد إفتقاد المسن لعلاقات الصداقة أحد التغيرات الإجتماعية التي تؤثر سلبا على الحياة الإجتماعية للمسن.ويحدث ذلك نتيجة لعوامل العقد المختلفة مثل التقاعد أو الموت مع صعوبة تكوين علاقات صداقة جديدة نظرا للتدهور التدريجي للحالة الصحية للمسن و التقاعد من التغيرات الهامة التي تواجه المسن و تسبب له بعض المشكلات مثل فقدان العضوية و المكانة في المجتمع بالإضافة إلى الملل و الضجر وبالرغم من تقبل الكثيرين لمسألة التقاعد إلا أنه من النادر أن ينظر أي منهم إليها على أنها شيء ممتع و مرغوب فيه.و تعتبر العزلة الإجتماعية من المشكلات الهامة التي تواجه المسنين عند تقدمهم في العمر فتنحصر دائرة التفاعل الإجتماعي و تقل المشاركة في الأنشطة الإجتماعية نتيجة التقاعد و انفصال الأبناء و الأصدقاء و موت أحد الزوجين و صعوبة نقل المسنين و تحركهم في ظل الإيقاع السريع للحياة المعاصرة مما يجعلهم يتأثرون بالوحدة و كذا التحرك في نطاق ضيق و يجعلهم أكثر ميلا للعزلة.⁴¹

ويشير MORTIMER إلى أن الكثير من المسنين يعانون من الشعور بالوحدة و العزلة بعد بلوغ سن المعاش نتيجة لفقدان الكثير من أدوارهم الإجتماعية و فقدان المكانة الإجتماعية و أن بعضهم يتمنى الموت أحيانا لأنه يشعر بأنه لا أهمية لحياته. كما يعتبر وقت الفراغ من المشكلات الهامة التي تواجه المسنين خاصة عند عدم إشباعهم و الذي يعود إلى إعتبرات متعددة منها ما يرجع إلى الخبرات المعيشية للمسن أو إلى التغيرات في البيئة و من بين هذه التغيرات القدرة على الرعاية الذاتية و الحركية و الدخل و توافر الإمكانيات و لذا فإن ما يرغب المسن في عمله في وقت الفراغ مقيّد بإمكاناته و كذلك ببعض البرامج الإستشارية و التعليمية قبل الوصول إلى سن الشيخوخة.⁵¹

في ضوء هذه التغيرات و المشكلات الإجتماعية التي تواجه المسنين فإن هناك متطلبات ينبغي العمل على توفيرها لمساعدتهم على التوافق مع هذه التغيرات من أجل مواجهة المشكلات الإجتماعية المرتبط بها و من هذه المتطلبات تحسين نظرة المجتمع للمسنين

وخاصة في التعامل معهم بالإضافة إلى تدعيم العلاقات الإجتماعية بين المسنين و تحسين الروابط الأسرية و إستشارة المسن في أبسط المسائل حتى يشعر بمكانته و دوره الإجتماعي.

4. التغيرات و المشكلات المادية للمسنين:

تعد التغيرات المادية المرتبطة بكبار السن من أهم و أصعب التغيرات التي تواجه المسن خاصة في ظل الإحتياجات المتزايدة التي تتطلبها هذه المرحلة و التي يعتبر إشباعها أمر ضروري من أجل توافق المسن.

عادة ما يقل دخل المسن مع تقدمه في العمر خاصة بعد التقاعد سواء كان إختياريا أو إجباريا فيفقد المتقاعد جزء ليس بقليل من دخله كما تتزايد الأعباء المالية و تندهور الحالة الصحية و إنخفاض القدرة على الكسب و من ثم يعجز المسن عن مواجهة النفقات الخاصة في ظل عدم توافر مصادر مادية متنوعة.

و تتمثل المصادر المادية للمسنين في المعاش و الضمان الإجتماعي و مساعدات الأبناء و الأقارب . هذا بالإضافة إلى الممتلكات إن وجدت و يزيد الدخل بالنسبة للمسنين الذين مازالوا في العمل خاصة إن كانوا يتمتعون بصحة جيدة و لكنهم قلة، بينما يعتمد معظم المسنين على المعاش كمصدر أساسي للدخل و مساعدات الضمان الإجتماعي.

و ينفق المسنون الجزء الأكبر من دخلهم على الغذاء و المأوى و الرعاية الصحية حيث يزداد تردد المسنين على الأطباء و تتكرر شكواهم المرضية و تزداد نفقاتهم العلاجية و في ظل كل هذا نلاحظ أن قيمة المعاش ثابتة لفترة طويلة و تكلفة المعيشة في إرتفاع مستمر فتتخفف القدرة الشرائية و يقابله عدم القدرة على تعويض التناقض النسبي للدخل⁶¹

كل هذه يخلف نوع من الشعور بعدم الأمان الاقتصادي في مواجهة التحديات المستقبلية مما يؤثر على المسن فيصبح كثير القلق و يجبره على تخفيض نفقاته إلى أقصى حد ممكن و يجرم نفسه من بعض الحاجيات التي إعتاد عليها في الماضي و هذا ما يتعارض مع حالته التي تتطلب نفقات أكثر من أي مرحلة خاصة في الجانب الصحي.

خامسا: أسباب و دوافع التشرذ:

هناك مجموعة من الأسباب و العوامل التي وراء ظهور التشرذ نذكر منها:

-الطلاق: يبدو الطلاق للمتفحص أولى أسباب التشرذ لكنه من أبرزها لأنه أوسع إنتشارا و أكثر وقوعا بسبب تكاثر المشاكل، و تعقد العيش، و ضعف التدين و رقة التماسك بالخلق الكريم و الفضيلة، و شبيه بطلاق المخالعة، و هي إفتراق الزوجين عن تراض بينهما و إتفاق و كذلك الهجر و الفراق، و هو أن يعمد أحد الزوجين إلى ترك بيت الزوجية و تقع جل المصيبة أو الكارثة علي الأولاد، لأنهم إما أن يبقوا عند أمهم محرومين من أيهم و إما

عند أبيهم حينما يتزوج بأخرى و غالبا ما تسترد الأم أولادها نتيجة الطلاق كما يرى كثيرا في الشوارع، وقد يتشرد بعض الأولاد أو كلهم إذا اتبعت الأم هواها⁷ و عموما فإن الزوجة تكون هي الأكثر تضررا من الطلاق، ذلك أن المرأة في المجتمع الجزائري قليلا ما تعيد الزواج خاصة إذا كان لها أولاد، و هذا ما يدفعهم في بعض الأحيان إلى اللجوء للشارع بسبب إنعدام مسكن يأويهم، أو بسبب إنقطاع العلاقة مع الأهل (الزوجة).

-ضعف المستوى المعيشي: للدخل الأسري تأثير كبير على الأفراد، و ذلك لأن الأسر التي يكون دخلها محدود تكون مطالبها كثيرة نتيجة عدم قدرة هذا الأخير (الدخل) على تلبية هذه المطالب، حيث أنها تزداد و تتضاعف كلما كبر الأبناء. و هذا ما يدفع بالآباء إلى بذل جهد مضاعف لتلبية رغبات أبنائهم و البعض الآخر يدفعهم الضغط و عدم القدرة على تليتها إلى التهرب من مسؤولياتهم و الهروب من البيت أو ما يعرف بالتشرد أو التسول. فالقصور المادي للأسرة يخلق نوع من اليأس لدى أفرادها و القنوط من الوضعية المعاشة يولد لديهم نوع من الضغط الذي يؤدي إلی الإحتكاك السلبي بين الأفراد "فالمشكل الإقتصادي للأسرة يرتبط بالإخفاق و العجز في مواجهة ظروف الحياة و المسؤولية و الإحساس باليأس الذي يشكل للأفراد (الأولياء) عامل يدفعهم للهروب من الواقع و المسؤولية⁸

كما أن المستوى المعيشي الضعيف للأسرة لا يتناسب في بعض الأحيان مع متطلبات كبار السن الذي يستدعي رعاية خاصة. ما يشكل عبئا ثقيلا و عالة على الآخرين . و ينظر إليه على أنه شخص تقتضي به الأيام إلى الموت و نظرا لفقدان المسنين مكانتهم و ضعف دخلهم المادي نتيجة هروب الأبناء من مسؤولياتهم إتجاههم و توقف حالتهم الصحية على الحاجة الملحة للرعاية الطبية و حتى لا يكونوا عبئا على أفراد أسرهم المنصرفين لخدمة غيرهم و الحل الوحيد المتبقي هو اللجوء إلى الشارع.

-ضعف الروابط الأسرية: فالأسرة هي مجموعة من الروابط و العلاقات بين أفرادها و إستمرار هذه الأخيرة يتعلق بدوام هذه العلاقات و الروابط . و زوال هذه العلاقات يؤدي إلى التفكك.

و المقصود بالعلاقات هي العلاقات الإجتماعية التي تمس الحياة الأسرية بصفة أو بأخرى فكلما كانت قوية و دعمت هذه العلاقات كانت هناك أسر قوية و متماسكة ينتشر فيها الحب و الوفاء و يعم فيها الخير أما إذا ضعفت تلك العلاقات فيترتب عليها أسر ضعيفة ينتشر فيها البغض و الكراهية، ما يعني

بالضرورة ظهور بعض المشكلات الأسرية التي تهدد كيان الأسرة و يشير تفكك الأسرة إلى إهيار الوحدة الأسرية و إختلال بناء الأدوار الإجتماعية المرتبطة بها، عندما يفشل عضو أو أكثر في القيام بدوره

فالأسرة التي تعيش في صراع دائم توصف بأنها في حالة حرب دائمة يستوجب إنهائها⁹¹
سادسا: التشرد في التشريع الجزائريو سياسة رعاية المسنين:

عرّف المشرع الجزائري التشرد في المادة 196 من قانون العقوبات على أنه يعتبر متشرد و يعاقب بالحبس من شهر إلى 6 أشهر كل من ليس له محل إقامة ثابت ولا وسائل عيش و لا يمارس عادة أو حرفة أو مهنة رغم قدرته على العمل و يكون قد عجز عن إثبات أنه قدم طلبا للعمل أو يكون قد رفض عملا بأجر عرض عليه، و المشرع الجزائري لم يفرق بين تشرد الأحداث و تشرد كبار السن في الأحكام الخاص بهم كما هو الشأن في التشريعات العالمية فهي تفرق بين تشرد الأحداث و تشرد الكبار.

حيث أن المشرع الجزائري إتجه إلى تجريم التشرد فقط لأن فاعله إتخذ من العيش في الشارع و الإمتناع عن الكسب سبيلا لحياته و لم يترتب على فعله أي إساءة أو ضرر.

ومن أجل اعتبار شخص متشرد وفقا للمادة 196 من قانون العقوبات يجب أن لا يكون له محل إقامة معروف (سكن لائق) و إفتقاره لوسائل العيش بسبب إمتناعه عن ممارسة أي مهنة أو حرفة رغم قدرته أو رفض عمل عرض عليه مقابل أجر.

و بعد ذلك تراجع القانون عن نعت الأطفال المشردين بالمتشرد المجرم و الذي كان مقرر في المادة 196 مكرر بخصوص الأحداث المتشردين فيما يخص المخالفات المنصوصة عليها في المادتين 195 - 196 و لا تتخذ ضد الأحداث الذين لم يبلغوا سن الثامنة عشر إلا تدابير الحماية و التهذيب.⁹²

في إطار التكفل بالمسنين قامت السلطات بسن قوانين لحماية حقوق الأشخاص المسنين، حيث تطرّق الدستور الجزائري لحقوقهم من خلال نصوص المواد: 56-58-65 مشيرا فيها إلى أن الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع و أن الشخص المسن محمي من طرف الدولة، و لقد وضع قانون العقوبات نصوص عقابية لكل التجاوزات التي قد يتعرّض لها المسنون خاصة في المادة 276 منه، كما أعطى قانون الصحة عدة إمتيازات للأشخاص المسنين كما تنص عليه المادة 92 و المادة 94 من قانون الصحة حيث أكد على حفظ كرامتهم، و قانون الأسرة ينص على وجوب إنفاق الفروع على الأصول في المادة 77 منه.¹²

و حسب قانون حماية الأشخاص المسنين رقم 12-10 المؤرخ في 23 محرم عام 1423 الموافق ل: 29 ديسمبر 2010 الحق في العيش بصفة طبيعية محاطا بأفراد أسرته كما تتولى

المؤسسات المتخصصة للأشخاص المسنين مهام التكفل المؤسساتي بهم ولا سيما منهم أولئك المحرومين أو دون روابط أسرية أي المتشردين.²²

كما قامت الدولة الجزائرية بإنشاء العديد من دور العجز لإستقبال العدد الهائل للمتشردين الذين بلغو مرحلة متقدمة من العمر والأشخاص الذين تخلى عنهم ذويهم

سابعاً: أصناف المتشردون:

1. المتشردون جزئياً: وهم الأشخاص الذين يقضون كل نهارهم في الشارع، إما متسولين أو ممارسين لأعمال هامشية أو ماسحي الأحذية، هذه الفئة تضم الأطفال الذين يقضون فترة قد تطول أو تقصر بالشارع، ثم يعودون لأسرهم لممارسة هذا الفعل من أجل الحصول على مدخول يساعدها في توفير إحتياجاتها الأساسية و يمكن القول أن هذه الفئة من المتشردين يربطها نوع من العلاقة بأسرها .

2. المتشردون كلياً: الذين يمثلون الفئة الثانية من تصنيف المتشردين و هذه الفئة تقضي ليلاً و نهارها في الشارع. و قد انقطعت صلتها بأسرها لفترات طويلة قد تمتد لأعوام عديدة، و بعضها يمارس التسول و السرقة و لا مكان مستقر لهم، يبيتون في الطرقات و تضم هذه الفئة الأطفال فاقدى أو مجهولي الأبوين حتى بعض النساء المطلقات و بعض الأشخاص المسنين.³²

3. المتشردون داخليا (النازحون): هم الأشخاص الذين دفعتهم بعض الظروف إلى ترك مناطقهم الأصلية و النزوح إلى مناطق أخرى، و لكن في حدود الوطن و في نظرهم هذه المناطق توفر لهم الأمان

و ظروف حسنة عن سابقتها، و يعرف المتشردون داخليا من خلال المبادئ التوجيهية بشأن التشرد الداخلي المقدمة من ممثل الأمين العام المعني بالمتشردين بأنهم «الأشخاص أو مجموعات الأشخاص اللذين أكرهوا على الفرار أو ترك منازلهم أو أماكن إقامتهم المعتادة أو اضطروا إلى ذلك و لا سيما نتيجة أو سعياً لتفادي أثار النزاع المسلح و حالات العنف المعمم أو إنتهاك حقوق الإنسان أو الكوارث الطبيعية التي هي من صنع الإنسان، و الذين لم يعبروا حداً دولياً معترف به من حدود الدولة، نفهم من هذا كله أن المتشردين الداخليين هم الذين اضطرتهم الظروف كالكوارث الطبيعية أو الحروب إلى ترك مناطق سكنهم و هذا بشرط أن يكون داخل حدود البلد.

4. المتشردين خارجياً (اللاجئين): اللاجئ هو الشخص الذي يهرب من بلد إلى بلد آخر خوفاً على حياته أو خوفاً من السجن أو التعذيب و الإضطهاد أو الحروب و الكوارث الطبيعية.

و تعرفه المادة الأولى في الإتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين، من طرف هيئة الأمم المتحدة «اللاجئ هو كل شخص يوجد خارج بلد جنسيته أو بلد إقامته بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للإضطهاد بسبب العنصرية أو الدين أو القومية أو الإنتهاء إلى طائفة إجتماعية معينة أو إلى رأي سياسي، ولا يستطيع بسبب ذلك الخوف أن يستظل لحماية أو العودة إليه خشية التعرض إلى الإضطهاد،⁴² وخير دليل مانراه في وقتنا الحالي اللاجئين السوريين والوضع المزري الذي أصبحوا يعيشونه سواء في بلدهم أو في الدول المجاورة.⁵²

تاسعا: كبار السن في الأسرة الجزائرية (المكانة والدور):

1 . الأسرة التقليدية (المتدة): كان لكبار السن في الأسرة الجزائرية التقليدية مكانة و دور هام و بارز ذلك أنه كان يحظى بالتقدير و الإحترام خاصة أن غالبية الأسر الممتدة تضم عدة عائلات زواجية و تربط بين أفرادها علاقات إجتماعية مبنية على التكافل و التعاون فالمجتمع التقليدي كان يحترم المسن نظرا لما يتميز به من الحكمة و حسن التدبير مثل الفصل في أمور الزواج الختان بالإضافة إلى حل المشاكل الأسرية الأخرى و هذا يعود للخبرة المكتسبة في الحياة .

و يمكن القول بأن الأسرة التقليدية عبارة عن أسرة أبوية تنتسب من حيث الأب فهي سلسلة في بنيتها و معاييرها و تعطي الأولوية لمكانة الأب و مكانة الشيخ⁶² ولقد كان للعائلة التقليدية نظام صارم يفرض نوعا من الالتزامات حيث أنه يصبح كل فرد يعمل من أجل الجماعة خاصة أن الدخل التقليدي للأسرة التقليدية كان يعتمد على الزراعة، و كان يتم تقسيم العمل على أساس السن و على هذا الأساس كان المسنون يلقون بالإهتمام من أفراد الأسرة.

فدور المسن في العائلة التقليدية دور مهم حيث كان ينظم العلاقة بين الأفراد فكان بمثابة القاضي في حل النزاعات بين الأفراد و كان هو من يتولى تزويج أبنائه و أحفاده، كما أنه يعتبر عنصر فعّال في تربية النشء ذلك أنه بمثابة القدوة في التفكير و السلوك و العمل فالمسن في العائلة التقليدية يوزع الأعمال و يدير الأموال و يتصرف في الأشخاص و يختار لهم الأزواج، و الطفل يربى على الطاعة و الخضوع الكامل حتى الشباب إلى حد التسليم المطلق⁷²

في الأخير نستطيع القول بأن المسن كان يحضى بمكانة كبيرة في الأسرة التقليدية و تظهر هذه المكانة من خلال الدور الذي كان يقوم به في تسيير شؤون الأسرة و حتى في غرس القيم في نفوس الصغار و تفعيلها في نفوس الكبار ما يعني أن المسن كان له دخل في كل كبيرة و صغيرة .

2. الأسرة الحديثة (النوعية): لقد أثرت التغيرات التي عرفتھا الجزائر في السنوات الأخيرة على الأسرة الجزائرية و على وظيفتها و مهمتها، ممَّا جعلها تفقد الكثير من خصائصها وأسباب قوتها و تماسكها، و من نتائج هذه التغيرات ظهور الأسرة النووية التي تتميز بقلّة حجمها على عكس الأسرة التقليدية .

فقد تراجع المكانة التي كان يحظى بها المسن و هذا نتيجة التغيرات التي طرأت على شكل الأسرة فبعد ان كانت تضم الآباء و الأبناء و الجدات و الأجداد و أحيانا العمّات، لكن ما نلاحظه الآن العكس فقد أصبحت لا تضم سوى الزوجين و أبنائهم رغم محاولة أفرادها الحفاظ على طابعها التقليدي و المتسم بالروابط القرابية.

كل هذه التغيرات أدت إلى حدوث شبه إستقلال في العلاقات الإجتماعية حيث تحوّل الأب الأكبر في المجتمع من وضع المسيطر في العائلة إلى وضع يتميز بعدالة و تساوي أكبر مع أبنائه و من رئيس تسلطي إلى رئيس ديمقراطي مدفوع في نفس الوقت من الأحداث الاجتماعية كما تأثر بالوضع الذي بلغه أبنائه و الذين أصبحوا مواطنين و ليسوا أبناء عائلة نبيلة ذات حسب يسيرها الأب⁸²

و مما سبق ذكره نستطيع القول بأن الأسرة النووية هي أسرة مستقلة تتميز بقلّة أفرادها و انحصار دورها و مكانتها الاجتماعية حتى و إن وجد في بعض الأسر النووية فإنه سوف يعاني من التهميش و اللامبالاة خاصة في الوقت الحالي .

ثامنا: إنعكاسات و آثار ظاهرة التشرد

لكل ظاهرة آثار و مخلفات سواء على الافراد بصفة خاصة أو على المجتمع بصفة عامة من بينها نذكر:

-التسول وهو الإستعطاء أو طلب الصدقة الذي يقوم به المتسول سواء لنفسه متجولا أو جالسا في مكان عام متدريا في ذلك بعرض جروحه أو عاهات أو أكثر، أو وسيلة أخرى و المتسول هو الذي يجمع المال من غير تعب أو بذل جهد و هذا مدعاة إلى إسترخاء البطن كما أن فعل التسول نفسه فيه غواية المتسول و التضليل فهو يمّني المتسول بأنه سيصبح غني بهذا الفعل و أنه عمل جائز شرعا.⁹²

-السلوك العدواني: هو سلوك إنحرافي يصدر من المتشرد كردة فعل على الوضع الذي هو فيه و يكون هذا العدوان موجّه ضد النفس و في الغالب يكون موجه ضد الغير .

و السلوك العدواني يعمل عكس القوانين السلوكية المقبولة إجتماعيا فهو سلوك غير سوي يظهر على شكل المضايقة و حب الجدل⁹³

و يجمع معظم المفكرين (جوندولار-ميلر) على أن السلوك العدواني يظهر نتيجة الإحباط الذي يتعرض له الفرد و الإحباط هو عبارة عن إستارة إنفعالية غير سارة تمثل وصفا مزعجا للفرد.

كما أن هذه الإستارة يمكن أن تستدعي من الفرد عدة إستجابات من بينها العدوان و اعتمادا على نوع الإستجابات التي تعلمها الفرد في تعامله مع مواقف القسوة و الضغط المشابه للوضع الراهن و هذه الإستجابات يمكن أن تكون عبارة عن طلب المساعدة أو حل مشكلة أو اللجوء إلى المخدرات و الكحول أو العدوان.

و يقول الدكتور (حلمي الميحي) أن الفرد عندما يواجه إحباطا يقف حائلا أمام إشباع حاجاته فإن ذلك يؤدي إلى التوتر و قد ينجم عنه إزداد التوتر و ذلك بإختلافاً لشخاص و الظروف المحيطة فيتخذ الفرد أسلوب الإعتداء و التنحي و قد يصاب الشخص بالخوف الشديد.¹³

-تعاطي و إدمان المخدرات : تعاطي المخدرات ظاهرة إجتماعية مرضية تدفع إليها عوامل عديدة بعضها يتعلق بالفرد و الأخرى بالأسرة و الثالث بالظروف الإجتماعية و المخدرات هي كل مادة يترتب عن تناولها إنهاك في الجسم و التأثير على العقل و أشهر أنواعها الحشيش، الأفيون، المورفين، الكوكايين، الهيروين.²³

فالمشرد المسن و بحكم تواجده في الشارع فإنه يكون أكثر عرضة لهذه الآفة سواء بإرادته أو بغير إرادته في محاولة منه للهروب من الواقع الذي هو فيه، و رغم علم بعضهم بخطورتها و تأثيراتها السلبية عليهم فنجد بعضهم يتعاطاها و بعضهم مدمن عليها.

خاتمة :

في الأخير نقول بأنه يجب تضافر الجهود من أجل القضاء على ظاهرة التشرد و بخاصة عند المسنين فجهود الدولة و حدها في التكفل بهم لا تكفي في ظل الإنتشار الكبير للظاهرة، بل يجب إشراك الأسرة و مؤسسات المجتمع المدني، كما أنه يجب إتخاذ إجراءات صارمة في حق الأشخاص الذين يقومون بالتخلي عن مسنينهم و يجب زيادة التوعية الإجتماعية و الدينية عند أفراد المجتمع بضرورة التكفل بكبار السن و رعايتهم و ذلك من خلال توفير الإحتياجات الأساسية، و عدم حرمانهم من الجو الأسري خاصة في هذه المرحلة و بعد ما قدموه للمجتمع من خدمات و تجارب في شتى المجالات.

قائمة المراجع

- 1 - سبخاوي خديجة، التغيير الاجتماعي و آثاره علي تشرد المسنين، دراسة ميدانية في شوارع الجزائر الوسطي، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، الجزائر 2007 / 2008، ص 230
- 2 - محمد سيد فهمي، نورهان منير، حسن فهمي، الرعاية الاجتماعية للمسنين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 47.
- 3 - سبخاوي خديجة، مرجع سابق، ص 230.
- 4 - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص 382.
- 5 - آغا كمال معطي، مشكلات التقدم في السن، دراسات إجتماعية نفسية، دار العلم، الكويت 1984، ص 100.
- 6 - سيد سلامة ابراهيم، رعاية المسنين، ج 2، المكتب العلمي، الاسكندرية، 1997، ص 07.
- 7 - محمد أحمد نجيب و آخرون، المسنون في مصر ديمغرافيا و اجتماعيا و اقتصاديا، المركز الديمغرافي، القاهرة، 2003، ص 05.
- 8 - مصطفى بوتفونشت، مرجع سابق، ص 34.
- 9 - نفس المرجع، ص 37.
- 10- فاطمة بنت مبارك، رعاية المسنين في الإسلام، منظمة المؤتمر العالمي، ابو ظبي، 1986، ص 194.
- 11 - مصطفى محمد أحمد الفقي، رعاية المسنين بين العلوم الوضعية و التصور الاسلامي، مرجع سابق.
- 12 - عند المنعم الميلادي، الأبعاد النفسية للمسن، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2002، ص 41.
- 13 - مصطفى محمد احمد الفقي، مرجع سابق، ص 61.
- 14 - نفس المرجع السابق، ص 65.
- 15 - فاطمة بنت مبارك. مرجع سابق، ص 174.
- 16 - رشاد أحمد عبد اللطيف، الرعاية الاجتماعية المتكاملة للمسنين، مركز نور الإيمان للطباعة، القاهرة، 1999، ص 162.
- 17 - عمر الشعبي، سبع ظواهر تفتك بالمجتمع، دمشق، 2011، ص 46.
- 18 - خيرى خليل الجميل، الإتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة و الطفولة، إسكندرية، 1993، ص 29.

19 - ذهبية أو موسى ،أسباب تواجد المسنين في مراكز العجزة،مجلة أفاق لعلم الاجتماع،ص20.

20 - رئاسة الجمهورية،الأمانة العامة للحكومة ،قانون العقوبات الجزائري،صدر في 22 أبريل 1971 تعديلات 2015 ،ص81 .

21 - leilaASLAOUI ,QULE STATUT JURIDIQUE POUR LES PERSONNES AGEES,ACTES DU3,EMME SEMINAIRES INTERTIONAL SUR PERSONNES AGEES,SES DROITS ET SA

22 - وزارة التضامن الاجتماعي،حقوق الأشخاص المسنين في الجزائر.

23 - يوسف أحمد قارة،إدارة الأزمات ،إثراء للنشر و التوزيع ،الأردن، 2009 ،ص100 .

24 - الجمعية العامة للأمم المتحدة،الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين ، 1951 ،ص11 .

25 - نفس المرجع السابق، ص 13 .

26 - عبد الفتاح التركي موسي ،البناء الاجتماعي للأسرة ،المكتب العلمي للنشر و التوزيع الاسكندرية 1998 ،ص28 .

27 - Lucette Jarosy .vieillesse et vieillissement en Algérie , office de publication univerte. 1989.p4.

28 - مصطفى بوتفنوشت ،العائلة الجزائرية (الخصائص و التطور) ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1984 ،ص245 .

29 - محمد بن بكر الرازي ،مختار الصحاح ،ج1،بيروت ،مكتبة لبنان، 1990 ،ص119 .

30 - عصام عبد اللطيف العقاد ،سيكولوجية العدوان و ترويضها ،دار غريب للطباعة و النشر ،القاهرة، 2001 ،ص98 .

31 - حلمي المليجي ،علم النفس المعاصر ،دار النهضة العربية ،بيروت ،ب س،ص19 .

32 - رشاد أحمد عبد اللطيف ،الأثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات،المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب،الرياض،1992،ص45 .

مشكلة حوادث المرور بالجزائر خلال الفترة 2005 - 2014 من أسبابها إلى آثارها الاجتماعية والاقتصادية

أ. بن بية أحمد

جامعة باتنة 10

الملخص :

إن الارتفاع المفرط لعدد حوادث المرور والنتائج السلبية المترتبة عنها سواء قتلى أو مصابين، أو ما تخلفه من نتائج نفسية واجتماعية واقتصادية خاصة في الآونة الأخيرة، جعل الكثير من الباحثين يهتمون بهذا الموضوع. لذا سنحاول في هذه الدراسة التعرف على حجم حوادث المرور بالجزائر في الفترة بين 2005 إلى 2014، وإبراز أهم العوامل المسببة لها.

Abstract:

Road traffic accidents are recently considered as a global tragedy with its excessive increase. It is dramatically causing enormous human and material losses to many people and resulting of them many psychological, social and economic damages. Thus, we, as researchers, are interested to know more about the size of traffic accidents in Algeria between 2005 and 2014, and to highlight on the most important factors that contribute to road accidents.

مقدمة :

تمثل حوادث المرور معضلة عصرية تنتج عن مخالفات يرتكبها فرد ويتأذى بها فرد أو أفراد آخرون، حيث تقضي على أرواح الكثيرين وينتج عنها الكثير من الإصابات والعاهات، وتتسبب في تلفيات هائلة للممتلكات العامة والخاصة، ولا يعد مبالغا فيه إذا قلنا بأن ضحايا حوادث الطرق تفوق ضحايا الحروب والعمليات الإرهابية وهي في الدول العربية تنافس الأمراض والأوبئة كمسببات للوفيات، وترتبط الآثار السلبية لحوادث المرور في أذهان الكثيرين بالخسائر المادية والآلام والإعاقات الجسدية وكذا الآثار النفسية.

تشير بعض الإحصائيات إلى أن ما يربو على 300 ألف طفل يتعرضون لإصابات ناجمة عن حوادث الطرق في الولايات المتحدة وحدها، كما يتلقى بها ما يربو عن مليوني شخص سنويا رعاية في أقسام الطوارئ في المستشفيات نتيجة لحوادث السيارات. وما ينبغي تذكره في هذا الصدد أن ضحايا الحوادث المرورية في دول العالم النامي أكثر بكثير مما في نظيراتها

من الدول المتقدمة كما تشير إلى ذلك نشرة منظمة الصحة العالمية⁽¹⁾. وحوادث المرور في الدول النامية تزيد بمقدار عشرين إلى ثلاثين مرة عنها في الدول المتطورة⁽²⁾. كما تشير إحصائيات البنك الدولي سنة 2009 إلى أن الدول الأكثر معاناة من حوادث المرور كانت كمايلي: إثيوبيا، تنزانيا، ليسوتو، كينيا، كولومبيا، الكاميرون، بنجلادش، سوريا، البيرو، كازخستان. وأما من حيث عدد الإصابات لكل مائة ألف نسمة فكان الترتيب كالتالي: ماليزيا، كوريا، لايفيا، السعودية، كولومبيا، نيوزيلندا، الأرجنتين، كازاخستان، ليسوتو، الولايات المتحدة الأمريكية.

كما يذكر الباحث النرويجي Gabrielson إلى أن حوادث السيارات عبر العالم تؤدي إلى وفاة مليون ومائتي ألف نسمة كل سنة تقريباً، وإصابة خمسين مليوناً إصابات جسدية، وأن 86% منها تحصل في الدول النامية، وأن حركة المرور في الدول النامية أصبحت عبارة عن كارثة ومن المتوقع أن يتضاعف هذا الرقم بحلول سنة 2030، بالنظر لكون الزيادة المفرطة في عدد المركبات عبر العالم سوف تحصل في الأساس في الدول النامية. والمشكلة تكمن في أن زيادة عدد المركبات في الدول النامية لا يصاحبها تطوراً أو مواكبة في البناء القاعدي، مما يخلق ضغطاً كبيراً على الطرقات والشوارع في النسيج الحضري لهذه الدول. وخبراء منظمة الصحة العالمية يتوقعوا بأن الإصابات الناجمة عن حوادث المرور سوف تزداد وتؤدي إلى وفاة ما لا يقل عن مليونين و 400 ألف نسمة بحلول عام 2030 والغالبية العظمى منهم سوف يكون في الدول النامية، والدليل على ذلك هو أن نفس منظمة الصحة العالمية تتوقع انخفاضاً في عدد ضحايا الحوادث المرورية في الدول الصناعية المتطورة بنسبة تصل إلى 28% بحلول سنة 2030 وارتفاعها بمعدل 44% في دول أمريكا اللاتينية وبنسبة 80% في دول إفريقيا⁽³⁾.

ولجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوروبا تذكر أن مشكلة الحوادث المرورية على الطرق من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الصحية العامة والمرتبطة بالتنمية، حيث تحصد حوادث الطرق حياة أكثر من 1.3 مليون شخص، كما يصاب ما لا يقل عن 50 مليون بجروح من جراء تلك الحوادث على الطرق كل عام. وتحمل الدول النامية والدول ذات الاقتصاديات التي تمر بمرحلة انتقالية الجزء الأكبر من هذا العبء حيث تمثل الحوادث المرورية على الطرق أحد قضايا التنمية التي تؤثر تأثيراً غير مناسب على الفقراء في الدول المنخفضة الدخل والمتوسطة الدخل، فعلى سبيل المثال عندما يلقي عائل أسرة حتفه أو يصاب بالعجز في حادث مروري فإن الأسرة كلها يلم بها الفقر، وتستنزف الحوادث المرورية عادة من 1 إلى 3 في المائة من إجمالي الناتج المحلي لأي دولة⁽⁴⁾.

مشكلة البحث :

موضوع حوادث المرور نال اهتماماً عالمياً متنامياً لما تسببه هذه الحوادث من استنزاف الموارد البشرية والمادية للدول، لدرجة أنه يمكن اعتبارها من الأوبئة الفتاكة حسب تصنيف منظمة الصحة العالمية، وقد كانت هذه الظاهرة إلى وقت قريب مشكلة مستفحلة في الدول الصناعية، إلا أنها انتشرت في معظم دول العالم نسبة للتطور الاقتصادي والاجتماعي الذي حدث في تلك الدول بدرجات مختلفة، مما أوجد حاجات متفاوتة، ولكنها أساسية لخدمات النقل⁽⁵⁾.

وبهذا فحوادث المرور ظاهرة موجودة في كل المجتمعات سواء تلك المصنفة ضمن دول العالم الأول من حيث تقدمها التقني والصناعي أو تلك المجتمعات المتخلفة صناعياً وتكنولوجياً، إلا أن هناك بطبيعة الحال اختلافاً في الكم والكيف لتلك الحوادث بين تلك المجتمعات، ويرجع ذلك التباين والاختلاف في نوع وعدد حوادث المرور في أغلب الأحيان إلى الثقافة المرورية المرتبطة بالإنسان السائق نفسه على الرغم من وجود أسباب كثيرة ومتداخلة تؤدي إلى الحادث . ولا شك أن نوع الطرق واختلافها والخلل في تصميمها، أو ما يحيط بها من صخور وأشجار سبب من أسباب وقوع الحوادث. كما أن المركبة تعتبر العامل الوسيط في سلسلة العوامل المسببة للحوادث ولا يمكن الفصل بين السيارة وبين شخصية قائدها، فسلامة المركبة وصلاحيتها وتوفر جميع وسائل السلامة يساعد في تقليل الحوادث المرورية من خلال مساعدة السائق في التحكم بالمركبة، أما العامل الأكثر سبباً للحوادث كما تقول الدراسات بهذا الخصوص هو العنصر البشري المتمثل في السائق الذي له الدور الرئيسي في وقوع الحوادث. والجزائر مثلها مثل بقية المجتمعات العربية الأخرى التي تعاني بشدة من حوادث المرور، حيث في سنة 2011 بلغ عدد المركبات بها 5.5 مليون مركبة وهو أكبر عدد من المركبات في كل القارة الإفريقية بعد جمهورية جنوب إفريقيا، ويذكر وزير التعليم العالي في 14 أبريل 2009 نقلاً عن تقديرات وزارة النقل أن الحوادث المرورية بالجزائر تؤدي إلى مقتل 15 شخصاً وإصابة نحو 200 شخصاً يومياً، وأن تكلفة الحوادث المرورية في الجزائر تتجاوز 75 مليار دينار جزائري، وهو ما يعادل 750 مليون أورو، والجزائر بصفة عامة توجد في قائمة الدول الأولى في عدد حوادث المرور في العالم العربي، وربما في القائمة السوداء على مستوى العالم كله⁽⁶⁾. ونظراً لجسامة المشكلة وتناميها المستمر تأتي دراستنا هذه لتحاول من خلالها الإجابة عن أهم التساؤلات التالية :

* ما هي أهم الأسباب الرئيسية لحوادث المرور ؟

* ما هو حجم حوادث المرور بالجزائر في الفترة بين 2005 إلى 2014 ؟

* ما هي أهم العوامل المسببة لحوادث المرور بالجزائر في الفترة بين 2005 إلى 2014 ؟

* ما أهم الآثار الاجتماعية والاقتصادية لحوادث المرور؟ .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى ما يلي :

- * الوقوف على أهم الأسباب الرئيسية لحوادث المرور .
- * التعرف على حجم حوادث المرور بالجزائر في الفترة بين 2005 إلى 2014 .
- * التعرف على أهم العوامل المسببة لحوادث المرور بالجزائر في الفترة بين 2005 إلى 2014 .
- * التعرف على أهم الآثار الاجتماعية والاقتصادية لحوادث المرور .

أهمية البحث :

تتجلى أهمية البحث في النقاط التالية :

- * مشكلة حوادث المرور في تنامي مستمر مما يستلزم الوقوف على أهم الأسباب المؤدية لذلك .
- * مشكلة حوادث المرور لها انعكاساتها السلبية على الفرد والمجتمع لما ينتج عنها من خسائر مادية وبشرية، تتمثل في الخسارة التي تنتج عن فقدان الفرد لأفراد أسرته أو أصدقائه، بالإضافة إلى الإصابات الجسدية والآثار الاقتصادية لهذه الحوادث ...
- * حوادث المرور المتسبب الأول فيها هو الفرد والمتضرر الأول فيها هو الفرد كذلك بل تتعدى إلى أكثر من ذلك، لذا استلزم الوقوف عند حجم هذه المشكلة والتعرف على أكثر الأسباب المؤدية لها لتفاديها .
- * يفيد البحث في إبراز الإحصائيات الخاصة بحجم الحوادث المرورية والأسباب المؤدية لذلك .

منهج البحث :

تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي كوننا قمنا بجمع البيانات عن أسباب وقوع حوادث المرور بالجزائر وبعدها تم وصف وتحليل ظاهرة الأرقام ومدلولاتها حسب كمياتها وذلك في شكل أعداد ونسب مئوية .

حوادث المرور:

لغة:

* الحادث: حدوث الأمر، وقع. جمع أحداث، الأمر حادث، أحداث الدهر مصائبه، وحدثان الدهر نوائبه⁽⁷⁾.

* المرور: من مر، مروراً، وممراً، جاز و ذهب، ومر به وعليه، اجتيازه، مرر الشيء، دحاه على وجه الأرض.

و يعود أصل كلمة حادث مرور إلى اللغة اللاتينية **accident** وتعني كل ما يأتي لتخطيم مجرى الحياة المنظمة⁽⁸⁾.

أما عبد القادر فرج طه فيرى أن الحادث يقع للفرد و يتورط فيه دون معرفة أو توقع، ينتج عنه أضرار تصيب الفرد أو الآخرين أو المعدات أو الممتلكات⁽⁹⁾.

و عليه، نعرف حوادث المرور بأنها كل ما يحدث جراء استخدام المركبة و ينتج عنه إزهاق للأرواح، أو إصابات جسمية، أو خسائر في المعدات و الممتلكات، و أن الأفراد يتورطون فيها دون توقع أو معرفة مسبقة.

أما كامل محمد عويضة فيعتبره كل حادث غير متوقع و فجائي، يؤدي إلى أضرار و أضرار كالإصابات و الموت⁽¹⁰⁾.

وتعرف منظمة الصحة العالمية حادثة المرور بأنها واقعة غير متعمدة ينتج عنها إصابة ظاهرة، أما اللجنة الاقتصادية الأوروبية التابعة لهيئة الأمم المتحدة تعرف الحادث المروري من خلال توفر العناصر التالية: أن يحدث في الطريق العام - أن ينتج عنه وفاة أو إصابة شخص أو أكثر - أن تشترك فيه إحدى المركبات المتحركة على الطريق⁽¹¹⁾

أسباب حوادث المرور :

يذكر طالب أحسن مبارك أن العوامل المسببة لحوادث المرور قد تختلف من فترة زمنية لأخرى وقد تختلف من مكان لآخر ومن مجتمع لآخر، ورغم وجود عوامل مشتركة إلا أن تفاصيلها تختلف بالضرورة باختلاف الزمان والمكان لذا من الضروري إعداد دراسات علمية ميدانية لدراسة الأسباب الحقيقية لحوادث المرور، وعموماً هناك عوامل أساسية ثلاثة تتمثل في: العامل البشري (مستعملو الطريق) - المحيط (الطرقات) - المركبة . وهو ما يسمى بمثلث الحوادث المرورية .

العامل البشري

المركبة

الطريق

وكل من هذه العوامل يضاف له عوامل أخرى مكملة ترجع لظروف وملابس كل حادث على حدا، والعوامل المؤدية لحوادث المرور في عمومها تتشابه لكن في تفاصيلها

تختلف وخاصة بين الدول المتطورة والدول النامية، وفي هذا مثلا تبين نتائج البحث الذي أعدته إدارة السلامة المرورية على الطرق السريعة بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 2004 أن العامل الرئيسي لحوادث المرور خاصة لدى فئة الشباب بين 18 سنة و 24 سنة يتمثل في سوء أو عدم استخدام تجهيزات السلامة والأمان المتوفرة بالمركبة، وهنا تكمن المفارقة فالسائق في الدول النامية لا يحترم القواعد المرورية أصلا فكيف يفكر في استخدام تجهيزات السلامة والأمان . كما أن الدول المتطورة لمواجهتها لحوادث المرور تركز على التدابير التي تفرض على المركبة والطرق ؛ أي تركز على التطور والتقدم التكنولوجي بعدما تخطت التدابير السلوكية الموجهة للسائق وخاصة ما تعلق باحترام القوانين المرورية وبالوعي لدى السائقين؛ أي أن المواطن في الدول المتطورة لديه فعلا وعي مروري إيجابي وحضاري⁽¹²⁾.

حوادث المرور بالجزائر في الفترة بين 2005 إلى 2014 :

يوضح الجدول التالي عدد حوادث المرور على المستوى الوطني وكذا بالمناطق الحضرية والريفية خلال الفترة 2005 - 2014 حسب الإحصائيات المسجلة عن المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق .

جدول(1) إحصائيات حوادث المرور بالجزائر

المستوى الوطني	المناطق الريفية		المناطق الحضرية		السنة
	ن المئوية	العدد	ن المئوية	العدد	
39233	57.81	22684	42.18	16549	2005
40885	59.17	24193	40.82	16692	2006
39010	56.50	22042	43.50	16968	2007
40481	56.69	22947	43.31	17534	2008
41224	55.48	22873	44.51	18351	2009
32873	51.65	16979	48.34	15894	2010
41467	55.46	23000	80.29	18467	2011
42477	59.57	25307	40.42	17170	2012
42846	59.47	25483	40.52	17363	2013
40101	56.65	22718	43.34	17383	2014

www.Cnpsr.org.dz⁽¹³⁾

نلاحظ أن عدد الحوادث المسجلة في المناطق الريفية أكبر من العدد المسجل في المناطق الحضرية، وذلك قد يرجع إلى أن نسبة الخطورة مرتفعة في المناطق الريفية أكثر منها في المناطق الحضرية لسبب الإفراط في السرعة من طرف السائقين لنقص الرقابة الأمنية وكذا لتجاوزات الخطيرة، بالإضافة إلى الخصائص الجغرافية لكل منطقة، حيث الطرق في المناطق

الريفية غير مهياة كما في المناطق الحضرية، ونقص إشارات المرور بها، كما أن الأحوال الجوية تأثيرها أكبر عنه من المناطق الحضرية...، وأكبر هذه النسب كانت عامي 2012 و 2013 وتبين لنا لغة الأرقام أن المعدل الوطني اليومي لعدد حوادث المرور سنة 2012 هو 116، وهذا المعدل في المناطق الحضرية يقارب 47 حادثا وفي المناطق الريفية 69 حادثا، أما هذا المعدل سنة 2013 وطينا يفوق 117 حادثا وفي المناطق الحضرية يفوق 47 حادثا وفي المناطق الريفية يقارب 70 حادثا. (عام 2012 = 366 يوما، عام 2013 = 365.25 يوما أي خلال هذين العامين عدد حوادث المرور على المستوى الوطني تقارب 5 حوادث كل ساعة وهو رقم مخيف جدا. وهذا يعكس ارتفاع عدد المركبات بالحظيرة الوطنية للسيارات الأمر الذي أدى إلى ما يعرف بمشكلة الكثافة المرورية والحاجة إلى المزيد من الطرق وإيجاد الآليات المناسبة للحد من هذه الظاهرة، بالإضافة إلى تدني الثقافة المرورية لدى سائقي السيارات الذين نجد أغلبهم ينتمون لفئة الشباب والتي سمتهم الاندفاع والتهور فهم لا يعرفون معنى للحياة ولا حقا للطريق.

حوادث المرور حسب أسبابها في الفترة بين 2005 إلى 2014:

يوضح الجدول التالي حجم حوادث المرور على المستوى الوطني حسب الأسباب المؤدية لها وهي: العامل البشري؛ أي مستعملو الطريق، أو المركبة، أو عامل المحيط، أو لأسباب أخرى، وذلك حسب الإحصائيات المسجلة عن المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق.

جدول (2) إحصائيات حوادث المرور بالجزائر حسب أسبابها

السبب السنة	مستعملو الطريق (العامل البشري)		المركبة		المحيط		أسباب أخرى		المجموع
	العدد	ن المئوية	العدد	ن المئوية	العدد	ن المئوية	العدد	ن المئوية	
2005	34906	88.97	2233	5.69	2094	5.34	/	/	39233
2006	36394	89.02	2353	5.75	2138	5.23	/	/	40885
2007	37120	90.15	2038	4.95	2017	4.90	/	/	41175
2008	36199	89.43	1876	4.63	1580	3.90	826	2.04	40481
2009	36879	89.46	1746	4.24	1365	3.31	1234	2.99	41224
2010	29151	88.68	1511	4.60	1129	3.43	1082	3.29	32873
2011	38161	92.03	1933	4.66	1373	3.31	/	/	41467
2012	38500	90.64	2162	5.09	1815	4.27	/	/	42477
2013	39400	91.95	1898	4.42	1548	3.61	/	/	42846
2014	37409	93.29	1524	3.80	1168	2.91	/	/	40101

www. Cnpsr.org.dz⁽¹⁴⁾

نلاحظ من خلال جدول الأسباب المباشرة لوقوع حوادث المرور على المستوى الوطني أن المتسببون الرئيسيون في وقوع حوادث المرور هم مستعملو الطريق؛ أي العامل البشري، حيث تتراوح نسبة هذا العامل بين 88.68٪ و 93.29٪ وهذه النسبة المرتفعة كانت سنة 2014. بينما تأتي في المرتبة الثانية الأسباب المتعلقة بحالة المركبة، والأسباب المتعلقة بعامل المحيط في المرتبة الأخيرة. وهذه القراءة تبرز لنا أن العامل البشري يشكل وزنا ثقيلًا في معادلة وقوع الحوادث المرورية ويعكس مستوى وعي المواطن الجزائري بالثقافة والسلامة المرورية.

أ. إحصاءات حوادث المرور حسب الأسباب المتعلقة بالعامل البشري (مستعملي الطريق) :

السبب	عدد الحوادث
	النسبة المئوية

في البداية نود أن نشير إلى أن المرصد الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق . قد صنف عامل الحمولة الزائدة أو غير المؤمنة في الأسباب المتعلقة بمستعملي الطريق بين سنوات 2005 إلى غاية 2011، وبعدها تم تصنيفه في الأسباب المتعلقة بالمركبة، وقمنا بالحفاظ على ذلك في هذه الدراسة، والجدول التالي يوضح حجم هذه الحوادث حسب الأسباب المتعلقة بالعامل البشري على المستوى الوطني ومفصلة حسب كل سنة وفقا لإحصائيات المرصد الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق.

مفتاح قراءة الجدول أدناه :

جدول (3) إحصاءات حوادث المرور حسب الأسباب المتعلقة بالعامل البشري

السبب	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014
السرعة	9051	10303	9882	9835	10239	8382	7590	10463	11658	10956
المفرطة	23.07	25.20	24	24.30	24.84	25.50	18.30	24.63	27.21	27.32
التجاوزات	3340	3578	3637	4017	4259	2527	3127	3934	3533	3696
الخطيرة	8.51	8.75	8.83	9.92	10.33	7.69	7.54	9.26	8.25	9.22
عدم انتباه السائق	/	/	/	/	/	/	1775	2122	2506	2382
داخل الأحياء	/	/	/	/	/	/	4.28	5	5.85	5.94

2119	2736	2557	2857	/	/	/	/	/	4744	عدم استعمال
5.29	6.39	6.02	6.89	/	/	/	/	/	12.09	ممرات الراجلين
2026	2255	2376	2009	1933	2308	2562	2078	2070	1884	عدم احترام المسافة
5.05	5.26	5.59	4.84	5.88	5.60	6.33	5.05	5.06	4.80	الأمنية
1962	2031	1896	1089	1054	1432	1005	1406	1187	1076	المناورات
4.89	4.74	4.46	2.63	3.21	3.47	2.48	3.41	2.90	2.74	الخطيرة
1705	1878	1680	1699	1595	1990	1681	1665	1625	1507	عدم احترام الأولوية
4.25	4.38	3.96	4.10	4.85	4.83	4.15	4.04	3.97	3.84	
1580	1530	1238	941	2807	4461	3634	834	765	2192	عدم احترام إشارات المرور
3.94	3.57	2.91	2.27	8.54	10.82	8.98	2.02	1.87	5.59	
1266	1435	16.12	1539	3996	4285	2807	4326	4588	/	لا مبالاة المارة
3.16	3.35	3.80	3.71	12.16	10.39	6.93	10.51	11.22	/	
1230	1353	1152	1007	/	/	/	1404	1542	1364	السير على اليسار
3.07	3.16	2.71	2.43	/	/	/	3.41	3.77	3.84	
1177	995	959	1082	/	/	/	/	/	/	اللعب وسط الطريق أو السير على حافة الطريق
2.94	2.32	2.26	2.61	/	/	/	/	/	/	
1168	964	1858	6171	5177	5733	5456	3992	3920	5222	فقدان السيطرة
2.91	2.25	4.37	14.88	15.75	13.91	13.48	9.70	9.59	13.31	
1056	1083	1163	842	/	/	/	684	690	/	تغيير الاتجاه دون إشارة
2.63	2.53	2.74	2.03	/	/	/	1.66	1.69	/	
639	605	583	675	451	658	1064	765	1026	1172	السياقة في حالة سكر أو مخدر
1.59	1.41	1.37	1.63	1.37	1.60	2.63	1.86	2.51	2.99	

529	548	551	524	491	751	2062	477	511	724	السياقة دون الحياز على الرخصة
1.32	1.28	1.30	1.26	1.49	1.82	5.09	1.16	1.25	1.85	
490	407	447	852	/	/	/	471	566	/	عدم احترام إشارة قف
1.22	0.95	1.05	2.05	/	/	/	1.14	1.38	/	
420	397	411	660	/	/	/	/	/	/	عدم أخذ الحيطه من السائق عند عبور الدراجات
1.05	0.93	0.97	1.59	/	/	/	/	/	/	
416	432	434	506	/	/	/	/	/	/	السير في الاتجاه الممنوع
1.04	1.01	1.02	1.22	/	/	/	/	/	/	
410	395	312	374	/	/	/	/	/	/	عدم اتباع السائق عند الخروج من مكان التوقف
1.02	0.92	0.74	0.90	/	/	/	/	/	/	
351	343	327	270	/	/	/	/	/	/	عدم الحيطه عند الرجوع للخلف
0.88	0.80	0.77	0.65	/	/	/	/	/	/	
296	287	285	282	226	297	241	302	304	257	الوقوف أو التوقف الخطيرين
0.74	0.67	0.67	0.68	0.69	0.72	0.60	0.73	0.74	0.66	
211	228	294	266	178	275	253	162	160	/	جنحة الفرار
0.53	0.53	0.69	0.64	0.54	0.67	0.62	0.39	0.39	/	
190	404	299	269	67	/	/	/	/	/	الانبهار بالأضواء
0.47	0.94	0.70	0.65	0.20	/	/	/	/	/	

102	152	96	218	79	81	1466	99	133	115	استعمال النقل أو
0.25	0.35	0.23	0.53	0.24	0.20	3.62	0.24	0.33	0.29	التصنت الإذاعي
/	/	/	27	188	110	116	187	70	59	الحمولة الزائدة أو
/	/	/	0.07	0.57	0.26	0.29	0.45	0.17	0.15	غير المؤمنة
1032	1245	1451	1510	/	/	/	4749	3356	2199	أخرى
2.57	2.91	3.42	3.64	/	/	/	11.53	8.21	5.60	
37409	39400	38500	38161	29151	36879	36199	37120	36394		المجموع
93.29	91.96	90.64	92.03	88.68	89.46	89.43	90.15	89.02	88.97	

[www. Cnpsr.org.dz](http://www.Cnpsr.org.dz)⁽¹⁰⁾

نلاحظ أن أكثر العوامل المسببة لحوادث المرور هي السرعة المفرطة حيث بلغت أكبر نسبة لهذا العامل 27.32٪ سنة 2014، وأدناها 18.30٪ سنة 2011، ثم كلا من عامل فقدان السيطرة الذي تراوحت نسبته من 2005 إلى 2011 بين 9٪ إلى 15.75٪، وعامل التجاوزات الخطيرة الذي تراوحت نسبته بين 7٪ إلى 10٪، أما عامل لا مبالاة المارة فتراوحت نسبته بين 6.93٪ إلى 12.16٪ بين سنوات 2006 إلى 2010. وقد يرجع ذلك إلى خصائص السائق الثقافية والتعليمية والعمرية وخصائصه النفسية التي لها دوراً بارزاً في وقوع الحوادث المرورية، حيث نجد فئة الشباب الأكثر تعرضاً لحوادث المرور وذلك لما تتميز به هذه المرحلة في حياة الفرد من اندفاع وسرعة وعدم التأني، بالإضافة إلى عدم احترامهم لقواعد القيادة الآمنة كما أنهم لا يتفقدون مركباتهم قبل القيادة ولا يحترمون قواعد الصيانة الدورية لها، وعدم توفر أغلب المركبات على وسائل ومعايير السلامة التي تسمح للسائق بالتحكم فيها.

ب. إحصاءات حوادث المرور حسب الأسباب المتعلقة بالمركبة :

الجدول التالي يوضح حجم حوادث المرور حسب الأسباب المتعلقة بعامل المركبة على المستوى الوطني ومفصلة حسب كل سنة وفقاً لإحصائيات المرصد الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق .

في الجدول أدناه. ع: يمثل عدد الحوادث، % النسبة المئوية
جدول(4). إحصاءات حوادث المرور حسب الأسباب المتعلقة بعامل المركبة

السبب	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014
ع ثقب وانفجار الأطر	502	618	702	786	730	621	887	919	816	693
	1.28	1.51	1.70	1.94	1.77	1.89	2.14	2.16	1.90	1.73
ع اختلالات ميكانيكية	769	836	683	467	453	354	427	487	441	293
	1.96	2.04	1.66	1.15	1.10	1.08	1.03	1.15	1.03	0.73
ع فرامل غير فعالة	378	385	386	400	447	417	319	331	336	260
	0.96	0.94	0.94	0.99	1.08	1.27	0.77	0.78	0.78	0.65
ع الحمولة الزائدة أو غير المؤمنة	/	/	/	/	/	/	/	130	86	72
	/	/	/	/	/	/	/	0.31	0.20	0.18
ع خلل في جهاز التوجيه	/	/	/	44	38	75	55	67	53	65
	/	/	/	0.11	0.08	0.23	0.13	0.16	0.12	0.16
ع خلل في الأضواء	136	80	/	/	/	/	164	116	91	55
	0.35	0.20	/	/	/	/	0.39	0.27	0.21	0.14
ع إضاءة غير قانونية	129	133	122	179	78	44	36	56	46	50
	0.33	0.32	0.30	0.44	0.19	0.13	0.09	0.13	0.11	0.12
ع أخرى	319	301	145	/	/	/	81	56	29	36
	0.81	0.74	0.35	/	/	/	0.20	0.13	0.07	0.09
ع المجموع	2233	2353	2038	1876	1746	1511	1933	2162	1898	1524
	5.69	5.75	4.95	4.63	4.24	4.60	4.66	5.09	4.43	3.80

www. Cnpsr.org.dz⁽¹⁶⁾

نلاحظ أن أكثر العوامل المسببة لحوادث المرور والمتعلقة بالمركبة هما عاملي ثقب وانفجار
الأطر، والاختلالات الميكانيكية حيث تتراوح نسبتيهما بين 1% إلى 2%.

ج. إحصاءات حوادث المرور حسب الأسباب المتعلقة بالمحيط :

السبب	عدد الحوادث
	النسبة المئوية

الجدول التالي يوضح حجم حوادث المرور حسب الأسباب المتعلقة بعامل المحيط على المستوى الوطني ومفصلة حسب كل سنة وفقا لإحصائيات المرصد الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق.

مفتاح قراءة الجدول أدناه:

جدول (5) إحصاءات حوادث المرور حسب الأسباب المتعلقة بعامل المحيط

السبب	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014
طريق غير صالح	719	787	867	926	818	599	365	678	520	439
مرور الحيوانات	95	172	169	156	143	171	208	261	233	175
سوء الأحوال الجوية	630	648	460	329	254	158	254	260	268	172
طريق زلج	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/
انعدام إشارات المرور	288	147	108	82	120	74	75	70	88	81
حفر بالطريق	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/
تهيئة غير مناسبة بالطريق	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/
تشويبات بالطريق	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/
انعدام الإضاءة	153	195	289	87	30	48	21	30	47	24
إبهار الشمس	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/
حواجز بالطريق	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/

20	1	36	43	/	/	/	124	189	209	أخرى
0.05	00	0.08	0.10	/	/	/	0.30	0.46	0.53	
1168	1548	1815	1373	1129	1365	1580	2017	2138	2094	المجموع
2.91	3.61	4.27	3.31	3.43	3.31	3.90	4.90	5.23	5.34	

[www. Cnpsr.org.dz](http://www.Cnpsr.org.dz)⁽¹⁷⁾

نلاحظ أن أكثر عوامل المحيط مسببة لحوادث المرور هو عامل الطرق غير صالحة، حيث تراوحت نسبتها بين 1.09 % إلى 2.29 %، ويلحقه عامل الأحوال الجوية خاصة بين 2005 إلى 2008 إذ تراوحت نسبته بين 0.80 % إلى 1.61 %.

د. أسباب أخرى غير محددة :

وقد يرجع ذلك إلى اهتراء الطرق ووجود تشققات وحفر بها وعدم الاهتمام بصيانتها واختلافها من حيث عرضها واتساعها وما يحيط بها من صخور وأشجار وخلوها من إشارات المرور وإن وجدت فتكون بشكل غير مدروس، بالإضافة إلى عدم احترام قواعد القيادة المناسبة للاضطرابات الجوية المختلفة، لاسيما خلال تواجد الأمطار والثلوج والضباب والرياح...، إن لم نقل غياب ثقافة القيادة الخاصة بمثل هذه الظروف.

د. أسباب أخرى غير محددة:

جدول 6. إحصاءات حوادث المرور حسب الأسباب غير المحددة

السنة	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014
العدد	/	/	/	826	1234	1082	/	/	/	/
النسبة المئوية	/	/	/	2.04	2.99	3.29	/	/	/	/

[www. Cnpsr.org.dz](http://www.Cnpsr.org.dz)⁽¹⁸⁾ المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق

الآثار الاجتماعية والاقتصادية لحوادث المرور:

إن مشكلة حوادث المرور تعتبر من معوقات التنمية في المجتمع، وذلك بالنظر لآثارها السلبية المتعددة على مختلف جوانب الحياة، وما يلحق المجتمع من خسائر في الأرواح أو ما يصيب البشر من إصابات وعاهات، فكم يتمت حوادث المرور وكم رملت وكم أبكت وكم آلمت، فلقد أدخلت هذه الحوادث البؤس والشقاء إلى حياة الأسر وجلبت إليها المصائب، فهذا انحرف وذاك لم يجد عملا مشرفا، فحوادث المرور بمثابة الحرب الباردة التي تأتي على أفراد المجتمع وأمواله وتسبب الكثير من المظاهر الضارة، فهي تشكل تحديا سلبيا وخطيرا للمجتمع من الإضرار بالإمكانات البشرية وتعد عاملا له تأثيره في فقد الطاقات البشرية

سواء بزيادة معدل الوفيات أو عدد المصابين والذين أصبحوا عاجزين أو معوقين عن القيام بالنشاط الإيجابي الاعتيادي في ممارسة الأنشطة اليومية، بالإضافة إلى حاجة هؤلاء المعوقين لمن يقدم لهم الرعاية وقد يصبحون عالة المجتمع بدلا من كونهم عناصر إيجابية تسهم في تنمية المجتمع والنهوض به، إلى جانب ذلك تكلفة الشخص المصاب على الدولة وأثر ذلك على عملية الإنتاج؛ حيث يكلف المصاب الدولة خسائر اقتصادية تتمثل فيما يحتاج إليه للعلاج⁽¹⁹⁾، وتعد حوادث المرور واحدة من أهم المشكلات التي تعيق التنمية في المجتمعات الحديثة، لما لها من آثار ضارة ومؤثرة في اقتصاد الدول وكيانها الاجتماعي، هذا فضلا عن نتائجها السلبية بالنسبة للأفراد والأسر، وقد أشارت معظم الدراسات إلى أن عدد الأشخاص الذين تفتك بهم حوادث المرور كل عام تفوق عدد أولئك الذين تفتك بهم سائر الحوادث الإجرامية الأخرى في المجتمع، كما أن الخسائر الاقتصادية التي تسببها تكاد تعادل الخسائر الاقتصادية الأخرى التي تسببها الحوادث التي تحرص الشرطة على منعها كما أنها تفوق في أعداد ضحاياها ضحايا الأوبئة التي تصيب المجتمعات في كثير من الأحوال، الأمر الذي حدا بمنظمة الصحة العالمية أن تطلق على هذه الخسائر وبائيات حوادث المرور⁽²⁰⁾.

خاتمة :

يتضح مما سبق عرضه والتوصل إليه أن العامل البشري هو السبب الرئيسي في وقوع حوادث المرور بالجزائر خلال الفترة بين 2005 - 2014 لأن ما يتراوح بين 88.68% و 93.29% من الحوادث تنتج عن هذا الخطأ والذي يتورط فيه السائق أو المشاة مستعملي الطريق وذلك راجع للقرارات التي يتخذها السائق أثناء القيادة، كما تم التوصل إلى أن أكثر الأسباب في هذا العامل تأتي على رأسها السرعة المفرطة حيث بلغت نسبتها حتى 27.32% سنة 2014، يليها عامل فقدان السيطرة والذي بلغت نسبته حتى 15.75%، ثم تأتي التجاوزات الخطيرة التي تراوحت نسبتها بين 7% إلى 10%، وبعدها عامل لا مبالاة المارة وعدم أخذهم للحيطه خاصة عند عبور الطريق. وذلك بحجة الاستعجال ووجود الحالات الطارئة لدى السائق وغياب الثقافة المرورية لدى كل من السائقين والمارة وانعدام برامج التوعية المرورية سواء في وسائل الإعلام أو من طرف رجال الأمن ومختلف الهيئات المسؤولة عن ذلك.

وفي الأخير نقول أن عملية الحد من حوادث المرور عملية مستحيلة ولكن هناك إجراءات يمكن القيام بها للتقليل من عددها وكذا التقليل من خطورتها ولذلك نقترح جملة من التدابير التالية :

- * غرس سلوك الثقافة والسلامة المرورية لدى المواطن الجزائري بالتركيز على الدور الإعلامي في ذلك .
- * اعتماد التربية المرورية كمادة دراسية في مناهج التربية المدنية بداية من المرحلة الابتدائية للمتعلم .
- * العمل على تحسين مستوى تركيز السائق أثناء القيادة .
- * تمديد الفترة التدريبية قبل التقدم لامتحان رخصة السياقة من أجل اكتساب السائق للخبرة الكافية في السياقة .

المراجع :

- 1- حمود الشريف، المشكلة المنسية: الآثار النفسية لحوادث المرور دراسة استعراضية،المجلة الدولية التربوية المتخصصة، مج 4، ع 2015، ص 15 - 30 .
- 2- طالب أحسن مبارك، طرق وسبل الوقاية من حوادث المرور في الطرق الطويلة،ورقة علمية مقدمة لندوة معايير الأمن والسلامة للطرق الطويلة المنعقدة بالدوحة بدولة قطر خلال 30-31 /1-2 /2012، ص 2.
- 3- طالب أحسن مبارك، مرجع سابق، ص 3-6.
- 4- لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوروبا، تحسين السلامة المرورية على الصعيد العالمي وضع الأهداف الإقليمية والوطنية للحد من الحوادث المرورية على الطرق، الأمم المتحدة نيويورك وجنيف، 2004، ص 1.
- 5- الطالبة هادي محمد، المفاهيم المرورية الواردة في كتب التربية الوطنية والمدنية للمرحلة الأساسية في الأردن، مجلة دراسات العلوم التربوية، مج 38، ع 2011، ص 94 - 106 .
- 6- طالب أحسن مبارك، مرجع سابق، ص 11، 12 .
- 7- بوني أحمد محمد، الجوانب النفسية لمشكلات حوادث المرور،الهيئة القومية للبحث العلمي، ليبيا، دت، ص 14.
- 8- فريج نبيل، تحليل سلوك الحادث: علم النفس تنظيم وعمل، الجزائر، 1993، ص 7.
- 9- طه فرج عبد القادر، سيكولوجية الحوادث وإصابات العمل، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1999، ص 22.
- 10- عويضة كامل محمد،علم النفس الصناعي، دار الكتاب، بيروت، ط1، 1996، ص 124 .
- 11- حوالمف رحيمة، التكاليف الاقتصادية والاجتماعية لحوادث المرور بالجزائر، مجلة الباحث، عدد11، 2012، ص 104 .
- 12- طالب أحسن مبارك، مرجع سابق، ص 17-20.
- 13- [www. Cnpsr.org.dz](http://www.Cnpsr.org.dz)، موقع المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق،زيارة الموقع بتاريخ: 10 سبتمبر 2015 .
- 14- الموقع الإلكتروني السابق.
- 15- الموقع الإلكتروني السابق.
- 16- الموقع الإلكتروني السابق.
- 17- الموقع الإلكتروني السابق.

- 18- الموقع الإلكتروني السابق.
- 19- راضي عبد المعطي السيد، الآثار الاقتصادية لحوادث المرور، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2008، ص 126، 127.
- 20- راضي عبد المعطي السيد، مرجع سابق، ص 103، 104.
- 21- الجمعية العامة للأمم المتحدة، الأزمة العالمية للسلامة على الطرق، الدورة الثامنة والخمسون، البند 162 من جدول الأعمال المؤقت، ص 5، 6.

دور مجتمع المعرفة في تحقيق التنمية المستدامة في الجزائر

لامية حروش

باحثة دكتوراه جامعة حسبية بن بو علي-الشلف

د/ محمد طوالبية

جامعة حسبية بن بو علي- الشلف

الملخص باللغة العربية:

في ظل التطورات العلمية العالمية تغير المفهوم المادي والمالي كمييار لنمو الدول وتفوقها، وأصبح هناك إجماع على أن الثورة الحقيقية تكمن في قدرة الأفراد الإبداعية، وأن العلم والمعرفة بمثابة العناصر الأساسية لقياسها، ورغم أن الجزائر مازالت تتخلف عن مواكبة التطورات التكنولوجية العالمية الراهنة مقارنة ببعض الدول الإقليمية والعالمية، وتجد صعوبة كبيرة للحاق بها، إلا أنها مجبرة على تحضير آليات الانتقال الإيجابي نحو مجتمع المعرفة القائم أساساً على الكفاءات البشرية كمورد رئيسي وميزة تنافسية، وهذا بالتدعيم الفعلي للإنتاج في مجال البحث العلمي والاهتمام بجودة التعليم ومخرجاته والاستثمار فيها، خاصة وأن للجزائر إمكانيات هائلة و ثروات مادية وبشرية معتبرة، بإمكانها إحداث نقلة نوعية تضمن لها الاندماج في مجتمع المعرفة يكون آلية لتحقيق التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: مجتمع المعرفة، التنمية المستدامة، الجزائر.

Abstract :

In light of the global scientific developments change material and financial concept as a criterion for the growth of countries and superiority, and there was a consensus that the real revolution lies in the ability of creative individuals, and that science and knowledge as essential elements of the measure, and despite the fact that Algeria is still lagging behind to keep up with the current global technological developments compared to some regional and international countries, and find it very difficult to catch up out, but it is obliged to prepare the transition mechanisms positive about the existing knowledge society mainly on human resources as a major competitive advantage, and the actual Baltdeim production in the field of scientific research and attention to education and its outputs and invest in quality, especially since Algeria's huge potential material wealth and human saying, can make a quantum leap guaranteeing them integrate into the society of knowledge will be a mechanism for achieving sustainable development.

مقدمة:

يرتبط ظهور مجتمع المعرفة بنتائج التقدم الغير مسبوق الذي تعيشه الإنسانية في مختلف المجالات، هذا الوضع فرض تحولات جذرية في أساليب الحياة المعاصرة، وربما مغايرة لما كان مألوفاً عليه في الماضي وذلك لأن أهمية المعرفة في المجتمعات الإنسانية ليست بالأمر الجديد، لكن الجديد فيها يكمن في حجم تأثيرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعلى حياة الإنسان عموماً.

الأمر الذي يستلزم الوقوف على هذا الواقع للانطلاق منه بإعتباره بمثابة فرصة ناجعة للجزائر لإتباع رؤى جديدة في مختلف سياساتها الإستراتيجية وما يرافقها من آثار إيجابية لدعم اقتصادها، وذلك من خلال الاستفادة من ثمار هذا المجتمع ومن ثمة توظيف المكتسبات لتحقيق التنمية المستدامة، وعليه فالجزائر مطالبة بمسايرة التحولات العالمية والتطورات التكنولوجية الراهنة، والتحول نحو مجتمع المعرفة للوصول إلى مكانة متميزة في الثروة والتنافس الدولي.

تتمحور إشكالية الدراسة حول:

ضرورة إنتقال الجزائر نحو مجتمع المعرفة يكون مدخلا لتحقيق التنمية المستدامة، كبديل عن مصادر الطاقة وما يصاحب ذلك من تخوفات نفاذها، فضلاً عن تذبذب أسعارها، والتي يمكن صياغتها كآتي:

إلى أي مدى يمكن اعتبار مجتمع المعرفة آلية فعالة لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر؟

للإجابة على إشكالية الدراسة قسمنا المداخلة إلى أهم المحاور التالية:

1- الإطار المفاهيمي لمجتمع المعرفة والتنمية المستدامة.

2- تحليل مؤشرات الأداء المعرفي في الجزائر.

3- واقع توظيف المعرفة العلمية لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر.

4- خطة إستراتيجية لبناء مجتمع المعرفة لبلوغ التنمية المستدامة.

-الخاتمة.

1- الإطار المفاهيمي لمجتمع المعرفة والتنمية المستدامة:

سنحاول أن نتطرق من خلال هذا المحور إلى مفهوم مجتمع المعرفة، ومن ثمة مفهوم التنمية المستدامة، لنصل إلى تحديد العلاقة بينها.

1-1 مفهوم مجتمع المعرفة:

1-1-1 تعريف مجتمع المعرفة:

نظراً لحدثة سن المفهوم وقلة الأدبيات التي حللته لم تتبلور تعريفات دقيقة وكثيرة، ومن هذا المنطلق سنتعرض إلى أهم هذه التعريفات سواء الواردة في تقارير المنظمات الدولية أو المساهمات الفكرية المقدمة من قبل الباحثين المختصين ثم نتبع ذلك بمحاولة ذاتية لتقديم تعريف موحد وشامل .

ورد في تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام 2003، تعريف مجمع المعرفة بأنه: « ذلك المجمع الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد، المجتمع المدني والسياسة والحياة الخاصة، وصولاً لترقية الحالة الإنسانية بإطراد أي إقامة التنمية الإنسانية»⁽¹⁾.

تعرف فتيحة السعيدية مجتمع المعرفة بأنه: « يعني الاستثمار في مجالات الذكاء الاصطناعي وتكييفه وفق مختلف الحاجات الآنية والمستقبلية لذلك فإن هذا المجتمع وبالدرجة الأولى مجتمع المعلومات أي تطوير تقنيات الاتصال بشكل مكثف ودقيق في اتجاه اختراق كافة المجالات التي تساهم في إنتاج المعلومة والاستفادة منها وتأتي أهمية هذه الأخيرة من سرعة انتقالها وسرعة الاستفادة منها وتطويرها لذلك هذا المجتمع هو مجتمع التكنولوجيا المتطورة ومجتمع مفتوح لا يعترف بالحوجز والحدود»⁽²⁾.

وكما يعرفه فالون دوس «Valenduc»: « بأنه مجتمع يعرف بالدور الحاسم للمعرفة في تشكيل ثروة المجتمع وتكريس رفاهيته»⁽³⁾.

على ضوء التعريفات السابقة يمكن القول أن مجتمع المعرفة يعتبر أرقى مراحل تطور المجتمعات المعاصرة، فهو ذلك المجتمع الذي تستخدم فيه المعرفة في كافة مجالات الحياة: إقتصادية، إجتماعية، ثقافية وسياسية، يعتبر الإنسان فيه صانع المعرفة ومن يتولى توليدها ونشرها وتوظيفها بعد ذلك، مستنداً على الحضور المكثف لتكنولوجيا المعلومات في مختلف المجالات وبذلك يمثل مجتمع المعرفة قفزة جديدة على طريق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستثمار العنصر البشري، واتخاذ من المعرفة وسيلة رئيسية لتوليد الثروة وزيادتها واعتبارها كأهم مورد للتنمية الاقتصادية ومنطلقاً تقييماً يعتمد على تصنيف مدى تقدم الدول على المستوى العالمي.

1-1-2 أبعاد مجتمع المعرفة:

أصبح لمجتمع المعرفة أبعاد مختلفة ومتشابكة يمكن إبرازها فيما يلي:

1-1-2-1 - البعد الاقتصادي: ويتمثل في أن المعلومة هي المصدر الأساسي للقيمة المضافة وتوفير فرص العمل وترشيد الاقتصاد، وهذا يعني أن المجتمع الذي ينتج المعلومة ويستعملها في مختلف شرايين اقتصاده ونشاطاته المختلفة هو المجتمع الذي يستطيع أن ينافس ويفرض نفسه.

1-1-2-2 - البعد التكنولوجي: إذ أن مجتمع المعرفة في البعد التكنولوجي يعني انتشار وسيادة تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها في مختلف مجالات الحياة.⁽⁴⁾

1-1-2-3 - البعد الاجتماعي: ويعني سيادة درجة معينة من الثقافة المعلوماتية في المجتمع وزيادة مستوى الوعي بتكنولوجيا المعلومات وأهمية المعلومة ودورها في الحياة اليومية للإنسان والمجتمع هنا مطالب بتوفير الوسائط والمعلومات الضرورية من حيث الكم والكيف ومعدل التجدد وسرعة التطور بالنسبة للفرد.

1-1-2-4 - البعد السياسي: في مجتمع المعرفة يعني إشراك الجماهير في اتخاذ القرارات بطريقة رشيدة أي مبنية على استعمال المعلومة، وهذا بطبيعة الحال لا يحدث إلا بتوسيع حرية تداول المعلومات، وتوفير مناخ سياسي مبني على الديمقراطية والعدالة والمساواة وإقحام الجماهير في عملية اتخاذ القرارات والمشاركة السياسية الفعالة.⁽⁵⁾

2-1 مفهوم التنمية المستدامة وأبعادها:

1-2-1 تعريف التنمية المستدامة:

عرفت التنمية المستدامة في أول مرة في تقرير لجنة بروتلاند، «مستقبلنا المشترك» بأنها: «التنمية التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع الراهنة، بدون المساس بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتها».

كما عرفها روبرت سولو، R.Solow» بأنها: «تعني عدم الإضرار بالطاقة الإنتاجية للأجيال المقبلة وتركها على الوضع الذي ورثها عليه الجيل الحالي».

يعرف الأستاذ نوزاد عبد الرحمان الهيثي التنمية المستدامة بأنها: «عملية تراكمية تتأسس على ما هو قائم وتحققها هو بمثابة عملية بقدر ما هو هدف محدد، وهي ليست نشاطاً من الأنشطة التي يترك أمر تحقيقها للمدى الطويل، بل هي كناية عن مجموعة من الأعمال قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل والأنشطة والممارسات التي تهدف إلى معالجة دواعي القلق الملحة وفي نفس الوقت التطرق للمسائل طويلة الأجل».⁽⁶⁾

بناءً على ما سبق ذكره يمكن أن نتوصل إلى وضع إطار ملائم لمفهوم التنمية المستدامة يقوم على الإدارة الحكيمة للموارد الطبيعية المتاحة لفائدة المجتمع الإنساني على أساس التوزيع العادل لعائداتها، ومساهمة جميع الأفراد بشكل فعال في التنمية، دون إفراط في

استغلال هذه الموارد الطبيعية، مع توفير الخدمات الاجتماعية الملائمة لتنمية الفرد وترقية وجوده، بالشكل الذي يكفل الرخاء الاقتصادي والاجتماعي ويحقق الاحتياجات الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة.

1-2-2-1 أبعاد التنمية المستدامة:

للتنمية المستدامة أبعاد متعددة ومتراطة ومتداخلة ومتكاملة فيما بينها يمكن إيجازها فيما يلي:

* **البعد الاقتصادي:** يتعلق المنظور الاقتصادي للتنمية المستدامة بالإستمرارية في تعظيم الرفاه الاقتصادي لأطول فترة ممكنة، ويتحدد هذا الرفاه بمعدلات الدخل والاستهلاك ويشمل ذلك الكثير من مقومات التقدم الإنساني، كالتعليم، الصحة، المسكن،... إلخ⁽⁷⁾

* **البعد البيئي:** يركز البيئيون في مقاربتهم للتنمية المستدامة على مفهوم الحدود البيئية التي تعني أن لكل نظام بيئي طبيعي حدودا معينة لا يمكن تجاوزها.

* **البعد الاجتماعي والبشري:** وهو يمثل البعد الإنساني بالمعنى الضيق، فهو يعتبر أن الإنسان هو جوهر التنمية وهدفها النهائي، من خلال الاهتمام بالعدالة الاجتماعية، ومكافحة الفقر وتوفير الخدمات الاجتماعية إلى جميع المحتاجين لها، ويتضمن البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة مفهوم التنمية البشرية التي تعمل على توسيع خيارات الأفراد من خلال توسيع نطاق القدرات البشرية إلى أقصى حد ممكن، وتوظيفها في جميع الميادين الاجتماعية والثقافية والإقتصادية والسياسية.

* **البعد التكنولوجي:** إذ يشير البعد التكنولوجي إلى أن هناك حاجة إلى تكنولوجيات جديدة تكون أنظف وأكثر وأقدر إلى إنقاذ الموارد الطبيعية حتى يتسنى الحد من التلوث، ومن انبعاث الغازات وذلك للحيلولة دون تدهور طبقة الأوزون والمساعدة على تحقيق استقرار المناخ واستيعاب النمو في عدد السكان وفي النشاط الاقتصادي.⁽⁸⁾

13- مجتمع المعرفة وعلاقته بتحقيق التنمية المستدامة:

تتجه دول العالم المتقدمة منها والدول الطامحة للتقدم نحو تعزيز بنى مجتمع المعرفة وتطويرها باستمرار من أجل الاستفادة من معطياتها الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ بحيث تتركز بنى مجتمع المعرفة حول ما يدعى بـ«دورة المعرفة»، التي تتضمن ثلاث محطات رئيسية تشتمل على: توليد المعرفة» من خلال البحث العلمي والإبداع والابتكار، «نشر المعرفة» بالتعليم والتدريب والإعلام، و«توظيف المعرفة» والاستفادة منها في تقديم خدمات ومنتجات متجددة تسهم في توفير فرص عمل ومصادر دخل

جديدة تؤدي إلى تعزيز التنمية وتحقيق استدامتها. ويتبع الأثر الإيجابي لدورة المعرفة بمدى تفعيلها بشكل متناغم يؤدي إلى تدفق المعرفة في المجتمع والاستفادة منها، ولتسليط الضوء على تفاصيل إسهام مجتمع المعرفة في تحقيق التنمية المستدامة سنتطرق إلى أهم النقاط التي يمكن إنجازها فيما يلي:

يتطلب توليد المعرفة في المجتمعات المعرفية تنمية التفكير بكل أنواعه، لاسيما التفكير الناقد والإبداعي اللذان هما متطلبان أساسيان لنقد المعرفة السابقة وبناء وتوليد معارف جديدة وبتنمية مهارات التفكير الإبداعي ترتقي أيضاً قدرات أفراد المجتمع على استبدال الضار بالنافع تنتهي بإتخاذ إجراءات عقلانية، ما يؤدي إلى خلق أفراداً أكثر إبداعاً وتوازناً وأقدر على التكيف مع التطورات والتغيرات التي تحصل في مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية⁽⁹⁾.

وفي المقابل يمكن أن تسهم عملية نشر المعرفة في تعزيز التنمية المستدامة من خلال أن مجتمعات المعرفة، وباعتبارها مجتمعات شبكية تشجع بالضرورة وعبئاً أفضل بالمشكلات الكلية، فالإضرار بالبيئة والمخاطر التكنولوجية والأزمات الاقتصادية يؤمل بمعالجة أفضل عبر التعاون الدولي والمشاركة العلمية، كما أن إتاحة المعارف والمعلومات والبحوث والدراسات وتيسير الوصول إليها بدرجة كبيرة تساهم في اتخاذ القرار السليم المبني على استطلاع كامل لعناصر الموقف من سلبيات وإيجابيات، ثم بناء الرأي الفكري السليم.⁽¹⁰⁾

توظيف واستخدام المعرفة هو سبيل إلى بلورة دورة حياة المعرفة إلى إنتاج معرفي ليستفيد منه المجتمع، إذ أن قدرة مجتمع ما على إنتاج المعرفة وتكييفها وتوظيفها أمر حاسم من أجل تحقيق نمو اقتصادي مستدام ولتحسين مستوى المعيشة، حيث أن المعرفة باتت أهم عامل في التنمية الاقتصادية المستدامة، والتقدم في قطاعات الزراعة والصحة والبيئة بوجه خاص يعتمد بقوة على تطبيق المعارف والابتكارات الناتجة من مستويات التعليم المتعاضمة والتحسينات النوعية التي تتيح استعمال التكنولوجيا الجديدة التي من شأنها تعزيز الإنتاجية.⁽¹¹⁾

2- تحليل مؤشرات الأداء المعرفي في الجزائر:

نظراً لأهمية العلم والتكنولوجيا والمعرفة على وجه الخصوص في جميع مجالات الحياة المعاصرة، وباعتبارها ركيزة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة، حاولنا في هذا العنصر دراسة وضعية إنتاج المعرفة في الجزائر من خلال الوقوف على حركة البحث العلمي والتطوير وكذا التطرق إلى واقع نشر المعرفة في بلادنا مع التركيز على التعليم العالي، تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

2-1-1- مؤشرات إنتاج المعرفة:

تحاول الجزائر تبني إستراتيجية واضحة، وحلول علمية في سبيل دعم مسيرة البحث العلمي والتطوير بهدف تفعيل المسار الهادف لإنتاج المعرفة، لخلق مقومات الإقلاع في ميدان العلوم والتقنيات الحديثة وللحاق بركب التقدم العلمي والتكنولوجي، لذا سنتناول في هذا العنصر مؤشرات الإنتاج المعرفي في الجزائر، والتي تتمثل في مؤشرات الإبداع المرتبطة أساساً بمؤسسات البحث العلمي والتطوير، الموارد البشرية العاملة في إنتاج المعرفة، الإنفاق على أنشطة البحث العلمي والتطوير.

2-1-2 مؤسّسات البحث العلمي والتطوير:

ارتفع عدد المؤسسات الجامعية من 35 مؤسسة سنة 2000 إلى 56 مؤسسة سنة 2004، ليصل عام 2009 إلى نحو 62 مؤسسة جامعية (جامعات، مراكز جامعية، مدارس وطنية عليا)، ثم ارتفعت إلى 84 مؤسسة سنة 2011، أما فيما يخص المخطط الخماسي (2010-2014) فقد سطر عدة برامج في توسيع الهياكل المادية، وكان أهم ما جسد من هذا المخطط هو زيادة عدد المؤسسات إلى 97 مؤسسة خلال سنة 2012 وهي موزعة كالتالي: (47 جامعة، 10 مراكز جامعية، 4 ملحقات جامعية، 19 مدرسة وطنية عليا، 5 مدارس عليا للأساتذة، 10 مدارس تحضيرية، وقسمان تحضيريان مدججان).⁽²¹⁾

حالياً تظم الشبكة الجامعية الجزائرية 106 مؤسسة للتعليم العالي، موزعة على 48 ولاية عبر التراب الوطني تظم (50 جامعة، 13 مركزاً جامعياً، 20 مدرسة وطنية عليا، 10 مدارس عليا، 11 مدارس عليا للأساتذة، ملحقتين جامعتين).⁽³¹⁾

وباعتبار المخابر العلمية أحد أهم الوسائل المستحدثة للقيام بعملية البحث العلمي وفقاً للمرسوم التنفيذي رقم 99-244، ارتفع عدد مخابر البحث من 1297 مخبراً سنة 2013 إلى حوالي 1324 مخبراً بحثياً سنة 2015 (بما في ذلك مخابر بحث مشتركة، ومخابر بحث مشاركة) موزعة على مجموعة من التخصصات الكبرى، والتي جندت حوالي 27584 أستاذ باحث وطالب دكتوراه.⁽⁴¹⁾

بالإضافة لشبكة المخابر التي هي حديثة العهد ترجع إلى سنة 2000، هناك هيئات أخرى وطنية تتمثل في: 06 وكالات وطنية لتطوير البحث العلمي، 11 مراكز بحث، 04 وحدات بحث، محطة بحث واحدة.⁽⁵¹⁾

2-1-2- الموارد البشرية العاملة في إنتاج المعرفة:

من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي والتطوير التكنولوجي المحدد للفترة الخماسية (1998-2002)، والبرنامج الخماسي الثاني (2008-2012)، أوصى قانون البرامج

بضرورة رفع عدد العاملين في مجال البحث بما يتماشى مع احتياجات برامج البحث السنوية المصادق عليها. وقد قدرت القوى البشرية العاملة في حقل البحث العلمي خلال سنة 1998 بـ 3257 باحثاً أي ما يعادل 116 باحث لكل مليون نسمة، في حين ارتفع عدد الباحثين إلى 8000 باحث سنة 2000، لتصل إلى ما يقارب 11319 باحث في نهاية 2007 أي ما يقارب 170 باحث لكل مليون نسمة.⁽⁶¹⁾

وصلت القدرات البحثية في سنة 2014 لحوالي 29183 باحث (الأساتذة الباحثين، الباحثين الدائمين)، يتكون هذا العدد من 26607 أستاذ يمارسون نشاطات البحث من مجموع 51229 أستاذ، و 2576 باحثين دائمين (1468 باحث دائم تابع لوزارة التعليم العلي والبحث العلمي، و 1108 باحث دائم خارج قطاع التعليم العلي).⁽⁷¹⁾

وباعتبار قطاع التعليم العلي يستحوذ على أكبر نسبة من القدرات العلمية والتكنولوجية الجزائرية بنسبة 89.94 %، فهذا يعني أن معظم هذه القدرات تقوم بأعمال التدريس بجانب البحوث.

إلا أنه وبالرغم من التحسن الكمي في عدد الباحثين في الجزائر كباقي الدول العربية الأخرى، المفارقة تكمن في ضعف أداء هذا المؤشر، وهذا ما يفسر بقلّة المنشورات العلمية والتي تعتبر معياراً هاماً للإنتاج العلمي وأحد أهم المؤشرات البارزة على مكانة الجامعة ومراكز البحوث، فبالنسبة لحالة النشر في المجالات الدولية، فالجزائر تحتل المرتبة التاسعة عربياً في إنتاج المنشورات العلمية، بعد كل من مصر، السعودية، تونس، المغرب، الأردن.⁽⁸¹⁾

من جهة أخرى نجد أن تطبيق البرنامج الخماسي الممتد من فترة (1998-2002) والبرنامج الخماسي الثاني الممتد من فترة (2008-2012) قد أدى لتحقيق بعض الأهداف المسطرة على مستوى البحث العلمي ومن بينها تخرج أعداد كبيرة من حملة الماجستير والدكتوراه، الأمر الذي سمح بزيادة عدد الإصدارات العلمية من حيث الكمية، بل وضمّان التأطير الجامعي لأعداد الطلبة الجدد ففي السنوات (2008-2009-2010-2011)، سجلت على التوالي مناقشة (40336-45948-49156-48795) مجموع أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير.⁽⁹¹⁾

2-3- مؤشّر الإنفاق على البحث والتطوير:

نجاح البحث العلمي في أي دولة يتوقف على حجم المبالغ المالية المخصصة لها وكيفية ترشيد استخدامها، وإذا أخذنا مقدار ميزانية البحث العلمي إلى الناتج الخام الإجمالي نلاحظ أن الجزائر قبل سنة 1998 سجلت أدنى المستويات، واستمر الوضع حتى سنة 1999 حين أقرت (المادة 21) من القانون التوجيهي رفع الميزانية المخصصة للبحث

العلمي بالنسبة للنتائج الداخلي الخام من 0.2٪ سنة 1997 إلى 1٪ سنة 2000، وذلك بعد إنشاء الصندوق الوطني لتطوير البحث التكنولوجي، كما اتخذت تدابير أخرى مثل الحوافز الضريبية للشركات التي لديها أنشطة البحث، وإزالة الضريبة على القيمة المضافة لشراء المعدات والأجهزة العلمية.⁽²⁰⁾

كما استفاد قطاع البحث العلمي زيادة على هذه المخصصات، من برامج هامة ففي إطار برنامج الإنعاش الاقتصادي (2001-2004)، منح القسم المتعلق بالبحث العلمي أهمية كبرى حيث خصص له حوالي 12.38 مليار دينار جزائري، وأما في إطار برنامج التنمية الخماسي (2010-2014) خصصت له حوالي 100 مليار دينار جزائري.⁽²¹⁾

إلا أنه ورغم ارتفاع الموارد المالية المخصصة للبحث العلمي والتي تطورت عما كانت عليه في السنوات الماضية، تبقى قليلة وغير كافية، فنسبة 1٪ لا تستجيب للمعايير العالمية حيث المعدل العام الدولي يبلغ 3٪، وأما في بعض الدول مثل سنغافورة وكوريا الجنوبية يتراوح ما بين 4٪ و4.3٪، كما أن الموارد المالية المخصصة للبحث العلمي في الجزائر تعاني من التسيير البيروقراطي للإدارة التي تأخذ أكثر من 60٪ من الميزانية المخصصة للبحث العلمي.⁽²²⁾

2-2-2- نشر المعرفة:

سنقتصر في هذا المجال على أهم عوامل نشر المعرفة من خلال التركيز على التعليم العالي وتكنولوجيا الإعلام والاتصال.

2-2-1 - التعليم العالي:

تسعى الدولة الجزائرية إلى تلبية حاجات مختلف القطاعات بإعداد إطارات تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، ولأجل ذلك تعمل على انتهاج إستراتيجيات مختلفة لتبني إصلاحات من شأنها إعادة النظر في ترقية المنظومة التعليمية حسب متطلبات علمية وتقنية تتماشى واحتياجات العصر، وتبدو التحديات التي تريد الجامعة الجزائرية رفعها في ميدان المعرفة العلمية كبيرة تملّي عليها دوراً يتجاوز المهام التقليدية المألوفة خاصة في ظل عولمة واضحة المعالم تقوم أولاً وقبل كل شيء على استخدام العلم والتكنولوجيا كقوة تكتسح بها جميع الميادين، سنتطرق في هذا العنصر إلى المؤشرات الكمية لتطور التعليم العالي والتي تتعلق بالميزانية المخصصة للقطاع سنوياً، أعداد الطلبة المسجلين والمتخرجين وأعضاء الهيئة التدريسية.⁽³²⁾

2-2-1-1 - تطور ميزانية التعليم العالي:

تبين ميزانية تسيير قطاع التعليم العالي منذ سنة 2000 إلى سنة 2016 مؤشرات لها دلالة كبيرة في استخلاص الجهد المبذول من أجل تنمية قطاع التعليم العالي، من خلال المبالغ الضخمة التي خصصت لهذا القطاع، حيث تضاعفت ميزانية القطاع بنحو 7 مرات من سنة (2000-2016)، فقد ارتفعت من 38.580.667.000 دج بنسبة تعادل 4٪/ سنة 2000، إلى 173.483.802.000 دج بنسبة تعادل 6.11٪/ سنة 2010، لتصل إلى 312.145.998.000 دج سنة 2016 ما يعادل نسبة 6.49٪⁽²⁴⁾، ميزانية القطاع عرفت استقراراً في وتيرة زيادتها متبعاً الاستقرار في زيادة الميزانية العامة للدولة، وتفسر هذه الزيادة المستمرة في الإعتمادات الموجهة إلى قطاع التعليم العالي إلى ارتفاع أجور العمال والهيئة التدريسية التي تشكل الجزء الأكبر من ميزانية القطاع، ارتفاع عدد مخابر البحث وأنشطة البحث في الجامعات، ارتفاع عدد الطلبة المقيمين ما يزيد من حصة النفقات المخصصة للخدمات الجامعية وارتفاع عدد المسجلين في الجامعات... إلخ، غير أن هذه الأرقام لا تدل بالضرورة على فاعلية أداء الجهاز التعليمي الجزائري ففعالية أي منظمة تعليمية تقاس بدرجة تحقيق الأهداف المرسومة، والكفاءة ترتبط بحجم المخرجات المقدمة نظير ما تتلقاه من مدخلات وما يتفاعل بداخلها من عمليات.

2-2-1-2 -- تطور عدد الطلبة المسجلين:

يمثل عدد الطلبة المسجلين في التعليم العالي أهم عنصر من مدخلات العملية الإنتاجية للقطاع، ودراسة الوثائق المتعلقة بتطور التعليم العالي توحى بأن عدد الطلبة المسجلين في التعليم العالي عبر مختلف السنوات شهد تطوراً كبيراً منذ الاستقلال، ولإبراز حجم الجهود المبذولة من طرف الدولة يجدر التطرق إلى التطور التاريخي لعدد الطلبة في قطاع التعليم العالي منذ الاستقلال .

حيث بلغ عدد الجزائريين الذين تم إحصائهم سنة 1961 في مؤسسات التعليم العالي 1317 طالباً مسجلاً في جامعة الجزائر وملحقتيها في كل من وهران وقسنطينة. ولقد زاد العدد عن الضعف أثناء الدخول الجامعي 1962-1963، وتضاعف 9.5 مرة بعد ذلك بأقل من عشر سنوات وبلغ عدد الطلبة المسجلين عند الدخول الجامعي 2010-2011 بعد خمسين عاماً من الاستقلال 1.200.000 طالب، في سنة 1962 وسنة 2012 تضاعف عدد الطلبة بحوالي 1000 مرة، ويتوزع هذا التعداد على العديد من المواقع الجامعية الجديدة الموجودة في 48 ولاية، ويضاف إلى هذا العدد الطلبة المسجلون في المؤسسات التابعة لوصايات إدارية أخرى، غير وصاية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.⁽⁵²⁾

2-2-1-3- أعضاء الهيئة التدريسية:

لقد سجل عدد الأساتذة في الجامعة الجزائرية تزايداً مستمراً إذ تضاعف بما يقارب 170 مرة من الفترة الممتدة من (1962-2015) حيث ارتفع مجموع الأساتذة من 289 أستاذ سنة 1962 إلى 17460 أستاذ سنة 2000، ليصل لحوالي 40140 سنة 2011، ليلعب سنة 2015 حوالي 53622 أستاذ. مما يبين أن هناك نمو هام في عدد المدرسين ولكن بنسب متفاوتة حسب رتبة الأستاذ، ويساعد الارتفاع في عدد الأساتذة في تحسين نوعية التعليم العالي وذلك من خلال معدل التأطير لكل صنف من الهيئة التدريسية، كما أن الجزائر استطاعت أن تقلل من التعاون الأجنبي من خلال سياسة الجزارة، حيث وصلت نسبة الجزارة عام 2006 - 2007 إلى 99,75٪ بعدما كانت تقدر بـ 27,5٪ غداة الاستقلال.⁽²⁶⁾

2-2-2- تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الجزائر:

يتحدد النجاح في عصر المعلومات إلى حد بعيد بكفاءة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال والارتباط بشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) وتوافر طرق المعلومات السريعة وشبكات البث الإذاعي والتلفزيوني الرقمية والهواتف النقالة والحوايب، وخدمات التبادل الرقمي للمعلومات والتي أصبحت الأسس التي تحكم كافة مناحي الحياة وأسلوب أداء الأعمال والجزائر لا تزال بعيدة إلى حد ما عن الاستجابة لهذه المقاييس رغم مجهوداتها المبذولة والتطور الملحوظ نسبياً في هذا المجال.

وتمثل نسبة النفاذ إلى الانترنت للمشاركين بنسبة لـ 100 نسمة بـ 11,97٪ وهي نسبة ضعيفة مقارنة بنسبة 76٪ المسجلة في ايسلندا صاحبة الأداء الأعلى في هذا المؤشر، أما فيما يتعلق بالنفاذ للانترنت بالنسبة للمؤسسات أي المشاركين المهنيين فقد قدرت بـ 13,94٪ وهو مرتفع نسبياً مقارنة بالمؤشر السابق.

وعن الكثافة الهاتفية، فحسب إحصائيات وزارة البريد وتكنولوجيا الإعلام والاتصال بالجزائر نهاية عام 2008 فنلاحظ بأنها مرتفعة بالنسبة للهاتف الجوال أو النقال حيث وصلت إلى 997,9٪، بمعنى أنها غطت معظم السكان وهذا راجع إلى السياسة التي انتهجتها الدولة في هذا القطاع بداية من سنة 2000 خاصة بعد فتح باب المنافسة فيه أمام المؤسسات مثل جازي، موبيليس ونجمة وقد تضاعف عدد مستخدمي الهاتف النقال بشكل مذهل في السنوات الخمس الأخيرة.

وأما عن التجارة الإلكترونية في الجزائر، فقد لا ترد أرقام وإحصائيات دقيقة عن حجم ونمو التجارة الإلكترونية في الجزائر لكن مؤشرات وملاحظاتها تظهر جلياً في مختلف جوانب هذا النوع من التجارة فعلى سبيل المثال ظهرت العديد من المواقع الإلكترونية على

اختلاف اهتماماتها بل ولقيت اهتماماً عميقاً من قبل مستخدمي الأنترنت في الجزائر مثل موقع واد كنيس Ouedkniss.Com يقدم هذا الموقع خدمات عدة متميزة، تتمثل في تصميم المواقع بأنواعها، وتوفير فرص الإعلان المجاني لكل من يريد عرض أي صنف من السلع والخدمات كما يوفر مساحات إخبارية لمختلف الشركات، وموقع الخطوط الجوية الجزائرية عبر الموقع Airalgerie.Dz، وغيرها من المواقع.

ومن جهة أخرى ظهرت ملامح السداد الإلكتروني في الجزائر عن طريق انتشار أجهزة الموزعات الآلية للأوراق النقدية، إصدار العديد من البنوك والمؤسسات المالية لبطاقات بلاستيكية مغطاة تحتوي على شريحة ميكروية تسمح لصاحبها بسحب مبالغ معينة من الأموال من حسابه الشخصي متى شاء، ومحاولة اعتماد بطاقات فيزا وماستر كارد وغيرها في المنظومة البنكية الجزائرية كالبنك الجزائري ومجموعة الجزائر للخدمات البنكية الإلكترونية.⁽⁷²⁾

3- واقع توظيف المعرفة العلمية لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر:

الجزائر على غرار الدول العربية الأخرى تفتنت لدور البحوث في عملية التنمية وتطور الدولة، حيث اتخذت إجراءات وتدابير نحو مسعى بناء نظام بحث علمي فعال تستثمر نتائجه في تقدم الدولة الجزائرية وعصرنتها، حيث سجلت هذه السياسة البحثية أرقاماً أثبتت تطورات كمية على عدة مؤشرات لكن تقدم هذا القطاع لا يرتبط بما تسجله الأرقام من تقدم وإنما يرتبط أيضاً بنوعية المخرجات المقدمة نظير ما تنتقيه من مدخلات وما يتفاعل بداخلها من عمليات.

فالتطور الكمي لا يخفي القصور النوعي، حيث ما زالت مؤسسات التعليم العالي في الجزائر، عبارة عن مؤسسات استهلاكية للمعرفة التي ينتجها لها الآخرون، وهذا راجع لانخفاض نسبة المشتغلين بالبحث العلمي الجامعي إلى أعضاء هيئة التدريس حيث تركز غالبية البحوث العلمية الجامعية لدى من يرغبون في الترقى إلى الدرجات الأعلى لاستيفاء شرط الترقية، ثم يتوقف لدى الكثير من أعضاء هيئة التدريس بعد وصولهم إلى رتبة الأستاذية في الوقت الذي تمثل هذه الرتبة قمة العطاء العلمي الجاد وليس التوقف، والذي يرجع لأسباب مرتبطة لكثرة العبيء التدريسي والمهام الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس إضافة لكثرة الأعباء الإدارية لدى نسبة كبيرة منهم.

ورغم استقطاب الجامعة الجزائرية للغالبية العظمى من حملة الدكتوراه والماجستير إلا أن دورها في الجهود الوطني للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي بقي محدوداً جداً لعدم توجه معظمهم لتبني مشروعات بحثية تطبيقية لحل المشكلات الإنمائية الوطنية، وهذا يرجع لعدم قيام الجهات البحثية بالتخطيط المسبق للبحوث التي يقومون بها بما

يلبي حاجات الاقتصاد الوطني من حيث تطوير الإنتاج أو حل مشاكل قائمة يعاني منها حقل من حقوله أو إيجاد طرق وسبل إنتاجية جديدة تعود بالفائدة على الجهات الإنتاجية، وهكذا فالبحوث المنتجة بعيدة عن تلبية حاجات قطاع الصناعة أو الزراعة أو المجتمع مما يصعب أو يستحيل تطبيقها والاستفادة منها عملياً. ونظراً لمركزية الدولة في قطاع البحث العلمي بوصفها الممول الرئيسي له، جعلها تميل لاستغلال هذا النفوذ والتدخل بعدم السماح للجامعة وحتى مراكز البحوث من الانطلاق من مناقشة قضايا اجتماعية واقتصادية وسياسية محددة من خلال الميدان أو الواقع، مما جعل البحث العلمي والتطوير يأخذ صفة الأكاديمية المطلقة ويميل في معظمه للتنبؤ بعيداً عن مجريات الأحداث الواقعية، وهذا يفقده جانباً كبيراً من أهميته وجدواه لعدم وجود حرية أكاديمية لكشف الحقيقة أو تطبيق نتائج الأبحاث.⁽²⁸⁾

على مستوى آخر تعتبر براءات الاختراع المودعة من العناصر المحورية المساهمة في تضخيم ميزانية الدولة المالية والتي تعمل على تنميتها وتقدمها. وبالعودة إلى إحصائيات براءات الاختراع المودعة في الجزائر نجد أنه في سنة 2011، وعلى مستوى 90 باحث مخترع مقيم في الجزائر، تم إيداع 116 براءة اختراع يساهم فيها العنصر النسوي بنسبة 09%، وفي سنة 2013 وصلت عدد براءات الاختراع على مستوى 172 باحث مخترع مقيم إلى 168 براءة اختراع، بحيث يسجل الباحثون والأساتذة الباحثون على مستوى مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي نسبة 50% تليها مساهمة مراكز ووحدات البحث العلمي التابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي بنسبة 36%، لتسجل مراكز ووحدات البحث خارج قطاع التعليم العالي والبحث العلمي نسبة 14%.⁽²⁹⁾

تظهر النتائج المذكورة بأن مساهمة قطاع التعليم العالي والبحث العلمي أكثر تفوقاً من مساهمة مراكز ووحدات البحث خارج هذا القطاع، ذلك أن البحث العلمي في الجزائر ما يزال مركزاً في الجامعات والمعاهد أكثر من القطاعات الأخرى، التي قلما تولي البحث العلمي أهمية أو تستثمر في نتائجه، فحتى ما تم تسجيله من براءات الاختراع هذه لم يتم الاستفادة منها بشكل فعال في قطاعات التنمية المختلفة، هذا على المستوى المحلي، فمع ما يمكن أن يكون لهذه البحوث من نتائج تطبيقية في عملية الإنتاج إلا أن معظمها لم يجد سبيله إلى حيز التطبيق والواقع، إذا فإننا لا نبالغ إذا ما قلنا أن الاستثمار في مجالات البحوث لا يمثل مردوداً يذكر في تطوير القطاعات الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر.

أما على المستوى الخارجي فإن الجالية الجزائرية من الباحثين المخترعين المقيمين في دول أجنبية، والذين يتواجد أغلبهم في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، يساهمون بشكل فعال في إثراء الاقتصاد العالمي، حيث تشهد نسب براءات الاختراع التي يتم إيداعها على

هذا المستوى تطوراً محسوساً مقارنة بما تم تسجيله محلياً، حيث نجد أنه في أكتوبر 2011 على مستوى 513 مخترع تم إيداع 2744 براءة اختراع، وفي أبريل 2012 على مستوى 513 مخترع تم إيداع 2833 براءة اختراع، وأما في سنة 2013 ارتفعت إلى 3036 براءة اختراع على مستوى 539 مخترع، يساهم فيه العنصر النسوي بنسبة 14٪ من مجموع براءات الاختراع، وهذا ما يدفعنا للقول أن واقع البيئة العلمية التي تتفاعل معها كل فئة من الباحثين (المقيمين في الجزائر والمقيمين في الخارج)، وراء خلق فجوة بين النسب المحققة محلياً وخارجياً من براءات الاختراع المودعة. (30)

5- رؤية إستراتيجية لبناء مجتمع المعرفة وبلوغ التنمية المستدامة:

سنحاول في هذا الجزء من الدراسة الإلمام بآليات بناء مقومات مجتمع المعرفة باعتباره مطلب ملح لتحقيق النهضة واستدامة التنمية في بلدنا، وهذا بناءً على قضايا ومركزات مجتمع المعرفة.

5-1- التحرك في ميدان البيئة التمكينية وإنتاج المعرفة:

وذلك من خلال تهيئة البيئات التمكينية المناسبة التي على ضوءها ينشأ ويتطور المجتمع وهذه البيئات تشمل على التوسيع في مجال الحريات العامة وصوغ التشريعات القانونية الداعمة لمركزات وآفاق مجتمع المعرفة، ومراجعة الخطط التنموية لبحث سبل المواءمة بينها وبين متطلبات مجتمع المعرفة. (13)

5-2- نشر وتوطين المعرفة:

وهذا مرتبط بإضفاء الطابع المحلي والخصوصي والذاتي أثناء وبعد عملية التوطين حيث تصبح المعطيات المنقولة جزءاً من بنية المجتمع المنقول إليه ولا تظل مجرد معطى منسوخ وغريب عن بيئته الجديدة مع التأكيد على أن الانفتاح والتواصل يشكلان معاً القاعدة الكبرى في مجال التوطين، وإنشاء مراكز البحث والانفتاح على منابع المعرفة العالمية والاهتمام بالتدريب والتأهيل كلها خطوات أساسية في درب استنبات العناصر التي تفجر إمكانية تطوير المعرفة في مجتمعنا. (23)

5-3- توظيف المعرفة:

ويرتبط محور توظيف المعرفة في وطننا بالمحورين السابقين أي بإنتاج المعرفة ونشرها فنحن لا ننتظر توطين المعرفة وإنتاجها لنمارس التوظيف بل نمارس التوظيف في إنتاج توطين المعارف، ويوحي التوظيف إلى آليات ومعطيات، وأساليب جديدة في العمل مستمدة من ثورة المعرفة في الاقتصاد والمجتمع، ولهذا فالمقصود بالتوظيف يتجاوز مجرد الاستخدام الميكانيكي الناقل لأدوات معنية في المعرفة واقتصاد الخدمات، وإنما الأمر

يتعلق بابتكار وإعادة إنتاج الوسائل القادرة على تحويل المجتمع والاقتصاد والمعرفة في اتجاه مواجهة احتياجات وإشباع رغبات الإنسان ومتطلباته الزائدة والعمل على استمرارية تنميتها لتحقيق استدامتها.⁽³³⁾

وهذه المحاور التي ذكرناها بصورة مجزأة تعد محاور متداخلة ومتفاعلة وتعد متقاطعة في أسلوب تشكلها وتبلورها بين بيئات التمكين والتوطين والتوظيف ومنها جميعاً ينشأ إنسان مجتمع المعرفة، وإذا كنا نعي أن التحديات التي تواجهنا في موضوع مجتمع المعرفة كبيرة ومعقدة فإن الانخراط في المحاور يدرج في عداد الأعمال المركبة، ومن هنا فالأمر ملح على التقاطع والتداخل والتفاعل بين هذه المحاور لبناء مجتمع المعرفة الذي سيكون الرافد الأساسي لتحقيق التنمية المستدامة.

الخاتمة:

وبناءً على واقع مؤشرات الأداء المعرفي في الجزائر إنتاجاً ونشراً وتوظيفاً، توصلنا إلى أن الجزائر اكتفت بتحقيق مؤشرات كمية للإبداع والتعليم والتكنولوجيا ولم تعداها إلى مؤشرات نوعية قادرة على توليد المعرفة العلمية وتوظيفها حتى تكتمل دورة حياة المعرفة المتجددة، وبالتالي فإنها غير قادرة من خلال أدائها المعرفي على رفع التحدي لبلوغ التنمية المستدامة.

واستخلصنا بأن محاور المعرفة متداخلة ومتفاعلة فيما بينها، وتعد متقاطعة في أسلوب تشكلها ما بين البيئات التمكينية المساعدة على بناء مجتمع المعرفة وعملية إنتاج ونشر وتوظيف المعرفة، ومنها جميعاً ينشأ إنسان مجتمع المعرفة كفاعل أساسي للإبداع الفكري والمعرفي وكعضو يؤثر ويتأثر، يبدع لنفسه ولغيره مما يؤكد أن بناء القدرات الإنسانية وتوظيفها بشكل فعال يمثل الرافد الأساسي لتحقيق التنمية المستدامة.

ومن خلال النتائج المتوصل إليها وكمحاولات للإجابة عن الإشكالية المطروحة لهذه الدراسة، نقول بأن بناء مجتمع المعرفة يعتبر آلية فعالة لتحقيق التنمية المستدامة، غير أن ضعف الأداء المعرفي في الجزائر على كافة مستويات دورة حياة المعرفة إنتاجاً ونشراً وتوظيفاً، نتج عنه تأخر اندماجها في مجتمع المعرفة، وبالتالي غياب القدرة على استحداث آليات من شأنها النهوض بالتنمية المستدامة المنشودة.

مما يفتح مجال الدراسة للتفكير بعمق في سبيل وضع خطة إستراتيجية وطنية محكمة، ترمي إلى معالجة العوامل التي تحول دون الولوج في مجتمع المعرفة، وأسباب غياب دوره الحقيقي في بلدنا الذي يعد داعماً أساسياً لتحقيق التنمية المستدامة.

الهوامش:

- 1 - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الإقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003، « نحو إقامة مجتمع المعرفة»، عمان: المكتب الإقليمي للدول العربية، 2003، ص 02.
- 2 - طاهر لبيب، (محرر)، الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، المجلد الثالث، لبنان: الدار العربية للعلوم للنashرون، 2007، ص 209.
- 3 - دفيد بول، فوراي دومنيك، «مقدمة في إقتصاد مجتمع المعرفة»، (ترجمة: عبد الظاهر منى)، المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية، القاهرة، العدد 17، السنة 2010، ص 13.
- 4 - صلاح الدين محمد توفيق، هاني محمد يونس موسى، صناعة المعلومات في المملكة العربية السعودية، ط 02، الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية، 2010، ص 17.
- 5 - نعيم إبراهيم الظاهر، إدارة المعرفة، عمان: دار جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، 2009، ص 32، 38.
- 6 - مبارك بوعشبة، «التنمية المستدامة: مقارنة إقتصادية في إشكالية المفاهيم»، مداخلة قدمت إلى: المؤتمر العلمي الدولي حول: التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، الجزائر: جامعة سطيف، 07-08 أبريل 2008، ص 21.
- 7 - محمد غربي، « مشروعات تحقيق التنمية المستدامة في العالم العربي الإسلامي في ظل تحديات العولمة من خلال المؤتمرات الإسلامية: مؤتمر القمة الإسلامية العاشرة ببوتراجيا 2003»، رسالة دكتوراه، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2006، ص 162.
- 8 - عمار عماري، الإبداع التكنولوجي في الجزائر: واقع وآفاق»، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، الجزائر: جامعة سطيف، العدد 03، السنة 2004، ص 13-14.
- 9 - عمر بن مساعد الشريوفي، التحول إلى مجتمع المعرفة وأثره في تعزيز الأمن الفكري»، مداخلة قدمت إلى: المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري: المفاهيم والتحديات، السعودية، 22-25 مارس، 1430هـ، ص 17.
- 10 - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، التقرير العالمي لليونسكو لعام 2005 «من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة»، فرنسا: منشورات اليونسكو، 2005، ص 25، ص 19.
- 11 - البنك الدولي، بناء مجتمعات المعرفة: التحديات الجديدة التي تواجه التعليم العالي، مصر: مركز المعلومات قراءة الشرق الأوسط، 2003، ص 25، أنظر في:

[http // :www.woold bank.org](http://www.woold bank.org)

- 12-أمال قاسيمي، أسهمان تمغارت، وآخرون، الجزائر، إشكليات الواقع ورؤى المستقبل، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي(64)، 2013، ص 67.
- 13 - موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (الجزائر)، أنظر في :
<https://www.mesrs.dz>
- 14- المجلس الشعبي الوطني، «التقرير التمهيدي عن مشروع القانون التوجيهي حول البحث العلمي والتطوير التكنولوجي»، أنظر الموقع :
<https://www.apn.dz/AR/textes-de-la-lois-ar>
- 15 -موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (الجزائر)، المرجع السابق الذكر.
- 16 - إسماعيل محمد صادق، البحث العلمي بين المشرق العربي والعالم الغربي، كيف نهضوا ولماذا تراجعنا، القاهرة: دار الكتب المصرية، 2014، ص 81.
- 17 -République Algérienne Démocratique Et Populaire, C.N.E.S, Rapport National Sur Le Développement Humain 2013-2015, “Quelle Place Pour Les Jeunes Dans La Perspective Du Développement Humain Durable En Algérie”, Algérie, 2016,P 71.
- 18- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم والمكتب الإقليمي للدول العربية، تقرير المعرفة العربي لعام 2009، «نحو تواصل معرفي منتج»، الإمارات العربية المتحدة: دار الغرير للطباعة للنشر، 2009، ص 175.
- 19 -موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (الجزائر)، المرجع السابق الذكر.
- 20 -إسماعيل محمد صادق، المرجع السابق الذكر، ص 82.
- 21 -الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، رئاسة الحكومة، أنظر في:
<https://www.cg.gov.dz/psre/bilan-psre-htm>
- 22 - محيا زيتون، التجارة بالتعليم في الوطن العربي، الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013، ص 110.
- 23 - نجاة بوساحة، «إشكالية إنتاج المعرفة في الجامعة الجزائرية»، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر: جامعة ورقلة، العدد 08، جوان، السنة 2012، ص 202.
- 24 - قوانين المالية لسنة 2000، 2010، 2016.
- 25 - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر خمسون سنة في خدمة التنمية 1962-2012، ص 31.
- 26 - إحصائيات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- 27 - حسين شنيني، «واقع البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في كل من الجزائر، مصر والإمارات خلال فترة 2001-2002»، دراسة مقارنة»، مجلة الباحث، الجزائر: جامعة ورقلة، العدد 10، السنة 2012، ص 70-71.

- 28 - نصيرة قريشي، «إشكالية البحث العلمي ومخرجات التعليم العالي في الجزائر»، مداخلة أقيمت في ملتقى وطني حول: دور التعليم العالي والبحث العلمي في تحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، الجزائر: جامعة الشلف، 16/04/2013.
- 29- République Algérienne Démocratique Et Populaire, Ministère De L'enseignement Supérieur Et De Larecherche Scientifique Et Du Développement Technologique, Direction Générale De La Recherché Scientifique Et Du Développement Technologique, Recueil Des Brevets D'invention 3ém Edition 2013, P11
- 30 - ibid, P23.
- 31 - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مؤسسة بن راشد آل مكتوم والمكتب الإقليمي للدول العربية، «تقرير المعرفة العربي لعام 2009»، المرجع السابق الذكر، ص 205.
- 32 - أحمد أنور بدر، المعرفة بين الإطار الفكري والتطبيقات العملية، القاهرة: الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، 2011، ص 203.
- 33 - صلاح الدين محمد توفيق، هاني محمد يونس، المرجع السابق الذكر، ص 85.

تحليل المنشورات و الوثائق العلمية في مجال العلوم

الإنسانية والاجتماعية

دراسة وصفية تحليلية للخصائص البيبليومترية وبنية

ونمط الكتابة العلمية-.

Analysis of publications and documentation in the field of»

“Humanand social Science

Descriptive analytical study of bibliomtrih characteristics, structure
.and style of scientific writing

د. سامية رحال

جامعة حسينية بن بو علي / الشف

ملخص:

إن أي معلومة لا تقبل ولا تتوج بالبصمة العلمية إلا إذا مرّت من خلال النشر العلمي، الذي أصبح يشغل الحيز الأكبر والمهم في البحث العلمي بل حتى أصبح يحوي أهداف البحث العلمي نفسه من جهة، وقيم من خلاله الباحث من جهة أخرى ذلك لأن الانضباط والترتيب والنظام مرتبط بعلاقة طردية مع الإقبال والاهتمام وحسن الاستفادة. وعلى هذا الأساس يستوجب على الاتحاد العلمي العالمي أن يوحّد المعايير البيبليومترية للنشر في العالم دون عائق لغة أو مفاهيم أو معايير لاسيما في مجال العلوم الإنسانية حيث يجد الباحث نفسه أمام العديد من الأدبيات والمقاربات تختلف من حيث وجهة النظر المكانية والبنوية وهذا ما يؤدي إلى تعدد مشاكل التسيير وإرصان الوثيقة العلمية.

ومن هنا تهدف الدراسة الحالية إلى تحديد خصائص الوثيقة العلمية التي تسمح لنا بتوضيح ووضع بعض قواعد إنتاج المعلومة العلمية، أين سنسلط الضوء على فهم دور المناقشة العلمية والتدخلات العلمية في البحث العلمي، اللفظية والكتابية منها، متطرقين في ذلك إلى التصنيفات الكبرى للمنشورات العلمية (صحيفة، مقال، مجلة، تقرير علمي.... الخ) مبرزين في ذلك بنية ونمط الكتابة العلمية بشكليها الفيزيائية والمنطقية محاولين طرح مشروع توحيد اللغة العلمية.

الكلمات المفتاحية: المنشورات العلمية/ الخصائص البيبليومترية/ بنية الكتابة العلمية

Abstract

To which information does not accept nor retain scientific footprint unless passed through scientific publication, which became the largest space occupies the important scientific research and even became contains objectives scientific research itself, on the one hand, and from which the researcher on the other hand because of discipline and order and order linked to a direct correlation with the turnout and interest, good benefit.

On this basis would require global scientific Union unite standards bibliomtrih for publication in the world without constraint language or concepts or criteria, particularly in the humanities, where researcher finds himself in front of many literature and approaches differ in terms of spatial and structural point of view, this leads to multiple problems of propulsion warsan scientific document.

Hence the current study aims to characterize scientific document that will allow us to clarify and develop some scientific information, production bases in ag21 highlights the understanding of the role of scientific debate and scientific research interventions, verbal and written, discussing the major classifications of scientific publications (newspaper, an article, a journal, a scientific report ... Etc) highlighting in this structure and scientific writing style. **Keywords:** Scientific publications/ *bibliomtrih characteristics/ structure of scientific writing.*

مقدمة:

تمر المعلومات أساسا داخل المجتمع العلمي عن طريق المنشورات العلمية، حيث تحتل هذه الأخيرة مكانة أساسية في البحث اليوم، وقد تشكل الهدف من البحث العلمي نفسه، هذا لأن الباحث أصبح يقيم اليوم من خلال منشوراته.

من هذا الواقع تتجلى أهمية هذه المنشورات. الأمر الذي دعا المجتمع العلمي أن يحاول توحيد خطابه حتى يتسنى استغلال تلك الدراسات والأعمال العلمية بسهولة دون عقبات لغوية حيث أن تنوع اللغات المستخدمة في العالم وكد مشكلة حقيقية تعيق الاتصال بين أعضاء المجتمع العلمي الدولي. ولأجل ذلك أصبح من الضروري إيجاد شيفرة موحدة ومشاركة بين جميع لغات العالم. حتى لو استلزم الأمر اختراع لغة بصيغ خاصة ومفردات أخرى تختلف عن تلك الموجودة في أي لغة، ولكن المجتمع العلمي لم يرقى إليه النقطة من البحث ولم يصل بعد إلى لغة مشتركة، إلا أنه قد تم اختيار اللغة الإنجليزية لغة علمية عالمية لأسباب تاريخية لا يمكن أن نعرضها في إطار هذا العمل.

أمّا فيما يتعلق بعقبة المفاهيم عموما فإن جلّ المشاكل قد حلّت تقريبا، حيث أن معظم الميادين وكدت مفاهيمها بإستثناء بعض الميادين الدراسية التي لا تزال في المرحلة التحضيرية.

أمّا فيما يخص مشاكل المعايير الخاصة بالمنشورات العلمية، فهنا لازال عمل كبير ومهم في هذا المجال حيث نجد انه بإستثناء العلوم الدقيقة التي لها تقاليد فيما يخص النشر العلمي كالطب والبيولوجيا إلا أن أغلبية العلوم الأخرى (العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية) لا يولون أهمية لهذا المشكل. ومستعمل هذه الوثائق (باحثين، مكتبيين...) يجدون أنفسهم أمام العديد من الدراسات المختلفة من حيث الموقعية والبنية وهذا سيضعف مشاكل التسيير والاستغلال الصحيح والتميز لهذه الوثائق.

ولأجل ذلك سنحاول في هذا العمل تحديد خصائص الملف العلمي في العلوم الإنسانية التي تحاول أن ترتقي وان تصل إلى مستويات العلوم الدقيقة من حيث الدقة والتقنين المحكم لدراساتها، كما أن تحديد خصائص الوثيقة العلمية سيسمح لنا من إرصان بعض القواعد لإنتاج المعلومة العلمية، حيث هنا تكمن أهمية الدراسة، أين سنتعرّف في الدراسة الحالية على «الوثيقة العلمية» في جميع أصناف الدراسات العلمية كالأدبيات والدراسات الرّمادية. وسيتم كل هذا من خلال إجابتنا على جملة من الأسئلة وهي:

- * ما هو دور الاتصال العلمياً والنشر العلمي في مجال البحث العلمي؟
- * هل يمكننا إلغاء تصنيف العلوم عندما نتكلم عن اتصال النشر العلمي؟ أو بمعنى آخر
- * هل يمكننا إيجاد لغة مشتركة بين جميع العلوم بغض النظر عن تصنيفاتها؟
- * ما هي أهم المشاكل التي يواجهها النشر العلمي في مجال العلوم الإنسانية؟
- * ماهي شروط إعداد ورقة علمية ناجحة؟

سنتناول في البداية عرض وصفي للإتصال العلمي (أصناف العلوم، اللغة، النشر العلمي) بعدها نقوم بالتعرّف على أنواع المنشورات العلمية بغية تحقيق موقعها. وفي الأخير نحاول استخراج بعض الخصائص المتعلقة بالبنية و أسلوب الكتابات العلمية. وذلك من أجل تحقيق جملة من الأهداف من خلال هذه الورقة العلمية.

أهداف الدراسة

- 1- تسليط الضوء على مكانة ودور النشر العلمي أو الإتصال العلمي في البحث عموماً.
 - 2- طرح مشاكل المعايير في النشر العلمي لاسيما في العلوم الإنسانية.
 - 3- تحديد خصائص الورقة العلمية.
 - 4- إرصان بعض قواعد النشر للمعلومة العلمية في ميدان العلوم الإنسانية.
- للإجابة على تلك التساؤلات وكذا بلوغ الأهداف المرجوة من هذه الورقة، قمنا بدراسة مسحية لدراسات سابقة في هذا الموضوع والتي من خلالها جمعنا مجموعة من النقاط المهمّة التي يجب أن يتعرف عليها كل باحث مهما كان اختصاصه.

الإطار النظري للدراسة الحالية:

نبذة تاريخية:

تنظيم العلم بالشكل الذي هو عليه اليوم يعود إلى القرن السابع عشر حيث طرحت الفكرة في أطلنطا الجديدة **NewAtlantis** من طرف «فرانسيسبيكون» **Francisbac on** «تستطيع العلوم بل يجب على العلوم أن تكون منظّمة ومطبقة حتى يتسنى لها تحسين وتغيير الظروف المعيشية للأفراد»

(DEVILLARD, J 1991 ,p .44)

ومن ثم ظهرت عدّة أكاديميات من بينها الأكاديمية الملكية في لندن وأكاديمية العلوم في باريس ومن خلال هذه الأكاديميات المؤسسة من طرف القوى السياسية عرف البحث رسمياً. كما لعبت المراسلة دوراً مهماً في التبادل المعرفي بين العلماء.

عن جابلو **Gablou** (1984) ظهرت أولى المجالات كصحيفة العلماء وخاصة تلك المرتبطة بالمعاملات الفلسفية الصادرة من الأكاديمية الملكية سنة 1965.

نجد أن هذه الصحف تقوم بجمع الدراسات والأعمال المقدمة للمناقشة عن طريق المراسلات والمقالات التي سبق نشرها في المجلة.

خلال هذه الفترة، ومع زيادة عدد النصوص المقدمة إلى مؤسسة العلماء أصبحت المواعيد النهائية لفحص هذه المقالات لا تطاق. مما أدى إلى ظهور أول دوريات متخصصة مستقلة عن هذه المؤسسات العلمية، وعلى هذا النحو تطوّر الجانب الرسمي للدراسة العلمية مع الوقت على نحو أكثر دقة، وقد أشار «ميدوز» **Meadows** (1985) في القرن التاسع عشر، أن المراجع الببليوغرافية و تاريخ استلام المقالات بدأت تقدم عند الطلب من القراء». (ص 27)

فيما يتعلق بعدد من المجالات أو الكتابات المسماة العلمية نستطيع القول أنها لم تتوقف عن الزيادة منذ وضع الجمعيات العلمية. وحسب «جابلو» (1984) **Gablou** فقد تمّ إحصاء خمس مجلّات علمية سنة 1700، وأربعة وسبعون مجلة سنة 1800، وبعد 85 سنة من هذا التاريخ وصلت إلى 8603، أمّا يومنا هذا فقد بلغت حسب «ليفليون» **Levy-Lebland** 40000 مجلة علمية عبر العالم. (SD,PP :101 ,AGOSTINI-112))

إن هذا التطور والزيادة في عدد المنشورات العلمية ما هو إلا انعكاس لأهمية الاتصال العلمي بين الباحثين إلّا أن هذه العملية لا تخلو من العقبات وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذه الورقة حيث سنتطرق إليهم محاور ومبادئ النشر العلمي التي تساعد في اتصال

علمي فعّال بين الباحثين.

أولا/ الاتصال العلمي والنشر العلمي :

1/ تعريف العلم ومكانته :

العلم هو نتاج البحوث العلمية، يتطور هذا العلم مع الزمن بفضل أعمال العلماء والباحثين ولهذا في النصف الثاني من القرن العشرين حدد عمر العلم، طالما سمعنا الحديث عن العلوم الدقيقة، العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية، العلوم الأساسية لكن كيف يمكننا تصنيف هذه العلوم؟

هناك العديد من التصنيفات اقترحت من طرف الباحثين المهتمين بهذا المجال والتصنيف الذي سنقدمه هنا هو ذلك الذي قدمه «جيلجاستن» GILES-GASTON (1993) في كتابه «العلم والعلوم» حيث اقترح صنفين من العلوم:

أ/ - العلوم « الرياضيات » كانت عبر التاريخ أولى المعارف للوصول إلى العلم.

ب/ البحوث الإمبريقية التي تعتمد على التجريب.

هذه الموقعية تركز على اختلاف هذين الصنفين من العلوم من حيث أهدافها ومناهجها. هناك اختلاف حتى في العلوم التجريبية تسمح لنا باستخراج موقعية أخرى هي العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.

2/ الاتصال العلمي والبحث العلمي :

دور ومكانة الاتصال العلمي في البحث العلمي

يرتبط الاتصال العلمي بالبحث العلمي ارتباطا وثيقا فهما مكملين لبعضهما البعض، حيث انه دون بحث لا يكن لدينا أي اتصال وبدون اتصال لن يتقدم البحث.

كما أن البحث يهدف إلی التقدّم العلمي وهذا الأخير صالح لكل الإنسانية وليس للفرد فقط، ولا يمكن تحقيقه إلا بالتنسيق بين العلماء أين تكمن ضرورة الاتصال بينهم.

ففي الواقع دور العالم أو الباحث لا يتوقف فقط على انجاز البحث إنما يتوجب عليه إيصاله للآخرين، فهي إذن خاصية لمهنته.

في هذا السياق استهل داي (DAY) (1989) في كتابه بقول «ليس من الضروري على السبّاك أن يكتب كيف صلح الأنابيب، ولا على المحامي أن يكتب نداءات (إلا فقط نقاط) لكن العالم حالة خاصة بين كل المهن يتوجب عليه أن يقدم وثيقة مكتوبة تبين ما قام به؟ ولماذا قام به؟ وكيف قام به؟ وأي تعليم تبناه؟ أي يجب على العالم ليس فقط صناعة العلم بل عليه أن يكتبه أيضا» (ص. 11)

و يضيف «لويستيمبالديكلو» (TIMBAL-DUCLAUX) (1990) أن عالم الاجتماع «روبارت مارتنلويس» (Robert Merton) (1942) عبّر عن مثالية المهنة العلمية بالحروف CUDOS التي ترمز إلى (Communalisme Universalisme Désintérêts) . وهنا أيضا نلاحظ أنّ أول، مصطلح من هذه المثالية تمثّل في «الاتصال» كما عبّر عن ضرورة الاتحاد والاشترار بين الباحثين في العالم بمعنى ضرورة نشر نتائج الدراسات والمناهج المستعملة «ص (11)

وعليه لا يوجد بحث وحيد، حيث يجب على كل بحث أن يقدم الدراسات السابقة للموضوع مع تحديد وضعية بحثه بين هذه البحوث. و هنا نجد أن «بسانسن» (BESANÇON) (1974) ألزم الباحثين على انه «حتى لو اكتشفتم اكتشاف أمر جديد لم يتناول من قبل، و إنكم لم تجدوا دراسات سابقة له، لا يعفيكم من الاتجاه للمكتبات وذكر الباحثين الآخرين لذلك يجب عليكم مراقبة كل الفجوات داخل الدراسات والأدبيات وخاصة تحديد موضع بحثكم بين كل ما هو معروف من دراسات وما هو غير معروف.» (ص. 11)

حتى لو فرضنا أن هناك بحث وحيد، يجب على الباحث أن يظّل طول الوقت في مخبره و بين أدواته الخاصة ببحثه حسب نوع العلم حتى يحقق بحثه. وهنا بيّن بنيشو (BENICHOUX) (1985) من خلال ملاحظة بعض التحقيقات «أننا بعيدين عن هذه المواقف لأن الباحث يقضي نصف وقته في القيام ببحثه الحقيقي والباقي يحتكره في استغلال كتابات علمية للآخرين (فحص المنشورات) والاتصال بمؤلفيها (الكتابة والنشر أو الاتصال اللفظي) بمعنى عمليا لا يوجد بحث علمي يخلو من دراسات سابقة (ص 19). كما يؤكد تيمبالديكلو (TIMBAL-DUCLAX) (1989) «لا يكتمل البحث العلمي ما لم تنشر نتائجه» (ص 18).

3 / لغة العلم أو لغة الاتصال العلمي؟

يجب على المعلومة العلمية أن تمرّ بين أعضاء اللجان العلمية فالحامل الأساسي لهذه المعلومة هو المجالات العلمية المتخصصة بواسطة اللغة. حتى يتسنى لنا ان نتفاهم بيننا على الباحثين توحيد لغة الاتصال فيما بينهم لأن العلم هو عالمي لا يتعلق بالجنسية ولا بلغة الباحث لا بد من تحطيم حاجز اللغة والاتصال بلغة واحدة. وهنابن كسينو آخرون (CASSIN & al) (1990) «على لغة العلم حيث قال: «في المجتمع العلمي، ليس للعلم واقع أو قصة تاريخية وبالتالي هو لا يحتاج للتعبير عن نفسه بلغات الأم لباحثيه.» (ص 266)

ثانياً: النشر العلمي للبحوث الأصلية أو المنشورات الأولية « الوثيقة العلمية »:

عرف داي (1989 Day) الوثيقة العلمية في كتابه على أنها « تقرير مكتوب ومنشور يصف النتائج الأصلية لبحث ما ». (ص 212)
من هذا التعريف يمكننا بوضوح استخراج خصائص الوثيقة العلمية في العلوم بصفة عامة لا سيما العلوم الإنسانية منها.

1- خصائص الوثيقة العلمية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- 1- يجب على الملف العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية مثله مثل أي ملف علمي آخر يجب أن يكون مكتوباً، وهذا يعني أي مداخلة شفوية لا تمثل ملف علمي.
- 2- يجب أن تكون منشورة وتلك التي نسميها الأدبيات الرمادية مثل الرسائل، والتقارير ليست بملفات علمية.
- 3- يجب أن تصف النتائج الأصلية للدراسة أو البحث.

لكن السؤال المطروح هنا هو كيف يمكننا معرفة النتائج الأصلية لبحث ما؟

للإجابة على هذا التساؤل يتوجب علينا فهم آلية انجاز ملف علمي يشير إلى صحة وصدق المنشور، وفي الواقع الملفات العلمية تخضع عموماً إلى التقييم من قبل فريق القراء التابعين للمجلة وذلك حسب معايير علمية. ولهذا دوفيلاروماركو **Devillard&marco** (1993) يعرفان المقال العلمي بأنه « مساهمة علمية مقيمة ومنشورة بشكل معير في مجلة علمية ». (ص 36) إذن هذا الملف العلمي سينشر في مجلة علمية والتي تعرف حسب الباحثين بأنها « سلسلة من المنشورات الدورية المعنونة تتكون من مجموعة مقالات مقيمة من قبل مجلس القراء الخاص بالمجلة وذلك بتوظيف المعايير العلمية. (ص 44)

نلاحظ إذن أن نشر الملف العلمي يتبع في تقليده ميكانيزم خاص، في هذا النوع من المجلات المسماة علمية هناك أنواع أخرى من المقالات أو الكتابات العلمية تنشر في حين أنها لا يمكن أن ترقى إلى درجة الأصالة. على سبيل المثال المجلة الورقية «هي مقال يدرس إما عمل حديث في موضوع أو في تخصص معين أين يكون العمل فردي أو جماعي». هذا النوع من المقالات صمم لغرض التلخيص والتحليل وجمع المعلومات التي تتضمنها البحوث الأصلية.

وفيما يتعلق بتقارير المحاضرات التي تقوم بتجميع كل ما تقدم في الندوات، المؤتمرات الوطنية والدولية... الخ وذلك بتقديم المعلومات الأصلية والمناقشات التي تلخص وتنشر

في مرجع أو في صحيفة لا يمكن اعتبارها كمنشورات رئيسية أو أولية لأنها لم تقيّم، هذا النوع من الملفات يمكن اعتبارها كمجلات ورقية فهي تأخذ نفس خاصية هذه المنشورات. ومن هنا يمكننا استخلاص أن خصائص البحث العلمي الأصيل هي التي تنشر حسب إجراءات محدّدة جيدا لأن فلسفة العلوم تركز على الفرضية الأساسية التي يتوجب على البحث الأصيل أن ينشرها.

2- أصناف الكتابات العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية:

تتكون المؤلفات العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية من مجموعة غامضة من الوثائق، وفي كل مرة ليس من السهل وضع تصنيف واضح لكتابتها العلمية. لذلك حاولنا تجميع هذه المؤلفات أو الأدبيات وفق أهداف مختلفة. وذلك حسب ما ذهب إليه أوغستينو وآخرون **Agostini & al** (1994) أين فرّق بين ثلاثة أقطاب بين هذا المجموع الغامض وهي:

- * المتعلقة بالمحادثات العلمية الرئيسية (المكتوبة من طرف باحثون لباحثين آخرين).
- * تلك المتعلقة بالمحادثات المهنية التعليمية مثل النصوص والدليل العملي التعليمي.
- * تلك المتعلقة بالتربية العلمية غير الرسمية (المجلات المعمّمة، صحافة، ملفات حول الثقافة العلمية... الخ)

كما اقترح باحثين آخرين أنواع أخرى من التصنيفات من بينهم بنيشو **Benichoux** (1985) حيث قسّم المؤلفات العلمية إلى أربع مجموعات منها:

1- الصحف العلمية :

تسمى أيضا بالمجلات العلمية عرّفها ماركو وديفيلارد **Marco & Divillard** (1993) بأنها «مناشير شكل سلسلات، تظهر بانتظام مع وضع عنوان كما تتكون من باقي المقالات المقيّمة من طرف لجنة القراءة حسب الخصائص العلمية». (ص 127)

كما يشير إليان الباحثين يولون أهمية كبيرة للدوريات والمجلات العلمية الخاصة. وعن بنعبدالله (1993) يرى ليناس **line.b** (1991) أنّ نظام النشر العلمي والتقنية تركز على الدوريات، في حين تقارير المحاضرات والكتب تلعب دورا مهما، إلا أنّ الباحثين يمنحون الأولوية لكل ما هو سريع فمن غير المرجح أن يعمل على تجميع الكتب في وقت لاحق وهنا تكمن أهمية الدوريات.

في هذه المجلات نجد عدّة أنواع من المنشورات أو المقالات التي تختلف من خلال وجهات النظر في مضمونها، هيكلها ودورها. حيث نجد ما يلي:

أ/ المقال العلمي نفسها أيضا «الورقة العلمية» :

وهو ذلك الذي ينشر النتائج الأصلية لبحث ما، حيث عرفه ديفيلارد **Divillard** (1991) في أطروحته على انه « السبيل الوحيد الذي يمكن الباحثين من التعبير. وهو أيضا وسيلة الاتصال الأكثر استعمالا بين مختلف الأعضاء في نفس الاتحاد العلمي.» (ص 127)

كما قدّم كروكس **Crookes** (1985) التعريف التالي: «يمكن أن تعرّف الوثيقة العلمية كنمط أو كصنف من الكتابات العلمية، تستند على مجرد تحقيق الغرض منها ومساهمتها في تقدم العلوم أو التكنولوجيا.»

ب/ المجلة العامة أو «المجلة الورقية» :

هذا النوع من المقالات لا يتكون من النتائج الأصلية للدراسات والبحوث ولهذا لا يمكننا اعتباره منشورا علميا. لأن الهدف من هذا المقال هو مراجعة ونقد المؤلفات السابقة المنشورة ووضعها في تصور معين (p18 1989 Day).

ج/ تقارير المحاضرات والمؤتمرات :

وهو الذي يقدم مجمل المحاضرات والتدخلات والمناقشات التي دارت في محاضرات علمية كالمؤتمرات أو الملتقيات وغيرها من المجالس.

د/ أشكال أخرى:

نجد في الصحف العلمية أنماطا وأشكالا أخرى من المقالات وأنواعا خاصة كما سمّاها ديفيلارد **Divillard** (1993) مثل الجدل (ونقصد به ردود الأفعال المباشرة أو غير المباشرة للمختص، سيرة الباحث، ببليوغرافيا الباحث (وصف مسيرته الشخصية والعلمية)، الدراسات الاستقصائية، تقارير نقدية للعلم في فترة ما.. الخ.

2/ الأدبيات الرمادية:

يمكن أن تضم عدة أنواع من الوثائق حسب بنعبداالله (1993) تقارير المحاضرات، الملخصات، الأطروحات وهي أدبيات غير منشورة وتسمى أيضا بالأدبيات الجوفية أو الدفينة، تتميز بنى متعددة ولا تخضع لمعايير موحدة هذه الوثائق تنتقل عبر قنوات رسمية كالمكتبات الخاصة ومراكز المعلومات كما يمكنها الانتقال عبر قنوات غير رسمية لأخذ المعلومات والاتصالات بين الأشخاص. وهناك عدة تحقيقات أشارت إلى تفضيل الباحثين لمثل هذه القنوات.

فيما يتعلق برسالة الدكتوراه تأخذ مكانة مهمة جدا في الأدبيات الرمادية العلمية حيث كثيرا ما تنشر نتائج هذه البحوث في مقالات علمية قبل حتى مناقشة هذه المذكرات. ومع ذلك تبقى وثيقة علمية مرجعية لأننا نجد تفاصيل البحث وخطواته العلمية محققة. وهنا تجدر الإشارة إليان البحوث الإنسانية غالبا ما تنشر بحوث تستعين وتستهجد بداخلها بدراسات غير منتهية أي غير منشورة سابقا.

3 / الأدبيات الداخلية:

تتضمن التقارير الأولية في نهاية البحث، والمراسلات بين الباحثين السنوية وتقارير مختبرات البحث.

4 / الأدبيات «النفعية»:

تتضمن كلا من الملخصات والوثائق المعممة الموجهة لجمهور عريض.

5 / المصادر العلمية أو الدراسات المونوغرافية:

هي منشورات علمية تختلف عن البقية من حيث الحجم والمحتوى والبنية و تعرف بأنها كتب موجهة للطلاب من بداية المسار الجامعي وكذا إلى للباحثين.

إذا استبعدنا الأعمال العلمية من التعميم الموجه إلى الجمهور العريض الذي يمكن تصنيفه في الأدبيات النفعية « نجد في هذه الفئة كتب تهدف إلى طلاب الدورة الجامعية الأولى (التي هي أعمال تعليمية أخرى تستهدف الباحثين والمتخصصين).

انتهت دراسة ميريات J Meyriat (1984) بأن استعمال المقالات يفوق بأربعة أضعاف استعمال الكتب في الأعمال العلمية. على عكس ما نجده في قطاع العلوم الاجتماعية والإنسانية عامل الوقت يفقد قيمته لذلك يلجا الباحثين فيها إلى استعمال الكتب ليست بالضرورة حديثة النشر.

3- بنية الكتابات العلمية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية:

تختلف الأدبيات العلمية عن بقية الأدبيات، فهي تمتاز ببنية واضحة نسبيا وذلك حسب المنظور المنتمية إليه والبحاث الإنسانية كغيرها من العلوم تسعى إلى أن تطبق وتوضع لهذه المعايير والقواعد العلمية.

حيث كان يتوجب على الباحث أن يولي اهتماما كبير للمضمون أو المحتوى أكثر من طريقة عرض منشوره.

لأن ذلك أعاق عملية الاتصال العلمي الأمر الذي استدعى المتخصصين إلى إعادة النظر في كيفية تقديم البحوث للمستهلك، ولهذا نادى بنيشو Benichou (1985)

الباحثين للإهتمام أكثر بكيفية مراعاة تحرير مداخلاتهم وأعمالهم العلمية حيث تساءل: «ما الفائدة من بحث أو ماذا يقدم لنا بحث إذا ظل غامضاً وغير معلوم للمستهلك الحقيقي يعني الباحثين الآخرين»؟

نقصد بالمنتوج هو نتاج البحث و لا بد من أن يباع كأى سلعة أخرى تجارية هنا يمكن التساؤل لماذا استهلكت هذه المادة؟ كيف صنعت؟ أي اسم يمكنها من جذب المستهلك؟ كالتغليف والتعليب لذا من الضروري أن يهتم الباحث بما اهتم به التاجر منذ زمن لذلك يجب أن يراعي طريقة التحرير جيداً وان يقدم نصه العلمي بطريقة معالجة. (ص 61)

هذه البنية ضرورية جداً للكتابات العلمية خاصة للمنشورات الرئيسية الأولى بمعنى تلك التي تصف النتائج الأصلية للبحث «هي مهمة حيث من دونها لا تستطيع الأفكار والأفعال أن تنتقل إلى ذاكرة القارئ» (LYNCH R 1995 p28)

كما تكمن أهمية هذه البنية في كونها من سيحمل النص العلمي وتسمح له بالفهم الجيد لأفكاره وهذا ما أكده ماسينو MACCINO (1992) حيث قال: «بنفس الطريقة التي نضع فيها هيكل لحمل أجسادنا ويسمح لها بالتحرك يحتاج النص إلى بنية تحمله وتسمح لتسلسل أفكاره كما تسمح بالفهم الجيد لأفكاره».

كما أشار إلى انه أي وثيقة علمية يمكن أن تظهر من حيث بنيتها في شكلين أحدهما بنية فيزيائية وأخرى منطقية.

3-1/ البنية الفيزيائية:

تختلف البنية الفيزيائية للكتابات العلمية حسب متطلبات الهيكل (مجلة، كتاب، مذكرة...).

أ/ عناصر البنية المادية أو الفيزيائية:

في قراءتنا خاصة تلك المتعلقة بالمعايير أو التعليمات المقدمة للمؤلفين استطعنا، انتزاع بعض عناصر البنية المادية وهي:

- * أبعاد الصفحة: صفحة كاملة / حسب أعمدة/ الهامش/ نوعية قطع الصفحة.
- * الخط: نوع الخط وحجمه في المتن والعناوين والهوامش.
- * كيفية الكتابة: على وجه واحد من الصفحة أو الوجهين / المسافة بين السطور وبين الفقرات
- * حجم الملف: عدد الصفحات/ عدد الكلمات.

يشار إليأن هناك اختلاف بين البنية الفيزيائية الأولى للملف والبنية النهائية، حيث نجد ان المؤلف يقدم عمله على شكل بنية معينة والمنتج او الناشر سيختار البنية النهائية التي يظهر بها للقارئ.

ب-الخاصية الفيزيائية للكتابة العلمية:

تتصف الأدبيات العلمية عموماً ببنية فيزيائية خاصة بها أين عناصر هذه البنية غير معيروه حيث تركز اللجان العلمية فقط على بعض العناصر ويمكننا إدراج بعض الخصائص المهمة لبعض الكتابات العلمية في مجال العلوم الإنسانية.

1-المقال: يتميز المقال بخصائص فيزيائية تميزه عن غيره ونجد هنا:

أ-المقال العلمي المعمم: يمتاز بخاصية فيزيائية مرتبطة بوظيفته أي التسلية وهذا ما يفسر الأهمية البصرية كالألوان والصور والرسومات مع مراعاة أبعاد الورقة. ونذكر منها على سبيل المثال المقالات العلمية المعممة في ميادين علم النفس كالمواضيع المتعلقة بالذكاء والذاكرة والتقييم الذاتي .

ب- المقال العلمي: يتميز بخصائص أخرى كحجمه مقارنة بالنماذج الأخرى للمقالات ، حيث يحدّد حجم المقال من طرف المجلّات ضمن التعليقات المقدّمة للمؤلفين كتحديد عدد الصفحات وعدد الكلمات مثلاً مجلة «British Journal of Guidance and Counseling» تشترط في كتابة المقال حجم يتراوح من 3000 الى 6000 كلمة إلا أنّ هذا الشرط لا تلتزم به جميع المجلات العلمية الأخرى، ممّا سبق يمكننا الإشارة هنا إلى أنّ حجم الملف يختلف حسب الأدبيات أيضاً ففي العلوم الإنسانية موضوع الدراسة في المقالات عموماً طويل مقارنة بالمقالات في العلوم الدقيقة .

2- الرسائل الجامعية او الدراسات الرمادية: هذا النوع من الكتابة العلمية لا يخضع إلى معايير في بنيتها الفيزيائية كما يتميز بخاصية فيزيائية يتحكم فيها عموماً المؤطرين والمشرّفين على البحث في الجامعة، فعادة ما يحرص عدد الصفحات وكذا أبعاد الصفحات، الكتابة على جهة واحدة .

3- الكتب: البنية الفيزيائية للمونوغرافيا العلمية تبقى غير واضحة وقليلة المعايير حيث أننا لم نجد أدبياتاً ودراسات حول الخصائص أو حتى مذكرات أساسية خاصة بالكتب فهو ميدان خاص بالناشرين أكثر اهتم به مؤلفي الكتب العلمية .

3-2 البنية المنطقية للوثيقة العلمية او الملف العلمي: يجب على الوثيقة العلمية أن تأخذ بنية منطقية محدّدة جيداً وواضحة فمثلاً عند فحص الوثائق العلمية نلاحظ جيداً أن البنية المنطقية لهذه الوثائق ملخصة عموماً في مخطط فهرس المحتويات .

حيث حظي هذا المخطط بإهتمام العديد من الباحثين حيث أقيمت العديد من الدراسات من قبل المختصين في الاتصال العلمي الكتابي، وفي هذا المجال سئل تيمبال وديكلو (DUCLAUX & TIMBAL، 1994) ما إذا كان في عمق كل مخطط عناصر مشتركة؟ أجاب بسرعة على انه «منذ اربع قرون خلت أجاب ارسطو على هذا

السؤال حيث قال: نعم كل مخطط يحوي جزئين، الأول يهدف الى التعريف بالأشكال والثاني يهدف الى حله». حيث انتهى بمخطط عالمي اسماه مخطط ربطة العنق «كرافات» الذي رسمه في مخطط عمل يسري بالطريقة التالية:

- تحديد المشكل انطلاقا من مختلف الظواهر الإمام بالنظريات والمقاربات.
- حل المشكل المطروح سابقا والقيام بعملية التحليل في عدة مستويات.
- الخاتمة انطلاقا من التحاليل سنحاول وجود حلول نهائية (الحوصلة النهائية). كما ألزم على العلميين على شروط أهمها:

* يجب على العلميين بناء أعمالهم بطريقة واضحة كي تكون الكتابة العلمية مفهومة من قبل باحثين آخرين.

* انه يتوجب على العلمي في أي مكان في العالم ان يضع قواعد عالمية مطبقة على كل عناصر المجلس العلمي لذلك أشار بنيشو (1985) إلى انه «يجب على المجتمع العلمي أن يحاول نقل العلمية وجعلها مفهومة دوليا، على الرغم من حاجز اللغات.

ولأجل ذلك ننصح بإستعمال قواعد نظم ان تكون عالمية. ومن أهمها ما يشمل الترتيب او التنظيم ونتائج البحث العلمي محفوظة في مخطط **IMRAD** (مقدمة، وسائل، ومناهج، نتائجومناقشة)

(IMRED : Introduction, Matériel et méthodes, Résultats et Discussions (IMRAD pour les anglophones)

يجب الإشارة هنا إلى أن هذه البنية بعيدة كل البعد على المعايير في جميع الدراسات والأديباتفي مجال العلوم الإنسانية، فهي تتنوع حسب نوع وصنف الكتابات العلمية (مقال، رسالة...) وحسب التخصص ومنها:

1- البنية المنطقية للمقال: في المقال وكما سبق أنأشرنا في البنية الفيزيائية فالبنية المنطقية له هي الأخرى تختلف حسب أسلوب المقال وحسب الأدييات ونوع الدراسات فحسب بنيشو **Benichou** (1985) «انه في مجال العلوم البيوطبية مثلا تقع الخاتمة في نهاية فصل المناقشة أمّا الملخص يكون دائما في الأول»، في حين أن في علم النفس التجريبي وحسب بوفوازو وآخرون **Bouvois** (1990) «في مخطط نموذج المقال في علم النفس التجريبي نلاحظ أن المقال في هذا النوع من الدراسات يبنى بالطريقة التالية: مقدمة، المنهج مع وصف أساليب القياس، وصف وتحليل المعطيات وأخيرا الخاتمة.

* خطة **IMRAD**: نجد في الولايات المتحدة الأمريكية بالأخص في العلوم الدقيقة والعلوم الطبية أنأحسن الكتابات العلمية هي التي تكون غالبا أكثر تشفيرا مثلا :

l'American National Standard

Institute (New York) أصدرت قواعد صارمة لكتابة المقالات والملاحظات وهي ما تسمى نموذج IMRAD حيث يناسب هذا النوع أكثر خطط المقالات التحليلية في العلوم الدقيقة كما يناسب أيضا بعض مجالات العلوم الإنسانية مثل علم النفس التجريبي والمعرفي ومعظم الدراسات الميدانية. فهو يشمل :

1) مقدمة:

«يجب على مقدمة المقال العلمي ان تركز بإيجاز على المشكل المطروح، كما تحدد وضعية مضبوطة في المجال الزمني والمكاني». (Benichoux 1985 p.61). هنا يجب على المؤلف ان يشير إلى ما هو مهم في بحثه في بداية الجملة الأولى، كما يجب أن يذكر الأعمال السابقة لباحثين آخرين الذين اعتمد عليهم كمصادر في عمله.

2) وسائل ومناهج الدراسة:

الهدف من هذا الجزء هو التعرف على التفاصيل الممكنة للعمل ليسمح أيضا للباحثين الآخرين (قراء، مقيمين المقال) إعادة إنتاجه من اجل مراجعتها تطلب الأمر ذلك. المبدأ هنا هو أن يوصف كل هذا في ترتيب منطقي وكونولوجي أي تحليل زمني للتجريب . نشير هنا إلى أن هذا الجزء يضم وحدة واحدة منطقية في بعض المقالات وفي مقالات أخرى يمكن ان تنفجر في وحدتين مختلفتين واحدة تحدد وتعرف المواضيع والأدوات المستعملة (الوسائل)، وأخرى تصنف التدخلات، ووسائل القياس، تقنيات التقييم الاحصائي، (منهج).

3) النتائج:

في هذا الجزء تعرض بالتفصيل النتائج المتحصل عليها من التجربة، عموما يضم هذا الجزء جداول ومخططات ... حتى تسمح بتسهيل وتوضيح قراءة النتائج وتفسيرها.

4) مناقشة النتائج:

يخص هذا الفصل التعليق على النتائج المتحصل عليها، يشكل اما وحدة واحدة او عدة وحدات تحتية كما يمكننا فهم النتائج من خلال ما قد نشر من قبل من دراسات وفي النهاية نجيب على فرضيات العمل المطروحة في المقدمة والمفصلة في جزء الوسائل والمناهج. نشير هنا الى ان البنية المنطقية لهذه المقالات المسماة «الأوراق العلمية» لا تجيب على متطلبات المقالات الحديثة حتى لو كانت لها بنية عالمية كالعلوم الطبية والعلوم الدقيقة وهذا لإنفتاحها على تخصصات أخرى، قد نجد الآن مقال يساهم فيه عدة مختصين من ميادين علمية مختلفة، وقد نبه هنا لينش LYNCH (1994) في مداخلته حول تناولات المقالات الحديثة متعددة التخصصات حيث يشارك العديد من المختصين لإرصاد وثيقة علمية واحدة وهذا يعني أن البنية تكون غير منطقية.

2- خطط مقالات أخرى

يمكن ان نجد مخططات أخرى في المقالات العلمية وهي معروفة أيضا من قبل اللجان العلمية، ونجد هنا آن ديفيلار (DEVILLARD) (1993) قدّم هذه المخططات في كتابه حول تحرير ونشر المقال العلمي ومن أهمها نذكر:

* خطة او خطوات OPERA:

و نقصد به Observation، Problème، Expérimentation، Résultats et Action أي ملاحظة المشكل، التجريب، النتائج والافعال. هذا النوع من الخطط او الخطوات يستعمل في العلوم التحليلية وخاصة في العلوم التطبيقية (التكنولوجيا، التسيير) الآن هناك بعض الدراسات في العلوم الإنسانية تتجه كالدراست الاجتماعية والانثروبولوجيا وبعض الدراسات الطولية في علم النفس وكذا علوم الاتصال .

* مخطط او خطوات ILPIA:

تأخذ الخطوات التالية : Introduction, Littérature, Problème, Implication, Avenir أي مقدمة، دراسات سابقة، طرح الإشكال، الآثار، المستقبل. يتناسب هذا المخطط مع المقالات المعممة والدراسات الاستقصائية وتستعمل هذه المخططات في الدراسات التاريخية والاجتماعية وعلم الآثار .

يمكننا الإشارة أيضا ان هناك وحدات أساسية للبنية الموجودة في هذه المخططات وخطوات الدراسة لمقال علمي اين نجد وحدات أخرى مهمة إلى حد ما حسب نوع المقال، نسمي هذه العناصر مفاتيح النص.

مفاتيح النص: هناك عدة عناصر تكميلية يمكنها ان تحدد المقال العلمي نذكر منها:

العنوان: يرى Benichoux (1985) ان «عنوان المقال العلمي بمثابة العلامة التجارية الموجزة على الواجهة.» لذلك يجب على المؤلف ان يختاره بعناية فائقة.

المؤلف: نجد عموما اسم المؤلف او المؤلفين وانتسابه المؤسساتي والمكان الذي قام فيه ببحثه.

الملخص: يقع عموما في بداية المقال، حيث يمثل الجزء الأكثر قراءة في المقالات العلمية، لذلك يجب ان يمرر بعناية وان تخضع لمعيار موحد.

الكلمات المفتاحية: تمثل الكلمات المفتاحية خاصية المقالات العلمية، حيث تختار عموما من طرف المؤلف.

قائمة المراجع:

يتميز المقال العلمي بمراجع قيمة، أين ترتب حسب الترتيب الأبجدي والزمني حيث ترتب إما حسب نظام هارفرد Harvard الذي ينظم أسماء المؤلفين بترتيب أبجدي متبوع بالسنة وإذا كانت لنفس الباحث عدة مناشير في نفس السنة نضيف حرف مثلا: (1993a) (1993b))

مفاتيح أخرى: يمكننا الإشارة أيضا إلى انه يوجد مفاتيح اخرى للمقالات العلمية كالملاحظات، والنقاط الموجود أسفل ورقة الملاحق.

3- البنية المنطقية في الكتابات العلمية الأخرى:

تتميز الكتابات العلمية عن المقالات، ببنية منطقية واضحة إلى حد ما، هذه البنية عموما محددة في فهرس المحتويات او محتويات الوثيقة.

أ- المذكرات والرسائل:

ان الأعمال الجامعية (مذكرات ورسائل جامعية) تستجيب إلى بنى عامة محددة جيدا، إلا أنها ليست بالبنية المنطقية المعيرة، خاصة في متن النص. وحتى ان وجدت فإنها تخصص اختصاص علمي معين. يجب ان يقدم المؤلفين (الطلبة) أعمالهم في شكل أقسام، الأمر الذي ينظم العمل الجامعي.

وفي هذا الشأن اقترح روفيران (1989) الأقسام التالية:

* القسم الأول: ويضم الغطاء، ورقة العنوان، الفهرس.

* النص: مقدمة، عرض، خاتمة.

* المراجع: ببليوغرافيا، الملاحق، فهرس الجداول (جدول المقاييس المستعملة).

* وفي الأخير الملخص والكلمات المفتاحية.

في حين نجد في بعض الأدبيات والدراسات ان البنية المنطقية فيها محددة كما في الطب والبيولوجيا أين الرسائل تأخذ الأجزاء التالية (عنوان، اهداء، مقدمة، تقنيات ومنهج، ملاحظة، تدوين الملاحظات او النتائج، مناقشة، ملخص او خاتمة، مراجع وجدول المحتويات).

ب- الكتب:

مثلا هو الحال في الأعمال الجامعية فإن الكتب تشمل عموما عددا من الأقسام، ونجد عموما ان البنية المنطقية لكتاب تختلف من تخصص لآخر زمن مرجع لآخر في نفس

التخصص. لا سيما في العلوم الإنسانية و الاجتماعية وذلك يرجع لكثرة التخصصات وفي كل تخصص نجد عدة تيارات يعود إلى المنطلقات والخلفيات النظرية للباحث كعلم النفس مثلا .

أن أهمية هذه البنسواء فيزيائية أو منطقية تجعلنا نختار في أسلوب تدوين وكتابة العمل العلمي فقد يتبادر في أذهاننا سؤال: أي بنية ومع أي أسلوب كتابة؟
مما سبق يمكننا أن نستنتج أن أسلوب الكتابة العلمية يختلف حسب وظيفة هذه الكتابة وحسب أهمية البنية

* مثلا الورقة العلمية التي تصف النتائج الأصلية لبحث ما يخضع عموما لبنية معيرة إلى حد ما ومعروفة إلى الأقل من طرف اللجان العلمية لكل تخصص وتتمثل في خطة IMRED في العلوم الدقيقة الخطط الأخرى هي مجرد تعليمات وشروط للمؤلفين من قبل المجلات.

* الاعمال الجامعية الموجهة لفئة محددة لها بنية عموما معروفة من الجامعات (طالب، أستاذ، باحث).

* الوثائق المعقدة والموجهة إلى جمهور فئة واسعة سواء كانت كتب أو مقالاتها بنية تستجيب لهدف التعميم والتوسيع.

4- أساليب الكتابة العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية:

يعرف الأسلوب حسب ماكسينو MACCINO (1992) على انه «طرق استعمال التعبير اللغوي للاتصال مع الآخر بالأسلوب الشخصي للباحث». كما قدم لنا ثلاث خصائص للأسلوب وهي:

* أسلوب ونموذج الكتابة هو ما يعكس صدق الباحث أو المؤلف.

* يتميز الأسلوب بميزة الفردانية والخصوصية.

* يتميز الأسلوب بالبساطة.

تجدر الإشارة هنا أن الأسلوب في باقي الدراسات والأدبيات غير محدد ويختلف من مؤلف لآخر أما فيما يتعلق بالدراسات العلمية فهو عموما واضح، ولهذا يطلب دائما من الباحثين والمؤلفين العلميين بضرورة الاهتمام بأسلوبهم في الكتابة وان يكونوا واضحين قدر المستطاع وهنا في كل مرة يدعو لينش (LYNCH 1994) المؤلفين للدراسات العلمية على التركيز أكثر على أسلوب كتاباتهم على ان تكون واضحة ومنطقية وبسيطة.

في حين يختلف أسلوب الكتابة العلمية حسب صنف الكتابة وفي نفس الوثيقة العلمية حسب الأجزاء والفصول، فأسلوب كتابة المقدمة مثلا غالبا ما يكون وصفي وهذا لهدف

وصف الأحداث وموقع الدراسة مقارنة مع دراسات سابقة لباحثين آخرين، أما في جزء المناقشة أو التفسير يغلب أسلوب البرهنة، أما في الملخص يستعمل أسلوب الطراز المصغر ويسير القراءة. كما يمكن الإشارة أن هناك بعض التنوعات في الأسلوب يساعد على جذب الانتباه وشده.

خلاصة

يمكننا القول أن موضوع تحليل المنشورات العلمية يهم العديد من الأفراد من مختلف الميادين ابن نجد الباحثين المنتجين الذين يعرضون هذه الدراسات من جهة، والناشرين والمكتبيين ومنتجي القواعد المعلومات من جهة أخرى الذين يعالجون هذه المواد العلمية. في كل مرة يبقى هذا الموضوع يلتبسه الغموض للعديد منهم، لا سيما في مجال العلوم الإنسانية فهو ميدان لا يزال غير محدد وغير مطوّق. فهناك من يتكلم فقط عن المقالات العلمية ويستعمل الدوريات بصفة رئيسية لمنشوراتهم، وهناك من يركز على الكتب والدراسات المونوغرافية عموما. اما فيما يخص بنيات هذه الوثائق سواء كانت فيزيائية أو منطقية تبقى قليلة التحديد. إذا اخذنا مثلا صنف الكتب مثلا نجد ان كل مرجع مبني بطريقة تختلف عن مرجع آخر.

هذه المشاكل الموقعية والبنوية يمكنها ان تنعكس على كيفية البحث على هذه الوثائق البحثية وبالتالي على كيفية استغلالهم لها، لأن هذه الأخيرة ليست لها معايير واضحة لموقعتها تسمح لنا بالرجوع اليها وقتما احتجنا لها إلا ان هذه المشاكل لا تلغي بعض محاولات التعبير مثلا خطة «IMRED العالمية، هناك مقالات علمية في العلوم الدقيقة تبين انه يمكننا ان نعطي كل صنف اونمط وثيقة علمية وبنية محددة وموحدة من حيث عرض المراجع البيبليوغرافية سواء كانت حسب نظام «VANCOUVER او نظام «HARVARD حيث يمكننا هنا الاستفادة من هذه المقالات والقيام بتطبيقاتها العميقة على الكتابات في العلوم الإنسانية. حتى يتسنى لنا تعميم تطبيقها على اقسام أخرى من الوثيقة. لهذا ويهدف تسهيل البحث والاستغلال الجيد لهذه الوثائق العلمية، أصبح من الضروري دراسة البنية، الأسلوب، الموقعة للمناشير العلمية في كل الميادين حتى يتسنى لنا استخراج خصائصها، وارسان ضوابط ومعايير علمية دقيقة تخضع لها كل التخصصات في ميدان العلوم الإنسانية وجل التخصصات العلمية الأخرى معالسي لإيجاد لغة علمية موحدة تضمن الاتصال العلمي بين الباحثين وكذا القراء.

- 1-AGOSTINI, F. (1994). Science en bibliothèque. Paris : Editions du Cercle de la Librairie. 400p. (Collection Bibliothèques).
- 2-BEN ABDALLAH, N.(1993). Description de documents textuels: Indices pour une Typologie prenant en compte le contexte et la finalité de la communication. Mémoire DEA en Sciences de l'Information et de la Communication. Lyon II-ENSSIB.
- 3-BENICHOUX, R et MICHEL, J & PAJAUD, D .(1985). Guide pratique de la Communication pratique : comment écrire- comment dire ? Paris : Gaston Lachurié. p268.
- 4-BESANCON, F.(1974). Votre première publication : comment construire et exposer votre première publication : thèse, mémoire, article de médecine ou de biologie. 2ème édition revue et corrigée. Paris : l'Expansion Scientifique Française. p 148.
- 5-B. LINE, M.(1992). The Publication and Availability of Science and Technical Papers: An Analysis of Requirements and the Suitability of Different Means of Meeting them.In" Journal of Documentation ", volume 8, n° 2, June 1992, pp. 201-219.
- 6-CASSIN, B.(1990). Quelles langues pour la science. Paris : Editions la Découverte.p 266. (Sciences et société).
- 7-CROOKS, G.(1986). Towards a Validated Analysis of Scientific Text Structure. In «Applied Linguistics », Vol. 7, N° 1, 1986, pp.57-70
- 8-DAY, R. A. (1989). How to Write and Publish a Scientific Paper. 3ème éd. Cambridge Cambridge Université Presse 212.
- 9-DEVILLARD, J.(1991). La communication scientifique entre spécialistes : Le cas de six revues de référence anglo-américaines en science économique. Toulouse I -Le Mirail, thèse .p 427.
- 10-DEVILLARD, J & MARCO, L.(1993). Ecrire et publier dans une revue scientifique. Paris : Les Editions d'Organisation p. 127.
- 11-GABLOT, G.(1984). Qu'est-ce qu'un périodique scientifique ? In « Bulletin de Bibliothèques de France », t. 29, n° 5, pp. 384-387.
- 12-LYNCH, R. (1995). Restructuring Scientific Papers for More Communication That is Effective. First Conference of the Association of Scientific and Technical Communication (New Zealand), Wellington, 7-9 July 1994.
- 13-MACCIO, C. (1992). Savoir écrire un livre...un rapport...un mémoire...: De la pensée l'écriture. Lyon : Chronique Sociale. 170p. (collection essential)
- 13-MEADOWS, A. J. (1985). The scientific paper as an archaeological artefact. In "The Scientific Journal», n°11, pp. 27-30.

- 14-TIMBAL-DUCLAUX, L.(1990), La communication scientifique et technique : qualité et lisibilité : connaissance du problème, applications pratiques : séminaire. Paris : ESF Entreprise moderne d'édition. p145+90. (Formation permanente en sciences humaines)
- 15-TIMBAL-DUCLAUX, L.(1994). L'expression écrite : écrire pour communiquer :
Connaissance du problème, applications pratiques. 6ème édition. Paris : ESF éditeur.

قراءة سوسيولوجية لدور الوقف في نشر العلم والبحث العلمي بالمجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني

د. حنيش مليكة

جامعة الجليلي بونعامة خميس مليانة

ملخص المداخلة:

يعتبر الوقف بالإضافة إلى اعتباره من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية ظاهرة اجتماعية حضارية تعبر عن الوجه التضامني للمجتمعات الإنسانية وعن الجانب الخير للإنسان، وقد لعب الوقف على مر التاريخ دورا هاما في حياة المجتمعات الإسلامية باعتباره مصدر لتمويل العديد من المؤسسات المهمة في المجتمعات الإسلامية مثل بناء المساجد، المدارس، الزوايا، المكتبات وإعانة طلبة العلم. والجزائر باعتبارها بلد مسلم تأثرت بهذه الظاهرة منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، لكنها عرفت تطور كبير وملفت للانتباه في فترة الحكم العثماني بحيث أصبحت أوقاف الجزائر آنذاك من اغني أوقاف العالم الإسلامي، وذلك لعدة أسباب اقتصادية وسياسية وثقافية ودينية وهذا انعكس على الجانب العلمي والثقافي للمجتمع الجزائري بغض النظر عن المستوى العلمي ونوعيته، لان ذلك يتأثر بالسياق العام للعالم الإسلامي ككل.

وقد أصبح الوقف أبان هاته الفترة يحمل على عاتقه مهمة التعليم والتعلمين لوحده ودون أي تدخل من الدولة، لذا فان هاته الفترة تعتبر مميزة وفريدة في تاريخ المجتمع الجزائري من حيث الدور الذي لعبته المؤسسات الوقفية في الحياة العلمية والثقافية للمجتمع الجزائري، وعليه سنحاول من خلال هاته المداخلة التطرق إلى معالجة

هاته الظاهرة من منظور سوسيولوجي، وذلك من خلال التطرق إلى الأسباب التي أدت إلى الانتشار الكبير لهاته الظاهر خلال هذه الحقبة من تاريخ الجزائر، ومدى مساهمتها في انتشار التعليم والبحث العلمي والدور الذي لعبته المؤسسات الوقفية - ودون تدخل أو دعم من السلطة العثمانية- في بناء وتمويل المؤسسات التعليمية وطلبة العلم والعلماء وانعكاس ذلك على الحياة العلمية ككل، ومن هنا نقوم بطرح الأسئلة التالية:

- ما هي الأسباب التي أدت إلى الانتشار الواسع لظاهرة الوقف في المجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني؟

- وإلى أي مدى ساهمت هذه الظاهرة في انتشار العلم والبحث العلمي في المجتمع الجزائري

خلال هاته الفترة؟ و فيما تجلت مظاهر تلك المساهمة؟

Abstract :

This study deals with role of the endowment in the dissemination of science and scientific research in the Algerian society during the period of Ottoman in Algeria . So that was the only source of revenue endowments to finance educational institutions and science students and teachers. Despite giving up the Ottoman Empire for that task but it was noted during this period, the spread of education and educated people on a large scale because of the high number of endowments and it's effective role .

مقدمة:

رغم أن الدراسات التاريخية تشير إلى أن الوقف كظاهرة اجتماعية كان موجودة قبل الإسلام وذلك من خلال حبس العقار على دور العبادة، كالمعابد، والأديرة والكنائس، وما كان يرصد لها من عوائد العقار من أجل الإنفاق عليها وعلى القائمين عليها، إلا أنها لم تكن متطورة بالشكل المعروف بعد مجيء الإسلام بحيث اتسع نطاق الانتفاع منها ولم يعد يقتصر على أماكن العبادة وإنما اتسع ليشمل الوقف على الفقراء والمحتاجين، الوقف على الإعناق، القرض الحسن .. الخ. وعليه فقد تعددت مجالات الوقف بتعدد مقاصده والتي كان أهمها الحفاظ على عقيدة الأمة وذلك من خلال الوقف على المساجد والمدارس وطلبة العلم،... الخ و عليه فقد لعب الوقف دورا مهما في الحياة الدينية والثقافية والعلمية للمجتمعات الإسلامية.

و المتبع لتطور هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري يجد أنها قد عرفت تطورا كبيرا في فترة الحكم العثماني للجزائر، حتى انه بسبب كثرتها كانت هناك بعض المؤسسات الوقفية مخصصة للإنفاق على فقراء مكة والمدينة و فقد كانت أحباس الجزائر اغني أحباس العالم الإسلامي آنذاك، وهذا انعكس على الحياة الثقافية والعلمية للمجتمع ككل، كما كان المصدر الوحيد لتمويل العلم والبحث العلمي، لان الدولة العثمانية لم تكن تحمل مشروع حضاري ثقافي للمجتمع الجزائري وكان اهتمام العثمانيين منصبا على الجهاد البحري وما يجنيه من غنائم لذلك لم تعنى الدولة العثمانية بالمؤسسات التعليمية وطلبة العلم عدى بعض التبرعات الشخصية والفردية من قبل بعض الشخصيات في الحكم، لكن رغم ذلك انتشر التعليم على نطاق واسع وانتعشت حركة النسخ والتأليف.

قبل الحديث عن دور الوقف في انتشار العلم في المجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني نشير إلى أن أحكام وقوانين الوقف في المجتمع الجزائري خلال هاته الفترة وحتى

اليوم مستمدة بالدرجة الأولى من الفقه المالكي، كونه المذهب المتبع من قبل المجتمع الجزائري و هو السائد في المغرب العربي على العموم رغم وجود المذهب الحنفي وهو المذهب المتبع من قبل العثمانيين بالجزائر، وهنا علينا تحديد مفهوم الوقف على الأقل في هذين المذهبين. كما نشير إلى أن فترة الحكم العثماني للجزائر هي الفترة التي دامت من سنة 1515 م إلى غاية سنة 1830 م وهو تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر، الذي بدخوله الجزائر دمر كل المؤسسات الوقفية بعدما استولى على ممتلكاتها بغية، إبعاد المجتمع الجزائري عن دينه و هويته العربية الإسلامية .

أهداف البحث :

نهدف من خلال بحثنا هذا إلى إبراز دور الوقف كظاهرة اجتماعية عرفها المجتمع الجزائري في تمويل مؤسسات التعليم والبحث العلمي والحفاظ على الطابع التضامني للمجتمع الجزائري، وبالتالي نريد من خلال هذا البحث الرجوع الى التاريخ الاجتماعي للمجتمع الجزائري من اجل إعادة إحياء الظواهر الايجابية في المجتمع الجزائري والتشجيع عليها وإبراز أهميتها مثل ظاهرة الوقف، التي يمكن ان تكون مصدر دعم وتمويل للبحث العلمي كما هو الحال في دولة تركيا حاليا التي بها العديد من الجامعات الوقفية .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث الذي هو عبارة عن عرض لظاهرة الوقف في المجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني من اجل إمادة اللثام عن بعض الظواهر الاجتماعية الايجابية في التاريخ الاجتماعي للمجتمع الجزائري، والتي يمكن أن تكون مصدر الهام من خلال إعادة إحيائها والتي يمكن من خلالها حل بعض المشاكل الاجتماعية كمشكلة تمويل مؤسسات البحث العلمي، والتي تعتبر الميزانية المخصصة لها في الجزائر ضعيفة جدا مقارنة مع الدولة التي تعرف تقدم في البحث العلمي .

مفهوم الوقف :

رغم تعدد التعاريف اللغوية والفقهية لمفهوم الوقف إلا أنها تتفق في مفهومه العام وهنا لن نتعمق كثيرا في مفهوم الوقف وإنما سنقتصر على أهم التعاريف، خاصة في المذهب الحنفي والمذهب المالكي كون أن الوقف في المجتمع الجزائري كان يستمد أحكامه من هذين المذهبين، فالمذهب الحنفي كان متبع من قبل العثمانيين والمذهب المالكي كان متبع من قبل أفراد المجتمع الجزائري.

مفهوم الوقف لغة :

«إن الوقف في أصل اللغة يراد به الحبس، و هو مصدر مشتق من وقف أي حبس
«¹و» نقول وقف الأرض على المساكين، أي حبسها وجعلها في باب البر و الإحسان² هذا
من الناحية اللغوية من الناحية الفقهية نجد أن تعريفات الوقف تعددت بسبب تعدد
المدارس الفقهية، لكن رغم ذلك نجد اغلب التعريفات تصب في نفس المعنى وهنا سنركز
على المذهبين اللذين كانا سائدين خلال فترة الحكم العثماني وهما المذهب الحنفي الذي كان
يتبعه العثمانيون والمذهب المالكي وهو المتبع من قبل أفراد المجتمع الجزائري عامة .

الوقف في المذهب الحنفي :

عندما نتحدث عن مفهوم الوقف في المذهب الحنفي يمكن الاستدلال مباشرة بقول
الإمام أبو حنيفة النعمان الذي يعرفه بأنه «هو حبس العين على ملك الواقف والتصدق
بالمنفعة³» ويمكن تلخيص أحكام المذهب الحنفي بالنسبة للوقف فيما يلي :
«أن الوقف يكون في الأصول والأعيان التي لا تنقطع بالاستغلال
-أن الوقف ينقل ملك العين الموقوف من الواقف الموقوف عليهم إلى ملك الله تعالى»⁴

تعريف المالكية :

«يؤثر المالكية إطلاق كلمة (الحبس) على كلمة الوقف، أحياناً في عرض أحكام
الوقف واستعمال كلمة (الحُبْس) على الأوقاف في الغرب الإسلامي أكثر شيوعاً من
كلمة (الأوقاف) ...⁵ » «وقد عرف الوقف في المدرسة الفقهية المالكية بما يوافق الرؤية
الفقهية له من مراعاة حق التوقيت فيه للواقف وان يكون في النقول والعقار وغير ذلك من
الأحكام لذا عرفه الشيخ الدرديري المالكي بأنه⁶ : «جعل منفعة مملوك ولو باجرة أو غلته
لمستحق بصيغة مدة ما يراه المحبس مندوب⁷» ويمكن تلخيص أحكام الوقف في المذهب
المالكي في النقاط التالية»

- أن الوقف يكون في الأعيان والمنافع
- أن يجوز للواقف اشتراط التأقيت فيه
- أن الوقف يخرج العين الموقوفة من ملك المالك أي من كل تصرف نحو البيع والهبة
- الوقف لا ينتقل بالميراث إن كان على التأييد
- أن الوقف من التصرفات اللازمة بعد انعقاده لا يمكن الرجوع فيه
- أن الوقف لا يقطع حق الملكية و إنما يقطع حق التصرف فيما أوقف⁸، و على العموم
نلاحظ انه لا يوجد إخلاف بين المذهبين إلا في بعض الأحكام الجزئية ولكن الجميع يتفق
على أن الوقف هو «وقف العين عن تملكها مع التصديق بمنفعتها⁹

الوقف ودوره في الحياة العلمية للمجتمع الجزائري:

كما ذكرنا سابقا لقد لعب الوقف دورا مهما في الحياة العلمية والثقافية للمجتمع الجزائري، وكذلك في تضامن وتماسك أفراده، وعليه فان الوقف كظاهرة اجتماعية كان يشكل مصدر تمويل للمؤسسات التعليمية وطلبة العلم والعلماء من جهة ويحافظ على اللحمة الاجتماعية للمجتمع ككل من جهة أخرى، لأنه يستمد أحكامه من الدين الإسلامي، وهذا يعكس الأهمية التي كان يوليها المجتمع للقيم الدينية وحب الخير والتقرب إلى الله، وكذلك المكانة التي كانت تحتلها فئة العلماء في المجتمع الجزائري ليس من قبل عامة أفراد المجتمع فحسب وحتى من قبل الحكام ورجال السلطة ويتجلى ذلك حسب المصادر التاريخية في انه كان يتم تقليد سلوكياتهم وتصرفاتهم من قبل بعض الأغنياء ورجال الحكم، وذلك لما كانت تحظى به هذه الطبقة من وقار واحترام من قبل المجتمع كما أن كلمتهم كانت مسموعة من قبل عامة الشعب ولهم تأثير كبير فيه، وهذا جعل الحكام العثمانيين يتقربون منهم ويغدقون عليهم العطاء والمدايا حتى يضمنوا ولائهم وبالتالي ولاء أفراد المجتمع ككل وقد كان أول اتصال بين العثمانيين والمجتمع الجزائري عن طريق الشيوخ والعلماء مثل الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وبالتالي فان فئة العلماء كانت حلقة وصل بين الحكام العثمانيين والعامة من المجتمع الجزائري بسبب مكانهم الاجتماعية بين الأهالي.

وهنا تجدر الإشارة إلا انه في ذلك الوقف لم يكن هناك فصل بين رجل الدين والعالم المتفقه في الأمور الدنيوية بالمفهوم الحالي للعالم، ففي تلك الفترة كان على طالب العلم أن يتفقه في أمور الدين قبل الأمور الدنيوية.

أهم المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني :

ما يشير إلى تطور الأوقاف وكثرتها خلال هذه الفترة الزمنية هو أن الأملاك الوقفية كانت عبارة عن مؤسسات اقتصادية قائمة بذاتها يشرف عليها إداريين منهم الوكيل و مساعدين للقاضي، بالإضافة إلى الخدام وبالتالي فان الوثائق الخاصة بالأوقاف كانت تكتسي صفة الشرعية، وكانت الأوقاف متنوعة بحيث كانت تشمل الأفران الدكاكين الفنادق الأراضي الزراعية، ومصانع النسيج وحتى الكتب العلمية التي كانت توقف سواء من طرف الحكام أو الأهالي وهناك من كان يشتريها ويوقفها على طلبة العلم وهو مجهل حتى محتواها العلمي وكل ذلك كان تقربا إلى الله.

ولان التركيب الاجتماعي للمجتمع الجزائري كان يتكون من عدة فئات اجتماعية تكون أحيانا متباينة ثقافيا ومذهبيا، رغم أن السكان المحليين كانوا يشكلون أغلبية المجتمع الجزائري فان المؤسسات الوقفية تعددت من حيث الفئات المانحة وكذلك الفئة التي يعود عليها نفع الوقف، ومن بين الفئات البارزة في المجتمع نجد العثمانيون، الأندلسيون

والأشراف، والسكان المحليون لكن هذا لا يعني انه لا يوجد انفصال بين هاته الفئات وعدم تعاون بينها فهناك عوائد وقفية لفئة تذهب إلى فئة أخرى وهناك أوقاف مشترك بين عدة مؤسسات وقفية وهذا يدل على التضامن والتلاحم الاجتماعي بين هاته الفئات. و من أهم المؤسسات الوقفية التي كانت متواجدة آنذاك نجد.

مؤسسة الحرمين الشريفين :

« كان للحرمين الشريفين النصيب الأكبر من عناية المسلمين بعامه، ومن الخلفاء والسلاطين، والأمراء، وأغنياء المسلمين من الأهالي والمقيمين وغيرهم من أبناء الأمة الإسلامية على مدار التاريخ الإسلامي، فتحقق لبلاد الحرمين الشريفين من المؤسسات العلمية، والخيرية ما لم يتحقق في بلاد الواقفين..»¹⁰

وتعتبر هذه من أهم المؤسسات من حيث عدد الأوقاف، وقد قدرها بعض المؤرخون الفرنسيون عند دخول الجزائر بـ 155 عقار، 74 منزل 76 مخزن ورغم أن عائداتها كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى فقراء مكة والمدينة إلا أنها كانت تنفق على 3 مساجد حنفية في مدينة الجزائر، وقد ساهمت هذه المؤسسة بنشر مدراس العلم وتدعيم الطلبة ليس في الجزائر فقط بل حتى في الحرمين الشريفين بفضل ما كانت تقدمه من أموال وعائدات الأوقاف .

أوقاف الجامع الكبير :

كانت عائدات أوقافه موجهة للإنفاق على مساجد المالكية، ويلاحظ الباحثون أن عدد أوقافه انتقلت من حبس واحد سنة 1541 الى 550 حبس قبيل الاحتلال الفرنسي، وهذا نظرا لدوره التعليمي والثقافي في حياة المجتمع وكذلك لأن غالبية المجتمع هم من الأهالي الذين يتبعون المذهب المالكي .

أوقاف سبيل الخيرات :

«تذكر المصادر أن مؤسسها هو شعبان خوجة سنة 1583 م وهي مخصصة للإنفاق على مساجد الحنفية بمدينة الجزائر، والتي بلغ عددها 8 مساجد وعدد أوقافها 313 حبسا...مدخولها السنوي 1800000 فرنك وهذا راجع على قلة المساجد الحنفية وغنى الأتراك و الكراغلة المنتسبين إلى للمذهب الحنفي»¹¹، «بفضل ما كانوا يجنونونه من غنائم من الجهاد البحري . تشرف هذه المؤسسة على الأوقاف الموجهة للفقراء والطلبة والعلماء... كما أنها تدفع مرتبات حوالي 80 أستاذ ملحقين بالمساجد التابعة لها.

مؤسسة أوقاف أهل الأندلس :

نشير هنا إلى إن فئة أهل الأندلس هي فئة الأفراد الفارين من الاضطهاد الصليبي ومحامم التفتيش بعد سقوط الأندلس، بحث هاجرو مساكنهم وأراضيهم واستقروا بالمدن الساحلية

للجزائر مثل مدينة شرشال، وتلمسان واندمجوا تدريجيا في المجتمع الجزائري، وكان أهل الأندلس يملكون ثروات ضخمة نتيجة نشاطهم في الصناعة و التجارة، وقد قاموا بوقف بعض من ممتلكاتهم لصالح المهاجرين الفقراء من أشهر أوقاف الخاصة بهم هو جامع الأندلس والزاوية الملحقة به.

بالإضافة إلى هذه المؤسسات نجد مؤسسات أوقاف خاصة بالإشراف هذه الفئات التي كانت تحظى بتعاطف الحكام الأتراك بسبب نسبهم الشريف وأخلاقهم العالية.
المؤسسات التعليمية الممولة من قبل الأوقاف:

لقد أشرفت المؤسسات الوقفية على العديد من المؤسسات التعليمية من حيث البناء والصيانة وإيواء طلبة العلم و إطعامهم وكذلك الإنفاق على أجور العلماء والمدرسين، و نجد أهم المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة في المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة والممولة من المؤسسات الوقفية ما يلي:

الكتاب:

و يسمى أيضا بالمسيد وهو تصغير لكلمة مسجد و يسمى في الأرياف بالشرية لأنه يدرس الشريعة و يعتبر أول مرحلة يمر بها طالب العلم خلال السنوات الأولى من حياته، و بالتالي كان بمثابة المدرسة الابتدائية في وقتنا الحالي «وكانت هذه المؤسسة التعليمية منتشرة في كامل البلاد الأمر الذي أدهش الفرنسيين عند احتلالهم الجزائر إذ كتب الجنرال دوماس تقريراً له يقول: إن التعليم الابتدائي في الجزائر كان منتشراً أكثر مما يتصوره الإنسان»²¹ وقد تمثلت مهام هذه المؤسسة التعليمية في تعليم القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم و بعض مبادئ حساب. يقضي الأطفال بالكتاب من ثلاث إلى أربع سنوات، وهناك من يقون فيها أو يلتحقون بالمدرسة في الحواضر أو الزوايا في الأرياف لحفظ القرآن و الفقه في الدين على أيدي علماء من قضاة و مفتيين .

المسجد:

لقد كانت وظيفة المسجد بالإضافة إلى دور الصلاة و إلقاء خطب الجمعة، يقوم بوظيفة التعليم و تحفيظ القرآن، و الملاحظ على حواضر الجزائر خلال العهد العثماني هو كثرة مساجدها التعليمية بحيث انفردت كل مدينة بجامعها الأعظم الذي يمثل مهداً للتعليم كجامع العظيم بقسنطينة جامع بجاية و الجامع الكبير بالجزائر العاصمة الذي كان منبرا للمناضرات بين العلماء³¹، و قد أحصى المؤرخون، بمدينة الجزائر و حدها 109 مسجد صغير و 13 مسجد كبير و 75 مسجد بمدينة قسنطينة و 60 مسجد بمدينة تلمسان، و هذا يشير إلى الانتشار الكبير للمساجد لما كانت تؤديه من دور علمي و حضاري في ذلك الوقت.

الزوايا:

الزاوية هي مؤسسة تعليمية دينية متعددة الوظائف وهذا لأنها كانت تنتشر بالأرياف التي كانت تفتقر إلى المؤسسات التعليمية الثقافية، التي كانت الزاوية تنوب عنها، بحيث قامت بدور المسجد والمدرسة في نفس الوقت فكانت « مقر للعبادة والدراسة كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة بالإضافة إلى كونها مؤوى لطلبة العلم وعابري السيل⁴¹. تخرج علماء الجزائر ونخبة المجتمع في العهد العثماني من هذه المؤسسة التعليمية نذكر منهم أبو رأس الناصري، سعيد قدورة، الأمير عبد القادر، محمد بن علي سنوسي... الخ. و عليه فقد كانت مقصد للعديد من طلبة العلم تخرج منها العديد من علماء وقضاة البلاد كما كانت مخزن للكثير من الكتب والمخطوطات.

المدرسة:

لقد كان ظهور المدرسة في المجتمع الجزائري كمؤسسة اجتماعية تعليمية قبل التواجد العثماني بالجزائر، حيث ظهرت في عهد الموحدين من اجل تخفيف العبء على المساجد وعليه فان المدرسة كانت تقوم بنفس المهمة التعليمية التي كان يقوم بها المسجد إذ لا يوجد بينهما اختلاف كبير وكانت تبني في الغالب قرب المساجد، وقد ساهم أفراد المجتمع في الجزائر خلال التواجد العثماني في وقف أموالهم لتعليم أبنائهم، كان نتاجها بناء العديد من المدارس التعليمية عبر القطر كله حتى لا تكاد تخلو منطقة من مدرسة للتعليم، وهذا ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان⁴² ومن المدارس التي ذاع صيتها آنذاك نجد المدرسة الكتانية في الشرق الجزائري، مدرسة الأندلسيين ومدرسة شيخ البلاد في العاصمة، وفي الغرب نجد كذلك مدرسة الحنقة ومدرسة مازونة وفي هذا الصدد فقد تحدث الجامعي الفاسي وهو يصف المدارس بمدينة الجزائر «...لقد كان بهذه الحضارة نحو مائة مكتب مليء بالأولاد، حيث أن المحل الذي لاتسع للأولاد يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن العظيم، وحفاظه كثيرين، والدروس العليا تلقى في المساجد والزوايا العديدة بالخصوص الجامع الأعظم كان فيه تسعة عشر أستاذا⁴³

بالإضافة إلى هذه المؤسسات التعليمية نجد مؤسسات تعليمية أخرى مثل الرباط التي كانت تشبه الزوايا لكن كانت مهمتها الأساسية هي الجهاد والتحريرض عليه بالإضافة الى مهمتها التعليمية للمرابطين والحامين عن حدود الوطن كما نجد كذلك المعمرات والتي كانت تنتشر بصفة خاصة بمنطقة القبائل وهي تشبه الكتاتيب إلا أنها تضم عدة فئات عمرية ولا تقتصر على الأطفال الصغار .

المكتبات:

لا يمكن أن نتحدث عن المؤسسات التعليمية دون الحديث عن المكتبات كونها عنصر مهم وأساسي في العملية التعليمية والبحث العلمي، وهنا نجد أن الوقف لم يتوقف على بناء المؤسسات التعليمية أو الإنفاق على طلبة العلم والعلماء وإنما شمل الوقف كذلك، ووقف الكتب والمخطوطات على المكتبات لطلبة العلم، التي كانت منتشرة بكثرة في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني بالجزائر، وعليه «ولتسهيل عمل المؤسسات السابقة ضمنت الجزائر عددا هاما من المكتبات التي تحتوي على العديد من الكتب التي كانت أما إنتاج محلي عن طريق التأليف أو النسخ أو وصلت الجزائر عن طريق مصر والحجاز والأندلس»⁷¹ وكذلك من تركيا والتي جلبها الأتراك معهم عن طريق المفاقي والقضاة الأحناف، وقد كانت المكتبات مقسمة إلى قسمين المكتبات العامة والمكتبات الخاصة وكانت المكتبات العامة ملحقة بجوار المدارس والمساجد والزوايا والكتب التي تحويها هي موقوفة على طلبة العلم والعلماء و من المكتبات المعروفة في ذلك العصر هو مكتبة الجامع الكبير في الجزائر العاصمة والمدرسة الكتانية في قسنطينة التي كان يوجد بها حسب بعض المؤرخين 17 مكتبة أما المكتبات الخاصة فهي خاصة بالعائلات المشهورة في المجال العلمي مثل مكتبة عائلة الفكون التي تذكر المصادر أنها كانت تحتوي على 2500 مجلد كما نجد في الغرب الجزائري، مكتبة أبو رأس الناصري وهي عبارة عن وقف من احد بايات وهران وسميت بمكتبة المذاهب الأربعة .

«وغنى مكاتب الجزائر كان نتيجة انتشار حركة التأليف والنسخ... بالإضافة إلى الكتب التي كانت تصل إليها عن طريق الحجاج والعلماء الرحالة»⁸¹

«وهكذا تتضح أهمية مؤسسة الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني فقد كانت تؤدي وظائف عديدة أهمها... خدمة الدين والتعليم كما كانت عنوانا على التضامن الاجتماعي»⁹¹، لكن للأسف كان مصير هذه المؤسسات الوقفية والتعليمية هو التدمير ومحاولة القضاء عليها بكل الطرق من اجل تجهيل المجتمع الجزائري وكذلك فصله عن دينه وانتباهه العربي الإسلامي.

من خلال عرضنا الموجز لظاهرة الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني يمكن أن نلاحظ بوضوح مدى التضامن الاجتماعي الذي كان سائدا خلال تلك الفترة من خلال مساهمة كل فئات المجتمع الجزائري في الوقف على التعليم وهذا بين أهمية العلم كقيمة اجتماعية ودينية، كون أن التعليم ارتبط في العالم الإسلامي بالدين فعلى رجل العلم آنذاك أن يبدأ بحفظ القرآن الكريم ثم التفسير ليتنقل بعد ذلك على العلوم العقلية الأخرى. وعليه فقد استمد التعليم قدسيته لإرتباطه بالدين الإسلامي، ولأن الوقف كذلك يستمد وجوده

من الدين الإسلامي فان ظاهرة الوقف شكلت دعامة حقيقة للمؤسسات التعليمية والمتعلمين، ولكن بتخريب المستعمر الفرنسي للمؤسسات الوقفية فقدت هذه المؤسسات أهميتها في المجتمع الجزائري .

خاتمة:

من خلال كل ما تطرقنا له خلال هذه المداخلة يمكن القول أن ظاهرة الوقف في المجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني بالجزائر شكلت دعامة أساسية ومهمة للتعليم والبحث العلمي في الجزائر رغم أن المستوى العلمي خلال هذه الفترة تميز بالتقهقر على غرار باقي الدول الإسلامية، إلا انه ساهم في نشر العلم وظهور طبقة من العلماء والمثقفين، وهاته التجارب الحية من تاريخ المجتمع الجزائري تحتاج إلى إحياء ظاهرة الأوقاف وتوظيفها في خدمة العلم والدين وكذلك تقوية التضامن الاجتماعي.

قائمة المراجع

- 1 ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، 1979، ص 76.
- 2 عبد القادر بن عزوز، فقه استثمار الوقف وتمويله في الاستلام -دراسة تطبيقية عن الوقف الجزائري-رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر، سنة 2003-2004، ص 20.
- 3 ابن المهام كمال الدين، شرح فتح القدير، ط1 دار الكتب العلمية، 2003، ص 19
- 4 وهبة الزحلي، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر، السنة 1987، ص 170
نقلا عن عبد القادر بن عزوز مرجع سابق ص 23
- 5 عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سلمان، الوقف مفهومه ومقاصده، ندوة المكتبات الوقفية في العربية السعودية، ص 667.
- 6 عبد القادر بن عزوز، مرجع سابق ص 20.
- 7 الدردير، اقرب المسالك مكتبة، رحاب، الجزائر، 1987، ص 165 نقلا عن عبد القادر بن عزوز، مرجع سابق ص 20
- 8 الشيخ النفراوي، الفواكه الدواني، مطبع مصطفى بابلي الحلبي، مصر، 1955، ص 225. نقلا عن عبد القادر بن عزوز مرجع سابق ص 21.
- 9 حسن عبد الغني ابو غدة، «الوقف ودوره في التنمية الثقافية» مجلة الشريعة والفنون (العدد 22 يناير 2005 ص 34)
- 0 عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سلمان، الوقف مفهومه ومقاصده، ندوة المكتبات الوقفية في العربية السعودية، ص 684.
- 11 11 شجري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر 1671-1830، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البويرة، 2006، ص 54
- 12 نفس المرجع، ص 54.
- 13 نفس المرجع، ص 55.
- 14 زكية منزل غرابية، دور الوقف في نشر لعلم خلال التواجد العثماني بالجزائر، www.awqafshj.gov.ae/ar/download
- 15 اشرف صالح محمد السيد، المراكز الثقافية في دار السلطان-الجزائر- أواخر العصر التركي، اراماباك مجلة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www.amarabac.com
- 16 شجري معمر، مرجع سابق، ص 64.
- 17 نفس المرجع، ص 68.
- 18 ابو القاسم سعد الله، تاريخ جزائر الثقافي 1500-1830 المجلد الأول، دار الغرب الإسلامي، 2005، ص 244.

المرأة الجزائرية: بين ما كتبه الفرنسيون الكولونياليون وبعض الجزائريين و ما أبرزه الواقع

د. ياسين سعادة

جامعة ابن خلدون / تيارت

ملخص المقال:

يهدف المقال بالدرجة الأولى إلى الخوض في موضوع ما كتب عن المرأة الجزائرية ابان فترة الاحتلال الفرنسي اين كانت موضوعا بارزا اشتغل به العديد من الكتاب الكولونياليين وغيرهم ممن تأثر بهم من الجزائريين. ويرجع اهتمام الفرنسيين بموضوع المرأة كون هذه الأخيرة محورا مفصليا في الصراع الدائر بين المستعمر والمستعمَر، وكأنتها المعركة الفاصلة والمحددة لمسألة الاستعمار الفرنسي في الجزائر. ويهدف المقال إلى إظهار بعض تفاصيل هذا الصراع وتأثر بعض الجزائريين به.

Résumé :

Le présent article a pour but d'étudier ce qui a été écrit sur le thème « femme algérienne », sachant que cette dernière a été l'objet de plusieurs études et écrits de la part des français défenseurs de l'idéologie des colons et de la colonisation et de quelques algériens qui ont été influencés par ces écrits. Le présent article a pour but aussi d'éclaircir et de détailler les dits et les écrits sur la femme algérienne du moment qu'elle était au cœur du conflit colonisateur/colonisé .

« لنملك النساء..... و الباقي يتبعها بعد ذلك »¹. هذه العبارة التي كثيرا ما رددتها مسؤولو الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر الذين كان على عاتقهم تحطيم أصالة الشعب الجزائري، و الذين كُلفوا من طرف السلطات الاستعمارية آنذاك بفسخ أشكال التواجد التي بإمكانها التذكير من قريب أو من بعيد على الحقيقة الوطنية، و ذلك بتكريس أقصى تركيزاتهم على لباس «الحجاب» (حايك المرمّة او الملاية) الذي صُوّر كرمز لمكانة المرأة تثبت من جهة خطورة موضوع مكانة المرأة، و حساسيته في الثقافة الجزائرية المقاومة لكل أساليب الإدماج و الانصهار مع الثقافة الفرنسية زمن الاحتلال، و من جهة ثانية هو دليل على أنّ موضوع المرأة موضوع محوري في عملية التثاقف الحاصل مع الاستعمار الفرنسي. و من هنا كان التساؤل الأساسي لهذا البحث : ما هي مكانة المرأة الجزائرية عند

الكتاب الكولونياتيين و الكتاب الجزائريين في الحقبة الاستعمارية؟ و ما مدى مصداقية هذه الكتابات في الواقع؟

1 - حول موضوع المرأة الجزائرية في الأدبيات الفرنسية الاستعمارية:

لقد كان موضوع المرأة الجزائرية من بين أكثر المواضيع تناولا من طرف الأدبيات الاستعمارية سواء العسكرية منها أو المدنية، و كانت المرأة من بين أكثر الأشياء غير المفهومة في البلاد المستعمرة. فدراسات علماء الاجتماع (أتباع المدرسة الكولونياتية) و المهتمين بالعالم الإسلامي، و الحقوقيين كثيرة في هذا المجال². تواليا، و صفت المرأة كأمة الرجل و خادمته، ثم المضطهدة و المهورة، و تبعتها دراسات تعلن أنّها ملكة الدار الأولى، و ما زالت المحاولات النظرية إلى يومنا هذا تلقي بظلالها على العديد من الكتابات التي حتى و إن زال الاستعمار عن الجزائر إلا أنّها ما زالت استعمارية في أيديولوجيتها. و خلصت العديد من المحاولات النظرية إلى قناعة مفادها أنّ المرأة الجزائرية تحلم بالحرية لكنّ نظاما أبويّا متخلّفاً و دمويّا يحول دون هذه الرغبة الشرعية³. و لقد تحدّث العديد من النواب الفرنسيين زمن الاحتلال الفرنسي (و من بينهم أحد مؤسسي علم الاجتماع السياسي ألكسي دو توكفيل Alexis DE TOCQUEVILLE) عن حالة المرأة الجزائرية، و طالبوا بترقيتها اجتماعيا لأنّ ذلك حسب رأيهم هو الوسيلة الوحيدة للقضاء على المقاومة الجزائرية التي دوّخت العسكريين و المفكرين الفرنسيين. و في هذا السياق ذكر الروائي أوكتاف دوبون Octave DEPONT : «... كل جهود التقارب و الانصهار يمكنها أن تحدث، و لكنّها في خطر الاضمحلال، بل التحطيم أمام أقدام هذه المرأة الحافظة الوفيّة للبيت العائلي، و لتقاليده، و يمكن القول بأكثر عمومية الحافظة المحافظة على العرق»⁴.

أمّا فرديناند دوشان Ferdinand DUCHENE، و لوي لوكوك Louis LE COQ فلقد سعيا لوصف الشكل المقاومتي المسلم في الكثير من كتبهم، و بالتالي توجّبا عليها إظهار محافظة المرأة المسلمة في الوقت الذي ظهر فيه جلياً روح الانسجام داخل المجتمع المسلم، و ذكرا أنّ هذه المقاومة لتأثيرات العالم الأوروبي تشكّل كابحا لكل تطوّر للعالم النسوي أوّلا، و الخليّة العائلية بعد ذلك⁵. أمّا هانوتو و لوتورنو اللذين بنا على كتاباتها دوركهايم أطروحتة حول نظرية التضامن الآلي و العضوي، و تقسيم العمل الاجتماعي فلقد درسا من منطلقهم الكولونياتي و لسنوات عديدة أعراف و عادات بلاد القبائل، و شبّها فيها حالة المرأة بحالة العبد دون أدنى قيد منهجي مقارنة مع الرجل القبائلي، و ذلك في تحييز صارخ غير موضوعي للرؤية الكولونياتية⁶. و لم تقتصر الأدبيات الاستعمارية على الملاحظة فقط بل حاولت استقراء بعض المخطوطات و الوثائق لاستخدامها في قراءات تاريخية أقل ما يقال عنها أنّها متحيّزة. و مثال ذلك ما كتبه المؤرّخ الفرنسي روبرت برونشفيغ

Robert BRUNSCHVIG لما تحدّث عن شمال إفريقيا: " صرامة المذهب الفقهي في القرنين الرابع عشر و الخامس عشر منعت النساء من الخروج لحضور الاجتماعات الدراسية، حصص التقوى، بل حتى الصلاة الجماعية (وهو ما لم يكن يسمح بتشجيع التطوّر الذهني و الديني). هذه المنهيات كانت تنتهك في بعض الأحيان خاصة في وسط المرابطين (المتصوّفة). لكن رغم ذلك، إنّ خلال القرن الثالث عشر قدمت أم العلي سيّدة العبدرية من غرناطة إلى تونس، و سخرت حياتها لتعليم النساء... و ظهرت بعد ذلك الشاعرة زينب في بجاية، كذلك الشاعرة عائشة... و لكن مع الهيمنة المتصاعدة للمذهب المالكي الصارم لم يعد هناك مثل هذه الأمور"⁷. و الملاحظ على هذا القول هو أنّ فيه خلط كبير لأمر خارجة عن سياقها، فما علاقة حصص التقوى بمكانة المرأة، و ما دخل الصلاة الجماعية مع صرامة المذهب المالكي مع العلم أنّ هذا المذهب له نفس الموقف فيما يخص صلاة المرأة مع كل المذاهب الفقهية المعروفة عند اهل السنّة. من جهة ثانية، إنّ برونشفيغ يحكم على المجتمع المسلم في القرن الثالث عشر من منطق الرجل المعاصر في وقت كانت المرأة في أوروبا و فرنسا بلده تعد نصف إنسان- بل أقل من ذلك-، و إذا كان حضور النسوة في المجتمع الإسلامي - كما يحلوا لأصحاب برونشفيغ من الغربيين و من العرب كذلك- في القرن الثالث عشر حضوراً محتشماً تمثل في خروج بعضهنّ لممارسة نشاطاتهن التعليمية، فإنّ هذا الحضور منعدم فيما يخص المرأة الأوروبية في ذلك الوقت. ثم إنّ كلام المؤرّخ الشهير برونشفيغ فيه مغالطة تاريخية صارخة و هي تأكيده على أنّ المذهب المالكي أصبح مهمناً كمذهب رئيسي في بلاد المغرب انطلاقاً من القرن الثالث عشر، و هو ما تنفيه الحقائق التاريخية.

يظهر جلياً إذا أنّ هذه التأويلات المختلفة عن حقيقة مكانة المرأة تهدف إلى ترسيخ الأيديولوجية الكولونيالية كواقع لا يد منه للنهوض بحضارة على شاكلة الحضارة الغربية تخرج هذا المجتمع المستعمر من تحلّفه و بدائيته التي كبحت تقدّمه إلى مصاف الدول الأوروبية المتحضّرة. طبعاً، هذه الأحكام و التأويلات هي مغالطات تاريخية جاءت نتيجة الحركة الأدبية و الثقافية التي صاحبت مرحلة الغزو و الاستعمار ثم الاستيطان بعد ذلك. فلقد كان الكتاب الأوائل - و منهم العسكريون- الذين أسمّتهم الدكتور سكيّنة مساعدتي⁸ «الكتاب السيّاح» لا يسعون إلى خوض أي محاولة لسرد الحقيقة، بل كانوا يعرضون على القراء الشغوفين بمعرفة الأدب الدخيل و الشاذ، و الكتابات المبتذلة و الصور السلبيّة، و كانت شخصية المرأة المستعمرة توظّف لإثارة أحلام هؤلاء الكتاب.

لقد كانت جل كتابات هؤلاء تتمحور حول الروايات المسرحية، و الوضعيات غير المنتظرة، و المفارقات العنيفة، و المغامرات الغرامية و السريّة بين الجندي الفرنسي و الشابة

الجزائرية التي لا تزال في سن المراهقة. و اقتصر هذا الأدب في النهاية تضيف مساعدي على تقديم لوحات لماعة كانت تستنسخ مشاهد لعادات لم تكن تمت بصلة للديكور المعتاد في فرنسا، فكانت تصف بكثير من اللذة رقصات بعض العاهرات في الأماكن القذرة الموجودة في تلك الفترة، و طريقة مشي الفلاحات الشابات و نظراتهنّ و هنّ يغدين حافيات للاستسقاء من الينابيع⁹. و يمكننا تلخيص صورة المرأة الجزائرية عند هؤلاء بأنّها مجرد شيء جنسي، و التوضيح النفساني لها هي أنّها من طبيعة بدائية، و هي تمثّل القذارة و القرف و الكسل، و هي ذات طبيعة نفسية منحرفة.

و للإجابة على هؤلاء نسرّد كلام ابنة الشهيد و أخت الشهيد ابنة الأوراس الأشم الدكتورة سكيّنة مساعدي في كتابها القيم «روايات الاستعمار و المرأة المستعمرة في الجزائر» حيث ذكرت: «... إنّ دراسة موضوع المرأة المحليّة لإبراز جانبها السلبي فقط، و كشف عيوبها، و معالجتها بالتفصيل، و تقديمها بألوان غريبة ليست على الإطلاق أسلوباً لتبديد الضلال بل تعكس مقاربة فولكلورية و موقفاً أيديولوجياً جلياً»¹⁰.

2 - مشاريع محاربة المقاومة الجزائرية عن طريق معركة المرأة:

كانت مسألة المرأة مرتبطة بالوضع الاستعماري للبلاد التي زعزت البنى التقليدية للتعليم و التكوين، و لم تعوّضها لا بالعدد الكافي و لا بالعدّة الكافية، و لا بالنمط المرضي للمجتمع. و السبب في ذلك بسيط، لأنّ الاستراتيجية الكولونيالية الهادفة إلى تفسّخ المجتمع الجزائري على مستوى الأفراد أعطت أهمية بالغة للمرأة الجزائرية.

في البرنامج الكولونيالي كان على المرأة القيام بالمهمة التاريخية المتمثلة في تغيير الرجل الجزائري. تحويل المرأة، و جعلها تقبل القيم الغربية، و انتزاعها من مكانتها هي في نفس الوقت اكتساب سلطة حقيقية على الرجل، و امتلاك الوسائل العملية و الفعالة لتحطيم الثقافة الجزائرية¹¹. و قد كان المذهب السياسي للإدارة الاستعمارية واضحاً و محدداً: «إذا أردنا ضرب المجتمع الجزائري في بنيته، في قدراته المقاومة، توجّب علينا امتلاك النساء، توجّب علينا أن نبحت عنهنّ خلف الحجاب الذي يخفيهن، و المنازل التي يخفيهنّ الرجال فيها»¹². بهذا كرّس مسؤولو الإدارة الفرنسية أقصى تركيزهم على لباس الحجاب الذي صوّر كرمز لمكانة المرأة الجزائرية، و هم يعلمون جيّداً قيمة هذا اللباس من الناحية الثقافية، خاصة إذا علمنا أنّ العديد من الملاحظين قد أفروا أنّ الحجاب قد زاد تداوله في الجزائر تحت حكم الاستعمار الفرنسي احتفاءً من الأجنبي، و ترسيخاً للتمايز بين المجتمعين: المحلي المسلم، و المستعمر المسيحي¹³، و أضحى حجاب النسوة في الجزائر ملجأً لهوية مقاومة لتسلّل المستعمر الفرنسي وسط الأسرة.

لقد كانت الاستراتيجية الكولونiale واضحة في موضوع المرأة، فلا بد من تحريرها من قبضة التقاليد والأعراف، وتحريرها من هذا النظام البطريقي الذي قهرها وجعلها حصنا منيعا أمام محاولات الاختراق الثقافي. واستعملت الإدارة الكولونiale كل الوسائل الممكنة لتحقيق هذا الهدف، فمن الناحية الأدبية كان الهدف واضحا على لسان جون بومبي Jean POMMIER الأمين العام لجمعية الكتاب الجزائريين وهو يعبر عن موقف تيار «الجزارة»، وهو تيار أدبي-سياسي فرنسي ظهر لدى الكتاب الفرنسيين المناصرين لفكرة الجزائر للجزائريين (وهم يقصدون الفرنسيين وأبناء الكولون المولودين بالجزائر) والداعين إلى التحرر من هيمنة المتربول: «... وفي النهاية أقول: ما هو الواجب الأدبي الجزائري؟ إنه استعمار الجنس الجزائري فكريا (أو بعبارة أخرى فرنسة)، ولكن ماذا سيكون هذا الجنس؟ سيكون عرقيا أي شيء إلا فرنسيا (أي لن يكون عرقيا فرنسيا)، ولن يكون أي شيء من الناحية الفكرية إلا فرنسيا. إن الجزائر سوف تخلد ثقافة فرنسية أو لن تكون...»¹⁴، و اعترف بومبي وغيره أن أهم عائق أمام هذا المسعى هو الحصن العائلي الذي تقوده المرأة الجزائرية. هذا من الناحية الأدبية، أما من ناحية الإنتاجات الثقافية الأخرى فلقد درس أستاذنا عبد الغني مغربي تاريخ السينما الفرنسية في الجزائر، و خرج بنتائج مهمة، منها أن السينما الفرنسية في الجزائر كانت تخدم الفكرة الكولونiale يقودها في ذلك هذا الكل المتضامن المؤيد بالتضامن الشامل¹⁵.

لاحظ الدكتور مغربي أن الجماهير لم تكن قد تأثرت بالسينما لأن معظم الدور المخصصة لها كانت في المدن الساحلية حيث الجالية الفرنسية، و لاحظ ثانيا أن السينما الفرنسية كانت استعمارية في مواضيعها، و كانت مناظرها سياحية بالدرجة الأولى (وهي نفس ملاحظة مساعدي حول الأعمال الأدبية)، و كان وجود الإنسان الجزائري فيها جزءا من الديكور الاستعماري بهدف السخرية منه. و قد لخص مغربي المواضيع التي دارت حولها السينما الاستعمارية فكانت:

- 1- السخرية من المستعمّر مثل أفلام « المسلم المضحك» و « علي يأكل الخبز بالزيت»
- 2- الاختلاط الجنسي و منها أفلام: «أرواح مسورة» و «أوجه مبرقة»
- 3- الغراميات المثيرة و منها: « الماسة الخضراء» و «صراع بين جيلين» و « الرمال»
- 4- رسم المستعمّر، و منها: «البلد»، و « الأمير جون»، و «المغامر»، و «في أفق الجنوب»
- 5- المرأة المستعمّرة، و منها: « في ظل الحرّيم»، « الشهوة»، و «المرأة و العندليب»
- 6- الصليب في خدمة المستعمّر، و منها: «نداء الصمت»، و «الطرق المجهولة»
- 7- السيف في خدمة المستعمّر، و منها: « الرقيب»، « المنبذون»، و « وسام الشرف»

8- المنحرفون الأوروبيون، و منها : « الرمال المتحرّكة»، و «ريح السموم».

و كان من نتائج هذه السينما التأثير على بعض الفئات الاجتماعية القليلة. و الملاحظ على هذه المواضيع تردّد موضوع المرأة و ما تعلّق بها من غراميات أو اختلاط جنسي أكثر من مرّة، و إن دلّ هذا على شيء إنّما يدل على الأهمية التي تلعبها المرأة الجزائرية في الحفاظ على الثقافة المحلية، و هو نوع من المقاومة لم يستطع الفرنسيون محاربتة بالمواجهة لأنّ ذلك إعلانا صريحا بالفشل كما أكّد عليه منظرو الفكرة الكولونيالية. و لم تكن هذه المصاحبة الفكرية و الثقافية للمشروع الاستعماري الطريقة الوحيدة في معركة المرأة، بل حاول الكولونياليون المدنيون أيضا طرقا أخرى تعلّقت من جهة بالجانب الاقتصادي المعيشي حيث شجّعت الإدارة الفرنسية و كبار الملاك المرأة على نزع لباسها التقليدي (الحايك، الملالية، الجبة. الخ) مقابل امتيازات اقتصادية خاصة وقت الأزمات الاقتصادية أين تقل المواد الغذائية، حيث يمنح لكل امرأة نزع لباسها الساتر مواد غذائية كالسكر و القهوة و الزيت. و من جهة ثانية كان المسؤولون الإداريون و تحت غطاء الإدماج و الاندماج يحثون عمالهم الجزائريين على حضور الاحتفالات و الاحفالات التي تنظم في المناسبات المختلفة، و يجبروهم على إحصار زوجاتهم أو أخواتهم إلى هذه الاحتفالات المختلطة، و هو ما كان يضع الجزائريين في حرج كبير. و قد ذكر فرانز فانون في كتابه القيم «سوسيولوجية ثورة» الكثير من هذه المواقف. و هو دليل قاطع على رغبة الفرنسيين في نشر ثقافتهم بالدخول إلى لب العائلة و الأسرة الجزائرية كونه السبيل الوحيد للقضاء على المقاومة و الشخصية الجزائرية ليتحقق المسخ الثقافي الذي سطره المشروع الاستعماري.

3 - المرأة الجزائرية بين ما كتبه الجزائريون و ما أبرزه الواقع:

« الجزائرية حطّمت كل أشباه الحقائق التي عملت الدراسات الميدانية على تضخيمها... الجزائرية مثل أخوها الرجل أظهرت بصورة لامعة ميكانيزمات دفاع سمحت لها اليوم أن تلعب دورا أساسيا في عملية التحرير»¹⁶. هي عبارة صرّح بها فرانز فانون و هو يتحدّث عن سوسيولوجية الثورة الجزائرية من منطلق الدراسة الميدانية بل من منطلق الملاحظة بالمشاركة - و هو الذي كلّف من طرف قيادة الثورة بمهام دبلوماسية و إعلامية رسمية- لها أكثر من دلالة حول موضوع المرأة الجزائرية.

الواقع الذي وصفه فانون يفند أشباه الحقائق التي أتت بها الدراسات الميدانية للأثروبولوجية الكولونيالية (و لهذا السبب اعتبرت الأثروبولوجيا في الجزائر في عهد الرئيس بومدين علما استعماريًا، و منع تدريسها): «...عن مكانة المرأة، عن زعم السجن، التهميش الرديكالي، احتقارها، تواجدها الصامت الذي يثبت عدم التواجد، و المجتمع الإسلامي الذي لم يمنحها أيّة مكانة، و نزع شخصيتها و لم يسمح لها لا التألّق، و لا النضج.

واضعا إياها في قصور دائم... هذه التأكيدات الموضحة ب «أبحاث علمية» تستقبل اليوم الملاحظة الوحيدة الصحيحة: التجربة الثورية... المرأة الجزائرية وهي تفرض على نفسها مثل هذه القيود (الاحتشام، التوقع على الذات، الاختفاء داخل البيت، الاختفاء وراء الحجاب، عدم مخالطة العنصر الغربي)، و باختيارها شكل تواجد محصور في الفضاء فهي تعمق وعيها النضالي، و نحضر نفسها للقتال¹⁷.

إنّ كلام فرانس فانون يجرّنا للتساؤل عن حقيقة الكتابات و الدراسات عن مكانة المرأة الجزائرية سواء أكانت هذه الدراسات أجنبية (و غالبيتها فرنسية كولونيلية) أم جزائرية : هل النظام العائلي في الجزائر أموسي أم بطريقي قاهر للنساء كما يجلو للأنثروبولوجيا الكولونيلية قوله؟

الإجابة عن هذه التساؤلات نجده لا التنظيرات المجردة، و إنّما في أرض الواقع. إنّ التجربة الثورية في الجزائر قد أزلت الغبار عن كثير من الحقائق المشوهة التي عمل الاستعمار على ترسيخها في المعتقد. الحرب الثورية ليست حرب رجال فقط، فهي لا يقوم بها جنود أساسيون و احتياطيون، الحرب الثورية كما تبناها الجزائريون هي حرب شاملة لم تكن المرأة فيها تقوم فقط بالطرز و البكاء على الجنود، بل كانت في قلب المعركة، معتقلة، معذبة، معتصبة و مضروبة، إنّها لامست واقعا عنف المحتل و عدم إنسانيته. ذلك أنّ المحتل فسّر فشله و تعريه بانزاهه في معركة المرأة، حيث ظهر له أنّ المجتمع الجزائري ليس هو المجتمع الخالي من النساء الذي وصفه المحتلون و عملاؤهم¹⁸.

خلف النظام البطريقي الظاهر كان يوجد نظام أموسي قاعدي تلعب فيه الأم و الجدة، و العمة، و الخالة، و الأخت دورا بارزا و هاما، فهي التي كانت الحافظة للقيم و المعايير، و هي التي كانت محرّكة للسلوكات الإيجابية للرجل، و التي تتحدّد بها المواقف التي تسمى «رجولية». و في هذا السياق يحضرنا لقطة من فلم سينمائي لكاتب أنثروبولوجي جزائري هو مولود معمري، و من إخراج جزائري كذلك أحمد راشدي تخص في فلم «العفيون و العصا» مقتل بطل الفلم في لقطة شهيرة جدا يعرفها كل الجزائريين لدرجة أنّها أصبحت عنوان الرجولة، و هي عبارة «علي موت واقف»، و اللقطة التي نتحدّث عنها كانت قبل لحظات من هذا الموقف، و هي ردّة فعل سيد علي كويرات بطل الفلم لدى سماعه جواب أخته لسؤال الضابط الفرنسي: أتعرفين من هذا؟ فأجابت بكل فخر و اعتزاز: «خويا»، و كانت ردّة فعله بحركة الصدر إلى الأمام، و هي تعني الفخر و الاعتزاز بأداء الواجب، و بتشريف أخته و العائلة. فلولا وجود مثل هذه المرأة التي تمثّل في هذه الحالة الأخت لما وجد هذا النظام القيمي المبني على الواجب و الشرف و الرجولة. و صاحب الرواية وهو يكتب سيناريو الفلم كان يدرك جيّدا هذا النظام القاعدي الأموسي كيف لا و هو الأنثروبولوجي الجزائري.

هذا عن مكانة المرأة و حقيقة ما كتبه الكولونيلون، لكن ماذا عن الكتاب الجزائريين؟ ماذا عن مكانة المرأة في كتابات الجزائريين المعاصرين؟..... في الحقيقة الموضوع أوسع من أن تسعه بعض الصفحات في هذا المقال، لكن لا مناص من محاولة طرح النقاش الأكاديمي حول الموضوع.

مشكلة موضوع المرأة في اعتقادنا هي اختزال موضوع التفهيم و التخلف على المرأة وحدها، في حين أنه يخص المجتمع العربي برمته، فلا يجب أن نتناول موضوع المرأة دون أن نتناول معها موضوع الرجل كمتلازمة اجتماعية، لأنهما في الواقع لا ينفصلان. و كان أحد عيوب الدراسات التي تناولت موضوع المرأة هي تناولها لموضوع المرأة كموضوع منفصل، في حين أنه لا يمكننا الفصل في الحديث بين مكانة المرأة و مكانة الرجل، و مكانة الأسرة في النظام الاجتماعي العام، و العلاقات الناشئة بينهما داخل المجتمع. و إذا كان هذا الخطأ المنهجي مقصود من طرف باحثي و كتاب التيار الاستعماري لأغراض أيديولوجية بحثية، إلا أن الكتاب الجزائريين فعلوا ذلك إما تغافلا عن الحقيقة المنهجية أم تأثرا بما كتبه الغربيونعمومان و الفرنسيون على وجه التحديد.

و قد بدأ الجزائريون يكتبون عن موضوع المرأة منذ انتشار الصحف و المجلات الآتية من المشرق العربي في العشرية الثانية من القرن الماضي - و قد ذكر أبو القاسم سعد الله العديد منها في تاريخه الثقافي للجزائر - حيث أطلع الجزائريون فيها على مختلف الآراء المتداولة حول الخلافة و الإسلام و القومية، و حول موضوع تحرير المرأة، و مسألة الحجاب و السفور و تعدد الزوجات و غيرها¹⁹. و كثيرا ما عولجت المسائل المتعلقة بالمرأة في سياق واحد شمل التعليم، و الخروج إلى الشارع، و الاختلاط في المدارس، و السفور، و الحجاب، و لغة التعليم و محتواه، و مكافحة الآفات الاجتماعية مثل ظاهرتي الطلاق و الدعارة.

و الملاحظ على ما كتبه الجزائريون حول موضوع المرأة أنهم منقسمون في موقفهم منها إلى قسمين كبيرين: قسم متطّلع إلى مجارة المجتمعات المعاصرة على الطريقة الغربية، يرى أن النظام الاجتماعي في الجزائر هو نظام بطريقي قاهر للمرأة، واضعا إياها تحت سيطرة الرجل باسم الأعراف و التقاليد و الشرعية الدينية. و قسم آخر متأثر بالحركة التراثية التي ترى أن حرية المرأة لا يمكن أن تكون على الطريقة السويفية إلا إذا استعيد التراث الإسلامي في واقع الممارسة اليومية، و هو الكفيل بذلك. و الدليل على ذلك ما وقع للمرأة الغربية اليوم من تحللّ و تشتت و خراب و اغتصاب للحرية الفردية باسم الحرية المطلقة، التي لم تنجح في نزع الحكم القيمي الممارس ضد المرأة كونها سلعة جنسية، أو شيء جميل في الديكور العام، و هو ما يظهر في بلاطوهات الحصص التلفزيونية.

يرى القسم الأول أن القوانين المختلفة التي وضعت بخصوص المرأة و العائلة (قانون الأسرة) الكثير منها متناقض مع مبادئ الشريعة الإسلامية، و هو ما ذهب إليه عبد القادر

جغلول مثلاً²⁰. وبعضها معاكس للكلمة القرآنية لدرجة أنّها وباسم الدين سرقت السلطة الأسرية لمصلحة الجماعة الذكورية التي ما قنّنت أن قنّنت بل شرعت الاضطهاد الجنسي للمرأة وهو رأي نور الدين طوالي²¹. كما يرى آخرون أنّه في ظل الأنظمة التفسّية المبينة على التفرقة (سواء كانت الانظمة العربية الحالية أم لما كانت المجتمعات العربية خاضعة للسيطرة الأجنبية) لم تجد مسألة تربية المرأة و تحريرها من الجهل، ثم من سيطرة الرجل مكانا لها ضمن المقاومة من أجل البقاء والكفاح من أجل الهوية والهوية الثقافية، ما عدا في حالات معارضة مشروع الأحزاب الإسلامية كما كان الحال في الجزائر أيام الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

ويّتهم أصحاب تحرير المرأة الفريق التراثي أنّ أصحابه لا يزالون يعتقدون بكل قوة أنّ حبس المرأة داخل البيت هو ليس فقط سلوكا سوبيا من الناحية الأخلاقية، ولكن أيضا واجبا لأنّه أفضل طريقة للحفاظ على النساء من الرجال الغرباء عن العائلة و من أنفسهنّ أيضا، لأنهن ضعيفات و غير عاقلات، و بالتالي غير مسؤولات عن أفعالهن²².

أمّا الفريق الثاني، فيرى أنّ معالجة هذه المسألة تحتاج إلى تأني و صبر، فالمشكلة ليس تحرير المرأة، و إنّما تكوينها لتلعب الدور المنوط بها (غالبا ما يحدّص في التربية و الرعاية و شؤون البيت)، أمّا مسألة الحجاب فهي مسألة ثانوية إذا ما قورنت بمستوى الرمزية الذي يمثله هذا الحجاب، فأغلب النساء في المجتمع الجزائري (خاصة في المدن الداخلية و الأحياء الشعبية) يرتدين ما يعتقدونه حجابا، إلا أنّه لا يحقق الشرط الرمزي فلا حجاب غير الخلق الحسن و العقيدة الإسلامية الصحيحة، و الشرف و الفضيلة، و الرفعة و النزاهة كما يقول أبو الأعلى الزواوي²³. يرى هذا الفريق أنّ الفريق الأوّل لا يعرف شيئا عن المسألة الدينية إلاّ أموراً سطحية، و لا يدرك المخاطر الناجمة عن اتباع ثقافة المجتمعات الغربية. كما يرى هذا الفريق أنّه ليس ضد عمل المرأة ما لم تنتهك محارم الشريعة.

على كل، تبقى هذه الآراء مجرّد مواقف لا تمثّل إلاّ أصحابها و ما يمثلونه من فئات اجتماعية. و لن تقف هذه الآراء حائلا دون تغيير الثقافات و تطوّرها، و تحوّل قيمها و معاييرها. لكن هذه الآراء إنّما تعبّر عن واقع و جودي لفئات اجتماعية ترى أنّها على حق، و تحاول فرض واقعها على الآخر. لكن المنطق السوسيولوجي يجبرنا على دراسة الواقع كما هو، على ملاحظته الدقيقة ليتسنى لنا رؤية ما يمكن رؤيته عن حالة المرأة. و المرأة الجزائرية حاليا موجودة في واقع مليء بالتناقضات التي فرضتها التجربة الاستعمارية، و التجربة الثورية، و التجربة الإسلامية على مدار التاريخ الطويل للجزائر.

و خلاصة القول في هذه النقطة أنّ التجربة الثورية في الجزائر أثبتت واقعيّا كذب وإفك الدراسات الأثروبولوجية للمدرسة الكولونيالية فلا المرأة أمة الرجل، و لا هي بمرتبة

العبد، و لا هي سيّدة عليه. كما يثبت الواقع الآن إمّعة موقف الفريقين المتخاصمين، فالمجتمع الجزائري ليس مجتمعاً غريباً، كما أنّه ليس إسلامياً (و لا أقول مسلماً) كما هو في فكر الفريق التراثي. و بالتالي مكانة المرأة فيه لا هي متحرّرة على شاكلة المرأة الغربية، و لا إسلامية على شاكلة الأفلام الدينية. المرأة الجزائرية محلّية الصنع - إن صح التعبير - تديّنها محليّ، تحرّرها محليّ و لو وضعت على المحك كما كان الحال أيام الثورة التحريرية لرأينا منها العجب العجاب، و لزال في أذهان الناس المكانة التي استوردت من مجتمعات أخرى.

قائمة المراجع:

1. FANON (Franz) .sociologie d'une révolution, Paris : Ed François Maspero, p48.
2. IBID
3. IBID
4. DEPONT(Octave). L'Algérie du centenaire, Paris :SIREY,1928,p46.
5. YAHIAOUI(Fadhila).roman et société coloniale dans l'Algérie de l'entre deux guerre, Alger :ENAG, 2006, p210.
6. HANOTEAU(Adolphe) et LETOURNEUX (Aristide Horace). « de la femme à l'esclave il n'y a qu'un pas ». La Kabylie et les coutumes kabyles, Paris :CHALLAMEL,1893, tome2, 1947,p142.
7. BRUNSCHVIG(Robert) La berbérie orientale sous les hafside, Paris : Ed Adrien MAISONNEUVE, publications de l'institut d'études orientales d'Alger,tome2, 1947,p15.
8. مساعدي، سكيته . روايات الاستعمار و المرأة المستعمرة في الجزائر، تر: نادية الأزرق بن جدة، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 2012، ENAG، ص 33.
9. نفس المرجع، ص 29.
10. نفس المرجع، ص 452.
11. FANON (Franz), OPCIT, p20
12. IBID
13. قشي (فاطمة الزهراء)، « المسألة النسوية في الجزائر في العشرينيات من القرن الماضي: تطّلع إلى الحضور ». النساء العربيات في العشرينيات حضوراً و هوية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، سبتمبر 2010، ص 371.
14. بومي، جون. « الحركة الأدبية الفرنسية بالجزائر، ما هي عليه و ما يجب أن تكون عليه». المجلة الكبرى، جوان 1923، ص 635.
15. MEGHERBI(Abdelghani). Les algériens au miroir du cinéma colonial , Alger :SNED,1982, p258.
16. FANON (Franz), OPCIT, p49
17. IBID
18. IBID
19. قشي، فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 367.
20. DJEGHLOUL(Abdelkader). Lettres pour l'Algérie, Alger :ANEP, 2001, p84.
21. TOUALBI (Noureddine) , Le sacré ambigu, Alger :ENAL,1984,p94.
22. BENNOUNE (Mahfoud) , Les algériennes victimes de la société néo patriarcale, Alger :ED MARINOOR, 1999, p11.
23. قشي (فاطمة الزهراء)، المرجع السابق، ص 371 نقلا عن: ناصر، «المقالة الصحفية الجزائرية: نشأتها، تطوّرها، أعلامها 1903-1931».

الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري الأسباب و العوامل

د:سحنون أم الخير

جامعة بونعامة جيلالي خميس مليانة

ملخص :

تعتبر ظاهرة الهجرة غير الشرعية أحد الطرق التي يعتمد إليها الفرد للهروب من مجتمعه إلى مجتمع يحظى فيه بمميزات اجتماعية و اقتصادية و حتى أمنية أرقى، فهي تشكل نوعا من الإنسحاب و التمرد و الرفض على المجتمع الأصلي حيث أصبحت أكثر تفاقما و انتشارا متخذة عدة طرق و أشكال .

ففي المجتمع الجزائري تضافرت مجموعة من العوامل ساهمت في حدوثها و لاسيما مامرت به من أزمة سياسية أمنية في التسعينيات و التي لا تزال تداعياتها في الوقت الراهن .

بالإضافة إلى سيطرت المذهب البرغماتي النفعي و الذي جعل خاصة فئة الشباب تبحث عن الطرق السهلة و الربح الوفير و الذي وجد في الهجرة إلى أوروبا و جهته التي تحقق له ذلك، حيث يسعى بكل الوسائل و الطرق غير المشروعة لتحقيق ذلك حتى ولو كان في ذلك هلاكه.

Summary :

Migration is illegal way to skip and run away your contry and society to another in order to have a better and easy life it is kind of giving up and betrayal your society it is widely spread now days it has been increased recently in the Algerian society because of many factores such as the political crisis in the ninetieth.

The implications of the black decade is still affecting our society in addition :pragmatism motivates the youth to youth to find easy for quick profit and Europe can provide that .

Consequently ..people or young men do their best a try all the ways to achieve that (mean migration) even though they are risting their lives .

الإشكالية:

تعد الهجرة ظاهرة اجتماعية طبيعية يعود تاريخها إلى زمن بعيد، و هي سمة تميزت بها الشعوب والقبائل، حيث أن الإنسان يبحث عن المناطق التي تسمح له بالعيش والاستقرار، و عليه فإن الفرد يهاجر للبحث عن ما هو أحسن، و توفير فرص الرقي والتقدم الاقتصادي له و لعائلته، غير أن هذا المفهوم تحول من ظاهرة طبيعية عادية إلى ظاهرة تهدد استقرار وأمن المجتمعات، و أصبحت تحديا مطروحا أمام المجموعة الدولية نظرا للمخاطر الناجمة عنها. و الجزائر كغيرها من البلدان العربية التي لم تسلم من ظاهرة الهجرة غير الشرعية، وأصبحت هاجسا و انشغالا و تخوفا من طموح وسط الشرائح الواسعة من الشباب، و تداعى الأمر إلى أن وصل إلى جامعيين و إداريين و أخصائيين، و تبين الكم الهائل من محاولات الهجرة على القوارب عبر البحر.

و مما زاد في تفاقم هذه الظاهرة ما مرت به الجزائر من تحولات على الصعيد السياسي و الأمني و نخص بالذكر فترة التسعينيات أو ما يعرف بالشرعية السوداء و تداعياتها التي أفرزت الكثير من المشاكل الاجتماعية و انعدام الإستقرار و الأمن، بالإضافة إلى انتشار المذهب البرغماتي المادي الذي أصبح يسيطر على العلاقات و التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد عامة و الشباب خاصة و لهذا أصبحت الهجرة غير الشرعية ملاذهم لتحقيق الطموحات المستقبلية حيث أصبح يطمح إلى الحياة السهلة و الرغبة التي تحقق له الربح السريع متحملين كل المخاطر و المهالك (الموت غرقا، السجن....).

و عليه ارتأينا أن نعالج هذه القضية من خلال طرح التساؤلات حول ما هي دوافع الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري؟ كيف أثرت الأزمة السياسية و الأمنية التي مر بها المجتمع الجزائري على توجهات الشباب الجزائري نحو الهجرة غير الشرعية. هل لانتشار المذهب البرغماتي (النفعي المادي) في العلاقات الاجتماعية و تفاعلات الشباب دور في تصاعد ظاهرة الهجرة غير الشرعية.

فرضيات الدراسة:

* للتغيرات السوسيو أمنية التي مر بها المجتمع الجزائري في التسعينيات و تداعياتها أثرت على توجهات الشباب نحو الهجرة غير الشرعية.
انتشار المذهب البرغماتي (النفعي المادي) في أوساط الشباب (الربح السريع و الوفير) له دور في تصاعد محاولات الهجرة غير الشرعي.

تحديد المفاهيم:

1- الهجرة:

تستعمل عادة للإشارة إلى جميع التحركات مع الافتراض الضمني بأنه سترتب عليها تغير في الإقامة أو المسكن.⁽¹⁾

فالهجرة إذن ارتبطت بتحول في مكان الإقامة «هي تغير دائم في مكان الإقامة من بيئة إلى بيئة أخرى من أجل الاستقرار في البيئة الجديدة».⁽²⁾

إن مفهوم الهجرة هو في المنطلق مفهوم ديموغرافي إلا أن تداعياته شملت العديد من المجالات ولا سيما الجانب الاجتماعي، فهي تعد تحول في الإقامة وبالتالي تحول في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية.

2- الاغتراب:

إن مفهوم الاغتراب ارتبط بالفكر الفلسفي والديني ثم في المجال السياسي والاجتماعي. لقد استخدم من طرف هيغل في إطار الفلسفة الألمانية وكان يعني به الاغتراب الفكري أي أن الفرد يجد نفسه غريباً عن الأفكار.

ثم جاء بعده كارل ماكس يستخدم هذا المصطلح في الجانب الاقتصادي من خلال الفرد يشعر أنه غريب عن وسائل الإنتاج (المجال الاقتصادي).

ويمكن القول أن مفهوم الاغتراب له جوانب ثلاثة تتمثل في الجوانب الثقافية (نسق القيم) الجانب الاجتماعي (سلب الحرية في النسق الاجتماعي) والتكيفات (المواقف الاجتماعية)، الجوانب الشخصية (صراع الأهداف).⁽³⁾

3- الهجرة غير الشرعية:

سميت الهجرة غير الشرعية لأنها تتم وفق إطار غير قانوني حيث يقصد بها مخالفة التشريعات والقوانين المعمول بها في تنظيم دخول الأجانب إلى الإقليم السيادي لدولة ما، وتتضمن حركة الأفراد أو الجماعات العابرة للحدود في خارج إطار القانون والتي ظهرت مع بداية القرن العشرين (20) وزادت حدتها خاصة بعد تبني إقرار سياسات غلق الحدود في أوروبا في القرن الماضي (السبعينيات).⁽⁴⁾

هي التسلل عبر الحدود البرية والبحرية والإقامة بدولة أخرى بطريقة غير مشروعة وقد تكون الهجرة في أساسها قانونية وتتحول فيما بعد إلى غير شرعية، وهو ما يعرف بالإقامة غير الشرعية.⁽⁵⁾

إذن الهجرة غير الشرعية هي سلوك يقوم عليه الفرد من خلال إتباع طرق غير شرعية (التزوير، الانتقال عبر القوارب، ...) أو عن طريق التحايل بطريقة شرعية ثم تحويلها إلى طريقة غير شرعية (مثل ما يحدث في تركيا).

وبالنسبة للتشريع الجزائري أعطى تعريفا يرتبط بالهجرة غير الشرعية ومنفذاها⁽⁶⁾ فهو كل جزائري أو أجنبي يغادر التراب الوطني بصفة غير شرعية أثناء اجتيازه أحد مراكز الحدود البرية أو البحرية وذلك بانتحال هوية أو باستعمال وثائق مزورة أو أية وسيلة احتيالية أخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة أو من القيام بالإجراءات التي توجبها القوانين والأنظمة السارية المفعول وتطبيق نفس العقوبة على كل شخص يغادر الإقليم الوطني عبر المنافذ أو أماكن غير مراكز الحدود.

4- المهاجر:

المهاجر migrant هو الشخص الذي يقوم بالهجرة.

مهاجر: تستخدم كلمة على الوافد والنازح معا ومصطلح النزوح يعني ترك المكان ثم الوفود ويعني الهجرة إلى مكان ما.⁽⁷⁾

فالمهاجر إذن هو الشخص الذي ينتقل من مكان إقامته الأصلية إلى الإقامة الجديدة بهدف الاستقرار أو العمل.

5- الحراق:

يعد هذا المصطلح حيث ظهر في إطار تفاقم ظاهرة الهجرة غير الشرعية، حيث أصبح الفرد يسعى للقيام بها مهما كانت التكاليف والتبعات التي تشكل احتراقا نفسيا واجتماعيا واقتصاديا (على جميع الأصعدة).

فالحراق هو شخص قرر الانتقال إلى دولة بمحض إرادته (غير مجبر) وبطريقة غير قانونية فهو يقوم بمغامرة يجتاز فيها البحر باتجاه أوروبا وغالبية هذه الفئة (الحرقاة) هم من فئة الشباب تتراوح أعمارهم من 20 إلى 35 سنة.⁽⁸⁾

لكن هذا لا يستثني وجود بعض القصر والكهول والنساء.

أهمية الدراسة:

إن ظاهرة الهجرة غير الشرعية هي حقيقة وواقع لا يمكن إغفاله في المجتمع الجزائري، إذ أصبحت ظاهرة عيانية واكتسحت الساحة الاجتماعية وفرضت نفسها على الكل ولا سيما فئة الشباب، الذي أصبح هذا الأخير مهوسا بها يحاول تجسيدها بكل الوسائل مهما

كانت العواقب ،حتى لو كان في ذلك هلاكه .و تخطت تداعياتها لتصل إلى المجتمع حيث يفقد أهم قوة إقتصادية واجتماعية (الشباب) .

أهداف الدراسة :

تعتبر ظاهرة الهجرة غير الشرعية ظاهرة هامة تستدعي الدراسة على المستوى العلمي والعملية، فعلى الرغم من أهميته إلا انه لم يحظ بالكثير من المعالجة ولهذا سوف نحاول في هذه الدراسة التطرق إليها من أجل التعرف على الدوافع و الأسباب الفعلية التي تقف وراء تفاقم الظاهرة ولا سيما عند الشباب ،و طبيعة الأساليب المستخدمة في تنفيذها .

ووصولاً إلى استنتاجات علمية موضوعية واقعية يمكن أن تستخدم كحلول مرجعية لمعالجة .

المقاربة السوسولوجية:

نظرية التغير الاجتماعي:

التغير الاجتماعي هو «كل تحول يقع التنظيم الاجتماعي سواء في بناءه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة... ينصب على كل تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم أو المعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها»⁽⁹⁾

إذن التغير الاجتماعي مرتبط بعامل الزمن حتى يتم لمس سمات التغيير والتحول.

فهو « كل تحول يطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة من الزمن فيحدث خلل في الوظائف والأدوار والقيم والأعراف وأنماط العلاقات السائدة في المجتمع»⁽¹⁰⁾ تعتمد هذه النظرية على ما يحدث في المجتمع من تغيرات وتحولات، حيث عرف المجتمع الجزائري العديد من هذه التحولات بأنماطه وأنساقه إلى درجة عميقة حيث وصل البعض منها إلى تغيير كلي وجذري وبما أن الهجرة كظاهرة اجتماعية تفسر هذه النظرية ظاهرة الهجرة بالتغير الاجتماعي الذي يحدث بالمجتمع حيث حددها زلنسكي من خلال خمس مراحل:⁽¹¹⁾

مرحلة المجتمع التقليدي: وكانت الهجرة فيه محددة وذات طابع دوري حيث يكون المجتمع مرتبط بتقاليد وعاداته الراسخة التي ترتبط بوجوده المكاني.

وتتجسد هذه المرحلة في المجتمع المرحلة في المجتمع الجزائري خاصة المرحلة الاستعمارية حيث كان عدد السكان منخفض نوعاً ما وترتبطه علاقات وثيقة بالمكان من خلال ترسيخ قيم الارتباط بالأرض (الأرض مثل الوالدين لا يمكن التفريط أو الانفصال عنها).

مرحلة المجتمع الانتقالي: لهذه المرحلة نظهر ارتفاع معدلات السكان بارتفاع معدلات

الإنجاب وبالتالي ينتج عنها هجرة واسعة، وهذا ماشهدته الجزائر من فترة السبعينيات حتى الثمانينات إذ ارتفع عدد المواليد وتضاعف عدد السكان، وبالتالي ظهرت احتياجات أخرى لا يلبئها التواجد المكاني وبالتالي توسعت أنماط الهجرة خاصة الداخلية من الريف إلى الحضر.

مرحلة المجتمع الانتقالي في مراحلها المتأخرة: تنخفض معدلات الزيادة السكانية وبالتالي تدهور في معدلات الهجرة.

مرحلة المجتمع المتقدم: حيث يتميز بتدني معدلات الإنجاب والوفاة.

مرحلة مستقبل المجتمع المتقدم: يتميز بتدني الهجرة وإن تبقى منها سيكون هجرة بين المدن أو داخلها.

مع بداية التسعينيات إلى يومنا هذا أصبحت الهجرة الداخلية تشكل ضغطا كبيرا على المدن وبالتالي ظهرت أنماط أخرى للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد لا سيما انتشار الجريمة وما عرفته الجزائر من أوضاع أمنية والبحث عن المنفعة المادية وتحولت الواجهة إذن نحو الهجرة الخارجية بكل السبل المتاحة بما فيها الهجرة نحو أوروبا خاصة فرنسا أين كانت الهجرة غير الشرعية أهم وسيلة متاحة في ظل غياب السبل المشروعة.

من خلال هذا التفسير النظري لنظرية التغيير الاجتماعي نجد أن الجزائر مرت بمرحلتين فقط الأولى مازلت تتخبط في المرحلة الثانية ولم تصل بعد إلى بقية المراحل في ظل التداعي الخطير لظاهرة الهجرة غير الشرعية (الحرقة).

نظرية الاختلاط التفاضلي

كما تم الاستعانة في الأخير بنظرية الاختلاط التفاضلي وتقوم هذه النظرية على مبدأ واضح لصياغة نظرية تكاملية في السلوك الانحرافي حيث لخصها رائدها سذرلاند إدوين E. Sutherland: «يصبح الشخص جانحا بسبب توصله إلى تعريفات أو تحدييدات ملائمة لمخالفة القانون»⁽¹²⁾

وتشير هذه النظرية أيضا إلى أنه الشخص المجرم لا يمكنه أن يقوم بجريمته إلا بتأثير عدة عوامل متداخلة، أي أنه يتعلم هذا السلوك نتيجة اختلاطه بأفراد وثقافات متداخلة «إن تعلم سلوكيات وثقافة أشخاص المختلط بهم ينتج من عدة طرق يتعلم الشخص السلوك المنحرف وليس عن طريق وسيلة واحدة»⁽¹³⁾

وعليه فإن هذه النظرية تفسر لنا ظاهرة الهجرة غير الشرعية في الجزائر من منظور انتشار المذهب البرغماتي النفعي، حيث ترسم قناعات الشباب نحو الهجرة من خلال تأثيرهم بمن حولهم (الجماعة المرجعية). فقد ترسخت هذه الفكرة نتيجة نجاح من سبقوهم في تحقيق

أهدافهم وتحسين مستواهم المادي في وقت قصير، نظرا للتفاوت الاجتماعي والاقتصادي بين المجتمع الجزائري والمجتمع الأوروبي وذلك لتحقيق حياة أفضل، وبهذا فإن هذه الإجراءات تجعله أكثر إصرارا على اتخاذ وتنفيذ قرار الهجرة غير الشرعية مهما كانت الظروف .

المناهج المتبعة في الدراسة:

يعرف المنهج (METHODE) بأنه الأسلوب أو الطريقة أو الوسيلة التي يستعملها الباحث بهدف الوصول إلى المعلومات التي يريد الحصول عليها بطرق علمية و موضوعية مناسبة و بصفة عامة المنهج هو إتباع مجموعة من الأساليب و القواعد العامة التي تسعى بفضلها لاكتشاف الحقيقة العلمية الموضوعية، فالمنهج هو طريقة موضوعية يتبعها الباحث في دراسته أو تتبع ظاهرة من الظواهر بقصد تشخيصها أو وصفها وصفا دقيقا، و تحديد أبعادها بشكل شامل يجعل من السهل التعرف عنها و تميزها.

و انطلاقا من طبيعة الموضوع تبين لنا بأنه من الأفضل الاعتماد في دراستنا على المناهج التالية:

1. المنهج الوصفي:

هو عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة⁽¹⁴⁾. إن هذا المنهج لا يقوم فقط على الوصف الدقيق للظاهرة، و إنما يتعدى الكشف عن الأسباب الحقيقية و الخصائص المميزة لها وصولا إلى الحلول من خلال التحليل السوسولوجي الذي ينطلق من معطيات ناجمة عن الشامل و الدقيق و الذي يعتمد على تقنيات و وسائل منهجية تزود الباحث بالمعطيات و تمكنه من القيام بتحليل موضوعي علمي «فهو يهتم بدراسة حاضر الظواهر و الأحداث التي... فهو يشمل كثير من الأحيان على عمليات تنبؤ مستقبل الظواهر و الأحداث التي يدرسها.

و قد يتم توظيف هذا المنهج في موضوع دراستنا الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري و ذلك من خلال تحديد الخصائص و الأسباب و الدوافع الحقيقية الكامنة وراء حدوث هذه الظاهرة، بالإضافة إلى مدى تأثيرها و تأثيرها كمشكلة اجتماعية على البناء الاجتماعي.

2. المنهج التاريخي:

و يتم توظيف هذا المنهج في دراستنا كأسلوب يتم من خلاله تناول التطور و التحول التاريخي للأحداث التي مر بها المجتمع الجزائري (الأزمة الأمنية) من أجل تكوين فكرة عامة و شاملة حول هذه تداعياتها و التي من لأهمها و أخطرها الهجرة غير الشرعية

«يستخدمه الباحثون الذين يريدون معرفة الأحوال و الأحداث التي جرت في الماضي لأنها على الدوام تستثير الإنسان و تشده إليها» (15).

3. منهج دراسة الحالة:

قد تم اعتماد هذه الطريقة و ذلك لغياب قاعدة سير كافية، و لهذا تم دراسة الحالات الموجودة بالتركيز على كل حالة بمفردها، و جمع البيانات الخاصة بها ثم تحليل هذه البيانات تحليل معمق، و بالتالي التوصل إلى نتيجة واضحة و دقيقة بشأن كل حالة و الظروف المؤدية للوصول إلى الوضعية الجديدة فهو نوعا من البحث المتعمق في فردية و حدة اجتماعية (16) و لقد تم إجراء المقابلات و دراسة الحالات كل على حدى من خلال مناقشة الأجوبة بهدف الوصول إلى حقائق موضوعية و لقد اعتمدنا على هذا المنهج لأنه يرتبط بموضوع دراستنا و ذلك قصد التعمق و التفصيل في فهم الأسباب الحقيقية لكل حالة مدروسة، و ذلك من خلال جمع معطيات لها علاقة بأهداف الموضوع باعتبار ان هذا المنهج تطلب منا وقتا و جهدا.

فالمقابلة مع المبحوثين مكنتنا من معرفة وضعية كل حالة و هذا ما سهل علينا تصنيف الحالات (الأسباب و النتائج) و الابتعاد عن التعميم.

عينة الدراسة:

لقد استخدمنا نوع من العينات يتلاءم مع طبيعة الدراسة حيث تتمثل في فئة الشباب الذين هم بصدد تنفيذ الهجرة غير الشرعية (تنفيذا و ليس مجرد فكرة) لأن فكرة الهجرة تراود معظم الشباب الجزائري و إن لم نقل جلهم .

وعلى هذا الأساس استخدمنا طريقة العينة التراكمية أو ما يسمى كرة الثلج «تضم عددا مختصرا من الأفراد، يضم إليهم أشخاص يصرحون أنهم على علاقة بهم، ثم يصار إلى اتخاذ الإضافة نفسها مع الجدد حتى تستكمل العينة على طريقة كرة الثلج» (17).

فعينة بحثنا هم إذن فئة الشباب الذين بادروا إلى تنفيذ الفكرة من خلال اتباع الخطوات الأولى سواء إجراء إتصالات مكثفة مع الجهات المتكفلة بهذه العملية .

وعليه فإن عينة البحث أصبحت محصورة جدا و في غياب مجتمع أصلي أو العينة الأم التي تمثل لنا هذه المواصفات كان من الصعب إيجادها و لهذا أجرينا العديد من الاتصالات لكي توصلنا لهذا العدد «إن عينة الكرة الثلجية هي عينة تتمثل في إضافة إلى نواة من الأفراد... كل أولئك الذين هم في علاقة بهم و هكذا دواليك» (18)

لكن يجدر الإشارة إلى أن نتائج هذا النوع من العينات يغيب فيها التعميم لأن العينة المدروسة لا تمثل المجتمع الأصلي وعليه فإن نتائج الدراسة تبقى مرتبطة بالمجتمع المدروس ولا يمكن تعميمها في أي حال من الأحوال.

الهجرة غير الشرعية في الجزائر:

لقد عرف المجتمع الجزائري ظاهرة الهجرة (الشرعية وغير الشرعية) منذ الأمد البعيد، ولا سيما في الفترة الاستعمارية هذا ما يؤكدّه (19) الأرشيف الإداري والعسكري (ما بين فرنسا والجزائر) وكذلك أرشيف مصلحة العقارات أو التراب (les domaines) وأرشيف البلديات والعمالات السابقة (les archives de) partemenales الرصيد التاريخي الأدبي من خلال مذكرات وكتابات العسكريين والموظفين الفرنسيين (الفترة الاستعمارية) الأرشيف الذي يملكه الجيل الأول والثاني من المهاجرين وأرشيف فيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني وودادية المهاجرين لفرنسا بالإضافة إلى أرشيف السمعي البصري للإذاعة والتلفزيون الجزائري (حصص تتابع المهاجرين الجزائريين في الستينيات والسبعينيات).

لكن ظاهرة الهجرة أخذت منحى آخر للخطورة ولا سيما بعد ظهور القوانين التي تنظم الهجرة الشرعية إلى الخارج (أوروبا خاصة فرنسا).

في ظل تساعد الظروف الأمنية والسياسية والأمنية والاقتصادية في الجزائر أخذت هذه الظاهرة تتجه نحو اللامشروع فظهرت بذلك بذلك الهجرة غير الشرعية خاصة في التسعينيات (الأزمة الأمنية).

إن الإحصائيات الحديثة تبين أن هذه الظاهرة أصبحت تهدد الكيان السياسي والاجتماعي في المجتمع الجزائري خاصة وأنها تعصف بأهم فئة ألا وهي فئة الشباب الذي أصبح يعاني من مجموعة لا متناهية من العراقيل (التهميش، البطالة، المحسوبية...) «إن ظاهرة التمييز منتشرة جدا في مجتمعاتنا العربية مما يجعل... الشاب الموهوب الذي يعتمد على مواهبه غير قادر على مواجهة التحديات التي تواجهه» (20).

وتفيد الإحصائيات في أن (21) قيادة حرس السواحل تابعة للقوات البحرية لأن قواتها أحبطت محاولات غير الشرعية لـ 1500 شخص حاول الإبحار بطريقة غير شرعية لسنة 2015 وقد أكد الأمين الوطني للرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان أن هذه الإحصائيات وعلى ضخامتها لا تعكس العدد الحقيقي للحرقاة الجزائريين حيث أن أعداد كبيرة تتمكن من بلوغ الضفة الأخرى، وأخرى يأكلهم الحوت.

واستنادا إلى إحصائيات المنظمة الدولية للهجرة فإن عدد الدين بلغوا الضفة الأخرى من المهاجرين غير الشرعيين انطلاقا من الشرق الأوسط لإفريقيا سنة 2015 بلغ عددهم 970 ألف شخص بينما توجه أكثر من 34 ألف شخص عبر الأراضي التركية متوجهين إلى بلغاريا واليونان. (22)

في حين تفيد الإحصائيات أنه أكثر من 180 ألف شخص هاجروا أوروبا في 2016، هذا ما كشفه المشاركون في الملتقى الدولي للهجرة غير الشرعية الذي نظمه مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية الذي احتضنته الجامعة الإفريقية في أدرار.⁽²³⁾

أما بالنسبة لمنافذ ومعابر الهجرة غير الشرعية في الجزائر فقد أخذت طابع الهجرة السرية أو غير الشرعية عبر البحر، بالرغم من أن المسافة ليست بالقريبة بالمقارنة مع جارتها خاصة المغرب (مضيق جبل طارق) حيث أن أقرب نقطة لإسبانيا بالنسبة للجزائر هي مدينة الغزوات التي تبعد حوالي 195 كلم (حوالي 105 ميل بحري) ولا من فرنسا في الشمال أو حتى من إيطاليا في الشمال الشرقي، بما أن ولاية عنابة تبعد عن سردينيا مسافة 245 كلم (132 ميل بحري).⁽²⁴⁾

وهذا ما يؤثر على طبيعة المنافذ وخطورة تنفيذها.

أما بالنسبة للشواطئ الجزائرية الأكثر استخداما نجد شواطئ مدينة مستغانم هي المحطة الرئيسية التي ينطلق منها الحراقة الجزائريين إلى إسبانيا، حيث تحولت في بداية 2007 الوجهة هي إيطاليا (سردينيا) وبالتالي تحولت شواطئ سيدي سالم بعنابة هي نقطة الانطلاق لآلاف المهاجرين غير الشرعيين.⁽²⁵⁾

وتعتمد على وضع خطة شاملة وكاملة تتم في سرية تامة، والملاحظ أن عملية تهريب المهاجرين تتم عبر أشخاص أو شبكات بسيطة غير منظمة إذ في غالب الأحيان لا يتم مرافقة الحراقة ولا يعدمون لهم ضمانات حول نجاح حول نجاح الرحلة فهي⁽²⁶⁾ تنطلق في إحدى المناطق المعزولة والتي تغيب فيها الحراسة البحرية حيث يترك المهرب لكل مجموعة مكونة من 10 إلى 20 شخص قارب يحتوي على مخزون ويقدم لهم بعض البضائع والإرشادات الأساسية بالنسبة للمتجهين إلى إسبانيا (ألميريا) تنطلق قوارب من 4 إلى 5 متر عرضها 2.5 متر تضم من 10 إلى 12 شخص يشتركون في شراء قارب مجهز بمحرك قوته ما بين 40 إلى 60 حصان تحمل على متنها صهاريج البنزين لضمان العبور يدوم بين 7 إلى 8 ساعات وهي مجهزة من نظام السير عبر الأقمار الصناعية (GPS) ويستعمل المهاجرين بوصلة تمكنهم من تحديد المسار انطلاقا من شواطئ الاستجمام وموانئ الصيد غير المحروسة: ساحل وهران: كاب بلون، كاب فالكون، بوسفر.

ساحل عين تيموشنت: بوجزار مداغ (بني صاف)، ساسل، تارقة.

ساحل تلمسان: آفلة، المخلد.

وعادة يفضل هؤلاء المهاجرين السريين يحاولون العبور على جزر جيباس التابعة للإقليم الجزائري نظرا لموقعها الجغرافي والاستراتيجي حيث تقع على مسافة 72 ميل أي 130 من ميناء ألميريا بإسبانيا.⁽²⁷⁾

بالإضافة إلى ظهور أخرى للهجرة غير الشرعية وطريق الاعتماد على الهجرة الشرعية نحو البلدان التي تسمح بذلك كتركيا ثم التسلل عبر الحدود من أثينا إلى فرنسا. حيث ينطلقون من أنطاليا(تركيا) إلى جزيرة ساليناس(اليونان) مقابل مبلغ 600أورو عبر منطقة إيدرنا ومن ثما اليونان.⁽²⁸⁾

أما بالنسبة للصيغة القانونية لهذه الظاهرة فإن القانون الجزائري تعامل مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية وفق مراحل ارتبطت بطبيعة وحدة هذه الظاهرة من جهة، والتغيرات التي طرأت على العلاقات الدولية من جهة أخرى.

ففي البداية كانت مرحلة عدم المبالاة أي غض النظر خاصة مباشرة بعد الاستقلال وهذا راجع إلى أسباب نفعية لحجم العملة الصعبة وامتصاص البطالة، غير أن توقيع اتفاقية تشغن والأزمة السياسية وتداعياتها في التسعينيات أثرت بشكل كبير سواء على حجم الهجرة(خاصة غير الشرعية) وعلى سياسات الدول المستقبلية أدى ذلك إلى توقيع الشراكة مع الاتحاد الأوروبي التي دخلت حيز التنفيذ في 2005 والتي أصبح فيها تزايد كبير للمهاجرين غير الشرعيين، حيث أنه أصبحت مياه البحر تقذف عدد كبير من جثث الحراق، لأنها صارت تتم في ظروف غير ملائمة وخطيرة وعلى هذا الأساس كان لزاما أن تضع الدولة العديد من الاعتبارات القانونية من أجل احتواء هذه المعضلة المتعددة الآثار(اجتماعية، اقتصادية، سياسية...).

وفي ظل الفراغ القانوني الذي يعالج هذا النوع من الظواهر كان لزاما تسليط عقوبات ردية وبهذا أصبحت تطبق أحكام القانون البحري.⁽²⁹⁾

قانون 05/08 في المادة 345 التي تعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى خمس سنوات وبغرامة مالية تتراوح ما بين 10 آلاف إلى 50 ألف دينار جزائري على الدخول غير المشروع للسفينة بنية القيام برحلة ويتم تطبيق هذه العقوبات على أساس القياس والتطابق حيث وجهت له الكثير من الانتقادات وبالتالي أخذت الدولة الجزائرية على عاتقها سن قانون يحدد طبيعة العقوبات الموجهة لهذه الظاهرة الذي عرض على مجلس الوزراء المنعقد في 01/09/2008 والذي جاء في المادة 175 مكررا في القسم الثامن في الفصل الخامس من الباب الأول في الجزء الثاني والجرائم المرتكبة ضد القوانين والأنظمة المتعلقة بالتراب الوطني من قانون 01/09 المؤرخ في 25/02/2009.

حيث وضع المشرع الجزائري فعل الهجرة غير الشرعية في مصاف الجنح وأفرد له نوعين من العقوبات أحدهما بدني وهو الحبس من شهرين إلى ستة أشهر، والثانية مالية وهي الغرامة من 20 ألف إلى 60 ألف دينار جزائري.

والملاحظ أن هذه العقوبات هي مخففة هذا يوضح سبب تجريم المشرع للهجرة غير الشرعية، حيث لا يمكن اعتباره عملاً شاذاً وإنما يهدف من هذا التجريم، والقضاء على هذه المعضلة الاجتماعية عن طريق الردع.

وعلى هذا الأساس أحدثت السلطة الجزائرية ديوان مركزي لمكافحة الهجرة غير الشرعية OCLCIC وهو تابع أصلاً للمديرية العامة للأمن الوطني⁽³⁰⁾، وهو جهاز مركزي للقيادة والتنسيق بين مختلف الفرق الجهوية للتحري ومن مهامه:

* مكافحة شبكات خلايا الدعم التي تساعد على إيواء الأجانب الذين هم في حالة غير شرعية.

* مكافحة تزوير الوثائق المرتبطة بالهجرة والإقامة غير الشرعية.

* مكافحة التوظيف والعمل غير الشرعي للأجانب.

* وضع خطة إستراتيجية وقائية وردعية للهجرة غير الشرعية.

كما أنشأت الفرق الجهوية للتحري حول الهجرة غير الشرعية (BRIC)) والتي من مهامها:

- لمكافحة شبكات الهجرة غير الشرعية وذلك عن طريق البحث، والمتابعة والتفويق بمقتضى القانون لكل أفراد شبكات الموزعين والناقلين للمهاجرين غير الشرعيين، وكذلك المزورين من خلال تطبيق الإجراءات القانونية.

دراسة الحالات:

حالة العيد الحالة الأولى:

هو شاب يبلغ من العمر 19 سنة صرح المبحوث أنه قرار الهجرة يراوده منذ الصغر كون له إخوة يعيشون في فرنسا (إخوة من الأب) حيث خلال زيارتهم كان يلاحظ عليهم مظاهر الغنى بينما هو و عائلته يعيشون في وضع متدني «ايجو لابسين حطة و الطنوبيلات ايجيونا غير الشيفون».

لهذا قرر الذهاب بدون رجعة، قد اتخذ الإجراءات اللازمة بذهابه بطريقة شرعية إلى تركيا من ثم إلى اليونان ثم إلى فرنسا، ولقد تعرف على مجموعة من الشباب يقومون بذلك حيث يوجد شبكة متخصصة تؤدي مهمة العبور توجد باسطنبول (اقصري).

أما عن تكاليف هذه المهمة فقد جمعها من خلال عمله كبائع متجول في الأسواق الشعبية (بيع الحلوى)، و قيمة التكاليف فهو قدرها حوالي 20 مليون سنتيم (قيمة السفر إلى تركيا والباء لعدة أيام من أجل تحين الفرصة المناسبة للعبور ومبلغ العبور). ثم الانتقال عند إخوته.

الحالة 2: حالة مراد 25 سنة

كان أصغر إخوته أكمل الخدمة العسكرية لكنه لم يجد عمل، ولقد قام بمحاولة من قبل لكنها باءت بالفشل حيث قام بلاحرقه من جهة المغرب أين تعرض للسجن و المعاملة القاسية لكنه مازال مصرا على الحرقه، لكن هذه المرة حسب قوله قام بدراسة العملية جيدا سوف يذهب بواسطة فيزا إلى تركيا ثم إلى اليونان ثم إلى إيطاليا.

أما عن تكاليف المهمة فقد جمعها من عمله المؤقت كحلاق عند احد الخواص، حيث كان يحلم بأن يكون له محله الخاص لكن لم يستطع « درت لونساج ماعيطوليش، كرهت من الخدمة عند الناس بزواج دورو »

الحالة 3: حالة إسحاق 24 سنة

المبحوث مستواه التعليمي الثالثة ثانوي قرر عدم إكمال دراسته في رأيه لا جدوى من ذلك حيث أن إخوته الأكبر ذوي مستوى تعليمي عال إلا أنهم لم يجدوا عملا أو يعملون بأجور لا تف بالغرض (توفير السكن، سيارة....)

إسحاق لديه أصدقاء هاجروا من قبل بطريقة غير شرعية لكنهم سوا وضعيتهم، وأصبحوا يعيشون حياة الترف حسب رأيه «صحابي ولاو بالطونوبيلات و الدراهم كي راحو »

لقد قرر هو الذهاب حيث يسكن بمدينة الشلف وجد طريقة الهجرة عبر البحر بواسطة القوارب مقابل مبلغ 12 مليون سنتيم

هو الآن بصدد جمع المبلغ باع كل مايملك هاتفه النقال الذكي و اكتفى بهاتف عادي، جهاز الكمبيوتر و بقي له القليل هو بصدد جمعه في وقت لا يتجاوز 20 يوما حتى وإن اضطر لسرقته (مجوهرات أمه و أخته...)

أما عن تفاصيل الرحلة (الشخص المكلف بها، الشاطيء...) رفض إخبارنا بحكم سرية وخطورة المهمة فقط أن الشاطيء سوف يكون من الجهة الغربية للساحل.

أما عن خطورة الرحلة فهو لا يأبه لها مطبقا المثل القائل حسب «ياكلني الحوت و ما ياكلنيش الدود »

بمعنى يفضل الموت غرقا على أن يعيش في مثل هذه الظروف.

الحالة 4: أحمد السن 32 سنة

فكرة الهجرة بدأت تتبلور عند المبحوث منذ وقت بعيد خاصة عند رؤيته لأقرانه وبعض من جيرانه الذين هاجروا و حققوا طموحاتهم و حسنوا حتى المستوى المادي و المعيشي لعائلاتهم، خاصة أن أحمد يعيش في منطقة ريفية عانت الكثير من ويلات الإرهاب.

لا وجود للحياة حسب رأيه «نحن نعيش كالبهائم نأكل ونشرب لا وجود للحضارة»،
هو متزوج و أب لطفلين «نروح نضمن المستقبل لأولادي»
لقد قرر أحمد كذلك الهجرة عبر قوارب الموت مع إسحاق (تجمعهم قرابة)، هو استطاع
جمع المبلغ اللزم لهذه الرحلة حيث باع الغنم التي كان يملكها ومصدر رزقه بالإضافة إلى
عمله في الزراعة .

الحالة 5 :حالة عبد القادر 21 سنة

المبحوث يعيش في عائلة تملك مستوى تعليمي وثقافي مرتفع نوعا ما (الوالدين يعملان
كأستاذين).

بعد إخفاق عبد القادر في نيل شهادة البكالوريا قام باستخراج جواز السفر ،لكن والده
اعترض على قراره «كان حبني نكمل قرائتي .»

كانت معاملة الأب قاسية مع ابنه حسب ما صرح المبحوث (الضرب ،النبذ ،الطرد...) .
هذه المعاملة زادت من إصرار المبحوث على الهجرة غير الشرعية .

قام بجمع المعلومات و المعطيات ممن سبقوه و من الأنترنت و قراءة الخرائط و تحليلها
و حتى تعلم بعض اللهجات و المصطلحات التي تساعده .

قام عبد القادر بجمع مبلغ الحرقه عن طريق عمله كمساعد بناء (مانوفر)، قرر الذهاب
إلى إسبانيا عن طريق المغرب (الدخول إلى المغرب بطريقة غير شرعية) الدخول إلى مدينة
احفير ثم ابركان ثم العودة إلى فاس لتفادي الشبهات ومن ثم إلى سبتا (أرض مغربية تحت
سلطة إسبانية).

القراءة السوسولوجية للحالات :

يظهر لنا من خلال الحالات:

من بين الأسباب الرئيسة التي ادت بالمبحوثين لاتخاذ قرار الهجرة غير الشرعية و بداية
تنفيذ إجراءاتها هو المعيشة غير المستقرة و انعدام الإستقرار الاجتماعي و الإقتصادي في
المجتمع الجزائري في حين يجدون العكس (حسب رأيهم) في المجتمعات الغربية خاصة فيما
يتعلق بالتكافؤ بين الدخل و الإنفاق من ضروريات و حتى الكماليات .

غياب سبل الإدماج الاجتماعي و الاقتصادي من بطالة و تهميش و محسوبة حيث
كانت كلها حافز كبير للمجازفة .

الوضعية الاجتماعية غير المستقرة و المتذبذبة للمبحوثين ساهمت في تبلور و ترسخ فكرة
الهجرة غير الشرعية .

إن الأزمة السياسية و الأمنية التي فرضت على المجتمع الجزائري أنماط و تفاعلات جديدة كالنزوح و ظهور الأحياء الهامشية ومانتج عنها من مشاكل إجتماعية (البطالة، الجريمة...)دعمت فكرة الهجرة غير الشرعية لدى فئة الشباب خاصة .

و عليه فإن التغيرات السوسيوأمنية التي مر بها المجتمع الجزائري و تداعياتها أثرت بشكل كبير في توجهات الشباب نحو الهجرة غير الشرعية .

تدهور قيمة العلاقات القرابية و الاجتماعية و تجردها من المعنى الأخلاقي و الديني و تحولها إلى علاقات مبنية على أساس المصلحة المادية في جميع التعاملات بين الأفراد، حيث أن التجارب السابقة للأقارب و المعارف و التي كللت بالنجاح ساهمت في ترسيخ و تجسيد فكرة الهجرة غير الشرعية من أجل تحقيق الأهداف المادية في وقت و جيز .

والتالي فإن انتشار و سيطرة المذهب البرغماتي المادي لدى فئة الشباب ساهم في تفاقم ظاهرة الهجرة غير الشرعية .

نتائج الدراسة :

كما أن الشباب يلجأ إلى هذه الظاهرة بحكم احتكاكه بجماعة أقرانه من (أصدقاء، أهل...الخ) الذين سبقوهم للمهجر من خلال تحقيقهم لطموحاتهم خاصة المادية منها في وقت و جيز و لهذا يغامرون في محاولات حتى و أن كانت بائسة بحثا عن تحقيق هذا الربح السريع .

* ظاهرة الهجرة غير الشرعية هي ظاهرة عالمية متأصلة مع الوجود الإنساني و من أجل مكافحتها يجب تكافل كل الجهود الدولية الفاعلة.

* تتظاهر مجموعة من العوامل الدافعة لانتشار وارتفاع معدلات ظاهرة الهجرة غير الشرعية، لكن في الجزائر نجد هناك عوامل ذات تأثير عميق و كبير هذا ما بينته الإحصائيات و الدراسة الميدانية حيث تتمثل في العامل الاقتصادي و العامل السوسيو أمني .

* تدهور الوضع الاقتصادي و تدني مستويات المعيشة أظهر مجموعة من ردود الفعل القيمة، حيث سيطر المذهب البرغماتي النفعي على التعاملات الفردية، و لا سيما فئة الشباب، حيث أصبح همهم الوحيد هو كسب المال الوفير و السريع مهما كانت الطريقة أو الوسيلة ولو كان في ذلك هلاكه .

حيث أصبحت تشكل التجارب السابقة الناجحة مثلا أعلى يجب الإقتداء به، لأنه حقق كل المكاسب المادية في وقت و جيز في حين لا يمكن تحقيقها في المجتمع الجزائري .

* بالإضافة إلى العوامل السوسيوأمنية والتي فرضت نفسها على المحيط العالمي بانتشار الحروب والصراعات السياسية التي تحولت إلى نزاعات وعدم استقرار أمني وهذا ما عرفته الجزائر في العشرية السوداء الذي أدى إلى تأزم الوضع الأمني، وبالتالي أصبح الهروب هول الحل الوحيد بحثا عن الاستقرار الأمني.

* مما جعل أفراد المجتمع الجزائري وفي مقدمتهم الشباب يلجؤون إلى الهروب نحو مناطق آمنة (خاصة ما يعرف بالهروب من أداء الخدمة الوطنية والتي اعتبرت في تلك بمثابة طريق للموت).

* كما توصلنا من خلال دراستنا هذه أن الهجرة غير الشرعية لم تعد مقتصرة على فئة معينة، ولا على جنس معين، حيث اقتحم الجنس الآخر (النساء) هذا المجال، فكثيرا ما نشاهد أو نقرأ أو حتى نسمع عن أسماء لنساء وحتى قاصرات دخلن هذا العالم.

* وكذلك لم يقتصر على فئة الشباب، بل حتى الأطفال والمراهقين وكبار السن دخلوا هذا العالم هذا ما تؤكد الإحصائيات والأرقام.

* كما أنه لم يعد الشباب البطال هم من يحاولون الهروب سرا بل حتى العاملين والموظفين ووصل الأمر حتى إلى الإطارات بحكم أن طبيعة العمل لا تتلاءم مع قيمة الأجر المدفوع في الجزائر بالموازاة مع قيمة الأجور المقدمة من طرف الدول الأخرى (قيمة العملة الصعبة مقارنة بالدينار الجزائري).

* إن السياسة المنتهجة في الجزائر للحيلولة دون تفشي الظاهرة تبقى غير فعالة سواء من حيث العقوبة لأنها أساسا هي عبارة عن تدابير احترازية.
أو من حيث توفير الظروف الملائمة (أبسط ظروف المسهلة للعيش).

و على هذا الأساس تبقى تسير وفق منحى متزايد وخطير والخاسر منها هما كل من الدول المصدرة والدول المستقبلة.

حيث أن الدول المصدرة تفقد طاقاتها الفعالة (الشباب) وما ينجم عنها من آثار اجتماعية (تفكك، تشرد...)، وبينما الدول المستقبلة تتحمل عبء هذه الفئات والذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى انتشار الفوضى والإجرام وهذا في ظل غياب حماية قانونية لهذه الفئة.

إن تفاقم ظاهرة الهجرة غير الشرعية ترجع لأسباب سوسيو أمنية فالشباب الجزائري يلجأ إلى هذه الظاهرة بحثا عن الأمن و الاستقرار نتيجة ما مرت به الجزائر من عدم استقرار الوضع الأمني (الإرهاب)

* كما أن تداعيات هذه الظاهرة يمكن أن نلمسه في البلدان العربية التي شهد اضطراب في الوضع الأمني كسوريا ليبيا، مصر... الخ.

إن اعتماد الحلول الأمنية(خاصة العنيفة) التي تعتمد عليها الدول المستقبلية لم تجد نفعاً، بل بالعكس زادت في تدني الأوضاع الإنسانية للمهاجرين غير الشرعيين من خلال طبيعة المعاملة القاسية بسبب الحجز والتوقيف في المعتقلات والسجون، وبالتالي ظهرت أنماط جديدة للعنف والتطرف داخل هذه البلدان والتي أدت إلى عدم استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية داخلها(مثلا في أوروبا خاصة فرنسا).

قائمة المراجع

- 1 - طارق عبد الحميد الشهاوي ،الهجرة غير الشرعية رؤيا مستقبلية ،دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2009، ص15 .
- 2 - صالح خليل الصقور ،الهجرة الداخلية للضخ الريفي و التضخم الحضري ، دار زهران للنشر و التوزيع ، 2006، ص25 .
- 3- مجدي أحمد محمد عبد الله ،الاغتراب والهجرة غير الشرعية :دراسة سيكومترية مقارنة ،دار المعرفة الجامعية ، 2013 ، ص32 .
- 4- vaise maurice , Dictionnaire des relations internationales au 20 em siecles ,edition armand colin ,paris ,2000,p 173 .
- 5- محمد رمضان ،الهجرة السرية في المجتمع الجزائري :أبعادها و علاقتها بالاغتراب الاجتماعي ، مجلة المواقف للدراسات و البحوث في المجتمع والتاريخ ، جامعة مصطفى اسطنبولي،معسكر ،العدد 4 ، 2009 ، ص2 .
- 6- قانون 01/09 المؤرخ في 25 فيفري 2005 يعدل و يتمم الأمر رقم 156/66 المتضمن قانون العقوبات ج ر 15 الصادر في 08 مارس 2009 .
- 7- علياء شكري و آخرون، دراسات في علم السكان ، مطبعة العمرانية للأوفيس، مصر، 2006، ص271 .
- 8- الأخضر عمر الدهيمي ، دراسة حول الهجرة السرية في الجزائر ،ندوة علمية حول التجارب العربية في مكافحة الهجرة غير الشرعية ،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ،في 08/02/2010 .
- 9- أحمد زكي بدوي ،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ،مكتبة لبنان ،بيروت ، 1986 ، ص382 .
- 10- ابراهيم بن محمد آل عبدالله ،عبد الله بن محمد الدليسي ،علم الاجتماع للصف الثالث الثانوي ، قسم العلوم الشرعية العربية(بنين) ،المملكة العربية السعودية ، 2010 ، ص91 .
- 11- علي عبدالرازق حليبي ،علم اجتماع السكان ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ، 2005 ، ص327 .

- 12- سامية محمد جابر، الانحراف و المجتمع: محاولة نقدية نظرية علم الاجتماع والمواقع الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 198، ص 155.
- 13- عدنان الدوري، جناح الأحداث، دار ذات السلاسل، الكويت، ط 3، 1985، ص 247.
- 14- رجاء وحيد دويدي، البحث العلمي: أساسياته النظرية و ممارسته العلمية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 1، 2000، ص 183.
- 15- رحيم يونس كروالعزاوي، مقدمة في منهج البحث العلمي، دار المجلة، عمان، ط 1، 2008، ص 79.
- 16- فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، مكتبة و مطبعة لإشعاع الفنية، الإسكندرية، ط 1، 2002، ص 96.
- 17- عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، الإشكاليات، التقنيات، المقاربات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2007، ص 60.
- 18- سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات و الرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبه للنشر، الجزائر، ط 2، 2012، ص ص 148، 149.
- 19- خميسي عيد الحميد، مصادر التاريخ الاجتماعي و تاريخ الهجرة في الجزائر من القرن 18 إلى القرن 20، مخبر الدراسات حول حركات الهجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 129.
- 20- فتحي سرحان، المهاجرة و إدارة استثمارها بين الحياة المفقودة و الموعودة، مكتبة الشريف ماس للنشر و التوزيع، القاهرة، ط 1، ص 90.
- 21- مولود بالعربي، 1500 جزائري حاولوا الهجرة غير الشرعية سنة 2015.
<http://www.reflexion.dz.net.a37688.html>.
- 22- نفس المرجع.
- 23- فائزة لعموري، أكثر من 180 ألف هاجروا إلى أوروبا في 2016.
<http://elmassae/.fille//:g/>:
- 24- صايش عبد المالك، مكافحة تهريب المهاجرين السريين، دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014، ص 124.
- 25- مهدي مبروك، الهجرة السرية بالمغرب العربي: الشباب، الشبكات، وثقافة الهروب.
<http://www.maghrebuni.org/n4/malaf/mahdi.doc>.
- 27- محمدمرضان، مرجع سابق.
- 28- مراد مجاهد، جزائريون يبتكرون طرقا جديدة للحرقه بعيدا عن قوارب الموت.
<http://www.elkhabar.com/press/article/91777/>
- 29- القانون البحري الصادر بالأمر 80.76 رقم 98-05 المؤرخ في 27 / 06 / 1998. الجريدة الرسمية العدد 47.
- 30- منتدى التعليم الجزائري، الهجرة الغير الشرعية مفهومها و أسبابها وطرق معالجتها.
<http://www.education.dz.com/nb/showthread.php?013>.

الذكاء الاجتماعي في خدمة الذكاء الاقتصادي بمنظمة الأعمال الحديثة

ا.د تقيّة محمد المهدي حسان
جامعة حسبيّة بن بو علي بالشلف

ملخص

عندما تتمتع بالذكاء الاجتماعي فهذا يعني أنك تمتلك القدرة على التكيف بصورة إيجابية مع البيئة، وكيفية رد الفعل في بعضا لمواقف، أي أن يكون التفاعل مع الآخرين من ناحية، واستقطابهم للتعاون معك من ناحية أخرى. ومن يمتاز بذكاء اجتماعي يعيش في درجة عالية من التواضع والرضا ويشعر بلذة النجاح والعلم والعمل، ويتسم بروح التعاون مع الآخرين وحسن التصرف واحترام لمشاعر الناس في المواقف الاجتماعية. وهذا السلوك يكون بمثابة مفتاح النجاح في تحقيق أهداف الأفراد وأهداف المؤسسة .

الكلمات الدالة: الذكاء - الذكاء الاجتماعي - الذكاء الاقتصادي

Abstract :

When you have social intelligence, you have the ability to adapt positively to the environment, and how to react in some situations, that is to interact with others on the one hand, and to attract them to cooperate with you on the other. It is characterized by a social intelligence that lives in a high degree of humility, satisfaction and a sense of success, science and work, and is characterized by a spirit of cooperation with others and good behavior and respect for the feelings of people in social situations. This behavior is the key to success in achieving individuals' goals and corporate goals.

Criticizing the view of some Algerian experts that the business environment generally does not

Keywords:-Intelligence -Social intelligence -Economic Intelligence

مقدمة

عندما تتمتع بالذكاء الاجتماعي فهذا يعني أنك تمتلك القدرة على التكيف بصورة إيجابية مع البيئة، وكيفية رد الفعل في بعض المواقف، أي أن يكون التفاعل مع الآخرين من ناحية، واستقطابهم للتعاون معك من ناحية أخرى.

ومن يمتاز بذكاء اجتماعي يعيش في درجة عالية من التواضع والرضا ويشعر بلذة لنجاح والعلم والعمل، ويتسم بروح التعاون مع الآخرين وحسن التصرف واحترام لمشاعر الناس في المواقف الاجتماعية.

والذكاء الاقتصادي على أنه مجموعة منسقة من نشاطات البحث، المعالجة، النشر، وحماية المعلومات الإستراتيجية، واتخاذ القرارات للحصول على ميزة تنافسية، فيصبح الذكاء الاقتصادي عنصر أساسي للأمن الاقتصادي للأمة وأمنها الشامل.

وتحقيق رسالة الذكاء الاقتصادي يعتمد على الطاقة البشرية، إذ تشكل هذه الأخيرة الركيزة الأولى التي يبنى عليها كل اقتصاد يضمن بمقتضاها ديمومته ومكانته في سوق المنافسة. وأن الاقتصاد المستقبلي - ما بعد النفط - يعتمد بالدرجة الأولى على العنصر البشري ولا خيار ثان للجزائر إلا توظيف كفاءاتها وأدمغتها لأن عهد النفط سينقضي لا محالة. ونظرا لأهمية دور العنصر البشري، لاسيما منها القيادة، في تحريك الذكاء الاقتصادي، فهذه الطاقة عليها أن تتزود هي الأخرى بالذكاء الاجتماعي الذي يكون في خدمة الذكاء الاقتصادي. كما كان انتقاد وجهة نظر بعض الخبراء الجزائريين أن يحيط الأعمال عموما لا يساير المعطيات الاقتصادية الراهنة مما يعيق كل المساعي الرامية إلى تحقيق الإقلاع الاقتصادي. لا نبقى مكتوف الأيدي، لابد من السعي عن طريق تفعيل البحث العلمي في جميع المجالات للبحث عن حل مشاكل التنمية، وبدورنا نساهم بموضوع لا يقل أهمية عن المواضيع التي تكون بمثابة تحقيق رسالة البحث العلمي، انطلاقا من الإشكالية التالية:

”كيف يساهم” الذكاء الاجتماعي في خدمة الذكاء الاقتصادي بمنظمة الأعمال الحديثة؟“
وتندرج ضمن هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

ما هو الذكاء؟ ما هو الذكاء الاجتماعي؟ ما هي أهمية الذكاء الاجتماعي؟ ما هي مكونات وأبعاد وخصائص الذكاء الاجتماعي؟ كيف يقوم الذكاء الاجتماعي بدوره في خدمة الذكاء الاقتصادي بموقع المؤسسة؟ وما هي مظاهر الذكاء الاجتماعي والذكاء الاقتصادي في الإسلام؟

وستتم دراسة هذا الموضوع من خلال الخطة التالية:

أولا - تعريف الذكاء.

ثانيا: الذكاء الاجتماعي.

ثالثا- دور الذكاء الاجتماعي فيخدمة الذكاءالاقتصادي بموقع المؤسسة.

رابعا: مظاهر الذكاء الاجتماعي والذكاء الاقتصادي فيالإسلام.

أولا - أنواع الذكاء:

- حدد جاردرنر انواع الذكاء بتسعه أنواع وطبعا تكون بعض هذها لأنواع اقوي لدى فرد عن غيره وهم⁽⁶⁾:

1.. الذكاء اللغوي: لها علاقة بكل ما يتعلق باللغة وكيفية استخدامه. ونجده لدى الخطباء والشعراء. الخ.

2. - الذكاء الرياضي، المنطقي: له علاقة بالعمليات الحسابية والرياضيات والمنطق والأسباب.. ونجده لدى المهندسين والمبرمجين. الخ.

3. - الذكاء التصوري: له علاقة بالتصور والخيال. ونجده لدى الرسامين والمؤلفين للقصص. الخ.

4. - الذكاء الموسيقي: له علاقة باللحن والموسيقى. ونجده عند القراء والملحنين والشعراء والموسيقين.. الخ.

5.. الذكاء البدني: كل ما له علاقة الاهتمام بالرياضة والتعلم باللمس. ونجدهعنده أصحاب عالم الرياضة واعتقد معظم الشباب عندهم الذكاء مرتفع بدرجة 99%.. الخ

6.. الذكاء في العلاقات الاجتماعية: كل ما له صلة بعلاقاتك مع الناس ومدى قدرتك على التأثير على الناس. نجده عند الأخصائيين الاجتماعيين والمصلحين الاجتماعيين والدعاة. الخ.

7. - الذكاء في العلاقة مع الذات: هو النقد الذاتي لتصرفاتك وكذلك التأمل الدائم وتحليل شخصيتك وكيفية صقلها.. نجده عند الفلاسفة وعلماء علم النفس.. الخ.

8. - الذكاء ذو علاقة بالطبيعي: اهتمام الفرد بمشاكل البيئة، والحيوانات والطبيعة والكوارث الطبيعية.. الخ... نجده عند البيئيين، علماء الطبيعه.. الخ.

9.. الذكاء الوجود والفلسفة: هذا الذكاء الذي ما زال عليه الجدلكي يندرج في القائمة وهو الذي له علاقة عن الحياة والموت و حياه ما بعد الموتوالتأمل والفلسفة... ونجده لدى المفكرين والفلاسفة والدعاة.. الخ

كما أضافت نظريات أخرى أنواعاً من الذكاء منها:

- الذكاء الإيماني⁽⁷⁾:

وأن الذكاء في الاصطلاح الشرعي - من منظور إيماني تعبدي - يختلف اختلافاً كلياً وجزئياً عن تعريف أغلب الباحثين والدارسين، المتخصصين في علم الذكاء والعلوم المرتبطة به، فقد أغفل هؤلاء الذكاء الإيماني، بل أهملوه واهتموا - في مقابل ذلك - بالموضوع من حيث هو بحثٌ نظري مجرد عن الشريعة ومقاصدها العالمة. وينقسم الذكاء الإيماني الى:

1- ذكاء دنيوي مادي - ذكاء رياضي - ذكاء اقتصادي - ذكاء اجتماعي - ذكاء سياسي - ذكاء جمالي - ذكاء فضائي - ذكاء فلسفي - ذكاء لغوي - ذكاء ذاتي - ذكاء بيئي - ذكاء وجداني - ذكاء رُوحِي.

2- ذكاء أخروي - إيماني^(*): هو الذكاء الذي يقود صاحبه إلى أتباع الشريعة الإسلامية، والتزام مبادئها الربانية، وعرض أفعاله الدنيوية على نصوص الشريعة الإسلامية.

* الذكاء الإعلامي: يستعمل الذكاء الإعلامي من خلال «سلاح ذو حدين»، أي يعتبر الإعلام أحد محركات الرأي العام. حيث يقوم بالتأثير على الناس من خلال المواضيع التي يطرحها ويعالجها بوسائله المسموعة والمرئية والمقروئية. وهو يستخدم في كافة المجالات وجميع الميادين وحتى الميادين ذات الخصائص الشخصية والفردية. ولكون أن الإعلام أصبح شبيء خارج عن نطاق السيطرة أو انه يأتي من مؤسسات ذات تشابك كثير وتداخل في المصالح والأهداف فصعوبة معرفة الصالح من الطالح أصبح من الأمور الصعبة جدا في هذا الوقت فقد يظهر الإعلام بصورة والهدف الخفي منه صورها أخرى. ان المعالجة التي يجب أن تكون هي.

1- توعية الأفراد حول القضايا الحيوية التي تمس حياتهم والتي تخص الوطن والمجتمع والدين والثقافة والاقتصاد.

2- اختيار العاملين في هذا القطاع اختيار دقيق تخضع فيه كافة المؤهلات النفسية والشخصية والعلمية للفرد.

3- إنشاء محطات مستقلة خاضعة للرقابة هدفها توصيل المعلومات الدقيقة والصحيحة والصادقة.

4- استخدامها بشكل صحيح وكسلاح مفيد لتوجيه الناس حول قضاياهم العادلة.

5- التوقف عن استخدام الرموز الفردية حتى لا تؤخذ كإطار على المحطة.

إن أبسط شيء يضرب عليتشويه الإعلام للحقائق هو احتلال العراق والذي تم بالكذب وتشويه الحقائق وقبلة كانهناك الكثير ومن ضمنها ذهاب فلسطين⁽⁸⁾.

الذكاء الاستراتيجي:

ومن التعريفات المهمة للذكاء الاستراتيجي أنه كما يرى (كهلمان 1999): «ابتكار لخرائط طريق توجه صناع القرار نحو اتخاذ قرارات أكثر وعياً، عبر تلبية حاجاتهم الملحة للمعلومات وتوفيرها في الوقت المناسب، وبالذقة والكمية والجودة المطلوبة لصناعة قراراتهم بعقلانية.»

ويرى الدكتور أحمد على صالح ورفاقه (2010) أن الذكاء الاستراتيجي⁽⁹⁾: «ذكاء يوسم به قادة المنظمات ممن يتمتعون ب: الرؤية المستقبلية، الشراكة، القدرة على التحفيز، والحدس، والإبداع. ويعتبر الذكاء الاستراتيجي من أبرز السمات التي تميز المدير المستنير المبدع لأنه - كما يرى دراكر (1996)» يجعل القائد الذي يتصف به ذا مخيلة واسعة، وبصيرة ثاقبة، ويتسم بالعلم، وبالمهارتين الفكرية والتحليلية، ويعتمد على العقل المفكر والمعرفة بدلا من اعتماده على قوته العضلية في انجاز مهام عمله.»

ومن سمات المدير الاستراتيجي التي أشار إليها باحثون آخرون أنه: «شخص مفكر ومتأمل، ذو خبرة واسعة في رسم الخطط الاستراتيجية.»

* **الذكاء الاقتصادي:** أول تعريف عملي للذكاء الاقتصادي كان سنة 1994 من طرف Martre مجموعة العمل في المحافظة العامة للتخطيط بفرنسا، حيث تم تعريفه على أنه «مجموعة الأعمال المرتبطة بالبحث، معالجة و بث المعلومة المفيدة للأعوان و المتدخلين الاقتصاديين لصياغة إستراتيجياتهم»⁽¹⁰⁾.

* ونظرا لضرورة اعتماد مدير المنظمة لاستراتيجية تطوير منتج جديد، الاستثمار في سوق جديد، تحسين المردودية، معرفة منافسيه، أخذ القرار الصائب في الوقت المناسب ... الخ، فإن الأمر يتطلب فهم المحيط الذي يتسع ويتعد باستمرار. ففي هذا الإطار تعتبر المعلومة مادة أولية أساسية للإدارة الجيدة للمنظمة.

إنّ الذكاء الاقتصادي بعبارة أخرى، يهتم بكل ما يُجرى ويفعل في الأسواق. إنه نظام كامل تتوحد فيه التقنيات والكفاءات البشرية، إن التحدي المفروض اليوم هو الوصول إلى المعلومة الصحيحة وليس التقريبية قبل الآخرين، لأنها تساعد على حل المشاكل والوقاية، بأخذ القرارات المناسبة وسبق المنافس وتطوير أساليب العمل والمتوج في وقت وجيز، وبالتالى فهو عامل أساسي للمنافسة.

إن مفهوم الذكاء الاقتصادي يغطي في الولايات المتحدة كل مجالات البحث الممكنة التي قد تعزز القدرة التنافسية لمنظمة الأعمال، كما يتميز ببعده النشط، وهو البعد الذي يغيب عن كثير من الناس⁽¹¹⁾.

فالذكاء الاقتصادي إذن يعمل على إيجاد المعلومة المفيدة بأفضل تكلفة، يجللها ويضعها تحت تصرف المقررين في المنظمة في الوقت المناسب، وبالتالي فهو عامل أساسي للمنافسة⁽¹²⁾.
فهذا التعريف يركز على الأفكار الأساسية التالية:

* فكرة إنتاج المعلومة؛

* فكرة دوران ومعالجة المعلومة، حيافة، معالجة، بث المعلومة؛

* فكرة المعلومة المفيدة والملائمة⁽¹³⁾.

يستعمل الذكاء الاقتصادي في العديد من المجالات:

* - تطوير منتج جديد؛ - تحسين الأداء؛ - زيادة المبيعات؛ - اتخاذ القرارات؛ - الحصول على ميزة تنافسية⁽¹⁴⁾.

ثانيا: الذكاء الاجتماعي:

حيث سنتطرق الى أهمية الذكاء الاجتماعي، وما هو الذكاء الاجتماعي؟ وما مكونات الذكاء الاجتماعي؟، وأبعاد الذكاء الاجتماعي للقيادة، ثم الى خصائص الذكاء الاجتماعي.

(أ) أهمية الذكاء الاجتماعي؟⁽¹⁵⁾:

- 1- الذكي اجتماعيا شخص مثقف واسع الاطلاع والخبرة،
- 2- اختلاطه بغيره من الأفراد بصورة مستمرة يتيح له قدرا واسعا من العلم والمعرفة،
- 3- يتمتع به هذا الشخص من السلام والأمان النفسي والاجتماعي،
- 4- شخصية أسرة،
- 5- محبوب من غيره،
- 6- مهاب جانبه،
- 7- لبق الحديث،
- 8- حلو المعشر،
- 9- مجامل بغير نفاق،
- 10- مثابر وشجاع،

- 11 - لا يتوان عن تقديم يد العون للمحتاجين والمعوزين،
 12 - يتمتع بذاكرة فولاذية، فلا ينسى وجها قابله ولا اسما حدثه،
 13 - شخص قوي، قادر على إدارة غضبه وانفعالاته، بحيث يبدو في كل الأحوال هادئاً رزيناً وقوراً.

ب) - ما هو الذكاء الاجتماعي؟

تعريف الذكاء الاجتماعي:

أ/ يعرف ثورنندايك الذكاء الاجتماعي أنه « قدرة المرء على إدراك وتقييم سلوكياته ودوافعه الذاتية وسلوكيات ودوافع الآخرين والاستفادة الايجابية من هذه المعلومات في المواقف الاجتماعية⁽¹⁶⁾ ».

ب/ تعريف الذكاء الاجتماعي من وجهة نظر جاردرنر (1983):

هو الذي يقوم عليه كفاءة الفرد في التعامل مع الآخرين، والتواصل الكفاء معهم، أو قيادتهم أو اكتسابهم كأصدقاء، أو التعاون معهم كزملاء، أي أن هذا النوع من الذكاء هو ما نستخدمه في مختلف مواقف حياتنا اليومية سواء الدراسية أو المهنية أو العملية عموماً، وهو أيضاً ما يوظفه كل منا في اكتساب المعرفة لمختلف صورها وأشكالها⁽¹⁷⁾.

ج/ يشير «كانتور وكليهستروم» (1987) إلى ان الذكاء الاجتماعي تجهيز ومعالجة المعلومات المتعلقة بالمعايير الاجتماعية والقدرة بالتالي على الارتباط بالآخرين وإقامة علاقات اجتماعية متبادلة معهم⁽¹⁸⁾.

د/ ويعرف (أحمد عبد المنعم الغول، 1993) ان الذكاء الاجتماعي: «بأنه القدرة على فهم مشاعر وأفكار الآخرين والتعامل مع البيئة بنجاح والاستجابة بطريقة ذكية في المواقف الاجتماعية وتقدير الشخص لخصائص المواقف تقديراً صحيحاً والاستجابة بطريقة ملائمة بناء على وعيه الاجتماعي⁽¹⁹⁾».

هـ/ وفي تعريف «كارل ألبريخت» للذكاء الاجتماعي يقول أنه «القدرة على الانسجام والتألف الجيد مع الآخرين وكسب تعاونهم.

د) - أبعاد الذكاء الاجتماعي للقيادة:

الذكاء الاجتماعي مجموعة مكونة من خمسة مكونات للكفاءة في الحياة والقيادة هي⁽²⁴⁾:

1 - الوعي الموقفي: القدرة على قراءة المواقف وتفسير سلوكيات الآخرين في تلك المواقف وفقاً لأهدافهم المحتملة وحالتهم العاطفية وميلهم إلى التواصل.

2- الحضور أو التأثير: وتضم مجموعة من الأناط اللفظية وغير اللفظية ومنها المظهر ووضع الجسم ونبرة الصوت والحركات الدقيقة، مجموعة كاملة من الإشارات التي يعالجها الآخرون ليتوصلوا منها إلى انطباعتقييمي للشخص.

3- الأصالة: إشارات عديدة من سلوكياتك تؤدي بالأشخاص إلى الحكم عليك كشخص صادق صريح ذي أخلاق وأمانة ونوايا طيبة أو على النقيض من ذلك.

4- الوضوح: القدرة على تفسير أفكارك وصياغة آرائك وإيصال المعلومات بسلاسة ودقة وشرح وجهات نظرك وأفعالك وتصرفاتك المقترحة.

5- التعاطف: بأنها إحساس مشترك بين شخصين وانطلاقاً من هذا التعريف سنعتبر التعاطف حالة اتصال وثيق بشخص آخر تخلق أساساً للتواصل والتفاعل والتعاون الإيجابي.

هـ- خصائص الذكاء اجتماعياً:

تتمثل خصائص الذكاء الاجتماعي فيما يلي (25):

ان يكون قادراً على جمعاً لأصدقاء من حوله.
-ان يدير غضبه.
-ان يقدم النصائح.
-ان يتحمل الفشل.
-ان يكون شجاعاً للمثابرة إذا اخطأ أو فشل.
-ان يكون سريع التكيف.
-ان يكون سريع البديهة.
-ان يفهم الآخرين من خلال لغة الجسد.
-ان يكون محاور البقا.
-ان يقدم نفسه بصورة جميلة وغير كاذبة.

ثالثاً- الذكاء الاجتماعي و الذكاء الاقتصادي في موقع المؤسسة:

1- مهارات التواصل الاجتماعي لترقية الذكاء الاقتصادي بالمنظمة:

إذا كان يستعمل الذكاء الاقتصادي في العديد من المجالات منها: تطوير منتج جديد؛ تحسين الأداء؛ زيادة المبيعات؛ اتخاذ القرارات؛ الحصول على ميزة تنافسية، فإن «

العلاقات القائمة بين الأجهزة المكلفة بإنجاز العمليات الإدارية المشتركة، ليست مجرد علاقات ميكانيكية كما تكون بين أجهزة محرك، بل هي علاقات بين أفراد، أي في جوهرها نفسية»⁽²⁶⁾.

وأن مجالات الذكاء الاقتصادي تحتاج هي الأخرى الى مهارات التواصل الاجتماعي من اجل تحقيق أهداف المنظمة حيثشمل المهارات التالية⁽²⁷⁾:

أ-مهارات الإنصات للآخرين؛ وهي مهارة اجتماعية تدرج تحتها عدة مهارات نوعية أهمها: الانتباه، والفهم، واستخلاص المعلومات، والتوقع والذي يتمثل في الاستباق لما يقوله المتكلم، ومعرفة غرضه أصلا وسرعة التقاط المعنى من سريع الكلام، أو التوصل إلى المعاني الضمنية للحديث.... الخ.

ب- مهارة التواصل اللفظي؛ وتقوم أساساً على عدد من المهارات النوعية مثل: عرض الأفكار بوضوح والإحساس بمشاعر الآخرين، وتغيير نبرة الصوت بحسب مقتضى الحال.

ج- مهارة التواصل غير اللفظي؛ وتشمل عدة مهارات اجتماعية نوعية أهمها: فهم حركات الجسم، ويقصد بها حركات العينين، والرأس والأيدي وتعبيرات الوجه، وجودة تفسير وضع الجسم، وإدراك حدود ما يعرف باسم الحيز الشخصي للآخر بمعنى الحرص على حفظ مسافة كافية فيما بين الشخص والآخر دون أي انتهاك أو تجاوز يمكن أن يثير اضطرابه أو مشاعر عدم الارتياح لديه، والحرص في نفس الوقت على منع الآخر من تجاوز أو انتهاك حدود حيزه الشخصي أيضاً.

د- مهارة التواصل الموقفي؛ وتنطوي في عمومها على عدة سلوكيات تعبير عن ما يمكن اعتباره مؤشرات لسعة الحيلة في حل المشكلات الطارئة، ومواقف التفاعل الاجتماعي مما يقتضي الفطنة وسرعة البديهة واللباقة أو الكياسة.

2 - أشكال الذكاء الاجتماعي في تدعيم الذكاء الاقتصادي:

ويرى علماء النفس أن للذكاء الاجتماعي أشكالاً و أوجه عدة، وبدورنا نرى أن هذه الأشكال مهمة في تحقيق أهداف الذكاء الاقتصادي وأبرز هذه الأشكال، هي:

1- القدرة على التصرف في المواقف الاجتماعية المختلفة بقدر كبير من المرونة، بما يمكن الشخص من اكتساب مودة وتعاطف الآخرين .

2- القدرة على التحليل الاجتماعي من خلال اكتشاف مشاعر واهتمامات الآخرين ببصيرة نافذة.

- 3- القدرة على تنظيم المجموعات والحلول التفاوضية، وإقامة العلاقات الشخصية مع الآخرين.
- 4- تقبلاً للنقد وإذكاء روح النقاش واحترام حق الغير في التعبير عن أنفسهم.
- 5- إبداء المشاعر للآخرين والتفاعل معهم ومشاركتهم في المناسبات المختلفة.
- 6- القدرة على التخلص من المواقف المحرجة بأقل قدر ممكن من الخسائر .
- 7- الاعتراف بالخطأ والفسل والاعتذار عنهما بما يكسبه المزيد من الأصدقاء .
- 8- سرعة التكيف مع أي وسط يوضع فيه، والقدرة الفائقة على استمالة الآخرين وإقناعهم بوجه نظره الشخصية⁽²⁹⁾.

3 - خطوات لتنمية الذكاء الاجتماعي لخدمة الذكاء الاقتصادي:

- إذا لم تكن من الأشخاص الذين يتمتعون بالذكاء الاجتماعي، يمكنك أن تتبع الخطوات التالية لتنمية الذكاء الاجتماعي⁽³⁰⁾:
- 1- وسّع دائرة معارفك وأصدقائك، وحاول كل يوم إن لم تكتسب صديقاً جديداً فلا تخسر واحداً.
 - 2- وسّع من دائرة معلوماتك واهتماماتك بحيث تجد ما تتحدث به في وجود الآخرين.
 - 3- حاول أن تترك أثراً طيباً في أي شخص تقابله ولو من خلال ابتسامة.
 - 4- حاول ألا تفوت المناسبات الاجتماعية المختلفة كالأفراح والمآتم وغيرها، واحرص على أن تتقني عباراتك وفقاً لكل مناسبة.
 - 5- الجمعيات والهيئات التي تهتم بتقديم الخدمات للناس.
 - 6- اهتم بصلة أرحامك، وأدّ الصلوات في جماعة.
 - 7- تعود على أن تتكيف في أي وسط اجتماعي تجد نفسك فيه، وحاول ألا تصطدم بالآخرين، واترك لهم حرية التعبير عن آرائهم .
 - 8- حاول أن تتعرف على الحالة النفسية لمحدثك من خلال تعبيرات وجهه وحركات جسده، وتعامل معه وفقاً لهذه الحالة.
 - 9- استخدم التلميح لا التصريح عندما لا يعجبك تصرف الطرف الآخر.
 - 10- درب نفسك على ألا تسيء الظن بالطرف الآخر.
 - 11- تعلم فن الإنصات كما تجيد الحوار، فالإنصات الجيد لمحدثك هو نصف نجاحك اجتماعياً.

- 12- حاول أن تتجنب الغضب والانفعال عامة، وعندما يتم توجيه اللوم إليك خاصة.
- 13- قدّم الهدية في الوقت المناسب والمكان المناسب والشخص المناسب، وتذكر أن الذكاء الاجتماعي لا يعني أبداً التملق والوصولية.

4- دور ثقافة المؤسسة في ترقية الذكاء الاجتماعي والذكاء الاقتصادي:

أصبحت المؤسسة تقوم بترسيخ ثقافة على تنمية الذكاء الاجتماعي لخدمة الذكاء الاقتصادي، والمتمثل في الوظائف التالية:

- * خلق الإحساس بالهوية لدى العاملين .
- * التزام العامل بما أكثر أهمية وأكثر دوماً.
- * دعم استقرار المؤسسة كنظام اجتماعي.

* وأخيراً فهي تعمل كإطار مرجعي للعاملين ومرشد للسلوك الملائم.

إذن ثقافة المؤسسة التي تحدد للعاملين المفاهيم المشتركة والمعايير والقيم التي تتميز شركتهم عن غيرها (مثل : الإنسان العامل، العمل، الإنتاج، الإنتاجية، الوقت، الثقة، المحبة، الألفة..) تتكون بتأثير عوامل عديدة في مقدمتها فلسفة المؤسسين والقادة المديرين الذين لعبوا دوراً مؤثراً في نشأة، وتطور الشركة، وطبيعة الظروف التي مرت بها الشركة والبيئة التي تعمل فيها»⁽³¹⁾.

كما تسعى المؤسسة الاقتصادية في ظل اقتصاد المنافسة، تحسين سمعتها. وتحقيق هذا المسعى، يتطلب من المؤسسة غرس ثقافة للتحدي والمنافسة أمام الشركات الأخرى بداخلها والتي تتمثل في⁽³²⁾ :

من خلال هذه الوظائف التي تسعى إليها ثقافة المؤسسة، يصبح العامل له ارتباط شديد تجاه مؤسسته، يدافع عنها، ويحافظ على ممتلكاتها، ويدافع على إنتاجها من خلال اقتراح بدائل أو مقاييس جديدة لتحسين الأداء، ويلتزم بالانضباط الذاتي في إطار الجماعة أو على انفراد لتحقيق الأهداف التي تسعى من أجلها الشركة، وهذا الالتزام راجع إلى الثقافة النظيفة السائدة في المؤسسة .

* كما تتحدد قدرة المنظمة على زيادة فعاليتها بدرجة كبيرة بمدى قدرة ثقافة المنظمة على تشكيل قيماً أعضاء المنظمة وتحفزهم من خلال مجموعة من الأساليب والأدوات والممارسات الإدارية منها ما يلي⁽³³⁾:

(أ) - التفاعل والانصهار داخل مجموعات العمل: ويتم ذلك من خلال تعرف اعضاء المنظمة الجدد بالقيم والمعايير السائدة المرشدة للسلوك الوظيفي والقرارات، داخل المنظمة. ويفضل ان يتم هذا التعريف والتعليم بصورة مباشرة معلنة، وذلك تجنباً لاكتساب الأفراد الجدد لقيم غير مقبولة.

(ب) - الالتزام بمراسيم وتعاليم محددة: من الطرق التي من خلالها يمكن تشكيل ثقافة أعضاء المنظمة ان يتم الالتزام بمراسيم وتعاليم محددة تمثل سلوكيات رسمية ينتج عنها تعلم الأفراد للقواعد والأعراف والقيم والعادات التي تشكل ثقافة المنظمة.

(ج) - الوقائع والأحداث الحقيقية الهامة: يمكن من خلال إعلان مواقف محددة او عرض وقائع وأحداث حقيقية ذات تأثير هام على تطور ونمو المنظمة ان يتم نقل ثقافة المنظمة الى الأفراد الجدد، وكذلك تدعيم التزام الموظفين القدامي بقيم وأعراف ومعتقدات المنظمة بما يحقق فهم مشترك ومرشد عام لسلوك العاملين في المنظمة.

(د) - اللغة: يقصد باللغة هنا بجانب لغة التحدث، لغة الاتصال والتفاهم وما يتم الاتفاق عليه والالتزام به من شعارات ورموز وتصرفات تدل على أن أعضاء المنظمة يتحدثون لغة واحدة.

رابعاً : - مظاهر الذكاء الاجتماعي والذكاء الاقتصادي في الإسلام:

أولاً- مظاهر الذكاء الاجتماعي في الإسلام:

« لقد تفتن الغرب إليأهمية الثقافة المحلية وأثرها في نجاح التنظيمات الصناعية والاقتصادية إلا أن الدول الإسلامية لم تفتن بعد إليأهمية القيم الإسلامية ودراستها وتنظيمها بطريقة علمية تسمح باستغلالها من اجل الرفع منفعالية المؤسسات وطرق تسييرها ». إن الرغبة في نجاح مشروع تنظيمي له علاقة بقيم الأفراد وتصوراتهم واعتقاداتهم، يجب أن يأخذ في اعتباره هذه القيم والاعتقادات. إن اتخاذ القيم الإسلامية كمبدأ أساس لتنظيم العمل وتسييره كفيلاً بالرفع منفعالية المؤسسات. إذ أن العامل المسلم يجتهد أكثر في عمله، إذا كان الدافع هو طاعة الله تعالى والخوف من عقابه، مما لو كان الدافع هو الخوف من المشرف أو من اجل علاوات مادية. إذ أن العقيدة الإسلامية التي تدفع المسلم للجهاد والاستشهاد في سبيل الله، قادرة على دفع الفرد للعمل والإخلاص فيه⁽³⁵⁾.

وللخروج من المأزق الاقتصادي والحالة التي تعاني منها مؤسساتنا في التسيير والتنظيم والإنتاج، و جميع الميادين التي يعتمد عليها النشاط الاقتصادي بالبلاد عامة والمؤسسات الاقتصادية خاصة، يجب الاعتماد على الاستثمار البشري الذي يحرك النشاط بالقوة الإيجابية والاستمرارية، ولن يتحقق هذا إلا بتغيير جذري للنفس البشرية.

أشار مالك بن نبي « فهناك قيم أخلاقية واجتماعية وثقافية لا تستورد، وعلى المجتمع الذي يحتاجها أن يلدّها. والتنمية من تلك القيم، إنها لا تستورد بل تصنع في المكان نفسه..» إن وطننا متخلفاً لا بد له أن يستثمر ما فيه من طاقات يستثمر عقوله وسواعده ودقائقه كافة، وكل شبر من ترابه، فتلك العجلة الضخمة التي يجب دفعها لإنشاء حركة اجتماعية واستمرار تلك الحركة. وعند ذلك فقط، إذا جاء من الخارج نصيب يضاف الى الاستثمار العام، فانه قد يكون حقنة تزيد في قوة جسم تكونت قوته منذاته، حين اكتشف قوته الاقتصادية الحقيقية»⁽³⁶⁾.

والقيم الأخلاقية لا تتطلب شيئاً من التكنولوجيا المتطورة مادياً، نستردها، بل تعتمد على روح التعاون والتضامن المشترك في الشدة والرخاء لتحقيق النجاح والفعالية وأهداف المؤسسة.

وفيما يلي توضيح لبعض مظاهر الذكاء الاجتماعي في الإسلام وذلك من خلال الحديث عن مدى عناية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتي تتضمن معانيها الذكاء الاجتماعي:

1- ثانياً مظاهر الذكاء الاقتصادي في الإسلام:

إذا كان يستعمل الذكاء الاقتصادي في العديد من المجالات، فإن مظاهر الذكاء الاقتصادي في الإسلام تتجلى مظهره فيما يلي:

1 - تطوير منتج جديد؛

* قال الله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} المائدة: 2

* ففي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) رواه مسلم.

* وقال عليه الصلاة والسلام (مَرَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيوان) مسلم.

2- تحسين الأداء؛

* يقول الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون} الأنفال: 27.

* يقول عليه الصلاة والسلام (إن الله يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ) السيوطي

* يقول عليه الصلاة والسلام (من غشنا فليس منا) مسلم.

3- زيادة المبيعات ؛

* وقال الله تعالى: { وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون } سورة التوبة : 105 .

* قال الله تعالى: { هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور } سورة الملك : 15 .

* ففي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام: « اليد العليا خير من اليد السفلى »

* قال الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم } سورة النساء: 29 .

* قال الله تعالى: { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } البقرة: 275 .

4 - اتخاذ القرارات ؛

* قال الله تعالى: { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } النحل 43

* قال الله تعالى: { وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله } آل عمران: 159

* يقول تعالى: { وأمرهم شورى بينهم } الشورى : 38 .

5- التخطيط لاستراتيجي؛

* قال الله تعالى: { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل } الأنفال: 60 .

* يقول الله تعالى: { قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (49) } سورة يوسف .

خاتمة:

تحقيق الذكاء الاجتماعي لا يتعلق الأمر فقط بتوفير الشروط المادية للعمل من طرف السلطة الإدارية، بل هناك عامل أساسي آخر، يلعب دور مهما، والمتمثل في «فعالية الاحترام المتبادل بين جميع عناصر المؤسسة»، حيث يكون عنصرا أساسيا في تدعيم الذكاء الاجتماعي، وهذا الأخير يكون بدوره حافزا أساسيا في ترقية الذكاء الاقتصادي من اجل تحقيق أهداف المنظمة. والقيم الأخلاقية لا تتطلب شيئا من التكنولوجيا المتطورة ماديا، نستردها، بل تعتمد على روح التعاون والتضامن المشترك في الشدة والرخاء لتحقيق النجاح والفعالية وأهداف المؤسسة.

كما يجب الإشارة التوجهات النبوية الحضارية والأخلاقية التي أشار إليها أستاذ البشرية محمد عليه الصلاة والسلام «لا تغش.. لا تسرق.. لا تكذب.. لا تغضب، احترم الوقت والوفاء بالعهد، الإخلاص، الأمانة، الإتقان وحب العمل، أحب لأخيك كما تحب لنفسك.. الخ، أليست تلك المبادئ التي بنيت وازدهرت وتطورت عليها الحضارة الإسلامية، أي هذا دليل على أن المجتمع الإسلامي كان يتمسك بسلوك «الذكاء الاجتماعي والذكاء الاقتصادي»، وقد سبق مختلف النظريات الغربية فيالطرح. ولكن للأسف نلاحظ كلنا أن توجيهات السنة النبوية الشريفة يعمل بها أهل الغرب، والعالم الإسلامي يتجاهلها في المعاملة لو لا الشهادتين، لذلك ألا يمكن أن ينطبق عليهم قول الله تعالى في كتابه الكريم في الذين { يقولون ما لا يفعلون}.

يقول الله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) سورة الرعد: 11 .

المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور، جمالا لدين (1990) «لسان العرب»، مادة «ذكا»، ج(9)، دار الفكر، بيروت، 1990، ص 106 .
- 2- أبو حطب، فؤاد (1990): «القدر اتا العقلية»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. 1990، ص 236
- 3- محمود، أمان (1998): «دراسة العلاقة بين القدرة عليا للتفكير الناقد ومستويات التطلع مفهوما للذات لدي طلبة الدراسات العليا بالجامعة»، دراسات تربوية، المجلد. -260 الرابع، الجزء 15، 236
- 4- عباس، فيصل، «الذكاء والقياس النفسي»، دار المنهال للبناني، مكتبة رأس النبع، بيروت، 2002، ص 15
- 5- السيد، فؤاد البهي: «الذكاء من منظور جديد»، الطبعة الخامسة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،، 1994، ص. 183

6 - <http://www.sarkosa.com/vb/t22555>

7 - <http://www.alukah.net/Social/1056/40590/#ixzz22tENUB00>

(*) يُمكن تقسيم الذكاء الأخروي الإيماني إلى:

التقسيم الأول:

- أ- علمي: يتجسّد في المعتقدات التي يجب أن يؤمنَ بها المسلم.
 - ب- عملي: يتجسّد في التطبيقات والتشريعات التي يجب أن يفعلها المسلم.
- والنوعان وجهان لقطعة نقدية واحدة.

التقسيم الثاني:

- أ- ذكاء العلماء: فقد أوتي العلماء والمُصنّفون - في مختلف العلوم الإسلامية والشرعية - من الفهم والذكاء، ما أهّلهم لسبّر أغوار الشريعة الإسلامية، وفهم أسرار الكون والبرية، ومنهم من صنّف في علوم العقيدة والقرآن، والحديث وأصول الفقه، واللغة والتاريخ.
 - ب- ذكاء العباد: يتجسّد في التطبيقات العملية والتزام أحكام الشريعة والآداب والفضيلة، ويدخل ضمن هذا الإطار العلماء العاملون والمؤمنون - المسلمون الملتزمون بالأحكام.
- 8 - <http://www.arabscafe.com/vb/showthread.php?t=28744>

9- محمود طافش الشقيرات 2/publ / http://tafesh.ucoz.com / 1-0-60

10 - مسعود ديلملي، الذكاء الاقتصادي والعمل الضغطي: الحروب الخفية، مدارات، جريدة القدس، السنة العشرون-العدد 60/61 الخميس 27 تشرين الثاني (نوفمبر) 2008.

11 - A. Bloch , L'intelligence économique , Economica , Paris , 1996 , P.10.

12 - F .Bournois , P.J. Romani , L'intelligence économique et stratégique dans les entreprise Française , Economica , Paris , 2000, P.2 .

13-B .Martinet , L'intelligence économique , deuxième édition , Editions d'organisation , Paris , 2001 , P.12 .

- 14- -B .Martinet , , L'intelligence économique· op.cit ,P.13.
- 15 المصدر : منتدى فونام http://fonaam.ahlamontada.com/t5693-topic#ixzz23HIwIwSu
- 16-Thorndike, E. L. (1920). Intelligence and its uses. Harper's Magazine, 140, 227-235.
- 17 - http://kenanaonline.com/users/moneelsakhwi/posts/89179
- 18-Cantor, N. & Kihlstrom, J. F. (1987). Personality and social intelligence. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- 19- أحمد عبد المنعم الغول، 1993، الكفاءة الذاتية والذكاء الاجتماعي، وعلاقتها ببعض العوامل الوجدانية لدى المعلمين
- 20- http://sabra.ba7r.org/t13348-topic
- 21 . . بدوي، أحمد زكي (1982) « معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية »، بيروت، مكتبة لبنان، ص 389.
- 22- OsullivanM , Guilford , j.p.(1973) . six factor tests of social intelligence Manual of instructions and interpretations' Beverly Hills: Sheridan psychological Services.
- 23- Marlowe , H . (1984) The structure of social intelligence .Unpublished doctoral dissertation . University of Florida .Gainesville. p 15
- 24 - كارل ألبريخت، الذكاء الاجتماعي: علم النجاح الجديد، كتاب مترجم من مكتبة جرير، أنظر الى الموقع التالي: http://amori.me/?p=763
- 25- http://www.do3n.com/vb/showthread.php?t=43583
- 26 - مالك بن، نبي بي الرشاد والتهيه، بيروت، دار الفكر المعاصر . 1978، ص 45.
- 27- http://kenanaonline.com/users/moneelsakhwi/posts/89179
- 28- بنعتر عبد الرحمان، دور الدولة في تنفيذا لستراتيجية الذكاء الاقتصادي في الجزائر، كلية العلوم بالجامعة، صادية، التجارية وعلوم التسيير، جامعة بومرداس - الجزائر - المؤتمر العربي الخامس للمعلومات والشبكات - الرباط - المملكة المغربية 20 -- 22 ديسمبر 2011
- 29- http://sabra.ba7r.org/t13348-topic
- 30 http://sabra.ba7r.org/t13348-topic
- 31 - نجم عبود نجم: أخلاقيات الإدارة في عالم متغير، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2000، ص 90
- 32 - غسان طيارة و ; كرم ناصر، و
 <SPAN style=»FONT-SIZE: 14pt»
 المهندس جرجس،
 <style=»FONT-FAMILY: Simplified Arabic; FONT-SIZE: 22pt

ودورها في التنمية الاقتصادية، <http://mafhoum.com/syr/articles/tayara/tayara.zip>

33 - مصطفى أبو بكر، التنظيم الإداري في المنظمات المعاصرة، المصدر نفسه، ص 406 - 407.

35 - بوفلجة غيات، القيم الثقافية والتسيير، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ط 2 ص 90-91.

36 - مالك بن، نبي بين الرشاد والتيه، المصدر نفسه، ص 196.

علم الجمال الفرويدي

Freudiens aesthetic

قديدر سامي

Sami GUEDIDER

جامعة وهران

يستقصي هذا المقال الأكاديمي بالبحث و التحليل، ماهية الظاهرة الجمالية عند واحد من كبار علماء القرن العشرين، و مؤسس التحليل النفسي سيغموند فرويد، نظرا لقيام نظرية التحليل النفسي على معطيات معرفية مستمدة من أسس فلسفية جمالية و فنية ابستيمولوجية، الأمر الذي من شأنه أن يبلور العلاقة بين التحليل النفسي و فلسفة الجمال، معطيا في الحد ذاته فهما أعمق لماهية الإنسان انطلاقا من واقعه الجمالي.

الكلمات المفتاحية: علم الجمال، نظرية الجميل، اللاشعور، الليبيدو، الغرائز، الفن، التطهير .

Abstract:

It commonly known that Sigmund Freud is deemed as a milestone in the purely literary and psychological rich terrain in the twentieth century. His eminent and unparalleled weighty knowledge influenced the theoretical and critical literature heavily.

It is quite necessary to put a great deal of emphasis on the pivotal idea that reveals that Freud permitted the emergence of the key to the human psychological side in the literary production. sublimation.

Key words:

Symbolism. Unconscious. Edipes complex. psycho-analysais. Condensation.

المقدمة:

لم يكن مفهوم الجمال و انعكاساته في الوعي الفردي و الواقع البشري بمنأى عن نظريات فرويد المعرفية، فقد خاض في فلسفة الجمال باعتبارها تجري من كل الظواهر الابستيمولوجية مجرى الدم من العروق، و هذا بالرغم من اعترافه بقصوره كمحلل نفسي

عن سبر أصول النظرية الجمالية، ف: >> من المؤسف أن التحليل النفسي لا يملك الشيء الكثير ليقوله لنا بصدد الجمال <<¹

الخلفية الفلسفية لعلم الجمال الفرويدي:

يعتبر فرويد أن علم الجمال يعنى بتحليل المتعة الجمالية التي تفرزها النفس البشرية، ناهيك عن تحليل التقاء النفس مع الجمال الطبيعي، مما يولد متعة جمالية في الذات الفردية، إن: >> المتعة الجمالية بصفقتها انفعالا يث في النفس نشوة خفية من الثمل، متعة لها طابعها المميز الخاص <<²

و علم الجمال الفرويدي مرتبط بفهم فرويد لماهية الإنسان باعتباره امتدادا للطبيعة، حيث تقوم فلسفته الجمالية على أساس نفسي خالص، يعمل على إرجاع الفرد البشري خالي من الكبت، تماما كما كان الإنسان البدائي قبل عملية قتل الأب الطوطم، و نشوء مشاعر الندم المنافية للمتعة الجمالية، فالجميل يختزل في الفكر الفرويدي بتحقيق الإشباع الغريزي وفق قانون الطبيعة، فالجميل ينظر له كلذة متولدة عن تحقيق رغبة غريزية.

و انعكست آراء فرويد في التحليل النفسي على آراءه الفلسفية في علم الجمال، حيث نظر للظاهرة الجمالية من منظور ميتافيزيقي، مهتديا في بداية تكوين مفاهيمه الجمالية، إلى أن الجمال يتحقق عندما ننجح في تحقيق إشباع جنسي، و النأي بعيدا عن العوامل المفضية للكبت الغريزي، يقول فرويد: >> و كل ما يستطيع التحليل النفسي أن يقوله يقينا عم الجمال، يستمد من مجال الإحساس الجنسي، و ليس حب الجمال و جاذبيته إلا صفتين من صفات الموضوع الجنسي <<³

ففرويد يربط بين الجمال و تحقيق الإشباع الجنسي، مما يخلق متعة جمالية يشعر بها الفرد سيكولوجيا، باعتبار أن جوهر الإنسان هو اللاشعور، إن الإحساس الجمالي يقول فرويد: >> هو طريقة أخرى يسعى الإنسان بها للحصول على السعادة، بأن ينشد الجمال و أن يبحث عنه حيث وجدته حواسه و رست عليه أحكامه، و أن يستمتع بهذا الجمال استمتاعا يمنحه السعادة <<⁴

و نلاحظ أن فرويد قد تأثر في بداية تكوين مفاهيمه الجمالية بفلسفة أبي قور و التي تعتبر الجمال قاصرا على تحقيق اللذة و تجنب الألم، و هو ما استعان به نظريا لتكوين آراء جمالية وفق مذهب التحليل النفسي، ف: >> الناس تمجهد للحد من الآلام و المتاعب من ناحية، و تسعى لتحقيق لذة موعودة من ناحية أخرى، و ما نسميه سعادة بمعناها الضيق محصلة الإشباع الفوري في كثير من الأحيان لحاجات ملحة شديدة الوطأة، لكنها مؤقتة بطبيعتها، و لو طالت السعادة، و هو مطلب اللذة <<⁵

و يقربنا فرويد بقوله هذا من معالم خلق الجمال وفق نظريته المعرفية، بمَ يزيد يقين الباحث من أن الإشباع الجنسي للغرائز اللاواعية يؤدي إلى خلق الجمال المستمد من الطبيعة في الذات الفردية، و كأن فرويد يقر بأن تفكيك المكتوبات هو خطوة رئيسية لبلوغ المراتب الجمالية، ف : << المناطق الشهوية في التنظيم الجديد فعليها يقع عبء القيام بدور هام في الأعداد للاستثارة الجنسية، وربما كانت العين أبعد المناطق عن الموضوع الجنسي و لكنها في موقف تعشق الموضوع، أكثر ما تكون استثارة بكيفية خاصة من الاستثارة نصف علتها بالجمال، حين تتمثل في موضوع جنسي، و للسبب ذاته توصف مزايا الموضوع الجنسي بأنها فتن >>⁶

فكل العوامل التي تساعد الفرد على إشباع رغباته الغريزية تعد أدوات لتحقيق الجمال، بم في ذلك الأعمال الإبداعية بوصفها متنفسا للغرائز، فالعمل الإبداعي يضمن للمبدع التعبير عن لاشعوره بكل حري، محققا إشباعا و لو كان عبارة عن أوهاام، مما يؤدي إلى خلق جمال من جراء الوصول إلى لاشعور الفرد و تحقيق النشوة العاكسة للجميل في النفس البشرية.

و وجد فرويد في الأدب آراء نظرية استند عليها و هو بصدد تكوين مفاهيم في علم الجمال، لكون الأدب سجلا يضم بين طياته مختلف الآراء الجمالية عبر حقب التاريخ المختلفة، ناهيك عن كون الأدب يعد متنفسا للغرائز المكتوبة، و من ذلك ما وجده فرويد عند الشاعر الألماني (شيلر) و الذي دفعته غريزتا الحب و الجوع إلى إبداع الروائع الفنية و الجمالية، و هنا يبدأ الربط بين الأثر الأدبي و تحقيق الجمال، حيث : << و فيما كنت أتخطب في حيرة بالغة و جدت نقطة ارتكاز أولى في فرضية الشاعر الفيلسوف شيللر التي تقول إن ((الجوع و الحب)) ينظمان حركة عجلات هذا العالم، فالجوع كان يمكن أن يكون ممثل تلك الدوافع الغريزية التي تريد الحفاظ على الفرد، بينما كان الحب ينزع صوب المواضيع، و وظيفته الرئيسية التي تلقى كل تأكيد من الطبيعة هي الحفاظ على النوع >>⁷

و يُدخل فرويد بهذا التوجه النظري علم الجمال في صلب الصراع القائم بين الغرائز، و هما غرائز الحياة (الإيروس) و غرائز الموت و التدمير (التاناثوس)، بحيث ينظر إلى أن الجمال يتحقق عند انتصار غرائز الحياة على غرائز الموت.

و هذا التحول المعرفي في الرؤية الفرويدية للظاهرة الجمالية، تنبه إليه فرويد بعد وقوفه على الكوارث التي سببتها الحرب العالمية الأولى و الثانية، و ما قد يلحق بالجنس البشري من جراء استحواذ غرائز الموت و التدمير على شعور الفرد، مما اضطر فرويد لتعديل نظريته الجمالية من مجرد تحقيق الإشباع الغريزي إلى الحفاظ على الجنس البشري في طبيعته، و بالتالي حسم الصراع الديالكتيكي لفائدة الإيروس على التاناثوس، يقول فرويد : << و قد استقر

رأينا بعد مدة طويلة من الشك و التردد على أن نفترض وجود غريزتين فقط، هما غرائز الحياة (إيروس) و (غرائز الهدم)..... إن هدف أولى هاتين الغريزتين الأساسيتين، هو العمل دائما على تكوين وحدات أكبر، ثم العمل على بقائها، و باختصار، إن هدفها تأليف الأشياء بعضها إلى بعض، و هذه الغريزة الثانية هو على العكس، تفكيك الارتباطات، و ثمة هدم الأشياء، و يمكننا أن نفترض أن الهدف النهائي لغريزة الهدم، هو إعادة الكائنات الحية إلى حالة غير عضوية، و لهذا السبب فنحن نسميها ((غرائز الموت)) <<⁸

و هذا التحول المعرفي في نظرية فرويد الجمالية نتج عقب بلوغ غرائز الموت إلى الواقع، و التي كانت بمنأى من دراسات فرويد، مما خلق واقعا معرفيا جديدا، ف: >> طالما كان عمل غريزة الموت قاصرا على الداخل، فهي تظل صامتة، و نحن نظن إليها فقط عندما تتجه إلى الخارج و تصبح غريزة هدم<<⁹

فالتحول في نظرية فرويد نتج عنه تحول في تحديد ماهية الجمال، فبعد أن كان عبارة على تحقيق رغبات جنسية بالأخص، تحول ليصبح قاصرا على حفظ النسل البشري من الفناء بعد أن ذاق الولايات من جراء الحروب الطاحنة.

و فلسفة الإيروس و ربطها بالغريزة الجنسية استقاها فرويد من الفيلسوف أفلاطون، و الذي وضع أسس لعلم جمال مثالي، إذ يذهب أفلاطون إلى تصوير الحب الإلهي على انه رباط يوح بين الأشياء الفاضلة، و يضمن بقاءها، بيد أن فرويد يعوض الحب الإلهي بالحب الجنسي، في توظيف ذكي لمعالم الفلسفة الأفلاطونية، ف: >> على هذا المنوال يكون ما نقوله عن الليبدو و الذي يلازم الغرائز الجنسية متفقا و إيروس (إله الحب)، كما يتحدث عنه الشعراء و الفلاسفة في أنه يعمل على جمع الكائنات الحية بعضها إلى بعض و على ربطها جميعا في وثاق واحد<<¹⁰

فالوحدة بين أفراد المجتمع البشري و دفع خطر الفناء، تتولاه غرائز الحياة، و التي هي جوهر كل نفس بشرية وفق فهم أفلاطون لماهية الإنسان، إذ يذهب إلى أن : >> الذي يفسر في الواقع هذا الشعور، هو طبيعتنا الأصلية التي ذكرتها منذ قليل، و هي أننا كن قطعة واحدة، و لذلك فإن رغبتنا في هذه الوحدة و محاولتنا في الحصول عليها هي ما نسميه الحب <<¹¹

و لما أخذ علم الجمال يتطور عند فرويد، بحيث أضحى ينظر عليه بكونه الحفاظ على الجنس البشري من الفناء، أع انتصار الإيروس على الثاناتوس، فهذا كل الوسائل المفضية المساهمة في انتصار غرائز تعد سبيلا لتحقيق متعة جمالية، و من ذلك الفن عموما و الأدب خصوصا، لكونها يخلدان الإيروس جماليا من خلال التعبير عنه بواسطة أشكال مستمدة

من الواقع مما يعطي للإنسان موقعا في الحضارة، فالفن لا يفنى، يقول أفلاطون: <<فكرت في الحالة الغريبة التي تدفعهم إليها رغبة الحب في أن يجعلوا لأنفسهم صيتا و أن يضمّنوا لأنفسهم على مر العصور مجدا لا ينال منه الزمن، و من أجل هذه الغاية هم مستعدون أن يركبوا المخاطر بدرجة أكبر مما يركبونها من أجل أبناءهم و هم مستعدون أيضا أن ينفقوا ثرواتهم و أن يفرضوا على أنفسهم أي أعمال، و أخيرا أن يضحوا بحياتهم>>¹²

و نجد لنظرية أفلاطون هذه في العمل ديمومة العمل الفني و انعكاسه في نفسية المبدع صدى عند فرويد، عندما قال بأن الفن يمنح الفنان مجدا و شهرة تعوض الكبت، و بالتالي تقلل من انبعاث غرائز الموت و التدمير.

الإستطيقا الفرويدية والفن:

يمنح فرويد الفن خاصية تحليل الأيروس جماليا، ناهيك على كونه يحسم الديالكتيكية مع التاناثوس، فحتى لو فنى جسد المبدع فإن فنه لا يفنى و يظل خالدا خلود الحضارة، فالإبداع يتعاقب مع الجميل، كاسرا بذلك قانون الطبيعة الذي يفرض الفناء على كل حي، مما ينتج عنه تحليل الفرد جماليا في الحضارة .

فالجمال المنبثق من الأدب يجابه به فرويد، التدميرية المنبعثة من اللاشعور، فالإبداع سلاح يشهر للدفاع عن موقع الإنسان في الحضارة، يقول فرويد: << كان طبيعيا أن نجهد لتعويض أنفسنا عن هذا الإجداب في الحياة، بأن نصوغ عالما من الأدب، سواء في الرواية أو في المسرح، نصور فيه شخصيات تعيش الحياة و لا تخشى الموت، و تعرف كيف تختار المنية التي تناسبها، و أخرى لا تخشى الموت، بل و تختاره لغيرها، و في الأدب وحده يمكن أن نواجه الموت، بأن ندخل كل تجارب الحياة و نخرج منها سالمين لم تصب منها حياتنا بأي أذى>>¹³

فكل عمل أدبي وفق نظرية فرويد ما بعد الحرب، هو جمال يتيح للفرد العيش في ظل حضارة لا تحمل له إلا الموت و الدمار، و هنا نجد فرويد يواصل تأثره بأفلاطون، و الذي يذهب إلى أن الإبداع يخلد الفرد جماليا، ناهيك عن عمل الأيروس و الذي يعتقد أفلاطون أنه يُورث بين الأفراد، و واضعا بذلك نظرية تعرض طريقة ديالكتيكية الغرائز، فيما يُعرف ب () التناسخ () .

فغرائز الموت تطارد غرائز الحياة، لكن هذه الأخيرة تنفلت منها بانتقالها من جسد فان لآخر حديث الولادة، و كأن الطبيعة و الحضارة بحسب أفلاطون و من خلفه تابعه فرويد لا هم لها إلا القضاء على الجنس البشري، يقول أفلاطون: << فالطبيعة الفانية تحاول بوسائلها أن تستمر و أن تكون خالدة، و الوسيلة الوحيدة التي في حوزتها لهذا الغرض هي أن تتج و جودا، بحيث تترك باستمرار محل الكائن القديم كائنا جديدا يتميز عنه >>¹⁴

فرويد يستفيد من نظرية أفلاطون عندما يقول بانتقال الكبت بين الأفراد منذ فجر الحضارة إلى وقتنا الحاضر، و حجته في ذلك انتقال عقدة أوديب من البدائي مرورا بالحضارة اليونانية إلى القرون الوسطى و وصولا إلى العصر الحديث، و هذا بالاعتماد على الأدب بوصفه السجل الذي يعرض لنا طريقة انتقالها بين الأجيال.

و إذا كان أفلاطون بنظريته في تناسخ الغرائز قد أثر في فهم فرويد للجمال، نجد أرسطو أسهم في بلورة نظرية فرويد في نظرية الأدب، خصوصا ما تعلق بطبيعة العمل الفني والذي يتيح للمبدع كسر قانون الزمن المادي، باعتبار اللغة الأدبية تقبل التأويلات المتعددة تعدد الأفراد و الحضارات، ناهيك ارتباطها العضوي بجوهر الفرد (اللاشعور)، بما يتيح للأدب البقاء راسخا بقاء الفرد في الحضارة.

إذ أن أرسطو تنبه بأن الفن لا يموت و دائم الانفتاح على الممكن لكونه يصف ما سيقع مستقبلا مستعملا في ذلك لغة موحية و بعدا إنسانيا يتقاسمه كل الأفراد، و هذا في معرض تفريقه بين المؤرخ و الفنان، حيث يجعل الفنان أبعد شأوا من المؤرخ، باعتبار التاريخ جزءا من دائرة الفن، فالفن يحمل التاريخ و معه ما يحتمل حدوثه مستقبلا، و الأعظم من هذا و ذلك أن الفنان يضمن لأتمته الخلود فكريا و جماليا و بالتالي تحقيق ما يصبو إليه فرويد بترسيخ الإيروس حضاريا، يقول أرسطو مبينا أهمية الفن، و رابطا بينه و بين نظرية الأدب: >>رواية الشاعر ليست رواية ما يقع فعلا، بل ما يمكن أن يقع، على أن يخضع هذا الممكن إما لقاعدة الاحتمال أو لقاعدة الحتمية،... فإن الشعر يكون أكثر فلسفة من التاريخ و أعلى قيمة منه، لأن الشعر عندئذ يميل إلى التعبير عن الحقيقة الخاص أو الفردية، و أعني بالحقيقة الكلية أو العامة، ما يقوله أو يفعله نمط معين من الناس، في موقف معين على مقتضى الاحتمال أو الحتمية <<¹⁵

فالأدب ينطلق من موقف خاص ليعمم على العام لاشترك الإنسانية في الدوافع والأهداف الغريزية المفضية للإبداع، من تعبير على المكبوتات إلى تطهير الذات و المتلقي من الغرائز الضارة، لهذا يعتبر أرسطو المحتمل وقوعه تاريخيا هو تطابق دوافع العمل الإبداعي مستقبلا، (التعبير عن الأوديبية)، فجمالية صفوكليس مثلا في كونه عبر جماليا عن هذا الكبت مانحا الإنسان الحديث فهما أعمقا لماهية النفس البشرية، فمسرحة أوديب لا تفنى لأنها تعالج كبت توارثه الإنسان عبر تاريخ الحضارة.

فعندما نخوض في جمالية الفن اليوناني نطرح السؤال الآتي: ما الذي قدمه هذا الفن للإنسانية؟

و الجواب يكون: قدم هذا الفن للإنسان أينما كان و في أي زمن عاش، فهما عميقا لباطن الإنسان و حذره من مغبة سيطرة لاشعوره على شعوره، ضاربا المثل بأوديب، فهذا ما

بقي یرن من حضارة أثينا عبر التاريخ، و هي النظرية التي استفاد منها فروید عندما لجأ إلى الثقافات البشرية لوضع نظرية في الأحلام، لكون اللاشعور المنتج للفنون و الأدب ناهيك عن الأحلام يعتبر خاصية مشتركة بين البشر لا تؤثر فيه عوامل الحضارة، فهو مرآة صادقة لمعرفة الإنسان قديمه و حديثه.

و هذه النظرية الأرسطية، استفاد منها فروید كما استفاد من قرينتها الأفلاطونية و هو يكون صورة حول ماهية الإنسان، إذ أخذ عن أرسطو اشتراك المبدعين في جوهر الفن و قيمته الجمالية و التطهيرية في نفسية المتلقي، و ممهدا للتداعي الحر، كما استفاد من أفلاطون القائل بتخليد الفن الممتزج بالجمال للإيرويس ناهيك عن تناسخ الغرائز.

فالأدب وفق فروید هو جمال لكونه يحجر الفرد من دواعي الكبت اللاشعوري، ناهيك أنه يعيد للفرد انسجامه مع واقعه الاجتماعي، و ليس هذا فقط، فالفن و الأدب يضمن ربط ماضي الإنسان بحاضره فمستقبله، لكون الأدب سجلا حافلا بالخبرات النفسية يستفيد منها الأفراد في تطوير وعيمهم الجمالي، مما ينعكس على ربط الإنسان الحديث بجذوره التاريخية، و بالتالي التقليص من الوهم الذي تفرضه الحضارة على المخيال الفردي بواسطة الأنا الأعلى، فأوهام الفن تجابه أوهام الحضارة، ف: >> الفن نقيض الواقع، و واقع الفن أوهام ترضي العقل الذي يريجه دائما أن يتخيل أشياء <<¹⁶

فكل انعتاق من أوهام الحضارة (الأعراف، التقاليد، الدين... بحسب فروید) و إرجاع الإنسان حرا في بعده الطبيعي هو تحقيق للجمال الفرويدي، و هو ما ترمي إليه فلسفة فروید في الأدب.

الخاتمة:

و مما وصلنا إليه، نجد أن فلسفة الجمال الفرويدي تقترن إلى حد بعيد بالظاهرة الفنية، لكون الفن أداة يستعملها المبدع لتحقيق الجمال و بالتالي الارتباط بالجميل الموجود مسبقا في الطبيعة، و كأن فروید بهذه التصور يلحق الإنسان بالطبيعة جماليا، و بالتالي يضم الفرد بوصفه جزءا من الطبيعة فصلته الحضارة عنها، و بالتالي اللجوء إلى الطبيعة التي تضمن للإيروس الانبعاث دون قيود، و فروید بنظريته الجمالية ينتقل من صراع الغرائز داخليا إلى صراع أكبر بطلاه الطبيعة في مجابهة الحضارة، فانتصار الطبيعة و هو تحقيق للجمال و ترسيخ لكل جميل أفرزته الحضارة، و هذا التصور يعكس يترجم نظرية فروید في الفرد باعتباره ابنا للطبيعة.

الإحالات و الهوامش:

- 1/ فرويد، الحب و الحرب و الحضارة و الموت،، ترجمة، عبد المنعم الحفني، القاهرة، دار الرشاد، الطبعة الأولى، 1992، ص، 45
- 2/ فرويد، نفس المصدر، ص، 44
- 3/ المصدر نفسه، ص، 54
- 4/ نفسه، ص، 54
- 5/ نفسه، ص، 45
- 6/ فرويد، ثلاث مباحث في نظرية الجنس، سامي محمود علي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1969، ص، 89
- 7/ فرويد، قلق في الحضارة،، ترجمة، جورج طرايبشي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الرابعة، 1996، ص، 80
- 8/ فرويد، معالم التحليل النفسي، ترجمة، عثمان نجاتي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الخامسة، ص، 50
- 9/ المصدر نفسه، ص، 52
- 10/ فرويد، ما فوق مبدأ اللذة،، ترجمة، إسحاق رمزي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة، الخامسة، 1994، ص، 87
- 11/ أفلاطون، المأدبة، ترجمة، مجموعة أساتذة عرب، مصر، دار الكتب الجامعية، 1973، ص، 48
- 12/ أفلاطون، نفس المرجع، ص، 90
- 13/ فرويد، الحب و الحرب و الحضارة و الموت، ص، 30
- 14/ أفلاطون، المأدبة، ص، 88
- 15/ أرسطو، فن الشعر،، ترجمة، إبراهيم حمادة، مصر، المكتبة الأنجلو مصرية، ص، 114
- 16/ فرويد، الحب و الحرب و الحضارة و الحرب، ص، 44



دار التل للطباعة

رقم الإيداع: 4343-2014

ر.د.م.د 0436-2437 ISSN